

القسم الثاني

عصر الخلفاء الراشدين وبنى أمية

الخلفاء الراشدون

(الخليفة وشروطها)

جاءت الشرائع السموية كلها لإرشاد البشر إلى طرق السعادة في الدنيا والآخرة، وحماهم على اتباع هذا السبل في جميع أحوالهم - في الملك الذي هو ضروري للاجتماع البشري ، فإن هذه الشرائع أجرتة على منهاج الدين ليكون محوطا بنظر الشارع الذي أعلم بمصالح البشر من البشر ، وإذا كان الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة ، والملك السياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي لدفع المضار وجلب المنافع الدنيوية ، فإن الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخروية والدنيوية الراجعة اليها ، وإذا كان صاحب الشرع هو المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد اختار الرفيق الأعلى ، فالخلافة من بعده في الحقيقة نيابة عنه في حراسة الدين ، وسياسة الدنيا ، وتدعى امامة أيضا تشبيها لها بالامامة في الصلاة

ولما كان الاسلام دينا وشرعا ، وقد وضع حدودا ، ورسم حقوقا فلا تكمل الحكمة من تشريع الاحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود وتنفيذ الاحكام بالحق ، وصون نظام الجماعة ، وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى في عدد كثير ، فلا بد أن تكون في واحد وهو الخليفة والخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم ، ولا هو مهبط الوحي ، ولا من حقه الاستشارة بتفسير كتاب الله وسنة رسوله ، ولا يخصه الدين

بمزبة في فهم الكتاب والعلم بالاحكام ، ولا يرتفع به الى منزلة ، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء ، ثم هو مطاع مادام على المحجة ، والمسلمون له بالمرصاد ؛ واذا انحرف أو اعوج قوموه ، وخالفوا أمره . اذ لاطاعة المخلوق في معصية الخالق ، واذا زاغ وفارق الكتاب والسنة ، وجب عليهم أن يخلعوه ، وان يستبدلوه بغيره ؛ فالأمة حينئذ أو من ينوب عنها هو الذي ينصبه ، والامة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي التي تخلعه متى رأت من مصلحتها ذلك .

وليس للخليفة أي سلطان ديني سوى سلطة الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهي سلطة خولها الله لأدنى المسلمين بقرع بها أنف أعلام ، كما خولها لأعلام بتناول بها أديانهم

وقد انفق المسلمون من أهل السنة والشيعة وأكثر الخوارج على وجوب الأمامة ، وأن الامة يجب عليها أن تتقاد الى امام عادل ، يقيم أحكام الله ، ويسوسهم بالشريعة التي أتى بها رسول الله ، وحجتهم في ذلك اجماع الصحابة والتابعين لهم باحسان ، فإن الصحابة عند وفاة الرسول بادروا الى بيعة أبي بكر والتسليم اليه ، وعليه جرى العمل كلما دعت الحاجة ، ولم يترك الناس فوضى في عصر من العصور ، فاستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام — والذين لا يوجبون ذلك أرادوا أن يفروا فقط من الملك ومذاهبه — غير أن الشرع لم يذم الملك لذاته ، ولا طلب تركه ، ولا حظر القيام به ، وإنما ذم المفاسد الناشئة عنه

وبهذه المناسبة نقول : أن البيعة للامام لا تقتصر الى اجماع من جميع

أهل الحل والعقد ، بل الواحد والاثني من هؤلاء كاف في ثبوت
الامامة ووجوب اتباع الامام على أهل الاسـ لام بدليل ان الصحابة
اكتفوا بذلك في عقد الامامة ، كمقد عمر لابى بكر وعقد عبد الرحمن
ابن عوف لعثمان ، ولم يشترطوا في عقدها اجتماع من في المدينة من أهل
الحل والعقد فضلا عن اجماع الامة من علماء الامصار ومجتهدي الاقطار
ولم ينكر عليهم أحد ، وعليه انطوت الاعصار بعدهم .

والامام الحق بعد رسول الله هو أبو بكر الصديق عند أهل السنة،
وعلى عند الشيعة ، والاجماع على أحقية أبى بكر ، ولو لم يكن على
الحق لنازعه على والعباس كما نازع على معاوية ، وترك المنازعة مع
امكانها معصية كبيرة .

ومن الشيعة من يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى الى على ،
ولو أنه أوصى بذلك ما بايع أبى بكر ولا عمر ، ولا دخل في الشورى
أحد ستة رجال لا انتخاب عثمان ، ولا يجوز أن يظن بعلى أنه امسك
عن ذكر النص عليه خوف الموت وهو الاسد شجاعة
أما ما شرطه القوم فيمن يتولى الخلافة فهو

- (١) العلم ، لان الخليفة انما يكون منفذا لاحكام الله اذا كان عالما
بها ، ولا يكفي من العلم الا أن يكون مجتهدا ، لان التقليد نقص
- (٢) العدالة لان منصبه دينى ينظر في سائر المناصب التى العدالة
شرط فيها ، فكان أولى باشتراطها فيه

- (٣) الكفاية وهي أن يكون جريثا على اقامة الحدود ، واقتحام
الحروب بصيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها ، عارفا بالمعصية وأحوال

الدعاء قويا على معاناة السياسة ، ليصحح له بذلك ما جعل اليه . من حماية الدين ، وجهاد العدو ، وإقامة الاحكام ، وتدير المصالح

(٤) السلامة ، ويدخل فيها : سلامة أعضائه من النقص الذي يؤثر في تمام عمله ، والقيام بما جعل اليه على الوجه الذي ينبغي ، وبلحق بذلك سلامته من الاسر والعجز عن التصرف بالحجر عليه ، ولو من بعض أعوانه من غير عصيان عليه ولا مشاقة

(٥) النسب القرشي ، وهذا الشرط مؤسس على ما كان من الاجماع الذي حصل يوم السقيفة ، حينما قال الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، وخالفهم المهاجرون محتجين عليهم بقول النبي (الأئمة من قريش) وبأن النبي أوصانا بأن نحسن الى محسنكم ، ونتحاوز عن مسيئكم ، ولو كانت الامارة فيكم ، لم تكن الوصية بكم ، فتبقيظ الانصار الى الخطأ ، ولم يهادوا في الباطل بل رجعوا الى الحق ، وأزعنوا وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعه سمد بن عبادة ، وهم أهل الدار ، والمنعة والمدة ، والسابقة في الاسلام ، ومن المحال أن يتركوا اجتهادهم لولا قيام الحجة عليهم بنص رسول الله ،

والحكمة في اشتراط النسب القرشي اعتبار العصبية التي تكون بها الحرية والمطالبة ، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه الملة وأهلها ، وينتظم حبل الالة فيها .

وذلك أن قريشا أنف مضر وأصلهم ، وأهل الغلب منهم ، والعرب عامة يترفون لهم بذلك ويستكينون لغلبهم ، فلو جعل الأمر في سواهم لوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ، ولا يقدر غيرهم من قبائل

مضر أن يردوم عن الخلاف ، ولا يحملهم على الكره فتفترق الجماعة ،
وتختلف الكلمة ، والشارع محرز من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع
التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبيه وتحسن الحماية .

بخلاف ما اذا كان الأمر في قریش لأنهم قادرون على سـوق
الناس بعصا الغلب الى مايراد منهم ، فلا يخشى من أحد خلاف عليهم
فاشترط النسب القرشي في هذا المنصب أبلغ في انتظام الملة
واتفاق الكلمة ، واذا انتظمت كلمتهم انتظم بانتظامها كلمة مضر ، فاذعن
لهم سائر العرب وانقادت الامم سواهم الى أحكام الملة .

ولما اضمحل أثر الخلافة بعد انتهاء العصر الذهبي للدولة العباسية
بطل هذا الشرط بطبيعته . اذ صار الحل والعقد للعجم دون العرب

أبو بكر الصديق

هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن
تيم بن مرة بن كعب بن لؤى صاحب رسول الله ، وجليسه في الغار ،
وأول من صلى معه ، وآمن به واتبعه ، روي أن عمر نازع أبو بكر
فقال النبي هل أنتم تاركوني وصاحبي ، أن الله بعثنى بالهدى ودين الحق
الى الناس كافة ، فقالوا جميعا كذبت ، وقال أبو بكر صدقت — ولد
لسنتين من عام الفيل ، وكان في بسطه من الرزق فساعده ثراؤه على
الافضال على ذوى الحاجة ، وكان محببا في قریش ، ونسابة في العرب وفي
قریش خاصة ، وقد احتمل أشد الأذى منهم ، ثم هم بالهجرة الى الحبشة
فلقيه ابن الدغنة من سادات العرب فأجاره ، وقال : من لك لا يهاجر ،

انك تصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتكسب المعدم ، وتعين على نواب الدهر . وقد أجازت قريش جواره على ألا يعلن بهلاته لهم فاتخذ بفناء داره مسجدا يصلى فيه ويقرأ القرآن حتى هاجر الى المدينة مع رسول الله ، وقد شهد معه الشاهد كلها

انتخابه خليفة

وقد رأيت أن أثبت هنا الرواية الاخرى لحديث السقيفة ؛ لأن فيها بسطة في القول وتفصيلا لما أجمل في الرواية الماضية ، ونكميلا لما قد يكون من النقص في عباراتها :

قال أبو عمرة الانصارى : لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الانصار في سقيفة بنى ساعدة ، وأخرجوا سعد بن عبادة ليولوه الامر وكان مريضا فقال بعد أن حمد الله : «يامعشر الانصار لكم سابقة وفضيلة ليست لأحد من العرب ، ان محمدا صلى الله عليه وسلم لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوم فما آمن به الا القليل ، ما كانوا يقدرون على منعه ، ولا على اعزاز دينه ، ولا على دفع ضيم ، حتى اذا اراد الله بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة ، ورزقكم الايمان به ورسوله ، والمنع له ولا أصحابه والاعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لامر الله طوعا وكرها ، وأعطى البعيد المقادة صاغرا فدانت لرسوله بأسيا فكم العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راض قدير العين ، استبدوا بهذا الامر دون الناس ، فانه لكم دونهم ، فاجابوه

بأجمعهم : قد وفقت وأصبت الرأي ، ونحن نوليك هذا الامر فانك مقنع
ورضا للمؤمنين ، ثم أنهم ترادوا الكلام وأبى المهاجرون من قریش ،
وقالوا نحن المهاجرون وأصحابه الاولون ، وعشيرته وأولياؤه ، فقالت
طائفة منهم : فانا نقول منا أهير وهنكم أهير وان نرضى بدون هذا أبدا
فقال سعد هذا أول الوهن ، وسمع عمر الخبر فأتى منزل النبي صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر فيه فأرسل اليه أن أخرج الى ، فأرسل اليه اني
مشتغل ، فقال عمر قد حدث أمر لابد لك من حضوره ، فخرج اليه
فأعلمه الخبر فمضيا مسرعين نحوهم ومعهما أبو عبيدة ، قال عمر : فاتيناهم
وقد كنت زورت كلاما أقوله لهم فلما دنوت أقول أسكتني أبو بكر
وتكلم بكل ما أردت أن أقول فحمد الله وقال : « ان الله قد بعث فينا
رسولا شهيدا على أمته ، ليعبدوه ويوحده ، وهم يعبدون من دونه
آلهة ثني من حجر وخشب ، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ،
فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والمواساة له والصبر
معه علي شدة أذي قومهم وتكذبهم اباء ، وكل الناس لهم مخالف زار
عليهم ، فلم يستوحشوا القلة عاديهم وشنف الناس لهم ، فهم أول من عبد الله
في هذه الارض ، وآمن بالله والرسول ، وهم أولياء وعشيرته ، وأحق
الناس بهذا الامر من بعده ، لا ينزعهم الا ظالم ، وأنتم يامعشر الانصار
من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الاسلام ، رضيكم الله أنصارا
لدينه ورسوله ، وجعل اليكم هجرتي ، فليس بعد المهاجرين الاولين عندنا
بمنزلتكم فتحن الامراء ، وأنتم الوزراء ، لانفاوتون بمشورة ، ولا تقضي
دونكم الامور ، فقام حباب بن المنذر بن الجوح فقال : « يامعشر

الانصار أملكوا عليكم أمركم ، فان الناس في ظلمكم ، ولن يجتريء مجتريء
 علي خلافكم ، ولا يصدروا الا عن رأيكم ، أنتم أهل العز وأولو العدد
 والمنعة وذوو البأس ، وانما ينظر الناس ماتصنعون ، ولا تختلفوا فيفسد
 عليكم أمركم : أبي هؤلاء الا ماسمعتهم فمنا أمير ومنكم أمير » فقال عمر :
 هيهات لا يجتمع اثنان ، والله لا نرضى العرب أن تؤمركم ونبيدنا من
 غيركم ، ولا تمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم ولنا
 بذلك الحجة الظاهرة ، من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته
 فقال الحباب بن المنذر : يامعشر الانصار أملكوا على أيديكم ولا تسمعوا
 مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان أبو فمليكم فأجلوهم
 عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذا الامر فأنتم والله أحق بهذا الامر
 منهم فانه باسيا فكم دان الناس لهذا الدين أنا جديلبها المحكم وعذيقها المرجب
 أنا أبو شبل في عريضة الاسد ، والله لئن شئت لنعيدنها جذعة . فقال
 عمر اذن ليقتلك الله فقال بل اياك بقتل ، فقال أبو عبيدة يامعشر
 الانصار انكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدل وغير فقام بشير
 ابن سعد أبو النعمان بن بشير فقال : يامعشر الانصار ، انا والله وان كنا
 أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في الدين ما أردنا به الا رضا
 ربنا وطاعة نبينا والكبح على أنفسنا فما ينبغي أن نستطيل على الناس
 بذلك ولا نبتغي به الدنيا الا أن محمد صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه
 أولى به وأيم الله لا يراني الله أنا زعمهم هذا الامر فاتقوا الله ولا تخالفوه ،
 فقال أبو بكر : هذا عمر وأبو عبيدة فان شئتم فبابعوا فقالوا : والله لا نتولى
 هذا الامر عليك ، وأنت أفضل المهاجرين ، وخليفة رسول الله صلى الله

عليه وسلم في الصلاة ، وهي أفضل دين المسلمين ، أبسط يدك نبايعك
فلما ذهب يبايعهم سبقها بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر
عققت عقاقا ، أنفست على ابن عمك الامارة ؟ فقال : لا والله ولكني
كرهت ان أنازع القوم حقهم . ولما رأته الاوس ماصنم بشير وماتطلب
الحزرج من تأمير سعد فقال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير وكان
نقيبا والله لئن وليتها الحزرج مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة
ولا جعلوا لكم فيها نصيبا أبدا فقوموا فبايعوا أبابكر فبايعوه فامر على
سعد والحزرج ما جمعوا عليه واقبل الناس يبايعون أبابكر من كل جانب
ثم تحول سعد بن عبادة الى داره فبقى اياما وارسل اليه ليبايع فان الناس
قد بايعوا فقال : لا والله حتى ارميكم بما في كنانتي واخضب سنان رححي ،
واضرب بسيفي ، واقاتلكم باهل بيتي ومن اطاعني ؛ ولو اجتمع معكم الجن
والانس ما بايعتكم حتي اعرض على ربي فقال عمر لا تدعه حتى يبايع
فقال بشير بن سعد انه قد لج وابي ولا يبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى
يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته ولا يضركم تركه ؛ وانما هو رجل واحد
فتركوه وجاءت أسلم فبايعت فقوى أبو بكر بهم ، وبايع الناس بعد

قيل ان عمر بن حريث قال لسعيد بن زيد متى يوبع أبو بكر قال
يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم : كرهوا أن يبقوا بعض يوم
وليسوا في جماعة . فلما كان الغد من بيعة أبي بكر جلس على المنبر وبايعه
الناس بيعة عامة ثم تكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس قد
وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنتم فأعينوني وان أسأت فقوهوني ،
الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ

له حقه ، والقوى ضعيف عندى حتى آخذ منه الحق ان شاء الله تعالى ،
لا بدع أحد منكم الجهاد ؛ فانه لا يدعه قوم الاضربهم الله بالذل أطيعوني
ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم
قوموا الى ص - لا تنكم رحمكم الله .

وهذه الخطبة تشبه ما نسميه الآن خطبة العرش : اذ ان أبا بكر
أبان فيها برهجة الذى سيدسلكه فى حكم المسلمين ، وقد صار صاحب
الأمر فيهم .

نظرة فى هذا الانتخاب

لا شك فى أن أبا بكر رضى الله عنه كان أولى الناس بالخلافة عن
رسول الله لعلمه وسنه وأقدميته فى الاسلام وصحبته رسول الله ، ولان
رسول الله استخلفه وهو مريض ليؤم الناس بدله فى الصلاة وهي
أهم أركان الاسلام ، وكانت منزلته بين الصحابة جليلة وكذلك كانت
مكاته بين قومه فى الجاهلية فلا غرابة اذا اجتمعت عليه كلمتهم ، ووقع
عليه اختيار وجوههم وسادتهم ، غير أنه كان هنالك من آل رسول الله
من يطلبها كالامام على ، يعضده فى هذا الطلب زوجه ومن مال اليه ،
كذلك كان من الانصار من يطلبها ويرى انهم أحق الناس بها ، فاما
على فقد كان صغير السن قليل الخبرة بالشؤون السياسية فبال كل منهما
بينه وبين الزعامة العامة ، وأما الانصار فقد اجتمعوا فى سقيفتهم
للشورى ، وحضرهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة واشتركوامعهم فى
هذه الشورى ، وبين لهم أبو بكر ما أثر عن رسول الله فى هذا الموضوع

حتى اقتنعوا وقام أسيد بن حضير وكان أحد النقباء فأنكر على سعد ابن عباداة وعلى الحزرج ما أجمعوا عليه وتقدم فبايع أبا بكر وتبعه الناس من الأوس والحزرج وبذلك تمت البيعة لأبي بكر ، واعتبر المؤرخون أن أبا بكر انتخب انتخاباً ديمقراطياً صحيحاً بعد مداولة وشورى على حسب ما كان مألوفاً عند العرب الى ذلك العهد من اعتبار السن والفضل أساساً لاختيار الرؤساء والقادة .

غير أن من المؤرخين المحدثين من يرى أن الاستشارة في الأمر كانت ناقصة بالقياس على ما يحصل من نظم الانتخابات في العصر الحاضر فقط ، إذ لم يحضرها الا ثلاثة فقط من المهاجرين الأولين كان أبو بكر خيرهم ، ومن أجل ذلك وقع عليه الاختيار ، وفي أمر خطير كالتخاب الخليفة يجب أن يختار المكان ويدعي القوم اليه ، ويعرفوا الغرض الذي من أجله دعوا ، حتى تتم الاصول المرعية ، غير أن الظروف كانت حرجية ، فتم الأمر على هذا الوجه بمبادرة عمر الى بيعته ، حرصاً على كلمة المسلمين أن تتفرق ، وما كان لابي بكر في هذا الظرف الحرج أن يتخلى عن منصب أجمع الناس على اختياره له :

وقد روى ان سيدنا عمر قال في بعض ما أثر عنه : أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها ، فقد فسروه بأن الذي حصل كان مظنة للفتنة العظيمة إذ لم يؤخذ فيه رأى القرابة القريبة فضلاً عن كبار المهاجرين .

المتخلفون عن بيعة أبي بكر

يصح أن نقول أن المسلمين واجهتهم بعد وفاة الرسول مشكلة عظيمة وهي الولاية العظمى ، وسد ذلك الفراغ الذي أحدثته هذه الوفاة ، ومن أجل ذلك تخلف عن بيعة الصديق ، حتى بعد البيعة العامة بمض الانصار ، وقالوا لا نبايع الا عليا ، وتخاف على وبنو هاشم والزبير وطلحة عن البيعة ، وقال الزبير لا أنعمد سيفنا حتى نبايع على ، فقال عمر : خذوا سيفه واضربوا به الحجر .

فأما على فقد روى انه لما سمع ببيعة أبي بكر خرج في قميص ماعليه ازار ولا رداء عجلا حتى بايعه ، ثم استدعى ازاره ورداه فقتله وأنا أميل الى هذا الرأي . واعتقد أن هذا هو الذي يتفق مع ماعتيقده من رجحان عقل على واصله رأيه - وقد روى أنه لم يبايع الا بعد ستة أشهر ولكن هذا لا يتفق وما كان من أنه كان علي أنقاب المدينة هو وطلحة والزبير حينما هاجموا الثوار المرتدون من اتباع طليحة بن خويلد الاسدي ، وان أكثر ما روى في هذا الموضوع من ابطاء عليه ، ربما كان من أوضاع الشيعة ولا أصل له ، ومنه المخفف ومنه المبالغ فيه ، ومن الاول أن عليا أرسل بعد موت السيدة فاطمة الى أبي بكر فأتاه في منزله فبايعه ، وقال : والله ما نفسنا عليك ما ساقه الله اليك من فضل وخير ، ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الامر شيئا فاستبدت به دوننا وما تشكر فضلك - ومنها أن أبا بكر مازال يجعل أبا عبيدة وسيطا بينه وبين على ، ويكتب اليه الكتب حتى لان وبايع -

ومن الثاني ماروى من ان أبا بكر ارسل الى المتخلفين الذين قعدوا فى بيت فاطمة عمر بن الخطاب ليخرجهم منه ، وقال له ان أبوا فقاتلهم ، فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار ، فلقىته فاطمة فقالت : يا بن الخطاب أجمت لتحرق دارنا ؟ قال نعم ، او تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة ، فخرج على حتى دخل على أبي بكر فبايعه ، فقال له أبو بكر اكرهت امارنى ، فقال لا ، ولكنى آليت الا ارتدى بعد موت رسول الله حتى احفظ القرآن ، فعليه حبست نفسى

وأما أبو سفيان فكان غائبا ، فلما حضر وعلم ماكان من اجتماع الناس على أبى بكر أقبل وهو يقول : انى لأرى عجاجة لا يطفئها الا ادم ، يا آل عبد مناف ، فيم أبو بكر من أموركم ؟ أين المستضعفان ، أين الاذلان على والعباس ؟ ما بال هذا الامر فى أقل حى من قریش ؟ ثم قال لعلى أبسط يدك أبا يعك ، فوالله لئن شئت لأملأنها عليك خيلا ورجالا ، فأبى على عليه فتمثل بشعر المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به الا الاذلان غير الحى والوتد
هذا علي الخسف مربوط برمته وذا بشج فلا يبكى له أحد
فزجره على وقال : والله انك ما أردت بهذا الا الفتنة ، وانك والله طالما بغيت للاسلام شرا ، لا حاجة لنا فى نصيحتك

وأما العباس فانه لما تخلف أرسل أبو بكر الى عمر ، وأبى عبيدة والمغيرة بن شعبة ، فاستشارهم فاشاروا عليه بان يلقى العباس ، فخرجوا جميعا حتى دخلوا على العباس ليلا ، فبين له أبو بكر أن الناس اختاروه عليهم واليا ولا مورهم راعيا ، فاما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه وأما

صرفتموهم عما مالوا اليه ، فقال العباس لابي بكر في حديثه فان كنت برسول الله فحقا أخذت ، وان كنت بالمسلمين فذبح منهم - وهكذا مازال الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر يبايعونه واحد بعد الآخر الى أن تمت له في خلال هذه الاعاصير الشديدة الولاية على المسلمين

﴿ انقاذ جيش أسامة ﴾

استعمل رسول الله أسامة بن زيد على جيش ، وأمره بالتوجه الى الشام كما سلف ، فتوفي النبي ولم يسر الجيش ، وارتدت العرب امامامة . وأوخاصة ، وظهر النفاق واشترأت اليهودية والنصرانية ، وبقي المسلمون كالغنم الشاردة في الليلة المطيرة ، لفقد نبيهم وقتلهم وكثرة عدوهم ، وقال الناس لابي بكر : ان هؤلاء (يعنون جيش أسامة) جند المسلمين والعرب على ما ترى قد انتقضت بك ، فلا ينبغي ان تفرق جماعة المسلمين عنك فقال ابو بكر : والذي نفسى بيدي لو ظننت ان السباع تختطفني لانفذت جيش أسامة كما أمر النبي ، وخاطب الناس وأمرهم بالتجهز للغزو والخروج الى المعسكر فخرجوا ، ولما تكاملوا أرسل أسامة عمر (وكان معه في جيشه) الى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس وقال : ان معي وجوه الناس وجلتهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله وحرمة رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون ، وقال من مع أسامة من الانصار لعمر ان أبا بكر خليفة ، الا فامض فابلغه عنا ، واطلب اليه ان يولى أمرنا أقدم سنا من أسامة (كان ابن ١٨ سنة) فخرج عمر بأمر أسامة الى أبي بكر فأخبره بما قال أسامة فقال لو خطفتني الكلاب

والذئاب لانفذته كما أمر رسول الله ، ولا أرد قضاء قضى به رسول الله ولولم يبق في القرى غيرى لانفذته - قال عمر : فان الانصار تطلب رجلا أقدم سنا من اسامة ، فوثب أبو بكر وكان جالسا وأخذ بلحمة عمر وقال : ثكلتك أمك يابن الخطاب ، استعمله رسول الله وتأمرني ان أعزله ، ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم وأشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامة راكب ، فقال له اسامة : لتركن أولاً نزلن ، فقال : والله لانزلت ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله

فلما أراد ان يرجع قال لاسامة : ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل ، فأذن له ، ثم وصاه ، وأوصى اسامة ان يفعل ما أمر به رسول الله ففسار وأوقع بقبائل من ناس قضاة التي ارتدت وغنم وعاد ، وكانت غنيته أربعين أو سبعين يوما .

وكان انفاذ جيش اسامة أعظم الامور نفعا للمسلمين ، فان العرب قالوا لولم يكن بهم قوة ، لما أرسلوا هذا الجيش ، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون ان يفعلوه :

دولة الرومان الشرقية

موجز تاريخها الى نهاية حكم هرقل

كانت دولة الرومان دولة واسعة الاطراف عظيمة الشأن يتناول سلطانها جميع البقاع المشرفة على البحر المتوسط من أوروبا وآسيا وافريقية . وقد أدرك ملوكها من عهد دقلديانوس ان ملكا واحدا أصبح لا يكفي لمقاومة الاسباب الكثيرة التي ستؤدي بالدولة الى الانحلال

والسقوط فلم يجدوا علاجاً خيراً من تجزئتها
ولما ملك قسطنطين أراد أن يتخلص من طبقة الاشراف فقسم
الدولة الى عمالات عظيمة وكل عمالة الى مقاطعات صغيرة . ثم رأى ان
ينقل كرسى الملك الى ناحية أخرى غير رومية فأنشأ القسطنطينية واعتنق
النصرانية رجاء ان يتخلص من تقاليد الرومان القديمة معبوداتهم الباطلة .
وكان تيودتيوس آخر امبراطور روماني اجتمع له السلطان على
جهات المشرق والمغرب - وقبل موته عين ابنه هو نوربوس امبراطوراً
على بلاد الغرب . وبعد موته تولى ابنه الثانى ارقاديبوس أمر المشرق ،
ومن هذا الوقت صارت الدولة الرومانية مقسومة الى قسمين شرقية
وغربية وذلك سنة ٣٩٥ ، وبعد هذا التاريخ أغارت القبائل المتبربرة
على دولة الرومان ، ثم أجهزت على الغربية وظلت الشرقية بعدها نحو
ألف سنة ، على ان الغربية لم تعمّر أكثر من ١٨ سنة ، وكان أباطرة
الشرقية يعدون أنفسهم حكام دولة الرومان كلها . ولذلك كانوا يعطون
أنفسهم ألقاب الرومان ، وبالرغم من ان الدولة الشرقية نشأت فى بلاد
اغريقية صرفه ، فان أباطرة المشرق قد حافظوا على اللغة اللاتينية
وجعلوها اللغة الرسمية ، وكانت دولتهم تسمى الامبراطورية الشرقية
أو الدولة السفلى أو البوزنطية ، وهي التي نريد بيان تاريخها بإيجاز فنقول :
ينقسم ما نحن بصدده من تاريخ الدولة الشرقية الى مدتين

المدة الاولى : من سنة ٢٩٥ الى ٥٦٥ م ، أى الى نهاية حكم
جستنيانوس الاول

المدة الثانية : من سنة ٥٦٥ الى ٦٤١ م ، أى الى نهاية حكم هرقل الاول

المدة الاولى

وقد تولى الملك في هذه المدة تسعة من الباطرة ، أولهم اركادبوس ، وكان صغير السن ضعيفا تغلب عليه وصيه واكبر حجابيه ، ومما يذكر من أعماله بمصر انه أغلق هياكل الاصنام فيها وأمر أهلها باعتناق النصرانية ، وحمى مذهب اريانوس اسقف نيقوميديا الذي يرى ان المسيح عليه السلام انما مخلق من العدم وانه خليفة الآب وليس بأله — ومات اركادبوس غير مأسوف عليه فملك بعده ابنه تيودتيوس الثاني ، وكان ضعيفا كاليه ، فاستولى عليه وزيره ، ثم أخذه بولخيريا فساست البلاد سياسة حسنة ، وجاءت الفرس في أيام بهرام جور وانتصرت عليهم وأخذت منهم نصف ارمينية ، وتغلبت على الدولة الغربية ولكن الهون من قبائل المتبربرين أغاروا عليها والزموها ان تخضع للشروط التي يملونها عليها ، ومنها ألا تعقد معاهدة مع أي أحد من أعداء الهون . فانحط شأن الرومان جدا وصاروا كالارقاء لاثيلا ملك الهون

ومما يذكر من حوادث عصره شيعة مذهب النسطورية وطرد اتباع اريانوس من القسطنطينية

ولما تولى مرقيانوس من بعده وهو زوج بولخيريا تمكن من رد غارات الهون وحسن لهم الاغارة على الدولة الغربية — وتولى بعده ستة من الباطرة ، كانت أيامهم كلها اضطرابات وفتن وحروب بينهم

وبين القوط والوندال ، أو بين أصحاب المذاهب المسيحية المختلفة . وفي أيام السادس منهم دخلت اللاظ في حكم الرومان ، وكانت تدفع خراجا لفارس

ولما ملك جستنيانوس الاول كان اشهر ملوك هذه الدولة ، وقد وصلت الامبراطورية على عهده الى ذروة المجد ، وكان له قائد يدعى بليساريوس اشتهر في كل حروبه بالنصر

وكان جستنيانوس موفقا ذا مقدرة نادرة ، وخبرة باختيار الرجال رمم ما تصدع من بنيان الدولة ، وأحيا موانها وضرب على أيدي العصاة والمفسدين والفاثرين ، وأرهب الخارجين عليها والطاهين فيها ، وكان لقائده الاكبر شأن عظيم في التغلب على الفرس والوندال والقوط الشرقيين أي الاستروقوط

(١) فاما الفرس فكانوا قد نقضوا ما بينهم وبين الروم من عهد بمساعي الارمن والقوط ، وهجموا على الشام فطردهم منها بليساريوس الا ان أمة اللاظ التي كانت على سواحل البحر الاسود دخلت في طاعة كسرى أنوشروان فاغتنمها كسرى فرصة مناسبة وشرع في انشاء سفن حربية كانت تمخر عباب البحرين مجتازة خليج القسطنطينية وهو بحر مرمرة بمساعدة اللاظ الذين كانوا مهرة في هذا الشأن ، ولكن اللاظ سرعان ما نقضوا عهد الفرس وعادوا الى الرومان فتقووا بهم على الفرس وطردوهم من كل ما وقع بأيديهم من الاملاك الرومانية سنة ٥٥٠هـ ثم ظلت الحروب بينهما متوالية الى أن اصطالحا في النهاية على أن يرد كل فريق منهما ما وقع بيده من أملاك الآخر

(٢) وأما الوندال بافريقيه فقد نازلهم سنة ٥٢٣هـ والسبب في ذلك أن مسيحييها استنجدوا القيصر ليخلصهم من ظلم الوندال وقد علمنا أن أباطرة المشرق كانوا يعتقدون أنهم أباطرة المغرب أيضا، وأنهم يتدخلون في أعمال الدولة الغربية للإصلاح عند مستوجباته، وكان الوندال قد ضعفوا وأنحطت أحوالهم الاجتماعية ولذلك لم يستطيعوا رد بليسار بوس فاكسح دولتهم وجعلها ولاية رومانية، ثم عبر في العام التالي إلى صقلية وكان معه نحو ٨٠٠٠ مقاتل فاحتلها بلا كبير مقاومة

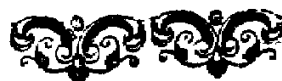
(٣) وأما القوط الشرقيون فكانوا ينزلون إيطاليما من الجنوب وكانوا قد انحطوا كالوندال، ثم اتفق أنهم كانوا في حرب داخلية مع الرومان فاتهزها بليسار بوس فرصة مناسبة وأنضم إلى الرومان وكان جيشه لا يزيد على ٥٠٠٠ وجيش القوط أكثر من ١٥٠٠٠٠ فبمهارته وحسن تديره اكتسح بلادهم، واستولى على نابل ورومه بلا كبير مقاومة، وتبع الوندال حتى دخل رافنا حاضر تهم سنة ٤٤٠هـ وعاد بليسار بوس إلى القسطنطينية ظافراً منه. ورأى - غير أن القوط اتهزوا فرصة غيابه عنهم، وجمعوا شملهم وساروا تحت راية زعيمهم توتيلان وحاربوا الرومان في إيطاليا، وانتزعوا من أيديهم أكثر البلاد القوطية، فسير اليهم جستنيانوس جيشاً بقيادة نارسيس سنة ٥٥٤هـ ففرق جمعهم وأعاد إيطاليا إلى الرومان - وفي هذا العام استرجع أسبانيا الجنوبية فصارت دولة جستنيانوس تمتد من الفرات شرقاً إلى المحيط غرباً

هذا ولم تك فتوحات المغرب أيام هذا الملك ذات بال بالنسبة إلى ما كان يهدد الأطراف الشرقية التي كانت عرضة إلى أغارات الفرس

الافويا، وغيرهم

وكما اشتهر عصر هذا الامبراطور بالاعمال الحربية المهمة، عرف
ايضا بالاعمال السلمية المجدية وانفق من سعة على اقامة المباني الفخمة
مثل كنيسة اباصوفيا، وعلى تشجيع المسيحية، وعلى نشر العدل في
اطراف الدولة، وكان يضطهد الوثنية جدا ولذلك اضطر الى اغلاق
جامعة ايندنا لأنها مركز تعليم هذه الديانة، ولكن الذي لا يزال يذكر
له الى الآن، (قوانين جستنيانوس) التي لقب من أجلها بالمشرع العظيم،
ذلك أنه جمع ما نشئت من القوانين الرومانية وشرائعها بوساطة لجنة
أمرها أن تعمل على تهذيبها وتنقيحها وإضافة ما صدره القضاة والمشرعون
من الاحكام اليها، فصار من ذلك كله مجموعة واحدة هي التي تسمى
القانون الروماني وهو الذي لا يزال يدرس الآن بمدارس الحقوق وله
مختصران وشروح في نحو خمسين مجلداً

وفي عصره أحرق نارسيس مدينة الاسكندرية بمصر لامتناع
اهلها عن قبول البطريك تيودسيس، وفيه ايضا حصل وباء عظيم في
بلادهم قدرت ضحايا بمائة مليون نسمة فعادت به حال الرومان
الى فوضى كالتى كانت قبل ايام جستنيانوس - وكانت ايامه كلها
ايام عز و فخار .



المدة الثانية

وقد تولى الامبراطورية فيها أربعة بعد هرقل الاول، كان يسمى أولهم جستينوس الثانى وهو الذى تمكن فى أول حكمه من رد غارات الفرس فاستبشر به الرومان خيرا، غير أن أهل لمبارديا اغتصبوا قسما كبيرا من إيطاليا، ونهبت قبائل الافار الولايات التى فى حوض الدانوب، ولذلك اضطر الامبراطور الى عقد معاهدة دفاعية مع الانراك النازلين حول بحر الخزر لصد غارات الترك والرومان فأمن بذلك شر الفرس - وفى السنة الرابعة من حكمه ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم

وفى أواخر أيامه انقطع الى اللهو الخلاعة وترك الحكم الى زوجته وجعل الامر من بعده الى طبريوس رئيس الحرس بمساعي تلك الزوجة التى رغبت أن تكون زوجة طبريوس بعد هلاك الامبراطور، ولما لم يتزوجها أرادت اغتياله، فكشف سرها قبل أن تنفذ ولكنه عفا عنها، ثم التفت الى الفرس وكانت بينهما حروب، ثم الى الافار فالتهم بالمال وبذلك سلمت الدولة فى أيامه من الاغارات، وكان شديد التمسك بالنصرانية ولما رأى أهل مصر على مذهب اليعقوبية مال اليه وحمل الناس عليه

وملك بعده موريس فعاهد الفرس وصالحهم، وانفق له أن الحروب الداخلية قامت فى فارس وخنق ابرويز أباه واستولى على الملك وارسل اليه المصطفى عليه السلام كتابه مع عبد الله بن حذافة بدهوه الى الاسلام

فمزقه فدعا عليه ان يعزق الله ملكه ، فثار عليه قومه فقر الى موريس فانجده بجيش تمكن به من العودة الى الملك واسكن الجندنا مروا عليه وقتلوه

وتولى فوكاس بعد موريس وكان ظلوما فاسقا كما كان ندلا جباناً فقدت الدولة على عهده جزاءً كبيراً من الاطراف الشرقية ، ولذلك خرج عليه الاهالى واستنجدوا حاكم افريقية فأرسل اليهم جيشاً بحرياً بعوده ابنه هرقل ، فحصلت بينه وبين فوكاس واقعة بحرية في مياه القسطنطينية ، وقبض عليه هرقل بعد ان خلعه بمساعدة الاهالى وقطع رأسه وقام مقامه سنة ٦١٠

وقد حاول ان ينهض بالدولة بعد الذي أصابها منذ عهد جستنيان ، فشرع في اطفاء المتن الدينية التي شغلت الناس عن المصالح العظمى ، وفي العمل على تخفيف الضرائب التي انقلت كاهل الرعية ، ولكن العبد كان ثقيلاً عليه ، وبخاصة حينما رأى ان قوة الصقالبة في البلقان والمباردين في ايطاليا قد زادت ، وان الدولة الساسانية في فارس أخذت آسباً الصغرى وسورية ومصر ، فعزم على ترك القسطنطينية ليتخذ قرطاجة حاضرة ، فردد البطريرك عن هذا العزم ، فتجهز الى فارس ونازلهم وانتصر عليهم انتصاراً باهراً في نينوى سنة ٦٢٧ واسترد آسيا الصغرى حتى جهات الدجلة فكانت هذه أول غزوة لهرقل انتصر فيها الروم على الفرس ، وكانت في السنة الثانية للهجرة ، ومات الشاه غماً ، واضطر الشاه الجديد الى أن يعقد مع هرقل معاهدة ترجع بهما حدود دولتهما الى ما كانت عليه قبل الاغارة

وبينما كان كل منهما يجد في توطيد ملكه، اذ فاجأها خبر رسول الله وما يدعو اليه، وانتصاره في فتوحه، ثم جاءتكما كتبه التي يدعوها فيها الى الاسلام

أخبار الردة

لما مات النبي وسير أبو بكر جيش أسامة ارتدت العرب، وتضرمت الارض نارا، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة الا قريشاً وثقيفاً، واستلغظ أمر منسيمة وطليحة، وارتدت غطفان تبعاً لعبيدة ابن حصن، فانه قال: نبي من الحليفين يعني أسداً وغطفان أحب إلينا من نبي من قريش، وقد مات محمد وطليحة حي فاتبعه، وتبعته غطفان وقدمت كتب أمراء الرسول من كل مكان باتتقاض العرب عامة أو خاصة وتسلبهم على المسلمين

شرع أبو بكر يحارب المرتدين بالكتب والرسول، كما كان يفعل النبي وانتظر بمصادمتهم قدم أسامة، فعاجلته عابس وذبيان ونزلوا في الأبرق، ونزل فريق منهم بذي القصة، وأمدهم طليحة بأخيه حبال ابن خويلد في بني أسد، ومن انتسب اليهم من بني كنانة، وبعثوا وفداً الى أبي بكر نزلوا على وجوه الناس يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة، فأبى أبو بكر منهم ذلك، وقال والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه، وردم فرجعوا فأخبروا قومهم بقلّة من في المدينة، وأطمعهم فيها — أما أبو بكر فانه بعد مسير الوفد جعل على انقاب المدينة علياً وطلحة والزبير وابن مسعود، والزم اهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة

من العدو لقربهم ، فما لبثوا الا اثلاثا - حتى طارقوا المدينة غارة مع الليل وخلفوا بعضهم بذي حسي ليكونوا لهم ردا - فوافوا اليه الا نقاب وعليها المقاتلة فمنعهم ، وأرسلوا الى أبي بكر بالحبر ، فارسل اليهم أن أئزموا اماكم ، وخرج في أهل المسجد فردوا العدو واتبعهم الى ذى حسي ، فنفروا ابل المسلمين بلعبات اتخذوها فنفرت ورجعت بهم الى المدينة وهم لا يملكونها ، ولم يصيبهم شيء ، ولكن القوم ظنوا بالمسلمين الوهن ؛ وبعثوا الى اخوانهم بذي القصة يستقدمونهم - أما أبو بكر فبات على تعبته ثم خرج فما طاع الفجر الا وهم والعدو في صعيد واحد فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيف فما ذر قرن الشمس الا وقد هزموهم وغنموا مامعهم من الظهر ، وقتل حبال واتبعهم أبو بكر الى ذى القصة فكان أول الفتح ثم وضع النعمان بن مقرن في عدد ورجع الى المدينة .

ووثب بنو عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين فقتلوه كل قتله وما يدرون أنهم يقتلون أنفسهم ويخربون بيوتهم بأيديهم ، ويوهنون قواهم ، وحلف أبو بكر ليقتلن من المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة ، واعتزم المسلمون بوقعة أبي بكر وأزدادوا قوة وثباتا ، وازداد المشركون من أجلها انعكاسا من امرهم في كل قبيلة ، وطرقت المدينة صدقات نفر كانوا على صدقات الناس ، وذلك لستين يوما من مخرج أسامة فيما يقال

وقدم أسامة بعد ذلك بإيام فاستخلفه أبو بكر على المدينة وجنده معه ليستريحوا ويريحوا ظهورهم ، ثم خرج فيمن كان معه وسار الى

ذى حسى وذى القصة حتى نزل بالابرق ، فقاتل من به فهزم المشركين
من عبس وذيان وبنى بكر ومن يليهم ، وأخذ الحطيئة أسيرا ، وأقام
أبو بكر على الابرق أياما ، وغلب على بلاد بني ذبيان وحماها لدواب
المسلمين وصدقاهم ، ورجع المنهزمون الى طليحة وهو يبرأه ، ورجع
أبو بكر الى المدينة

عقد الاولوية

ولما استجمع جند أسامة وثاب من حوالى المدينة وجاءهم صدقات
كثيرة تفضل عليهم ، خرج أبو بكر الى ذى القصة وهي على بريد من
تلقاء نجد ، فمقد فيها أحد عشر لواء على أحد عشر جنداً لقتال أهل
الردة ، وأمر كل واحد باستنفار من يليه من المسلمين من كل قبيلة ،
وترك بعضها لحماية البلاد .

(١) فمقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة ، وبعده لمالك بن

نؤيرة بالبطح

(٢) ولعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة وأردفه بشرحبيل

ابن حسنة

(٣) للمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود العنسي ، ومعونة الإبناء

على قيس بن مكشوح

(٤) لخالد بن سعيد بن العاصى وأمره بمشارف الشام

(٥) ولعمر بن العاص وأرسله الى قضاء

(٦ و ٧) ولخديفة بن محصن وأمره بأهل دباء . ولعرجة بن

هرثمة وأمره بهرة وأمرها ان يجتمعا وكل واحد منهما أمير في عمله على صاحبه

(٨) ولمعن بن حاجز وأمره بنى سليم ومن معهم من هوازن

(٩) واسويد بن مقرن وبعثه الى تهامة اليمن

(١٠) وللعلاء بن الحضرمي وبعثه الى البحرين

فصل الامراء من ذوى القصة ، ولحق بكل أمير جنده ، وكتب

أبو بكر الى الامراء عهدهم بنص واحد رسم اليهم فيها المنهاج الذى يجب عليهم اتباعه ، وكتب أيضا الى المرتدة كتابا واحدا فى نسخ كثيرة وارسله اليهم على يد رسل تقدموا بين يدي الامراء ، بذكرهم ويحذرهم وينذرهم ، فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود وخرج الامراء ومعهم العهد

﴿ خبر طليحة الاسدي ﴾

كان طليحة قد ارتد فى حياة رسول الله وكان كاهنا فادعى النبوة ، واتبعه أفريق من بنى اسرائيل ونزل سميراء ، فوجه اليه رسول الله ضرار بن الازور مع جماعة فاجتمع عليهم المسلمون ، وهم ضرار بمنجزته فأتى الخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستطار أمر طليحة واجتمعت اليه غطفان وطيباء وهوازن ، وفر ضرار ومن معه الى المدينة ، وقدمت وفودهم على أبي بكر فى المواعدة على ترك الزكاة ، فأبى ذلك كما سلف ، وخرج فأوقع بهم بذى القصة فانضموا بعد الهزيمة الى طليحة وبنى أسد ببزاخة ، وكذلك فعلت طيء ، وأقام بنو عامر وهوازن

يفتظرون أمر طليحة وما تصنع أسد و غطفان ، وكان أبو بكر بعث
 عدى بن حاتم قبل خالد الى طيبى ، وأتبعه خالد وأمره أن يبدأ بطيبى
 فخرج عدى فدعاهم وخوفهم فأجابوه ، وقالوا له استقبل الجيش حتى
 نستخرج من مع طليحة منا لئلا يقتلهم ففعل وفعلوا ، وعادت طيبى الى
 الاسلام ، ورحل خالد يريد جديلة فاستمهل عدى عنهم ولحق بهم
 يدعوهم الى الاسلام فأجابوه فعاد الى خالد باسلامهم . ولحق بالمسلمين
 ألف راكب منهم فكان عدى خير مولود ولد في أرض طيبى

ثم بعث خالد عكاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم من الانصار
 طليعة فلقبهما طليحة وأخوه سلمة فقتلاهما ، ومر بهما المسلمون فعظم
 عليهم قتلهما ، ثم عي خالد كنانة وسار حتى التقيا على براخة من مياه
 بنى أسد ، وهنالك اقتتل الفريقان ، وكان عيينة بن حصن الفزاري مع
 طليحة في سبعمائة من فزارة ، فقاتلوا قتالا شديدا واشتد الحال بينهم ،
 وطليحة في عباءة يتكذب لهم ، فلما اشتدت الحرب جاء عيينة . وقال
 هل جاءك جبريل بعد ، قال لا ، ثم راجعه ثانية ثم ثالثة فقال : جاء وقال :
 ان لك رحي كرحاه ، وحديثا لاتنساه فقال : عيينة يابى فزارة الرجل
 كذاب وانصرف ، فانهزموا وقتل من قتل وأسلم الناس ، أما طليحة
 فوثب على فرسه ، واحتقب امرأته وفر لاحقا بالشام فنزل في كلب من
 من قضاة حتى أسلمت أسد و غطفان فأسلم ، ثم خرج معتمرا أيام
 سيدنا عمر ولقيه بالمدينة فبايعه ثم رجع الى قومه حتى بعثه عمر في
 الفتوح فأبلى بلاء حسنا .

وأما عيينة فانه أسر أثناء انصرافه ، وقدم به على أبي بكر فكان

مديان المدينة يقولون له وهو مكتوف : باعدو الله أ كفرت بعد إيمانك
فيقول : والله ما آمنت بالله طرفة عين ، فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه ،
كما حتن دم فروة بن هبيرة المرتد في بني كلب . وأما بنو عامر وهو أذن
وسليم فأنهم حينما بلغهم إيقاع خالد ببني أسد وغطفان جاءوا إلى خالد
واسلموا فقبل منهم الإسلام إلا من عدا على أحد من المسلمين أيام
الردة ، فإنه تتبعهم فأحرقهم ، ومثّل بهم ، ورضخهم بالحجارة ورمى
بهم من الجبال ونكسهم في الآبار

﴿ خبر بني تميم وسجاح ﴾

كان رسول الله قد فرق في تميم عماله ، وكان منهم الزبرقان بن بدر
وسهل بن منجاب ، ومالك بن نويرة ، على بني حنظلة ، وصفوان بن
صفوان ، فلما قبض رسول الله جاء صفوان بصدقات بني عمرو ، وجاء
الزبرقان بصدقات أصحابه من الرباب وبقي من أسلم منهم متشاعلاً بمن
تريص أو ارتاب ، وبينما هم على ذلك فجئتهم سجاح بنت الحرث بن
سويد التميمية ، أقبلت من الجزيرة وادعت النبوة بعد الوفاة واتبعها
الهديل بن عمران في بني تغلب ، وعقة بن هلال في النمر ، وغيره في إياد ،
وغيره في بني شيبان ، فأناهم أمر أعظم مما هم فيه لما كانوا عليه من
اختلاف الكلمة

كانت سجاح تريد غزو أبي بكر فارسلت إلى مالك بن نويرة
فوادعها وثناها عن الغزو ، وحرصها على أحياء من بني تميم فأجابته ، ثم
سارت تريد المدينة فهزم جمعها ورجع عنها مالك بن نويرة فقصدت

انما يصح ان لا اله الا الله
 ربنا بعض الانبياء من اولاد نوح الذين برزوا
 في تاريخ الفصح الانجيل
 يعلم الشيخ محمد في الدين المحدث هذا العلم

اسما انبا في كتيبة بخط الفاضل



البحر

البحر

البحر

اسماء القبايل وكثيرها في هذا الناحية

المنطقة التي فيها القبايل

بها بعض القبايل وبعض القبايل التي لا يعرفها
في تاريخ الفتح الإسلامي

المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل

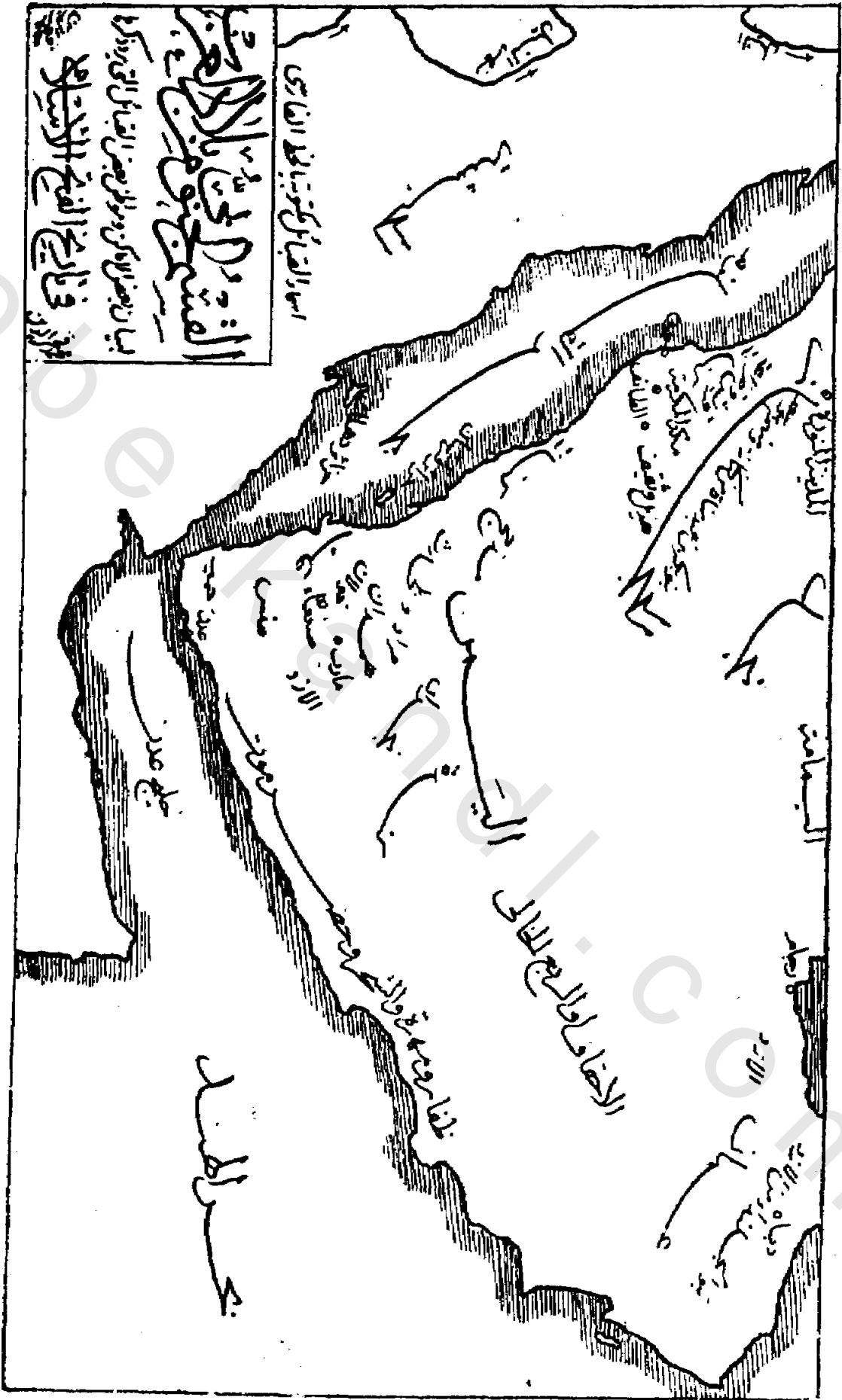
المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل

المنطقة التي فيها القبايل



اليامة وفيها مسيلمة في بنى حنيفة فخاف مسيلمة ان هو شغل بها ،
ان يغلب ثمانية بن اثال الحنفي (وكان مقبلا لمسيلمة ومزاحما له) .
وشرحبيل بن حسنة ، على حجر وهي اليامة ، فصانها وأهدى
اليها وأستأمنها على نفسه حتى يأتيها فأمنته ، وكانت راسخة في علم
النصرانية أخذت ذلك من نصارى تغلب ، فلما جاءها قال لها مسيلمة
نصف الارض لنا ونصف الارض لقريش ، لكنهم لم يعدلوا فقد جمعات
نصفهم لك ، فقبلت ويقال أنه تحصن منها ، فقالت له . أنزل فقال
أبعدي أصحابك ففعلت فضرب لها قبة وجورها (بخرها وطيبها) ويقال
لنها جاءت اليه واستأمنته فخرج اليها من الحصن الى تلك القبة فدخل
عليها وسجم لها وسجعت له فشهدت له بالنبوة ، وقال لها : هل لك
أن أتزوجك ، واكل بقومي وقومك العرب فأجابته وأقامت عنده
ثلاثا ، وانصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك قالت . كان علي الحق
فتبعته ونز وجته ، قالوا هل أصدقك شيئا قالت : لا ، قالوا ارجعي
فاطلبي الصداق ، فرجعت فلما رآها أغلق باب الحصن وقال مالك ؟
قالت اصدقني ، فقال لها نادي في قومك اني قد وضعت عنهم صلاة
الفجر والعتمة مما فرض عليهم محمد ، وصالحته على أن يحمل لها النصف
من غلات اليامة ، فاخذته وانصرفت ومعها أصحابها ولم تترك عن
مسيلمة الا من يأخذ النصف الثاني ولحقت بالجزيرة فلم تزل في تغلب
حتى نقلهم معاوية عام المجاعة في زمانه ، وجاءت معهم وحسن اسلامها
واسلامهم وانتقلت الى البصرة وماتت بها

﴿ مالك بن نويرة ﴾

لما عادت سجاح الى الجزيرة ندم مالك وتخير وسقط في يده ، أما خالد فانه بعد فراغه سار يريد البطاح وبها مالك قد تردد في أمره وأمر أصحابه بأن يتفرقوا ، ونهاهم عن مناوأة المسلمين ، فلما قدم خالد البطاح بث السرايا ، وأمرهم بدعاية الاسلام وان باتوه بكل من لم يجب وان امتنع أن يقتلوه ، وكان ابو بكر قد اوصاهم اذا نزلوا منزلا ان يؤذنوا ، فان اذن القوم كفوا عنهم ، والا قتلوهم ، وان اجابوا الى داعية الاسلام سألوهم عن الزكاة . فان أقرؤا قبلوا عنهم ، والا قتلوهم فجاءته الحيل بمالك في نفر معه من بنى ثعلبة بن ربوع ، فاختلفت السرية فيهم ، وشهد ابو قتادة انهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا ، فلما اختلفوا أمر خالد بأن يحبس مالك ومن معه . وكان ذلك في ليلة باردة فأمر خالد مناديا فنادى ان ادفئوا اسراكم (وهي في لغة كنانة القتل) فقتلوهم . قتل ضرار بن الارور مالك . فسمع خالد فخرج وقد فرغوا منهم فقال اذا أراد الله امرا اصابه — فقال ابو قتادة هذا عملك فزبره خالد فغضب ومضى حتى انى ابا بكر ، فلما رآه غضب عليه حتى كلمه فيه عمر فأبى الا ان يرجع ابو قتادة الى المعسكر فرجع وكان خالد قد تزوج ام تميم امرأة مالك — وقال عمر لأبى بكر ان سيف خالد فيه رهق وكثر عليه في ذلك فقال هيه يا عمر ناول فأخطأ فارفع اسانك عن خالد فانى لأشتم سيفاً سله الله على الكافرين ، وكتب الى خالد ان يقدم عليه فعمل . ودخل المسجد فقال له عمر ارثاء قتات امرأ مسلما ثم نروت على امرأته ، والله لأرجنك وخالد لا بكلمه ، فلما دخل

على أبي بكر اعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه وعفوه في التزويج الذي كانت عليه العرب من كراهته أيام الحرب، فخرج خالد وعمر جالس فقال لهم إلى يابن أبي سلمة . فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه

ويروي أن خالدًا قتل مالكًا لأنه ارتد ورد على قومه صدقاتهم لما بلغه وفاة الرسول، فلما لقيه خالد فحكمه في هذا الشأن خاطبه مالك بقوله إنه مات صاحبك (يريد رسول الله) فعلم خالد قصده ومراده من أنه ليس صاحبًا له فتيقن رده وقال أما تعدد لك صاحبًا ثم ضرب عنقه وأصحابه كلهم ، وأما زواجه بامرأته فلعلها كانت مطابقة قد انقضت عدتها إلا أنها كانت محبوسة عنده والى ما اكتفى أبو بكر بتعنيفه وجاد متم بن نويرة إلى أبي بكر يطلب بدم أخيه ويسأله أن يرد عليهم سبيهم ، فأمر الخليفة برد السبي وودي مالكًا من بيت المال :

❦ خبر مسيلة الكذاب ❦

أشرنا إلى بعض حديثه قبل أن يختار عليه السلام الرفيق الأعلى وقلنا إن أبا بكر أرسل عكرمة إلى مسيلة في عسكر واتبعه شرحبيل ابن حسنة — ونريد هنا أن عكرمة تعجل ليذهب بصوتها فانهزم ، وكتب إلى أبي بكر فكتب إليه لا ترجع فتوهن الناس ، وامنض إلى حذيفة وعرفجة فقاتلوا مهرة وأهل عمان ، فاذا فرغتم فامنض أنت وجنودك واستنفروا من مررتم عليه حتى تلقوا المهاجر بن أبي أمية باليمن وحضر موت

وكتب الى شرحبيل بأمره بالمقام الى ان يأتي خالد فاذا فرغتم فكن مع عمرو بن العاص تعينه على قضاة

فلما فرغ خالد من البطاح ، ورضى عنه أبو بكر ، ووجهه الى مسيلة واوعب معه المهاجرين والانصار تعجل خالد الى البطاح واقام ينتظر البعوث حتى قدمت عليه فنهض الى اليمامة وبنو حنيفة نحو أربعين ألف مقاتل متفرقين في قراها ، وتعجل شرحبيل أيضا فأصابه ما أصاب عكرمة ، فلما قدم عليه خالد لأمه على ذلك ، وأمد أبو بكر خالدًا بسليط ليكون رده الثلاثون من خلفه ففرت جموع كانت تجتمع هناك من فلال سجاح

ولما بلغ مسيلة وبني حنيفة دنو خالد خرجوا وعسكروا في منتهى ريف اليمامة واستنفروا الناس فنفروا اليهم ، وخرج مجاعة بن مرارة في سرية فاخذه المسلمون ، وقتلوهم أجمعين واستبقوا مجاعة ، ثم سار خالد ونازل بني حنيفة والرحال على مقدمة مسيلة واشتد الحرب وانكشف المسلمون حتى دخل بنو حنيفة خباء خالد ومجاعة بها أسير مع أم تميم امرأة خالد فدافعهم عنها مجاعة وقال نعمت الحررة ثم تراجع المسلمون وكروا على بني حنيفة وقاتل ثابت بن قيس قائد الانصار يومئذ حتى قتل ، وقاتل زيد بن الخطاب وأبو حذيفة أمير المهاجرين حتى قتلا ، وقاتل البراء بن مالك أخو أنس (وكانت تأخذه عند الحرب رعدة حتى ينتفض ويقعد عليه الرجال حتى يبول ثم يشور كالاسد) وفعل الافاعيل حتى هزم الله العدو والجأهم الى الحديقة وفيها مسيلة ، فقال البراء القوني عليهم من أعلى الجدار فاتهم وقابلهم على باب الحديقة

وقمحه للمسلمين فدخلوها فاقتتلوا أشد قتال وكثر القتل في
 الفريقين فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة وهو مزبد متساند
 لا يعقل من شدة الغيظ

وكان خالد لما نازل بنى حنيفة ومسيلمة ودارت الرما عليه طلب
 البراز فلم يبرز اليه أحد الا قتله ودعا مسيلمة للبراز والكلام فأجابه
 فعرض اليه خالد أشياء مما يشتهي مسيلمة فكان يعرض بوجهه ولا يقبل
 فاتهم خالد مرة اعراضه وركبه فارقه فولى مدبرا وأدبر صاحبه بادباره
 فصاح خالد بالناس لانقيلوهم فركبهم وانهم بنو حنيفة وقالوا
 لمسيلمة أين ما كنت تعدنا به ؟ فقال قاتلوا عن أحسابكم وأتاه وحشي
 قاتل حمزة فرماه بحربه فقتل واقتحم الناس عليه حديقة الموت من
 حيطانها وأبوها وولت بنو حنيفة منهزمة فأخذهم السيف من كل جانب
 وجاء خالد بمجاعة ليريه مسيلمة فاراه اباه فاذا هو رجل دميم أخينس
 أصيفر وقال هذا صاحبكم قد فرغتم منه فقال خالد : هذا الذي فعل
 فيكم ما فعل ؟ فقال مجاعة قد كان ذلك وانه والله ما جاءك الا سرعان
 الناس وان جماهيرهم في الحصون فلم أصلحك على قومي ، فقال له
 أصلحك على مادون النفوس ، فقال مجاعة استشيرهم وذهب ثم رجع
 الى خالد وقال أبوا . فنظر خالد الى رؤوس الحصون قد اسودت .
 والمسلمون قد نهكتهم الحرب ، وقد قتل من الانصار ما ينيف على
 ثلثائة وستين . ومن المهاجرين نحو ذلك العدد ، ومن التابعين مثلها أو يزيد
 وقد فشت الجراحات فيمن بقي فجرح الى السلم فصالحه على الصفراء
 والبيضاء ونصف السبي والحلقة وحائط ومزرعة من كل قرية فابوا

فصالحهم على الربع فصالحوه وفتحت الحصون فلم يجد فيها الا النساء والصبيان فقال خالد خدعتني يا حجارة فقال قومي . ولم أستطع الا ما صنعت فعقد له وخيرهم ثلاثاء ووصل كتاب أبي بكر الى خالد أن يقتل كل محتلم وكان قد صالحهم فوفى لهم ولم يغدر . وبعث وفدا منهم الى أبي بكر باسلامهم فلقاهم وسألهم عن اسجاع مسيلمة فقصوها عليه فقال . سبحان الله هذا الكلام ما يخرج من ال ولا ير . فابن يذهب بكم عن أحلامكم وردهم الى قومهم .

وبعد وقعة اليمامة أمر أبو بكر بجمع القرآن الكريم لما رأى من كثرة من قتل الصحابة .

(ردة أهل البحرين)

بعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي على قتال أهل الردة بالبحرين فلما كان بحيال اليمامة لحق به تمامة بن آثال الحنفي في مسلمة بنى حنيفة وقيس بن عاصم وغيره فسلمك بهم الدهناء ثم نزل ونزل الناس ليلا فتقرت ابلهم باحمالها فما بقي عندهم بعير ولا زاد ولا ماء فطأهم العلاء فاطمأنوا وماتتعالى النهار حتي أقبلت ابلهم من كل وجه فحمدوا الله ثم ساروا فتنزلوا بهجر ، وكتب العلاء الى الجارود بن المعلب العبدى (وقد اجتمعت اليه عبد القيس بعد أن ثبتهم على اسلامهم) أن ينزل على الخطم ابن صبيعة وكان على بكر وائل الذين ثموا على ردتهم وعلى من اجتمع اليهم من المشركين) مما يليه وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه مما يلي

هجر ، ثم خندق الفريقان وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون الى خنادقهم
ظلموا على ذلك شهرا ثم سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء
هزيمة أو قتال فارسل العلاء من جاءه بان القوم سكارى فخرج
المسلمون عليهم فوضعوا فيهم السيف كيف شاءوا وهرب الكفار
فمن بين مرتد ومقتول ومأسور وناج واستولى المسلمون على العسكر
لم يفلت رجل الا بما عليه ، وقتل الحطم قيس بن عاصم وأسر المنذر بن
النعمان بن المنذر (الذي اجتمعت اليه ربيعة مرتدة وردوا اليه ملك آل
المنذر وكان يسمى المغرور أو الفرور) فاسلم — وأصبح العلاء فاقسم
الانفال ونفل رجالا من أهل البلاد ثيابا وأعطى ثمانية الخنفي خميصة
ذات أعلام كانت للحطم يباهى بها .

أما الفلأل فقصدها دارين الامن لحق بيلاده منهم فكتب العلاء
الى من ثبت على اسلامه من بكر بن وائل ، بالقعود للمنهزمين والمرتدين
كل طريق ففعلوا ، ثم ندب الناس الى دارين ، وقال لهم قد أراكم الله
من آياته في البر لتتبعوا بها في البحر فانهمضوا الى عدوكم واستعرضوا
البحر وارتحل وارتحلوا ، ودعا ودعوا ، واجتازوا الخليج بين الساحل
ودارين ، واقتتلوا قتالا شديدا ، وأكثرت المسلمون القتل فيهم حتى ظفروا بهم ،
وماتوا كوابها مخبر او غنموا وسبوا ثم رجعوا وكتب العلاء الى أبي بكر بهزيمة
المرتدين ، وقتل الحطم ، وأخبره أن الاسلام ضرب بجرانه في هذه البقاع
﴿ ردة عمان ومهرة ﴾

أما عمان فقد نبغ فيها ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي الذي ادعى
بمثل ما ادعى من تنبأ ، وغلب على عمان مرتدا ، فالتجأ بنو الجلنداء الى

الجبال، وبعث أحدهم الى أبي بكر يستمده فبعث أبو بكر حذيفة الى عمان، وعرفجة الى مهرة كما سلف، وأرسل الى عكرمة بن أبي جهل أن يلدق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على أهل عمان ومهرة فلحقهما قبل عمان فلما وصلوا رجما كاتبوا بنى الجنداء وجمع لقيط جرعاه وعسكر بدبا، وعسكر بنو الجنداء بصحار، وكتبوا الى حذيفة وعرفجة وعكرمة في القدوم عليهم، وكاتبوا بعض من كانوا مع لقيط من الرؤساء فرفضوا غنه، ثم التقى الجمعان بدبا، ووقع القتال الشديد فاستولى لقيط غير أن أمدا داجأت المسلمين من عبد القيس وغيرهم فقوى المسلمون ونازلوا المشركين فولوا مدبرين، وقتل منهم عشرة آلاف وسبى المسلمون زرارهم وأخذوا أموالهم وقسموها وبعثوا بالخمسة الى أبي بكر مع عرفجة وكان ثمانمائة رأس وبقي حذيفة بعمان حتى يوطيء الأمور ويسكن الناس.

وأما مهرة فقد سار الى أهلها عكرمة لما فرغ من عمان ومعه من انضم اليه من عبد القيس وغيرهم فاقتحم عليهم بلادهم فرآهم قد انقسموا على أنفسهم، ولهم رئيسان فكاتب عكرمة أحدهما فأجابه وكان الآخر فلم يحب فقاتله قتالا شديدا حتى قتل وانهم جمعه وركبهم المسلمون فقتلوا من قتلوا وأصابوا ماشاؤا من الغنائم، وبعثوا بالخمسة الى أبي بكر، وبقي عكرمة وجنده حتى أسلم الناس.

(ردة اليمن)

كان الاخاض من عك أول منتقض بتهامة اليمن بعد الوفاة، فسار اليهم الطاهر بن أبي هالة. وقائهم بمن لم يرتد فقتلهم قتلا ذريعا.

حتى أنذت السبل لقتلهم وكان ذلك فتحا عظيما
 أما أهل نجران فارسوا وفدهم ليجددوا عهدهم مع أسي بكر
 وأما بحيلة فقد أرسل اليهم أبو بكر جرير بن عبد الله البجلي
 فاستنفر من ثبت على اسلامه من قومه ، وقاتل بهم من ارتد حتى قتلهم
 وكان ممن ارتد ثمانية قيس بن مكشوح ، وذلك انه لما بلغه موت
 النبي عمل على قتل فيروز ووزوداويه وجسانس فكتب أبو بكر الى رؤساء
 المستمسكين بدينهم أن يقوموا بأمر الله وحينئذ لا بناء على من ناوهم
 ويسموا ويطيعوا فيروز فلما سمع قيس كتب الى هؤلاء الذين
 ثبتوا على دينهم يدعوهم الى قتل الابناء واخراج أهلهم من اليمن
 فلم يجيبوه ولم ينصروه فاستعد لهم وكان أصحاب الاسود العنسي
 المتردد في البلاد سرا يدعوهم ليجتمعوا معه فجاءوا اليه فسمع بهم
 أهل صنعاء ، ثم ان قيسا ذهب الى فيروز وصاحبه يستشيرهما في أمره
 خديعة ليلبس عليهما ولثلاثهما فاطمأنوا اليه ، فصنع لهما من الغد
 طعاما ، ودعاهما اليه فدخل اليه داؤبه فقتله ، وفطن فيروز الى هذا
 الغدر فهرب وهرب معه جسانس الى جبل خولان وهم أخوال فيروز ،
 وطلبهما أصحاب قيس فلما اعتصما بالجبل وأهله رجعوا الى قيس فأخبروه
 فثار بصنعاء وما حولها وعمد الى الابناء ففرقهم ثلاث فرق : من أقام
 أقرعياه ، ومن ساروا مع فيروز فرق عيالهم فرقتين ، سبى أحداهما الى
 عدن لتحمل في البحر ، وحمل الأخرى في البر . فكان عيال فيروز ممن
 سبى في البر وعيال داؤبه ممن سبى في البحر ، فلما علم فيروز كتب الى
 من استنقذ هؤلاء وهؤلاء وقتلوا من معهم من أصحاب قيس ، واستمد

الناس فأمدوه وخرج فنازل قيساً وصحبه دون صنعاء فهزمهم وتذبذب أصحاب العنسى وقيس معهم فيها بين صنعاء ونجران فأنضاف الى عمرو بن معديكرب الزبيدي وكان قد فارق قوم سعد العشيرة وأنحاز الى مراد وأسلم ولكنه ارتد فيمن ارتد مع الأسود ، فسار اليه خالد بن سميد بن العاص فاختلفا بينهما ضربتين فضربه خالد على عاتقه فقطع حمالة سيفه فوقع ووصلت الضربة الى عاتقه فهرب وأخذ خالد سيفه الصمصام وفرسه ، وجعله الاسود بازاء فروة بن مسيكة الذي جعله النبي على صدقات مراد ، فامتنع كل منهما من البراح لمكان صاحبه

فبينما هم كذلك اذ قدم عكرمة بن أبي جهل من مهرة وقدم المهاجرين أبي أمية ، وجريز بن عبد الله في بحيلة الى نجران فانضم اليه فروة بن مسيكة وما هو الا أن أقبل عمرو مستخفياً حتى دخل على المهاجرين من غير أمان فأوثقه ، فجاء قيس فأوثقه أيضاً وأرسلهما الى أبي بكر - فقال لقيس قتلت عباد الله وأنخذت بالمشركين وليجة من دون المؤمنين ، وهم بقتله ، ولكنه لم يجد أمراً جلياً ، فانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر داذويه شيئاً ، فتجافى له عن دمه

وقال لعمرو أما تستحي أنك كل يوم مهزوم أو مأسور ، لو نصرت هذا الدين أرفعك الله ، فقال لاجرم لأقبلن ولا أعود فخلى سبيله أيضاً ورجعا الى عشائريهما

وأما المهاجر فقد سار من نجران على أصحاب العنسى فاستأنموا فلم يؤمنهم وقتلهم بكل سبيل ، ثم سار الى صنعاء فدخلها وكتب الى أبي بكر بذلك

﴿ ردة حصر موت وكندة ﴾

ارندت كندة وتابعوا الاسود فقا تلهم زياد بن لييد الانصارى وهزمهم وعاد بالسبي والغنائم فر بالاشعث بن قيس فاستغاث نساء السبي فغار الاشعث وثار وجمع جموع قومه واستنقذ السبي وأقام على ردة فاستغاث زياد بالمهاجر فاغاثه واقتتلوا فانهمزمت كندة واجتمعوا في حصن من حصونهم مع من استغوووه من السكاسك وشدا والسكون وحضرموت ، فحصرهم المسلمون ثم قدم عليهم عكرمة فشدد الحصار ، فخرجوا مستميتين في بعض الايام فهزموا - فاستأمن الاشعث الى عكرمة فخرج به الى المهاجر ، وأمنه في أهله وماله وتسعة من قومه على ان يفتح لهم الباب فأقتحمه المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية ، فكان في السبي ألف امرأة ، ولما فرغوا دعا المهاجر بكتاب الامان من الاشعث واذا هو قد كذب لنفسه ونسى نفسه ، فأوثقه المهاجر وهم بقتله ، فقبل له آخره وسيره الى أبي بكر فهو أعلم بالحكم فيه ، فسيره الى أبي بكر مع السبي ، وكان لما أسلم قومه وغدر بهم سموه عرف النار - فلما قدم على أبي بكر قال له ما تراني أصنع بك ، قال لا أعلم قال فاني أرى أن أقتلك ، قال فاني أنا الذي راوضت القوم في عشرة فما يحمل دمي ، قال انما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها ، فلما خشي القتل قال يا أبا بكر احتسب في وأقلني واقبل اسلامي ، ورد على زوجتي وكان قد تزوج أم فروة أخت أبي بكر حين قدم على رسول الله وأخراها الى ابن يرجم) فانك ان فعلت ذلك تجدني خير أهل بلادى لدين الله ، فخن دمه وأطلقه ورد عليه زوجته وقل لا يليني

عنك الا خيرا ثم خلا عن القوم فذهبوا وقسم الانفال
وبعد فقد انتهت حروب المرتدين والمتنبيين بانتصار المسلمين ،
وعادت جزيرة العرب كلها الى حظيرة الاسلام فان شئت فقل ان
أبا بكر قد جدد الدين وأعاد الملة ، وأباد الشرك واجتث جذور الوثنية ،
وقضى على دواعي الفرقة ، وجمع شمل الأمة ، وأطفأ نللك النار التي كادت
تلتهم ما قضى فيه الرسول وأصحابه زهرة حياتهم وضعوا بانفسهم وأموالهم
حتى عالجوا النفسية العربية المستعصية وذللوها وقهروها والكبير المتعال وحده
ورب قائل ما سبب انقلاب العرب هذا الانقلاب السريع ؟ والجواب
أن هنالك جملة أسباب ترجع كلها الى سبب واحد وهو حداثة عهدهم
بالاسلام ونظمه (١) فقد حرم وحظر ووضع حدودا ثم رسم عقوبة على
كل من يتعداها (٢) وفرض عليهم الزكاة في أموالهم فأروها لا تختلف
عما يفرضه جبابرة الملوك على رعاياهم

وقد طلب نفر من الصحابة الى أبي بكر أن يقبل من بعض الثائرين
الصلاة ويعفيهم من الزكاة مؤقنا تأليفا لقلوبهم اذ لا طاقة للمسلمين
بحرب العرب عامة فابى وغضب وقال لو منعوني عقالا كانوا يؤدونها
لرسول الله لحاربتهم عليه ورأى أن قواعد الاسلام وحدة لا تتجزأ
ومنكر أي واحدة منها منكر للاسلام عائد الي الشرك (٣) وجعل
الاسلام للعرب حكومة واحدة ، يقوم بالامر فيها رجل واحد أوجب
عليهم طاعته فيما يأمر به وينهى عنه ، وكل هذا مما لا عهد لهم به

رب آخر يقول ما بال أبي بكر يعترض الناس في حرية العقيدة
ويكره الناس على الاسلام والله تعالى يقول « لا اكراه في الدين » ؟

والجواب أنه لا اكراه لمن لم يدخل في الاسلام ، أما من دخل فيه ثم ارتد عنه فلا بد من تطبيق قواعد الاسلام عليه ، فإن مثله كمثله الجندي الذي يهرب من الصف عند احتدام القتال ، أو يولى مدبراً عند الزحف أو يماليه الاعداء أو يظهرهم على قومه ، ولا عقاب لهذا الا لاعداء من أجل ذلك جعل أبو بكر أمر المرتدين والمتنبئين في الدرجة الاولى من غنايته ، وبادر اليهم ليردهم الي حظيرة الاسلام كما تركهم رسول الله ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، ولو أن أبا بكر تمهل أو رضى باعفائهم من الزكاة لفسد عليه الامر واتسعت مطالب الثوار وقل المال الذي كان من أهم وسائل المعونة على نشر كلمة الله والفتح في فارس والروم .

أما تعدد الالوية فحكمتها ظاهرة من ان أبا بكر أراد أن يفاجي كل ناحية بالهجوم عليها ، ويحارب من ارتد فيها بمن ثبت على اسلامه من أهلها حتى يشغلها بنفسها فلا تنضم الى جاراتها فتكون المنازلة حينئذ خطيرة وربما لا تكون محودة العاقبة .

هذا ولقد كان ما رسمه أبو بكر في هذا الامر غاية في الاحكام ، فقد كتب له التوفيق والنجاح في جميع خطواته التي خطاها مما دل على أنه جدير بهذا المنصب الذي اختاره الناس له ، وعلى أن طول صحبته لرسول الله وشهوده المشاهد كلها معه كان له أثره فانه علمه الحرب والاقدام وزاده يقيناً بان لن ينهزم له جند وهو يحاول اعلاء كلمة الله وقد كان من أهم خطواته الموقعة في هذا السبيل

(١) تسييره جيش اسامة في زمن هو أحوج ما يكون فيه الى

الدفاع ، اذ أن المنشقين لما سمعوا به خالطهم الوهن ، وملأ قلوبهم الخوف اذ علموا أن المسلمين في قوة تمكنهم من الفتح لامن الدفاع (٢) مسارعتة الى محاربة عبس وذيياد. ومن لف لفهم بذي القصة فلما انتصر عليهم وغنم منهم كان ابقاءه بهم كابقاع المسلمين بالمشر كين في بدر . - وأنا أدع اليك الموازنة بين الواقعتين

هذا وان ننس لانس ما كان من الفخاف الصحابة من المهاجرين والانصار حول خليفتهم سواءاً كانوا من الموافقين على خلافته أم من المخالفين ، اذ أنه عند الشدائد تذهب الاحقاد ، فاقد قاموا معه وعززوه وآزروه ونصروه حتى قضوا على هذه الفتنة التي أراد الذين أبغضوها ان يطفئوها نور الله بأفواههم - م ، وبأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون قال عبد الله بن مسعود لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا ان الله من علينا بأبى بكر اجتمع رأينا جميعاً على ألا نقاتل على بنت مخاض وابن ابون وان نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، وعزم الله لأبى بكر على قتالهم فوالله ماضى منهم الا بالخطبة الخربة أو الحرب المجلية

١١

الفتح في فارس والروم

هاتان الدولتان كانتا أقوى دول الارض وأعظمها الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فارس أو دولة الاسرة في الشرق ، والروم أو دولة القياصرة في الغرب ، وكانتا بحكم الجوار واتصال الحسدود في تطاحن باستمرار ، وانما كان السلم يسود بينهما في فترات قصيرة نستمد

فيها كل منهما للوثوب بالأخرى ، حتى آل أمرهما معا الى الضعف
وكانت عوامل الترف قد وصلت في الدولتين الى الطرف الممقوت
ومن أجل ذلك تطاولت أبدى أصحابهما الى فرض المكوس وأخذ
مما أبدى الرعايا ظلما وعدوانا ليسدوا مطالب الترف الذى انغمسوا فيه ،
وصار الضعيف لقمة سائغة للقوى ؛ والغافل فريسة للعاقل حتى استولى
الذعر على الناس ، وانتابهم الخوف ، وحل بهم الفقر واستعبدوا الى
درجة أنهم أصبحوا كالألة الصامتة فى أبدى سواهم بوجههم الى
حيث يريدون ، وبذلك فقدوا الاستقلال الشخصى وأصبحوا كالأنعام
يقادون بالزمام — فلما تسامعوا بالاسلام تراءوا اليه هرابا مما أصابهم ،
كان للفرس فوق قوانينهم السياسية الجائرة ، معين من ينابيع
لوثنية لا ينضب ، ومدد لا ينقطع كما كان للروم أيام وثنتهم ، فلما اعتنق
هؤلاء المسيحية أخذوا فيها وغيروا وبدلوا ، وثار بينهم الشبهات
على أصول عقائدهم وفروعها ، فصاروا شيعا ومذاهب وتعادوا واستنفدوا
قواهم فى محاربة بعضهم بعضا ، ولقد صبغت أراضى مصر مثالا بدماء
المسيحيين من فريقين مختلفين عند ما أريد تقرير عبادة العذراء واتخاذها
لله أما ، على ان رؤساء المسيحية كانوا يحظرون على الناس أن يفهموا
فى الكتب الدينية ، أو يستنبطوا منها أحكاما ، واحتكروا لانفسهم
حق التفسير والتأويل فيها ، وابتدعوا تعاليم غالوا فيها حتى تنبه العقلاء الى
انه لا يمكن أن تكون هذه التعاليم من املاء الآله فانكروها ، ومن
جاء ذلك قامت الحرب بين الناس ، وحل التخاصم محل التآزر ،
والقطيعة محل التراحم ، وحصل الاضطراب وعمت الفوضى .

أما في فارس بلاد الوثنية فقد فطن سدنة الاوثان منهم الى ما قد يحصل بين حين وحين من ظهور أفراد ذوى فطر سليمة مطبوعة على الخير ، يستعملون ما فطروا عليه في ارشاد العامة الى سواء السبيل ، وينبهون العافلين الجاهلين الى ما فيه صلاحهم فيرفع القوم أصواتهم مطالبين بالحق والعدل ، صارخين في وجه الباطل والعسف ، وهنا يضيق المجال على الذين وضعوا أساس حكمهم على ظلم الناس ، وابتزاز أموالهم ، والسيطرة على عقولهم ، من أجل ذلك وضع هؤلاء السدنة تعاليم وعملوا على ايجاد سحب كثيفة من الاوهام الباطلة ، ليحولوا بين الناس وعقولهم حتى يظلوا في غفلتهم ، فيظل للاكسرة عليهم سلطان لا حدود لا طرفه .

من أجل ذلك نقول ان حال الدولتين كانت تستدعى الاصلاح وعامة الشعبين كانوا في اشتياق واضطرار الى الخلاص والنجاة من هذه الفوضى وذلك الظلم الذي لامبر له ، فكان من فضل الله ورحمته بالناس أن أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون — وما هو الا أن ظهر صوته عاليا ينادى في أهل الزعامة أن اهبطوا الى مصاف العامة في الخضوع الى الله الواحد القهار وفي الرعايا أن تنبهوا الى عرفان أنفسكم واستعمال عقولكم ، فليس لأحد بعد الله ورسوله سلطان على عقيدة أحد ، ولا سيطرة على إيمانه ، وارجعوا الى أصل دينكم فتمتقوا من سلطة الرؤساء والزعماء الذين اغتصبوا عقولكم ، وملكوا عليكم أنفسكم

وقد علمت أن الرسول كتب الى قيصر وكسرى يدعوهم الى

الاسلام والا كان عليهم اثم رعاياهم ، وينذرهم عواقب ما قد يكون منهم اذا هم وقفوا في طريق الدعوة الاسلامية أو حالوا بين الناس وعقولهم اذا التمسوا عقلا في دين ، أو عدلا في ايمان فوجدوه في ثنايا هذه الدعوة .

فلما استكبروا وامتنعوا ، وناصبوه وقومه الشر ، وأخافوا السابلة وضيقوا على المناجر ، واعدوا له ما استطاعوا من قوة شرع يحاربهم رفقا بالعباد لا طمعا في الاستعباد ، وطلبا للأمن وإبلاغ الدعوة لارضاء في الملك والسلطان .

وما كان ينبغي للرسول حبا في السلم أن يترك كلمة الباطل تملو على كلمة الحق ، ولأن يترك الدين والمسلمين فريسة لهؤلاء وهؤلاء وقد أصبح في قومه وأمته بحيث يستطيع دفع الاعتداء بمثله ، ويفتح للدعوة الاسلامية بابا تلج منه الى الشعوب المظلومة التي تتوق الى من يخلصها من هذا الحال الى أي حال ، بله الحرية والمساواة والاستقلال والاطمئنان .

وهل دفع الشر بالشر عند القدرة عليه ، وعند عدم التمكن من سواء خاص بالدين الاسلامي ، أو هو في طبيعة كل قادر عليه بعد أن يعذر الى خصمه ؟

ليس القتال في الاسلام للاكراه على الدين ، ولا للانتقام من المخالفين ولكن لرد اعتداء المعتدين على الحق وأهله الى أن يأمن شرهم ويضمن السلامة من غوائلهم وانما شهر المسلمون سيوفهم دفاعا عن أنفسهم وكفنا للعدوان عليهم

وقد أرسل رسول الله جيش الامراء الى الروم فانهزم، وقبيل وفاته
أعد جيش أسامة اليهم ، وهو بما صنع قد رسم خطة الى خلفائه من
بعده فاتبعوا سبيله ، واقتفوا أثره وأرسلوا الجيوش الى فارس والروم
حتى بغيثوا الى أمر الله ، وحتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله
يقول فريق من الجهال والمتعصبين ، خرج المسلمون بالقوة
المسلحة يكرهون الناس على اعتناق الاسلام ، ونقول : أما انهم خرجوا
مسلحين فصحيح ، وهل كان يصح أن يخرجوا عزلاً ليدفعوا شاكى
السلاح ؛ أو يعقدوا حتى يدخل الروم والفرس عليهم المدينة ويقتلهم
ويقضوا على دينهم من أساسه !

وأما انهم اتخذوا ذلك ذريعة لا كراه الناس على الاسلام فهذا
بهتان عظيم ؛ لان المسلمين كانوا يكتفون من الفتح بادخال الارض
المفتوحة تحت سلطانهم ، ثم يتركون الناس وما كانوا عليه من الدين
يؤدون ما يجب عليهم في اعتقادهم كما شاء ذلك الاعتقاد ، وانما يكفونهم
بجزية يدفعونها لتكون عوناً على صيانتهم والحفاظة على أمنهم في ديارهم
وهم في عقائدهم ومعابدهم وعاداتهم بعد ذلك أحرار ، لا يضايقون في
عمل ، ولا يضامون في معاملة .

نعم حمل المسلمون الى أولئك القوم كتاب الله وشريعته ، وألقوا
بذلك بين أيديهم ، وتركوا لهم الخيار في القبول وعدمه ، ولم يقوموا
بينهم بدعوة ، ولم يستعملوا الا كراههم شيئاً من القوة ، وما كان من
الجزية لم يكن مما يثقل اداؤه على من ضربت عليه .

وأما استيلاء المسلمين على البلاد فلمعجز أصحابها عن سياستها على مقتضى العدل وقواعد الانصاف - وقد قلنا أن العرب بعد أن صاروا أمة ، واعتنقوا الاسلام رأوا أنهم أولى الناس بأن يكونوا ساسة الناس وقادتهم .

(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض برئها عبادى

الصالحون)

﴿ بعث العراق ﴾

كان المثنى بن حارثة الشيباني بغير على سواد العراق فى رجال من قومه ، فبلغ أبا بكر خبره فسأل عنه فقليل له : هـ - ذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العمد ، المثنى بن حارثة الشيباني ، ثم ان المثنى قدم على أبى بكر فقال له استعملنى على من أسلم من قومى أقاتل هذه الاعاجم من أهل فارس فكتب له أبو بكر فى ذلك عهدا فسار ودعا قومه الى الاسلام فاسلموا - ثم ان أبا بكر أرسل الى خالد ابن الوليد وهو باليمامة أن سر الى العراق حتى تدخلها ، وابدأ بفرج الهند وهي الابله وتألف أهل فارس ومن كان فى ملكهم من الامم ، وكتب الى عياض بن غنم ان يقصد العراق ويبدأ بالمصيخ من أعلاه ويسير حتى يلقى خالدًا ، وأمرهما مما أن يستنقرا من قاتل أهل الردة ، والأبغزون معهم مرتدًا ففعلوا - وكتب الى المثنى ومن معه ان يلحقوا بخالد بالابله وكان أصحابه ثمانية آلاف ، وقدم خالد ومعه عشرة آلاف

واقعة ذات السلاسل

ولما جاء خالد فرق جنده ثلاث فرق ، ولم يحملهم على طريق واحد ، على مقدمته المشني ، وبعده عدني ، وجاء خالد بعدهما وتواعدوا الحفير ليصادموا عدوهم وكان صاحب تلك الناحية يسمى هرمز ، فلما سمع بالمسلمين كتب الى أردشير الملك بالخبر وجمع جموعه ، وعلم أن المسلمين تواعدوا الحفير فسبقتهم اليه واستعد جنده واقتربوا بالسلاسل لئلا يفروا فقال قائل منهم : قيدتم أنفسكم لأعدائكم ، ومال خالد بالناس الى كاظمة فسبقه هرمز اليها ، ونزل خالد بالناس هنالك على غير ماء ، فقال له أصحابه في ذلك ما نفعل ؟ فقال لهم : لعمرى ليصيرن الماء لأصبر الفريقين فخطوا أنقاهم ، وتقدموا وقاتلوا الفرس ، وخرج هرمز ودعا خالد الي البراز وواطأ أصحابه على الغدر بخالد ، فبرز اليه خالد وتضاربا فاحتمنه خالد وحمل أصحاب هرمز فما شغل ذلك خالدا عن قتله ، وحمل القعقاع بن عمرو على الفرس فأزاحهم وانهمز أهل فارس وركبهم المسلمون الى الليل ، وأخذ خالد سلب هرمز وكانت قلنسوته بمائة ألف ، وبعث بالاحماس الى أبي بكر ، وسار حتى نزل بجبات البصرة وبعث المشني في آثار المنهزمين الذين تجمعوا وأمدهم أردشير ، ثم سار اليهم خالد فهزمهم أيضا — وبلغ سهم الفارس في الموقعتين ألف درهم والراجل على الثلث من ذلك

ثم ان أردشير أرسل جيشاً آخر ، وانضم اليه حرب الضاحية فسار اليهم خالد ووضع لهم كميناً في ناحيتين ، فلما التقى الجمعان خرج الكمينان

فانهزمت صفوف الاعاجم ، فسي ذراري المقاتلة ، ومنهم ولدان لبعض
سادة بني بكر بن وائل - وبذل الاماز للفلاحين فصاروا ذمة

ولما اصاب بني بكر بن وائل ما اصابهم غضب لهم نصارى قومههم
واجتمعوا بناحية أليس ، وأمدتهم أردشير بجيش فاختلفوا على قائدهم
وبسطوا الطعام ، فقدم خالد وليست له همة الا من تجمع له من عرب
الضاحية فطلب المبارزة فبرز له مالك بن قيس فقتله وانهزمت العرب ،
فولى وجهه نحو المجمع فاعجلهم عن طعامهم فقاموا عنه وقتلوا المسلمين
غير انهم انهزموا وسالت دماؤهم كالنهر ونادى منادى خالد الأسر
الاسر الا من امتنع فاقتلوه ، فعاد المسلمون بكثير من الاسرى ، ووقف
خالد على الطعام وقال للمسلمين قد نفلتكموه ، فتمشى به المسلمون ،
وقال من لم ير الرقاق ، ماهذه الرقاق البيض ، وجعل من يعرفها يجيبهم
مازحاهل سمعتم برقيق العيش فيقولون نعم ، فيقول هو هذا

فتح الحيرة

وبعد ذلك بقليل سار خالد الى الحيرة ، فخرج مرزبانها فمسكر
عند الغريين ، وأرسل ابنه فقطع الماء عن السفن فبقيت على الارض ،
فسار خالد في خيل نحو ابن المرزبان فقتله وأصحابه . وسار نحو
الحيرة فهرب منه المرزبان وقد بلغه موت أردشير وقتل ابنه . وسار
المسلمون فزلوا عند الغريين . وتحصن أعيان الحيرة في قصورهم
فحوصروا فيها . ودعا المسلمون أهل المدينة فأبوا . فقاتلوهم . ولما
كثر القتل فيهم نادى القسيسون والرهبان بأهل القصور ما يقتلنا غيركم

فنادى أهل القصور المسلمين : قد قبلنا واحدة من ثلاث وهي إما الاسلام وإما الجزية ، وإما المحاربة فكفوا عنهم ، وخرج إياس بن قبيصة وعمرو بن عبد المسيح وغيرهما ورضوا بالجزية ، وفتحت البلد ، وكان فتحها في ربيع الاول سنة ١٢ هـ وبعث خالد بالفتح والهدايا الى أبي بكر ، فقبل الهدايا من الجزية وكتب الى خالد أن يأخذ منهم بقية الجزية ويحسب لهم الهدية .

ولما صالح أهل الحيرة بادر أهل النواحي المختلفة بطلب الصلح على الجزية أيضا ، فقتل منهم خالد ، وأرسل بعض قواده فمخروا ماوراء الحيرة الى شاطيء دجلة .

وعند ذلك كتب خالد الى أهل فارس بدعوتهم الى الاسلام أو الجزية فان أجابوا والا حاربهم ، فكان العجم على اختلاف بموت أردشير لانهم اجتمعوا حرب خالد ، وهو مقيم بالحيرة يصعدو بصوب ويحججوا الخراج سنة كاملة قبل خروجه الى الشام ، والفرس يخملون ويملكون

﴿ فتح الانبار ﴾

ثم خرج خالد على تعبته وعلى مقدمته الافرع بن حابس الى الانبار ، وأطاف بها وانشب القتال وتقدم الى رماته فاوصاهم ان يقصدوا عيونهم فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا فأصابوا ألف عين ، فسميت تلك الوقعة ذات العيون

وطلب حينئذ أمير جند الفرس الصالح على أمر لم يرضه خالد فابى ، وتقدم حتى وصل الى خندقهم ، وأقام فيه سدا ، ثم عبره فلقبه

الكفار عليه ، وأرسل ذلك الأمير الى خالد وبذل له ما أراد فصار له
على ان يبلغه مأمنه في جريدة خيل ليس معهم من متاع شيء فقبل
خالد وفتحت المدينة وصالح خالداً من حولها على الجزية

﴿ فتح عين التمر ﴾

اجتمع بعين التمر العجم بقيادة مهران بن بهرام والعركل من التمر
وتغلب وايد وغيرهم عقة بن أبي عقة ، فسار اليهم خالد فقال عقة
لمهران ان العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالدا ، فقال له مخادعا .
صدقت دونكم وهم وان اجتمعتم الينا اعتناكم ، ولأمتهم العجم على ما صنع ،
فما زال بهم حتي اقنعهم ، وسار عقة الى خالد فالتفوا فحمل خالد بنفسه
على عقة فاحتضنه وأخذه أسيراً ، هكذا يذكر المؤرخون ومعناه فيما أرى
انهم ما تبارزا فتمكن خالد من أن يقص على مناوراته ويخيب جميع ضرباته
فلما رأى الموت اليه سلم نفسه ، فاخذه خالد أسير ، وبذلك انهزم جنده
من غير قتال كما هي العادة ، وولوا مدبرين لكن المسلمين أسروا أكثرهم .
ولما رأى مهران ما حصل للعرب فريجنده وترك الحصن فانهي اليه
المنهزمون وتحصنوا به ، فنازلهم خالد حتى طلبوا الامان فاني فنزلوا
على حكمه فاخذهم أسرى وقتلهم أجمعين كما قتل عقة وغنم كل ما في
الحصن ، وكان في بيعتهم غلمان يعلمون الانجيـل فاخذهم فقسمهم في
أهل البلاد ، ومنهم سيرين أبو محمد ، ونصير أبو موسى :

والملاحظ ان خالد أقسى على العرب كثيراً واشتد بطشه بهم
والمبرر لصنيعه هذا هو انه أراد ان ينبه العرب عامة الى ان الاجدر

هم ان يكونوا مع العرب محافظة على القومية وانتصارا للعصية ، فلما استهانوا بالعرب وكانوا مع العجم عليهم غابهم بمنل ما قدمت ايديهم وما ظلموا ولكنهم هم الظالمين

❦ خبر دومة الجندل ❦

لما فرغ خالد من عين التمر أتاه كتاب عياض بن غنم يستمطلي من بازائه من المشركين : اذ بينا خالد قد وفق الى الانتصار في العراق اذا بعياض لم يدرك غرضا ، وقد علمنا أن أبا بكر أرسلهما معا ليفتح كل منهما ناحية من نواحي العراق ، فأتى خالد ما أمر به وزاد اذ شرع يفتح في ناحية عياض ، فلما كتب الى خالد سارع اليه ، وكانت دومة لرئيسين ، أكيدر بن عبد الملك ، والجودي بن ربيعة ، فلما الاول فلم ير قتال خالد وأشار بصالحه فلم يقبلوا منه فخرج عنهم وسمع خالد بمسيرة فارس من جاء به أسيرا وقتله وأخذ ما كان معه ، (لانه ارتد بعد وفاة الرسول وخان ، وقد علمنا أن رسول الله حقن دمه وصالحه على الجزية وخلي سبيله فرجع الى قريته)

ثم سار خالد حتى نزل على دومة فجعلها يذنه وبين عياض ، فخرج اليه الجودي فيمنعه من العرب ، وأخرج طائفة الى عياض ، فهزم كل من خالد وعياض من يليه وألحق الجودي ، وانهزم المشركون الى حصن دومة فلم يحملهم فلما امتلأ أغلقوا الباب دون أصحابهم فبقوا حوله فاخذهم خالد فقتلهم ، وقتل الجودي أيضا ، ثم شدد الحصار على الحصن حتى أخذه قهرا ، وقتل مقاتلة وسبي الذرية والسرح وباعهم

وأقام بدومة ، فطمع الاعاجم ، وكاتبهم عرب الجزيرة غضبا لعقة والتعدو
حصيدا ، ورجع خالد الى الحيرة فسمع باصرهم ؛ وكان القعقاع قد سار
الى عين التمر ، فسار اليه خالد وسيره الى الحصيد كما ستري

﴿ وقائع أخرى ﴾

ولما سار القعقاع الى الحصيد قتل من العجم مقتلة عظيمة فانهزموا
الى المصيخ ، فأغار المسلمون عليهم من ثلاثة أوجه فقتلوههم ومن انضم
اليهم من العرب ، وكان فيهم رجلان قد أسلما ومعهما كتاب من أبي
بكر باسلامهما ، وكانت لهما مندوحة عن الوجود في عسكر محارب
للمسلمين ، فلما بلغ أبا بكر خبرهما وداهما وأوصى بأولادهما أما عمر فقد
ضم هذه الى قصة خالد مع مالك بن نويرة

وسار خالد من المصيخ حين بلغه ان جماعة من العرب اجتمعوا
شرقي الرصافة غضبا لعقة ، فجرد فيهم السيف حتى لم ينج منهم مخبر ،
وغنم ما كان معهم ، وأرسل بالانخاس في كل هذه الوقائع الى أبي بكر
ثم تقدم الى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة وأفطر
بها رمضانا لاتصال الغزوات ، وحملت الروم واستماتوا بمن يليهم من
مسالح الفرس فأعانوهم ، واجتمع معهم تغلب وإياد والتمر وساروا الى
خالد فلما بلغوا الفرات قالوا له اما ان تعبروا الينا واما ان نعبرك اليكم
قال خالد اعبروا ، قالوا له تنح عن طريقنا حتى نعبرك قال لا أفعل ولكن
أعبروا أسفل منا فعبروا أسفل من خالد ، وقالت الروم : امتازوا حتى
نعرف اليوم من يثبت ممن يولى ففعلوا ، ولما التقى الجمعان انهزمت

الروم ومن معهم من العرب والعجم وأمر خالد جنده ألا يرفعوا السيف
فقتل في المعركة وفي الطلب منهم مائة ألف : ثم أذن بالرجوع الى
الحيرة ولم يرجع .

حج خالد

ثم خرج من الفراض سرأ ، ومعه عدد من أصحابه فأنى مكة
وحج ورجع ، ولم يعرف جنده الخبر حتى وافاهم مع صاحب الساقة ،
ولم يعلم أبا بكر بذلك الا بعد رجوعه فعتب عليه ، وكانت عقوبته إياه
أن صرفه الى الشام من العراق ممدا جموع المسلمين باليرموك
وبالتأمل نرى أن خالدا ومن معه أمكنهم أن يغيروا على أطراف
العراق مما يلي الفرات غربا ، وأن يهزموا جنود الفرس والعرب الذين
اجتمعوا اليهم جميعا ، وان يغنم منهم وبأسرهم ويسبي ذراريهم ، ويستولى
على ذخائرهم وأموالهم ، وتضرب الجزية على من استأمن اليهم منهم ،
وكان المسلمون بعد ذلك اذا ذكروا وقائعهم مع الفرس وبخاصة جند
على بن أبى طالب أيام خلافته واستعدادهم للمعاوية ، نحن أصحاب ذات
السلاسل ، ويسمون ما بينها وبين الفراض أما ما حصل بعد الفراض
فكانوا لا يذكرونه احتقاراً له بالنسبة الى ما كان قبل الفراض
وقد رأيت ان العجم كانوا مشغولين بمن يولونه أمرهم ، أما
العرب في تلك النواحي فكانوا أضعف من ان يقفوا في وجه خالد لان
مساميتهم كانوا عوناً لخالد وجنده على مشركيهم .

﴿ فتوح الشام ﴾

لما فرغ أبو بكر من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش الى الشام فكتب الى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه ، وفي غنائم الروم ، فسارع الناس اليه من بين محتسب وطامع ، وأتوا المدينة من كل أوب ، فمقد ثلاثة ألوية لثلاث رجال (١) خالد بن سعيد بن العاص ، (٢) شرحبيل بن حسنة الكندي (٣) عمرو بن العاص ، وكان ذلك مستهل صفر سنة ١٣ — ويقال انه عقد لواء رابعا لابي عبيدة ثم عرض لأبي بكر أن يعزل الاول لانه كما قال عمر رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب وجعل لو براءة الى يزيد بن أبي سفيان فسار به ومعاوية أخوه يحمله بين يديه ، أما خالد فسار في جيش شرحبيل محتسبا

وأمر أبو بكر عمرو بن العاص أن يسلك طريق أيلة وأمر شرحبيل وبزيد أن يسلكا طريق تبوك ، لان أهل البلدين كانا علي صاح مع المسلمين ،

وكان العقد لكل أمير في بدء الامر على ثلاثة آلاف فلم يزل أبو بكر يتابعهم الامداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة

﴿ امراء المسلمين بالشام ﴾

لما وصل الامراء الى الشام ، نزل أبو عبيدة الجابية ، ونزل يزيد البلقاء ونزل شرحبيل الاردن وقيل بصري ، ونزل عمرو بن العاص

العربة وبلغ الروم ذلك فكتبوا الى هرقل وكان بالقدس فقال : أرى أن تصالحوا المسلمين فوالله لان تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب اليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم فتفرقوا عنه وعصوه فجمعهم وسار بهم الى حمص وأعد الجنود والعساكر ، وأراد أشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره لكثرة جنده لتضعف كل فرقة من المسلمين عن بازائها .

فارسى تزارق أخاه في تسمين الفا الى عمرو وأرسل قائدا آخر الى يزيد وأرسل ثالثا في ستين الفا الى ابي عبيدة وأرسل رابعا نحو شرحبيل فهاهم المسلمون وكتبوا الى عمرو بن العاص ما الرأي ؟ فأجابهم ان الرأي لمثلنا الاجتماع ، وكتبوا الى الخليفة فأجابهم بمثل رأي عمرو ، وقال اجتمعوا باليرموك متساندين فاجتمعوا وتبعهم الروم ونزل المسلمون على طريقهم ليس للروم طريق الا عليهم . فقال عمرو ابشروا حصرت الروم ، وقلما جاء محصور بخير غير ان الروم طاولوا المسلمين نحو ثلاثة أشهر

﴿ مسير خالد الى العراق ﴾

ولما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدوا أبا بكر فكتب الى خالد بن الوليد يأمره بالمسير اليهم ، وان يأخذ نصف الناس ويستخلف على النصف الثاني المثني بن حارثة ، ولا يأخذ من فيه نجدة الا ويترك عند المثني مثله ، واذا فتح الله عليهم رجع خالد الى العراق فسار خالد

من العراق وقاتل في طريقه من اجتمع لمقاومته من تغلب و كلب و بهراء ،
ثم التمس الأدلاء لقطع بادية الشام ، فخوفوه سوء العاقبة . فقل
لابد لي من ذلك لاخراج مَنْ وراء جموع الروم لئلا تحبسني عن غياث
المسلمين ، وأمر صاحب كل جماعة ان يأخذ الماء لها الخمس ، وان يعطش
من الابل الشرف ما يكتفي به ثم يسقيها عللا بعد نهل ثم بصر آذان
الابل ويشددوا مشافرها لئلا تجتر ، ثم ركبوا فلما ساروا يوما وليلة
شقوا له العدة من الخيل بطون عشرة من الابل فخرجوا ما في كروشه بما
كان من الالبان وسقوا الخيل ، فعلوا ذلك أربعة أيام - ثم وصلوا الى
أصل شجرة فحفروا واستخرجوا عينا فشرى بها حتى روى الناس

ومهما يكن في هذه القصة من غير المؤلف فلها تدل على أن خالدا كان
لا يزال بالاعطار ، وأنه أعمل الخيل في سبيل الحصول على الماء حتى
وصل الى غرضه ، وأغار على جماعة من بهراء بعد ذلك وأخذ أموالهم
في ناحية تسمى قراقر ، ثم أتى أرك فصالحوه ، ثم تدمر فتحصن أهلها ثم
صالحوه ، ثم القريتين فقاتل أهلها وظفر وغنم ، وسار فوصل الثانية
فنشر رايته وتسمى العقاب وكانت لرسول الله أو لخالد فسميت الثانية
بها - ثم سار فأتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحبهم ، وسار
الى بصري فصالحه أهلها بعد أن انتصر عليهم ، وكانت أول مدينة
فتحت بالشام على يد خالد وأهل العراق ، وبعث بالانخاس الى
أبي بكر ، ثم سار فطمع على المسلمين واذا الشامسة والقيسون يحرضون
الروم على القتال .

ويقال ان خالد لما جاء من العراق الى الشام لقي أمراء المسلمين

ببصرى فحاصروها جميعا حتى فتحوها على الجزية ، ثم ساروا جميعا الى فلسطين مددا لعمرو بن العاص

هذا ويقال ان أبا بكر جعل خالد الأميرا على الامراء في الحرب ، ويقال بل كان أميرا على أصحابه الذين شخصوا معه ، وكان المسلمون اذا اجتمعوا لحرب أمّره الامراء فيها لبأسه وكيدته ويمن تقيته .

﴿ وقعة اليرموك ﴾

لما تكامل جمع المسلمين باليرموك وكانوا سبعة وعشرين ألفا ، وقدم خالد في تسعة آلاف فصاروا ستة وثلاثين ألفا ، سوى من انضم اليهم فقل وصل العدد بهم الى ستة وأربعين ألفا . وكان الروم في مائتي ألف وأربعين ألف ، مابين مقيد ومسلسل لئلا يفروا ، وقيل كانوا مائة ألف ، ومهما يكن من المبالغة في عدد الروم فانهم كانوا ضعف عدد المسلمين .

خرج الروم الى القتال ، فلما أحس المسلمون أرادوا الخروج متساندين ، فسار فيهم خالد فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ان هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، اخلصوا جهادكم وأرضوا الله بعملكم ، فان هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبئة وانتم متساندون فان ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا بما لم تؤمروا به ، بالذى ترون أنه رأى ولاكم ومحيتة ، قالوا هات فما رأى ؟ قال : ان أبا بكر لم يمشنا الا

وهو يرى ان سنتياسر ، ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم ، ان الذي اتم فيه اشد على المسلمين بما قد غشيهم وانفع للمشر كين من امدادهم فهاجوا فلتنعاور الامارة فليكن بمضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم ، ودعوني اتأمر اليوم ، فأمرهم وانهم يرون انها كحرجاتهم وان الامر لا يطول

ثم خرجت الروم في تعبئة لم ير الراؤون مثلها قط وخرج خالد في تعبئة لم تعبها العرب قط ، وكان قاضي القوم ابو الدرداء ، والقاس ابو سفيان ابن حرب ، وعلى الاقباض عبد الله بن مسعود ، وأمر خالد عكرمة ابن أبي جهل والققعاق بن عمرو ، فأنشبا القتال ، والتحم الناس وتطارد الفرسان وتقاتلوا - فبينما هم على ذلك اذ قدم البريد من المدينة ، فجعل الناس يسألون عن سبب قدومه فأخبرهم بالسلامة وان وراءه مددا لهم ، وكنتم عنهم موت أبي بكر ثم وصل الى أبي عبيدة فأخبره سرا بموت أبي بكر ، وناوله كتاب عمر بتوليته وعزل خالد فاستحيا أبو عبيدة من خالد وكره أن يعلمه بالعزل ، وهو قد بذل جهده في القتال فكتم أبو عبيدة الخبر عن خالد وصبر حتى تم الفتح ثم أعلمه بموت أبي بكر وبغزله ، فسلم اليه الجيش

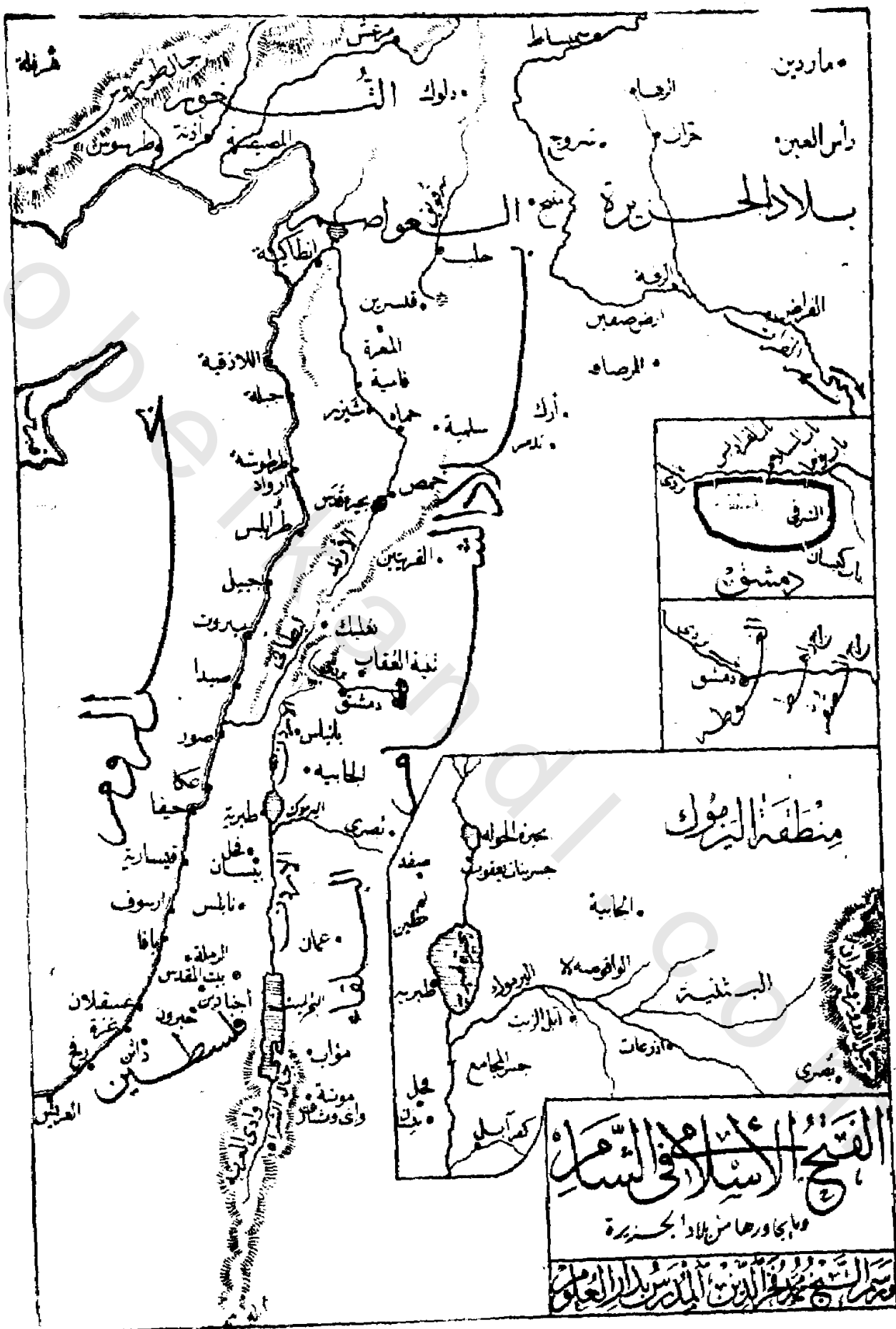
ويقال بل انهم دلوا الرسول على خالد فأخبره سرا بموت أبي بكر ، وبغزله وتولية أبي عبيدة ، فقال اني لأحارب من اجل عمر واستمر حتى انتصر على ماستري .

وهناك موضع حكاية ، وهي أن أحد قواد الروم واسمه جرجة خرج بين الصفيين وطلب خالد فخرج اليه وآمن كل واحد منهما

صاحبه وسأله جرجه جملة أسئلة منها . أخبرني لإلام تدعو ؟ فقال خالد الى الاسلام أو الجزية أو الحرب ، قال فما منزلة الذي يجيبكم فقال منزلتنا واحدة فقال مع خالد وأسلم وخرج معه فقاتل الروم فكان ماصنع وهنا على الروم .

ثم حملت الروم حملة أزالا المسلمين عن مواقفهم فنادى عكرمة من يبايع على الموت فبايعه الحرت بن هشام ، وضرار بن الازور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، وقاتلوا قدام فسطاط خالد فخرج من جرح وقتل من قتل ، ثم قاتل خالد وجرجه حتى قتل الثاني وتضمنع الروم فنهد خالد بالقلب حتى حال بين خيلهم ورجلهم فلهزم الفرسان وتركوا الرجالة — ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للهرب أفرجوا لها فتفرقت ، وساء حال الرجالة فقروا الى خندقهم ، فافتحمه المقتربون والمسلحون وسيوف المسلمين تأخذهم وهم لا يستطيعون الهرب ، ويسيرون على غير هدى ، حتى لقد ركب بعضهم بعضا من شدة الزحام ، ويقال أن اليوم كان مضبا وفيه ثارت الرياح الهوجاء فانارت الغبار — وجاء الليل والمسلمون يقتفون أثرهم فلم ينعمهم ظلامه عن التضيق عليهم وحصرهم فأخذ الروم يتساقطون في اليرموك وفي الواقوصه ، وهي هوة وراء احدي ضفتيه . حتى قتل منهم بهذه الصورة أكثر ممن قتل بسيوف المسلمين ، ولم ينج من الرجالة الا قليل . أما الفرسان فقد تفرقوا في الصحاري وبذلك تمت الهزيمة على الروم .

وبعد هذه الموقعة أعظم ما كان من الوقائع بين الروم والعرب .



فقال عمر قد علم أبو بكر انه يسوءني ان أوامر خالدا فلماذا امرني أن أرد اصحاب خالد وترك ذكره معهم .

والى ازرميدخت انتهى شأن ابي بكر — فهذا حديث العراق الى وفاته رضى الله عنه .

(وفاة أبي بكر)

كانت وفاة أبي بكر لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ١٢ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ودفن في بيت عائشة وجعل قبره كقبر النبي مسطحا ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال ، قام فيها بمجلائل الاعمال

ولما ولى الخلافة وارتد العرب خرج شاهرا سيفه الى ذى القعدة ، فجاهه على وأخذ بزمام راحلته ، وقال له : أين يا خليفة رسول الله ، أقول لك ما قال لك رسول الله يوم أحد شمس سيفك لا تفجعنا بنفسك فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام نظام ، فرجم وأمضى الجيش ، وبظهر أن رجوعه كان مؤقتا فقد علمنا أنه ذهب بنفسه وحارب واتعصر .

وكان يقيم بالسنع ثم تحول الى المدينة بعد ستة أشهر من خلافته وقال : ما تصلح أمور الناس مع التجارة وما يصلح الا التفرغ لهم والنظر في شأنهم ، فترك التجارة ، وانفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوما بيوم وكان أول وال فرض له رعيته نفقة

ولما قبض أبو بكر سجد بثوب فارنجت المدينة من البكاء ودهش القوم كقبض رسول الله ، وجاء علي بن أبي طالب باكيا مسرعا مسترجعا

وان هرقل كان اذ ذاك بممص ، فلما بلغته هزيمة جنده نادى بالرحيل عنها وجعلها بينه وبين المسلمين هذا ويقول المؤرخون ان الذين أُصيبوا من المسلمين في اليرموك زهاء ثلاثة آلاف

﴿ حال المثنى بالعراق ﴾

أقام المثنى بالحيرة بعد مسير خالد الى الشام ، واستقام أمر الفرس فوجهوا اليه جيشاً وكتب اليه كسرى انى قد بعثت اليكم جندا من وحش أهل فارس ، فرد عليه المثنى بكتاب جزع الفرس منه ثم التقى الجيشان بجهة بابل ، واقتتلوا وكان فيلهم يفرق المسلمين فقتلوه وانهمزم الفرس وتبعهم المسلمون الى مدائن كسرى ، ومات كسرى اذ ذاك فعاد الاختلاف الى أهل فارس وبقي مادون دجلة بيد المسلمين .

ثم أن الفرس اجتمعت على ابنة كسرى فلم ينفذ لها أمر وخلعت وملك سابور وكان صغيرا فقام بأمره كبير رجال الفرس وقتلوا فثار به أحد القواد لا مرما فقتله وقتل سابورا أيضا وملك عليهم أزر ميدخت بنت كسرى وتشاغلوا بذلك .

أما المثنى فقد سار الى المدينة بعد ان استخلف على المسلمين ليخبر أبا بكر بأمر المشركين ويستأذنه في الاستعانة بمن حسنت نيته من المرندين فانهم انشط الى القتال عن غيرهم ، فقدم المدينة وابو بكر مريض قد أشفى فاخبره فاستدعى عمر وقال له . اذا مت فلا تمشين حتى تندب الناس مع المثنى واذا فتح الله على أهل الشام فاردد أهل العراق الى العراق فانهم اهله ، وولاية امره وأهل الجراة عليهم

حتى وقف بالباب وهو يقول : رحمك الله أبا بكر كنت والله
للاسلام حصنا ، وللكافرين ناكبا ، لم تقلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ،
ولم تجبن نفسك ، كنت كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف ،
كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويافى دينك
متواضعا فى نفسك .

{ استخلافه عمر }

لما نزل بأبى بكر الموت دعا عبد الرحمن بن عوف، وقال أخبرنى
عن عمر ، فقال انه أفضل من رأيت الا أن فيه غلظة ، فقال أبو بكر
لأنه يرانى رفيقا ، ولو أفضى الامر اليه لترك كثيرا مما هو عليه ، وقد
رمقته فكنت اذا غضبت على رجل أرانى الرضا عنه ، واذلنت له أرانى الشدة
عليه - ودعا عثمان فقال له أخبرنى عن عمر فقال سريرته خير من
علانيته وليس فينا مثله . فقال أبو بكر لها لا تذكر اما قلت لك شيئا ، ولو
تركت ما عدوت عثمان ، والخيرة له الابلى من أموركم شيئا ثم دخل طلحة
فقال استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه،
وكيف به اذا خلا بهم ، وانت لاق ربك فسألك عن رعيتك . فقال
أبو بكر أجلسونى فاجلسوه فقال أبا لله تخوفنى ، اذا لقيت ربى فسألنى
قلت استخلفت على اهلك خير اهلك ثم احضر عثمان بن عفان خاليا ليكتب
عهد عمر فقال له أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد أبى بكر بن أبى قحافة عنده آخر هذه بالدنيا خارجا

منها ، واول عهده بالآخرة داخل فيها حيث يؤمن الكافر ، وبشقي
 الفاجر ، ويصدق الكاذب ، انى أمرت عليكم عمر الخطاب ، ان عدل واتقى
 فذاك ظنى به ورجائى فيه ، وان بدل ونير فالخير اردت ، ولا يعلم
 الغيب الا الله .

قيل ان ابا بكر بعث بهذا الكتاب مع عثمان ورجل من الانصار
 ليقرأه على الناس ، فلما اجتمع الناس قاما فقالا هذا عهد ابى بكر بن
 أبى قحافة فان تقروا به نقرؤه وان تنكروه نرجعه . فما خالف احد ،
 بل رضى الناس عمر حينما ارتضاه ابو بكر للخلافة واسرعوا الى مبايعته
 على ما كانوا يرون فى عمر من الشدة والغلظة مما يدلك على ان الذين
 كانوا يزعمون ابا بكر من سنتين اصبحوا بحيث لا يردون له قولاً
 ولا يرغبون عما رغب فيه .

ولا عجب فقد ساسهم بالحزم والعدل وتجرد الى خدمتهم ، وضحي
 مصالحه الشخصية حبا في مصلحتهم ، ومن أجل ذلك وثقوا به وثوقاً
 لاحد له ، واتقادوا لامره وخضعوا لرأيه ، وأجابوا داعيه وكان فى أيام
 خلافته رضى الله عنه كالمروض لسيدنا عمر ، فوق أنه مهد للخلافة
 سبيلها ، وترك المسلمين متضامنين متكاتفين كأنهم افراد أسرة واحدة ،
 وبذلك تقووا على أعداء المسلمين من الفرس والروم وحاربوهم فى عمر
 ديارهم واتصروا عليهم



خلافة عمر بن الخطاب

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ينتهى نسبه الى عدي
ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك

وقد علمنا انه لما احتضر أبو بكر عهد اليه بالأمر من بعده بعد
استشارة عبد الرحمن وعبد الرحمن وطلحة وكان أبو بكر أشرف على
الناس وقال أنرضون من استخلفت عليكم فاني ما استخلفت ذا قرابة ،
واني قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا ، فاني والله ما آلت
من جهد الرأى ، فقالوا سمعنا وأطعنا — ثم استحضر عمر فقال له انى
قد استخلفتك على أصحاب رسول الله وأوصاء بتقوى الله

فلما دفن أبو بكر صعد المنبر عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أيها الناس انى داع فأمنوا ، اللهم انى غليظ فلينى لاهل طاعتك بموافقة
الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى الغلظة والشدة على
أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم
وكان أول كتاب كتبه الى أبى عبيدة بتوليته جند خالد وبعزل
خالد لانه كان عليه ساخطا فى خلافة أبى بكر كلها ويظهر انه خشى
بأس خالد راجاب الجندبة فكتب الى أبى عبيدة : ان كذب خالد
نفسه زفتته بغير الحق) فهو الأمير على ما كان عليه وان لم تكذبه
نفسه فأنت الأمير على ما هو عليه واتزع عمامته عن رأسه (يظهر ان
عمامة القائد كانت بحيث يعرف بها) وقاسمه ماله ، فذكر ذلك لخالد

فأبى ان يكذب نفسه فنزع عمامته وقاسمه ماله وأقام خالد بالشام مع المسلمين الى آخر حياته

وقد قدمنا ان كتاب العزل والتولية جاء وهم على اليرموك ، وقوم بقولون ان هذا الكتاب وصل وهم محاصرون دمشق وان أباعبيدة كتم الامر عن خالد أياما لان خالدا كان أمير الناس في الحرب فقال له خالد مادعاك رحمك الله الى ما فعلت قال كرهت ان اكسر ك وأوهن أمرك وأنت بازاء عدو .

﴿ الفتح في عهد ﴾

تنبيه — بين المؤرخين خلاف كثير في ترتيب الوقائع وتأريخها ، بل وفي قوادحها أيضا ، وقد علمت أن المسلمين لما قدموا الشام كان كل أمير يقصد لناحية ليغزوها ويبث غاراته فيها ، وكانوا اذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه كما سترى في فتح دمشق ، واذا احتاج أحدهم الى معاضدة صاحبه واجاده سارع الى ذلك — وكان أبو بكر حين ولى الامراء قال اذا كان بكم قتال فأمركم الذى تكونون فى عمله . أما عمر فانه حين استخلف ولى أبو عبيدة أمر الشام كله وأمره الامراء فى الحرب والسلام



الفتح في الشام

(فتح دمشق سنة ١٤)

لما انقضى أمر اليرموك على مامر ، سار أبو عبيدة حتي نزل مرج الصفر ، ألتاه الخبر ان المهزمين اجتمعوا بفحل ، وأن المدد أتى أهل دمشق من حمص ، فبعد استشارة الخليفة سير طائفة من المسلمين الى فحل فنزلوا قريبا منها ، وبثق الروم الماء حول فحل فوحدات الارض ، فصاروا كالمنحصرين ، وأرسل طائفة أخرى فنزلوا بين حمص ودمشق ، وطائفة ثالثة ليكونوا بين دمشق وفلسطين ليمنع الامداد عن دمشق ، وقصد مع خالد دمشق ، وهي اذذاك حصن الشام فاخذوا القوطة وكنائسها عنوة ، ونحصر أهل دمشق وأغلقوا أبوابها ، فنزل خالد على الباب الشرقي ، ونزل عمرو على باب توما ، ونزل شرحبيل علي باب الفراديس ونزل أبو عبيدة على باب الجابية ، ونزل يزيد على باب كيسان ، وحصروا الروم فيها سبعة ليال حصارا شديدا وقتلوهم بالزحف والمجانيق ، وجاءت خيل هرقل مفيدة دمشق فمقتها خيول المسلمين التي عند حمص فخذل أهل دمشق وطمع المسلمون فيهم ، ثم أن خالد استغفلهم في بعض الليالي وتسور سورهم من ناحية وكان قد اتخذ جبلا كهية السلايم والقاهما على السور فعلق منها جبلان بشرف السور صعد فيهما وصعد المسلمون ، ثم انحدر خالد وأصحابه حتى انتهى الى ما يليه من الزوم فقتلهم وقصد الباب فقتل البوابين وثار أهل المدينة لا يدرون ما الحال ، وتشاغل أهل كل ناحية بما يليهم ،

وقتح خالد الباب ، وقتل كل من عنده من الروم ، فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصالح فقبل منهم وفتحوا له الباب ، وقالوا أدخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب ، ودخل كل أهل باب يصلح مما يليهم ودخل خالد عنوة فالتقى خالد والقواد في وسطها ، هذا قتلا ونهباً ، وهذا صفحاً وتسكيناً ، فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح ، وكان على المقاسمة ، وقسموا معهم للجنود التي عند فحل وحصص ، وغيرهم ممن هو رده للمسلمين ، وأرسل أبو عبيدة إلى عمر بالفتح ثم وصل كتاب عمر إلى أبي عبيدة بارسال جند العراق إلى سعد بن أبي وقاص فارسلهم وكان ممن أرسل : الاشتر النخعي والقعقاع بن عمرو ، وسار الأمراء إلى فحل وخلفوا يزيد بن أبي سفيان بدمشق

(واقعة فحل)

كانت وقعة فحل بعد خلافة عمر بخمسة أشهر . سار أبو عبيدة إلى فحل وجعل خالد على المقدمة ، وشرحبيل على الناس ، وكان على المجنبتين أبو عبيدة وعمرو بن العاص ، وعلى الخيل ضرار بن الأزور . وعلى الرجال عياض بن غنم ، وكان أهل فحل قد قصدوا يدسان فهم بها فنزل شرحبيل بالناس فحلا وبينهم وبين الروم تلك المياه والأوحال فباردهم الروم ، ولكن المسلمين كانوا حذرين فكانوا على تعبئة ، فقاتلوهم أشد قتال كان لهم ، ليلتهم ويومهم إلى الليل ، فلما خيم الظلام حار الروم فانهزموا وهم حيارى ، وأصيب رئيسهم وركبهم المسلمون وهم لا يعرفون فأخذهم فانتهت بهم الهزيمة إلى الوحل فركبوه . ولحقهم

المسلمون فأخذوهم وهم لا ينعمون يد لاس ، فوخرهم بالرماح فكانت
الهزيمة بفحل والقتل بالردغة

وقد كان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون . كرهوا البشوق
والوحد فكانت عوناً لهم على عدوهم ، وغنموا أموالهم فاقسموها .
وانصرف أبو عبيدة بخالد ومن معه الى حمص .

وبالتأمل ترى ان مقاومة الروم كانوا لا يعرفون الطرق ولا المسالك
حتى انهم في هذه الموقعة لم يسلكوا سبيلاً ينجيهم ، وسبب ذلك انهم
جمعوا من بقاع شتى ، جمعهم هرقل (بعد ان فر من حمص الى انطاكية)
من الروم وأهل الجزيرة وقذف بهم الى ميادين القتال قذفاً من غير
أن تكون لهم فرصة يتعرفون بها طبيعة البلاد التي يقاتلون فيها .

﴿فتح نواح أخرى﴾

ولما قصد أبو عبيدة حمص أرسل شرحبيل ومن معه الى بيسان
فقاتل أهلها ثم صالحوه على صلح دمشق .

وكان قد بعث قائداً آخر الى طبرية فصالحه أهلها على صلح دمشق
أيضاً ، وأن يشاطروا المسلمين المنازل فكمل فتح الاردن صلحاً
ونزلت القواد في مدائنهم وقراها .

وبعث يزيد فصيلة الى تدمر ، وأخرى الى حوران والبثنية فصالح
أهلها وسار يزيد الى صيداء وجبيل وبيروت وهى سواحل دمشق
وكان على مقدمته أخوه يزيد ففتحها كلها فتحاً يسيراً

{ الفتح في العراق }

لما أصبح عمر من الليلة التي مات فيها أبو بكر كان أول ما عمل أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة ، ظل ثلاثاً ولا ينتدب أحد الى فارس اذ كان هذا الوجه أثقل الوجوه على المسلمين لشدة سلطان الفرس وشوكتهم وفهرم الامم ، فلما كان اليوم الرابع ، كان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي والد المختار ، ثم سعد بن عبيد الانصاري ثم سليط بن قيس من البصريين ، فولى أبا عبيد لسبقه ، وقال له اسمع من أصحاب النبي وأشرِكهم في الامر ، ولا تجتهد مفرعاً بل اتد فانها الحرب ، والحرب لا يصلحها الا الرجل المكث الذي يعرف الفرصة - أقبل سعد وصحبه من المدينة لا يمر بقوم من العرب الا رغبهم في الجهاد والغنيمة فصحبهم خلق . وأمر المثنى بالنقدم الى أن يقدم عليه أصحابه وأمرهم باستنفار من حسن اسلامه من أهل الردة ففعلوا ذلك وسار المثنى فقدم الحيرة .

ومن محاسن الصدف أن الفرس تشاغلت عن المسلمين بموت كسراها ، حتى ملكت بوران بنت كسرى وكانت عدلا بين الناس حتى بصطلحوا ، فارسلت الى رستم وكان في خراسان ، فاسرع حتى دخل المدائن وهزم جيوش ازرמידخت وأصب بوران على أن تملكه عشر سنين ثم يعود الملك في آل كسرى ان وجدوا من غلمانهم والا ففي نساءهم فدعت المرازبة وأمرتهم أن يسعوا له ويطيعوا وتوجته

فدانت له فارس قبل قدوم أبي عبيد

كتب رستم الى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين ، وبعت جندا لمصادمة المثنى ، فخرج المثنى من الحيرة لثلاثي من خلفه ، فقدم عليه أبو عبيد فلما استراح هو واصحابه خرج الى الفرس وجعل المثنى على الخيل ، ولما التقى الجمعان هزم الله أهل فارس ، وأسر أحد الجند جابان قائدهم ثم خدغه فخلا عنه فأخذه المسلمون وأتوا به أبا عبيد وأشاروا عليه بقتله فقال : انى أخاف الله أن أقتله ، وقد آمنه رجل مسلم ، فقالوا له أنه الملك قال وان كان ، لا أغدر ، فتركه وتركوه

أما المنهزمون من الفرس فهربوا فقتلهم أبو عبيد - وكان رستم وبوران حينما علما بهزيمة جابان بعثا جندا الى قائد آخر يسمى نرسى عليهم الجالينوس فعاجلهم أبو عبيد وهزمهم ، وأخذ من الاطعمة شيئا كثيرا فنقله من حوله من العرب ، وما زال أبو عبيد يتبع الجالينوس وهو ينهزم الى النواحي الشمالية حتى قدم الى الحيرة .

(يوم الجسر)

ولما رجع الجالينوس منهزما الى رستم وجه به من المعروف بنى الحاجب الى المسلمين ورد الجالينوس معه ، فأقبل بهم من معه راية كسرى ، فنهض له أبو عبيد وقعد الى أن نصبوا للفريقين جسرا على الفرات وخبرهم بهم من في عبوره أو عبورهم ، فاختر أبو عبيد العبور واجاز اليهم ، وماجت الارض بالمقاتلة ونفرت خيول المسلمين من الفيلة وترجل أبو عبيد والناس وصافحوا العدو بالسيوف ، ودافعهم الفيلة فقطعوا وضربها فسقطت رجالها ، وقتل

من كانوا عليها ، وقابل أبو عبيد فيلا فوطئه بيده وقام عليه فأهاكته ، وكانت الدائرة على المسلمين فولوا مدبرين وتركوا المثنى ، فبادر أحدهم الى الجسر فقطعه وقال موتوا أو تظفروا وتوابث بعضهم الى الفرات فغرقوا ، وأقام المثنى بقتال حتى لقد قاتل معه بعض نصارى العرب حمية للعرب ولكن ذلك كله لم يجد نفعا ، واضطر المثنى الى أن ينادي الذين عبروا من المسلمين سباحة فعدوا الجسر ، وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس الانصارى ، وهلك من المسلمين يومئذ اربعة آلاف بين قتلى وغرقى وهرب الفان وبقي ثلاثة آلاف .

وبينا بهم من يحاول العبور خلف المسلمين أنه الخبر بان الفرس ساروا برسم فرجم الى المدائن . وكان ذلك من فضل الله على المسلمين

﴿ يوم البوب ، وهو يوم مهران ﴾

لما بلغ عمر وقعة ابي عبيد بالجسر ندب الناس الى المثنى وكان فيمن ندب بجيلة ، وأمرهم الى جرير بن عبد الله لأنه الذي جمعهم من القبائل بعد أن كانوا متفرقين ، فسيره مددا للمثنى بالعراق ، فأبى البجليون الا الشام ، فعزم عمر على العراق وينقلهم ربيع الحس فأجابوا ، وكتب عمر الى أهل الردة فلم يأتهم أحد الا رمي به المثنى ، وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فتوافوا اليه حتى نصارى النمر ، وقالوا نقاتل مع قومنا ، وبلغ الخبر رستم ومن التف عليه فبعثوا مهران اليهم مداني الى الحيرة وسمع المثنى فكتب الى جرير وغيره ان يقصدوا العذيب مما يلي الكوفة فاجتمعوا هنالك ومهران قبالتهم عدوة الفرات ، وتركوا له العبور فاجاز

اليهم وسار اليه المثنى فى التعبئة وكان رمضان ، فأمر الناس بالانطار ليقووا على عدوهم فأفطروا وأقبل الفرس فى ثلاثة صفوف فى كل صف فيل ، فوقف المثنى على الرايات يحرض الناس فأعجلتهم فارس وخالطوهم وحمل المثنى على مهران فازاله عن مركزه ، وأصيب مسعود أخو المثنى وجماعة من أعيان المسلمين وخالط المثنى القلب حتى أفناه ، ووثبت الجنبات على الجنبات قبالتهم ، فانهزمت الفرس وقتل غلام نصرانى من تغلب مهران ، واستوى على فرسه ثم انتمى : أنا الغلام التغلبى أنا قتلت المرزبان ، وسبق المثنى الى الجسر وأخذ طريق الاعاجم عليهم فهربوا مصعدين ومنحدرين ، واستلحمتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجملوهم جنباً ، فما كان بين المسلمين والفرس وقمة أبقي رمة منها ، وأرسل المثنى الخيل فى طلب الاعاجم فغنموا وسبوا واستباحوا الفرس ومخروا السواد بينهم وبين دجلة لابلقون مانعاً .

فتوح أخرى

وخرج المثنى أيضاً من الحيرة وأغار على نواح كثيرة بالسواد ثم رجع الى الانبار فأتوه بالعلوفة والزاد ، وأخذ منهم ادلاء وسار بهم ليلاً فصبح سوق بغداد ووضع فيهم السيف وأخذ ما شاء الله من الذهب والفضة والجيد الحر من كل شىء ورجع الى الانبار - وبعد قليل أمر بالفارات على احياء من تغلب بصفين ففر من بها الى الجزيرة ، فمهر المثنى وراهم وفى الزاد الذى مع المثنى وأصحابه حتى أكلوا دوابهم الا

مالا بد منه حتى جلودها ، ثم دلهم أحد الخفراء على حى من تغلب ساروا
اليه يومهم وهجموا عليه فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية واستاقوا الاموال
فاشترى أسراهم من كان هنالك من ربيعة بنصيبهم من الفى واعتقوهم .
ولما سمع المشى أن جميع من يملك البلاد قد اتجمع شاطىء دجلة
خرج فى اتباعهم فادركهم بتكريث فغنم ماشاء وعاد الى الانبار ، وأرسل
من أغار على النمر وتغلب بصفين وتمكن رعب المسلمين من قلوب أهل
فارس وملك المسلمون ما بين الفرات ودجلة .

﴿ أخبار القادسية ﴾

لما دهم أهل فارس من المسلمين بالسودا مادهمم وهم مختلفون
اجتمع عظماءهم وقالوا لرستم ومثافسه الفيرزان . أما أن تجتمعا ، والا
فنعن لكما حرب ، فقد عرضتمونا للهلكة ، وما بعد بغداد الا المدائن
ففزعنا الى بوران يسألانها فى ولد من كسرى يوليانه عليهم فاحضرت
النساء والسراى وبسطوا عليهم العذاب حتى استدلوا على بزدرج
وكانت أمه قد هربته عند اخواله فاحضروه وكان ابن احدى وعشرين
فولوه الامر واجتمعوا عليه وانقطع النزاع والمنافسة وتبارى المرازبة
فى طاعته فعين المسالح والجنود لكل ثغر ومنها الحيرة والابلة والانبار
وخرجوا اليها من المدائن —

كتب المشى بذلك الى عمر ، وبينما هو ينظر الجواب انتفض اهل السواد
وكفروا من كان له عهد ومن لم يك له عهد ، فاضطر المشى الى أن يخرج
على حامية وينزل بذى قار ومعه الناس وكان شيئا من تلك الفتوح لم يكن .

ولما وصل كتاب المثنى الى عمر قال والله لأضربن ملوك العجم
بملوك العرب ، فلم بدع رئيسا ولا ذارأى وشرف وبسطة ، ولا خطيبا
ولا شاعرا الا رماهم به . وكتب الى المثنى بأمره بمخروج المسلمين من بين العجم
والفرق في المياه بحياهم على الحدود بين العرب والعجم وان يدعوا الفرسان
وأهل النجدات من ربيعة ومضر ويحضرهم طوعا وكرها - وكتب
الى عماله من العرب أن يبعثوا اليه من كانت له نجدة أو فرس أو سلاح
أورأى ، وخرج الى الحج سنة ١٣ ورجع فجاءته افواجهم الى المدينة ،
ومن كان الى العراق أقرب انضم الى المثنى .

فلما اجتمعت عند عمر أمداد العرب خرج من المدينة واستخلف
عليها عليا ، وعسكر بناحية من ضواحيها وانبههم أمره على الناس ، ولم
يطق أحد سؤاله فسأله عثمان ، فاحضر الناس واستشارهم في المسير الى
العراق ، فقال له العامة : سر ونحن معك ، فوافقهم ، ثم رجع الى أصحاب
النبي وأحضر عليا وطليحة والزبير وعبد الرحمن واستشارهم فأشاروا
بمقامه وأن يبعث واحدا بعده آخر من الصحابة ويرميه بالجنود حتى
يفتح الله على المسلمين ويهلك عدوهم ، فقبل ذلك ورأى فيه الصواب
وعين لذلك سعد بن أبي وقاص ، وكان على صدقات هوازن فأحضره
وولاه حرب العراق ، وأوصاه ثم سرحه في أربعة آلاف ممن اجتمع
اليه فيهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، ثم أمدته بعد خروجه بالقي
يماني والقي تجدي وسار سعد والمثنى ينتظر قدومه

فمات المثنى قبل ذلك من جراحه انتقضت عليه واستخلف على
الناس وأمر عمر بني أسد أن ينزلوا على حد أرضهم فنزلوا في الآ

آلاف ، ثم لحق الاشعث بن قيس سعدا في ألف وسبعمائة ، وانضم اليهم من انضم حتي كان جميع من شهد القادسية من المسلمين بضعة وثلاثين الفا ، ولم يك أحد أجراً علي أهل فارس من ربيعة .

ثم عفى سعد الكتاب ، وأمر الأحرار وسارت مقدمته حتي انتهت إلى العذيب ، أما هو فقد سار علي تعبئته ولقيده المعني بن حارثة وكان قد سار بعد موت أخيه إلي طليعة من طلائع الفرس بالقادسية فأوقع بها ورجع إلي سعد بعلمه برأي المثنى له وللمسلمين . يشير عليهم بأن يحاربوا العدو بين القادسية والعذيب ويأمرهم أن يقاتلوا الفرس علي حدود أرضهم ، علي أدنى حجر من أرض العرب ، ولا يقاتلوهم بعقر دارهم ، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ماوراءهم ، وإن كانت الأخرى رجعوا إلي فئة ، ثم يكونون أعلم بسبيلهم ، وأجراً علي أرضهم إلي أن يرد الله الكرة عليهم ، فترحم سعد ومن معه علي المثنى ، وجعل المعني علي عمله ، وأوصى بأهل بيته خيراً وتزوج سلمى زوج المثنى - ثم وصله كتاب عمر بمثل رأي المثنى ، فإزال علي تعبئته حتي وصل إلي العذيب ومنها إلي القادسية .

وهناك جاءه كتاب عمر يقول : اني اتى في روعي انكم اذا لقيتم العدو هزمتهم ، ثم أكد عليهم في الوفاء بالأمان ولو كان إشارة أو ملاءمة

﴿ أول ما كان من الحرب ﴾

كان زهرة بن عبد الله علي مقدمة سعد فبعث سرية في ثلاثين من أهل النجدة ، وأمرهم بالاغارة على الحيرة ، وبيناهم في الطريق اذا باخت

مرزبان الحيرة تزف الى بعلها، فحمل أمير السرية على ابن المرزبان فدق
صلبة، وحملوا الاثقال والفرس في ثلاثين امرأة ومائة من التوابع ومعهم
مالا يعرف قيمته، ورجعوا بكل ذلك الى سعد بالعذيب فقسمه في المسلمين
ولما نزل سعد القادسية اقام شهرا يشن الغارات ولا يأتيه خبر من
الفرس فاستغاث أهل السواد الى يزيد جرد وأعلموه أن العرب نزلوا
للقادسية وقد أخرجوا ما بينهم وبين الفرات ونهبوا الدواب والاطعمة،
وان ابطأنا الفياث أعطيناهم بأيدينا، فأرسل الى رستم ودفعه لهذا
الوجه فتقاعد عنه وقال ليس هذا من الرأي، وبعث الجيوش بعقب
بعضها بعضا أولى من مصادمة مرة، فأبى يزيد جرد الا مسيره لذلك،
فخرج رستم وهو كالمكره، وأرسل الى سعد يسأله توجيه بعض
أصحابه اليه (للتفاهم) فوجه المغيرة بن شعبه فقصد قصد سريره
ليجلس عليه ففنته الاساورة من ذلك، ثم تكلم رستم بكلام
كثير ثم قال: قد علمت انه لم يحملك على ما أتم فيه الا ضيق الماش
وشدة الجهد، ونحن نعطيكم ما تنبتون به ونصرفكم ببعض ما تنبتون،
فقال له المغيرة في حديثه ونحن ندعوك الى عبادة الله وحده والايمان
بنبيه فان فعات ولا سيف بيننا وبينكم، فتميز رستم غضبا ثم قال:
والشمس والقمر لا يرتفع الضحى غدا حتى تقتلكم اجمعين، نحو قول
المغيرة وانصرف وكان على فرس له مهزول، وعليه سيف معلوب
ملفوف عليه الخرق

﴿ دعوة كسرى الى الاسلام ﴾

وكتب سعد الى عمر بما كان من استعداد الفرس فكتب اليه
 لا يكربنك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ؛ واستعين بالله وتوكل عليه ،
 وابعث رجالا من أهل الرأي والجلد يدعون عظيم الفرس الى الاسلام .
 فوجه سعد نفرا منهم النعمان بن مقرن ، وقيس بن زرارة والاشعث
 ابن قيس ، وعمر بن معد يكرب ، والمغيرة بن شعبة ؛ والمغي بن حارسة ،
 فمروا برستم فأتى بهم ، فقال أين تريدون ؟ قالوا صاحبكم ، فجري بينهم
 كلام كثير حتى قالوا أن نبينا قد وعدنا أن تغلب على أرضكم ، فدعا
 بزنبيل من تراب فقال هذا لكم من أرضنا ، فقام عمرو مبادرا فبسط
 رداءه وأخذ من ذلك التراب فيه ، وانصرف فقبل له مادعاك الى ما صنعت ،
 فقال تفاعلت بأن أرضهم نصير اليها ونغلب عليها

ثم تركوا رستم وأتوا كسرى ، فلما أذن لهم قال لترجمانه : سلمهم
 ماجاء بكم وما أولكم بغزونا ، أمن أجل أنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟
 فتكلم النعمان وكان من حديثه : ونحن ندعوكم الى ديننا ، فإن أيتم فامر
 أهون من ذلك وهو الجزية ، فإن أيتم فالمناجزة

فقال يزدجرد : انى لا أعلم امة في الارض كانت اشقى ولا اقل
 عددا ولا اسوأ ذات بين منكم ، وقد كان اهل الضواحي يكفوننا
 أمركم ، فلا تطمعوا أن تقوموا للفرس ، فإن كان بكم جهد أعطيناكم ،
 وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم -

فقام قيس وقال ومن قوله : أما ما ذكرت من سوء الحال فهى على

ما وصفت وأشد ، ثم ذكر نحو ما ذكره النعمان وطلب احدي الثلاث
فغضب وأمرهم بالانصراف وقال لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم واستدعى
بوقر من تراب وقال املوه على اشرف هؤلاء ثم سوقوه حتي يخرج
من باب المدائن ، ارجعوا الى صاحبكم فاعلموه اني مرسل اليه رستم
حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ، ثم اورده بلادكم حتي
اشغلكم بانفسكم باشد مما نالكم من سابور ، فرجع القوم الي سعد وقالوا
له ابشر فوالله لقد اعطانا الله تراب ارضهم ،

(عود) - وفي خلال هذا كانت سرايا سعد لا تنقطع حتي أخصب

المسلمون من كثرة الغنائم

وتقدم رستم الى النجف وهناك رأى رؤيا أصبح منها حزينا
وكان منجما ، وسمع سعد بتقدمه فارسل طليحة الاسدي وعمرو بن
معد يكرب طليحة في عشرة ، فلم يسيرا الا قليلا فرأوا مسالحهم ،
فرجع عمرو ومن معه وأبى طليحة ومضى حتي دخل عسكر رستم
وبات فيه بجوسه ثم خرج فنذر به الناس فركبوا في طلبه فما زال يقتل
كل من لحقه حتي تمكن من أسر آخرهم ، ودخل على سعد به فاخبر
الاسير سعدا بالفرس وعددهم وأسلم ولزم طليحة وكان من أهل
البلاط بالقادسية .

ولما نزل رستم القادسية تلاحق به الناس حتي أعتموا من كثرتهم
والمسلمون ممسكون عنهم ولما أصبح ركب واشرف على بعض أمراء
السرايا من المسلمين وعرض اليه بالصالح على أن يجعل له جملا فقال
له أنا لم نأتكم لطلب الدنيا - فارسل الي سعد أن ابعث لنا رجلا نكلمه

وبكلمنا، فإرسل إليه ربيع بن عامر فاقبل على فرسه وسيفه في خرقه
ورمحه مشدود بعصب وقد ، واقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه فلم
يدع نرقا ولا بساطا الا أفسده وهتكه ، فلما قرب من رستم جلس
على الارض وركز رمحه على البسط ، ثم قال له ترجعان رستم ، ما جاء
يكم ؟ قال الله جاء بنا وهو بئسنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق
الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام وأرسلنا بدينه
الى خلقه فمن قبله قبلنا منه وتركناه وارضه ، ومن أبى قاتلناه حتى نفى
الى الجنة أو الظفر ، فسأله رستم أن أنظرونا ، فانظره ثلاثة ليختار
احدى ثلاث وأنا كفيل عن أصحابي فقال ، أسيدهم أنت ؟ قال لا
ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجيز أديانهم على أعلامهم
فخلا رستم برؤساء قومه فقالوا معاذ الله أن نميل لدين هذا الكلب فقال
ويحكم لا تنظروا الى الثياب ولكن أنظروا الى الرأي .

ولما كان الغد طلب رستم من سعد ذلك الرجل فبعث اليه حذيفة
ابن محصن فوقف على رستم راكبا ولم ينزل فسأله كما سأل الاول
فاجاب اجابته فقال والمواعده الى متى قال الى ثلاث من أمس وانصرف
وحاص رستم باصحابه يعجبهم من شأن القوم .

وفي الغد أرسل الي سعد فجاءه المغيرة بن شعبه وأقبل حتى جلس
مع رستم على سريريه فوثبوا عليه وأنزلوه فقال قد كانت تبلغنا عنكم
الاحلام ولا أرى قوما أسفه منكم ، انا معشر العرب لا نستعبد بعضنا
بعضا — ثم تكلم رستم فعظم من أمر فارس وسلطانهم وصغر من أمر
العرب ثم قال ولم يحملكم على ما صنعتهم الامايكم من الجهد - ولست أشتبهى

قتلكم - فقام المغيرة ورد عليه وذكر الاسلام أو الجزية أو القتال ثم قال ان عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم فقالوا لاصبر لنا عنه فقال رستم اذا تموتون دونها ، فقال المغيرة بدخل من قبشمل منا الجنة ومن قتل منكم النار فاستشاط رستم غضبا وحلف لا يرتفع الصبح غدا حتي تقتلكم اجمعين فانصرف المغيرة . وخلا رستم باهل فارس وعرض عليهم مصالحة القوم وحذرهم عاقبة حربهم فملجوا ، وبعث اليه سـعد يعرض عليه الاسلام ويرغبه فيه فلم يقبل . وقال أتعبرون الينا أم نعبركم فقالوا له بل اعبروا الينا ورجعوا الى سعد فدعا الناس الى الاستعداد

﴿ كيف التحمت الحرب ﴾

ثم ان علافة المسلمين لقيت خيلا للاعاجم فأغاثت الاعاجم خيلها وأغاث المسلمون علاقتهم فالتحمت الحرب بين الفريقين ودامت ثلاثة أيام وليـلة يقال لليوم الاول يوم أرماث ولليوم الثاني أغواث وللثالث عماس ، ولليلة ليلة الهرير

﴿ يوم أرماث ﴾

أقام الفرس جسرا أوسـدا على العتيق من الفرات وعبر رستم عليه وعبر عسكره ، وأخذ المسلمون مصافهم واختط سـعد قصره وكان به عرق النساء واصابته معه دمايل لا يستطيع معها الجلوس فصعد

على سطح القصر يشرف على الناس فعابه بعضهم فنزل واعتذر اليهم وأرأهم مابه فعذروه ، واستخلف خالد بن عرفة وحبس من شغب عليه في القصر وقيدهم ، وكان فيهم أبو محجن النقي حبسه لشربه الخمر ؛ ثم خطب الناس وحشهم على الجهاد وذلك في المحرم سنة ١٤ ، ثم أرسل جماعة من أهل الرأى لتحريض الناس على القتال ، مثل المغيرة وطلحة وعمرو ، ومن الشعراء الشماخ والحطيئة ففعلوا ، ثم قال انى مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا ، فاذا سمعتم الثانية فكبروا وأتموا عدتكم ، فاذا سمعتم الثالثة فكبروا ونشطوا الناس ، فاذا سمعتم الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لاحول ولا قوة الا بالله ، فلما كبر الثالثة برز أهل النجدات فأنشبوا القتال ، وخرج أمثالهم من الفرس فاعتوروا الطعن والضرب وارتجزوا الشعر ، وطلب البراز بمضى الاساورة فبرز اليه عمرو بن معديكرب فأخذه وجلده به الارض فذبحه وأخذ سواريه ومنطقته ، وحملت الفيلة عليهم فنفرت الخيل وفرقت بين الكتاب ، وقصدت الفرس بجيلة فكادت تهلك فأرسل سعد الى بنى أسدان دافعوا عن بجيلة ، فجاء طلحة وحمل بن مالك فردوا الفيلة وقتل كل منهما عظيما من عظماء الفرس ، وعير الاشعث كندة بما يفعله بنو أسد فاستشاطوا ونهذوا معه فأزالوا من بازائهم ، ثم حمل الفرس حملة واحدة فكبر سعد الرابعة فزحف المسلمون ورحا الحرب تدور على أسد ، فأرسل سعد الى عاصم بن عمرو التميمي هل من حيلة لهذه الفيلة فبعث الرماة يرشقونها بالنبل وبعث آخرين فقطعوا الوضن ، فاشتد عواء الفيلة وولت وقتل أصحابها ، ونفّس عن أسد وردوا فارس الى

موافقهم وظل القتال حتى غربت الشمس ودخل الليل ورجع هؤلاء .
وهؤلاء .

{ يوم أغواث }

وأصبح سعد فدفن القتلى وأسلم الجرحى الى نساء يقمن عليهم،
واذا بنواصى الخيل طالعة من الشام ، أرسلها أبو عبيدة بأمر عمر بعد
فتح اليرموك أو دمشق ، وعليهم هاشم بن عتبة كما أشرنا الى هذا فيما
سبق ، فخرج بهم هاشم وعلى مقدمته القعقاع الذى أسرع فوصل قبل
الجند فى الف فسلم وبشر ببقية جند العراق وحرص صحبه على القتال،
وطلب البراز فخرج اليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع فنادى بالشارات
أبى عبيدوسليط واصحاب الجسر ، وتضاربوا فقتله القعقاع ووهنت العجم
لذلك ثم طلب البراز فخرج اليه الفيرزان والبندوان فانضم الى القعقاع
أحد بنى تيم اللات وقتل كل منهما مبارزه ، وأكثر المسلمون القتل فى
الفرس ، ثم انه كان كلما طامت قطعة من أصحابه كبروا كبر المسلمون ، ويحمل
ويحملون وحمل بنوعم للقعقاع عشرة عشرة على ابل قد ألبسوها وهي
مجللة مبرقة واطافت بهم خيولهم تحميهم وأمرهم أن يحملوها على خيل
الفرس ففعلوا فنقرت منها خيل الفرس ، وركبتها خيل المسلمين ، ولقي
الفرس من الابل أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة ولما انتصف النهار
وتزاحف الناس اقتتلوا الى انتصاف الليل وقتلوا عامة أعلام فارس -
وجالت فيه خيل القلب فلولا أن خيلهم عادت أخذ رستم أخذاً .

﴿يوم عماس﴾

ثم أصبحوا في اليوم الثالث على مواقفهم ، وبين الصفين الفان من قتلى المسلمين وعشرة آلاف من قتلى المشركين فدفن المسلمون قتلاهم وأسلموا جراحهم الى النساء وبقي قتلى المشركين بين الصفين وبات القعقاع بعبي أصحابه فلما ذر قرن الشمس أقبل القعقاع وأصحابه فتقدموا ونكبت الكتائب واختلفوا الضرب والطعن ، والمدد متتابع فما جاء آخر اصحاب القعقاع حتى انتهى اليهم هاشم فعبى أصحابه وكان فيهم قيس بن المكشوح المرادى الذي اخترق الصفوف وأبلى بلاء حسنا ، واقبلت رجالة الفرس مع الفيلة يحمونها ، أن تقطع وضنها ، ومع الرجالة فرسان يحمونهم ، فلم تنفر خيل المسلمين منها كما نفرت بالامس . غير ان الفيلة من شدة الضرب ولت مدبرة فخلص المسلمون والفرس واجتلدوا حتى أمسوا وهم على السواء

﴿ليلة الهرب و قتل رستم﴾

أرسل سعد طليحة وعمر اليلة الهرب الى مخاضة أسفل العسكر ليقوما عليها خشية ان يأتيه القوم منها فتشاورا أن يخوضاها وبأتيا الاعاجم من خلفهم ، فجاء طليحة وراء العسكر وكبر فارتاع أهل فارس وطلبوا طليحة فلم يدركوه ، أما عمر فأغار أسفل المخاضة ورجع ثم تراحف الناس من غير اذن سعد زاحفهم القعقاع وقومه فحمل عليهم ثم حمل بنو أسد ثم النخع ثم بجيلة ثم كندة ، وسعد يقول في كل واحدة اللهم

اغفر لهم وانصرهم، ولحق الناس بمضاهيهم واختلطوا واصليل الحديد
كصوت القيون (جمع قين) الى الصباح وانقطعت الاخبار والاصوات
عن سعد ورستم، وحمل الناس من كل جهة على من يليهم وظل
القتال قائما الى الظهيرة، ثم هبت ريح عاصف فقلبت طيارة رستم
عن سريره فهوت في العتيق، وانتهى القمعاق ومن معه الى السرير
وقد قام رستم عنه فاستظل في ظل بغل وحملته، وضرب هلال بن
علفة الحمل فوق أحد المدلين على رستم فكسر ظهره، ففض رستم
نحو العتيق ورمى بنفسه فيه فاقتحم وراءه هلال وجره برجله وقتله
وصعد السرير وقال قتلت رستم ورب الكعبة الى الى فاطافوا به
وكبروا فانهزم قلب المشركين. وقام الجالينوس على السد ونادي
الفرس الى العبور فتهاقت المقترون بالسلاسل في العتيق من الفرات
فهلكوا، وأخذ ضرار بن الخطاب راية الفرس العظمى فعوض منها
ثلاثين ألفا. وقتل في ذلك اليوم من الاعاجم في المعركة غير من
قتلوا في اليوم كله، ومن قتلوا ليلة الهرب، وجمع من الاسلاب والاموال
ما لم يجمع قبله ولا بعده مثله - وأمر سعد بقتل المنهزمين فلاحق زهرة
ابن حيوة بالجالينوس فقتله وأخذ سلبه

وكان ممن هرب من أمراء الفرس الهرمزان وهو قاتل سيدنا
عمر وستأى له أخبار. ثم كتب سعد الى عمر بالفتح وبمن أصيب من
المسلمين، وكان عمر يسأل الركبان حين يصبح الى انتصاف النهار، ثم
يرجم الي أهله، فلما ألقى البشـير قال من أين ؟ فأخبره فقال : حدثني

فقال هزم الله المشركين وعمر يخب معه ويقول : يسأله والآخر يسير على ناقته لا يعرف عمر حتى دخل المدينة وإذا الناس عليه بأمره المؤمنين . فقال البشير هلا أخبرتي رحمك الله أنك أمير المؤمنين ! فقال عمر لا بأس عليك يا أخي

انتهت أخبار القادسية بانتصار المسلمين على الفرس بعد جهاد وجلاء ومصاهرة وبلاء من الطرفين لا يكاد يستوعبه وصف واصف ، وكانت العرب تتوقع وقعة العرب وأهل فارس بالقادسية فيما بين العذيب الى عدن ابن ، وفيما بين الابله وأيله ، يرون ان المسألة مسألة حيات أو موت ، والامر أمر ثبات ملك أو زواله ، وكانت كل البلدان مصيخة اليها تنظر ما يكون شأنها ، فلما انتهت بفوز المسلمين سارت بها الركبان الى جميع الآفاق واسرعت أخبارها اسراع البرق حتى لقد زعموا ان الجن سبقت بها أخبار الانس .

هذا وفي ثنابا أيام القادسية حصلت حوادث طريفة لا بأس بأن نذكر منها

(١) انه لما حال الناس يوم ارمات وكان سعد لا يطيق الجلوس جعل يتململ جزعا فوق القصر ، فلما رأت سلمى التي تزوجها (وهي امرأة المثني ما يصنع الفرس قالت وآمئتيه وآمئتي للخيال اليوم ، فلطم سعد وجهها وقال أين المثني من هذه الكئيبة التي تدور عليها الرحا يعنى بعض أهل البلاء ، فقالت أغيرة وجنبا . فقال والله لا يعذرني اليوم احد ان لم تعذرني وأنت ترين ما بي ، فتعلقها الناس لم يبق شاعر الا اعتمد بها عليه ، وكان غير جبان ولا ملوم .

(٢) انه لما اشتد القتال يوم أغواث كان أبو محجن الثقي قد حبس وقيد فهو في القصر ، فقال سلمى هـ ل لك ان تخلفين عني وتعريني اللقاء ، فله على ان سـ لمنى الله أن أرجع اليك حتى أضرم رجل في قيدي فابت فقال شعرا فرقت له سلمى وأطلقتها وأعطته اللقاء فرس سعد فركبها حتي كان بحيال الميمنة فكبر ثم حمل على ميسرة الفرس ثم رجع خلف المسلمين وحمل على ميمنة الفرس وكان يقصف الناس قصفا منكرا ، وتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ، وكان سعد يقول لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه اللقاء ، فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال أقبل أبو محجن فدخل القصر وعاد رجله في القيد وقال شعرا سمعته سلمى فلما أصبحت صالحت سعدا وكانت مغاضبة له فاطلقه وقال والله لاحبسك أبدا فقال له والله لاشربتها أبدا .

هذا والمعجب ان ينتصر العرب وهم فئة قليلة على الفرس وهم أهل العدد الكثير والعدد الوفيرة والاستعداد الوافي من الزاد والذخيرة وقرب الدار ، وسهولة الاستمداد . ولا عجب من أمر الله الذي يوفق أهل الحق حتى يصرعوا دعاة الباطل . كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » غير أن هنالك أسبابا للهزيمة لانكاد نخفي (١) ان رستم خرج الى الحرب كالملك كما علمت .

(٢) انه من أجل ذلك كان يماطل ويطاول خوفا وتقية حتى يقل من حدة قومه ؛ بل كان يخشى ان يلقي مآلي من قبله فجبن عن النزاع لولا ما جعل الملك يستعجله وينهضه فهو حينئذ مسوق الى الحرب

محبر لا راغب فيها مخبر .

(٣) انه كثيرا ما كان ينصح قواده وجنده بمصالحة العرب ويحذرهم عاقبة حربهم ، وكان يقول لهم بعد انصراف رسل المسلمين من عنده ابن هؤلاء منكم ، هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين — أطيعوني يا أهل فارس انى لأرى لله فيكم نقمة لا تستطيعون ردها — أى ان رستم كان مخذلا لا محرضا — وانما كان يجيب رسل المسلمين بالشدة دفعا للتهمة والا فالمشهور عنه الخوف من المسلمين ، وقد اظهر ذلك الى من يثق به .

(٤) ان رستم كان من المنجمين الذين يتفألون ويتشائمون حتى من أضغاث الاحلام ، ولقد رأى ليلة من الليالى كأن ملكا ينزل من السماء فأخذ قسى اصحابه فختم عليها ثم صعد الى السماء ، فاستيقظ مهموما ، واستدعى خاصته فقصها عليهم وقال ان الله ليعظنا لو اتعظنا ، وقد تشاءم جدا حينما أمر رسل المسلمين بحمل التراب من أرض فارس فحملوه . هذه نفسية القائد العام لجيش الفرس فهل ينتظر ان يضع تدييرا محكما ، وان يرسم خطة موفقة او يهجم بقلب يتوقد حمية وغيرة على اهله ووطنه وهو يرى أنه مهما صنع مهزوم .

وعليه فالسبب القوي في هزيمة الفرس يوم القادسية يرجع الى سوء القيادة العامة ، والله ولى المتقين .



﴿ ما بعد القادسية ﴾

أقام سعد بعد القادسية شهرين ثم كتب إليه عمر بالمسير إلى المدائن فسار إلى جهة بابل وهزم فلول الفرس المجتمعين إليه في نواح مختلفة، وفر الهرمزان نحو الأهواز فاستولى عليها، والفيروزان نحو نهاوند فاستولى عليها مما بدل على أن البلاد أصبحت في فوضى وكل من غلب على ناحية فهو ملكها

﴿ فتح المدائن الدنيا ﴾

ثم قدم سعد مقدماه إلى بهر سير وهي المدينة العتيقة وهي المدائن الدنيا من الغرب، ثم وصل سعد إليها والمسلمون فرأوا الأيوان فقال بعضهم الله أكبر، أبيض كسري هذا ما وعد الله ورسوله، ثم حاصروها، وفي خلال ذلك أغاروا على من ليس له عهد، ودعا سعد الدهاقين إلى الإسلام أو الجزية ولهم الذمة والمنعة فتراجموا على الجزاء والمنعة، ولم يبق غربي دجلة إلى أرض العرب سوا ديال آمن وأغبط بملك الإسلام وما زال المسلمون يحاصرون بهر سير ويرمون أهلها بالحجارة ويقاثلونهم بكل عدة حتى ضاقوا ذرعا فقطعوا دجلة إلى المدائن الشرقية، فنهد المسلمون إلى المدينة فما وجدوا فيها شيئا ولا أحدا

﴿ فتح مدائن الأيوان ﴾

أقام المسلمون أياما بهر سير ودجلة في فيض عظيم تقذف بالزبد إلى أن جاء عالج فقال لسعد ما يقيمك؟ لأناني عليك ثلثه حتى يذهب يزدجرد

بكل شئ في المدائن ، فهبجه ذلك على العبور ، فجمع الناس وقال قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم ، ، فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل ، فقال من يبدأ فانتدب له عاصم بن عمرو وفي ستمائة من أهل النجدة فتقدمهم عاصم في ستين فارسا جعلهم على خيل ذكور وأنات ، ثم اقتحموا دجلة وتلاحق الستمائة بالسنتين غير متعمين ، فأذن سعد للناس بالاقترحام فاقتحموا وتلاحقوا في دجلة وأنهم لم يتحدثون كما يتحدثون في البر ، ولم يفرق احد غير ان باربعيا زال عن ظهر فرسه فأخذ بيده القعقاع فاخرجه سالما

أما الفرس فقد أتاها أمر لم يكن في حسابهم ، فخرجوا هاربين نحو حلوان ، وكان يزدد قد قدم عياله وما قدر عليه من خير متاعه وخفيفه ، وتركوا ما لا يدري له قيمة ؛ وكانوا أعدوا للحصار من البقر والغنم والاطعمة ، وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف - فكان أول من دخل المدائن كتيبة عاصم ، ثم كتيبة القعقاع ، فأخذوا في سككها لا يخشون فيها أحدا يلقونه الا من كان في القصر الأبيض ، فأحاطوا بهم ودعوم فاستجابوا لهم على تأدية الجزية والقدمة ، فتراجع اليهم أهل المدائن على مثل عهدهم الا آل كسرى ومن خرج منهم ونزل سعد القصر الأبيض ، وكان سلمان الفارسي رائد المسلمين وداعيتهم وانغذ سعد ابوان كسرى مصلى ولم يغير مافية من التماثيل ، ولما دخل قرأ : « كم تركوا من جنات وعيون ، الى آخر الآيات ، وكان أهل المدائن قد نهبوا وفروا ، ولكن المسلمين قطعوا عليهم الطرق فما فلت احد منهم بشئ الا أدركه الطلب ، ومن أخص فلك ما كان من

ان جماعة من المسلمين أدركوا نفرًا من الفرس على جسر النهر وان ،
فوقع لهم بغل في الماء فمجلوا عليه واكلوا ، فجالدم المسلمون عليه
فأخذوه وفيه حيلة كسرى ثيابه وخرزانه ووشاحه ودرعه التي فيها
الجواهر ، وكان يجلس فيها للمباهاة ، ثم أخذ آخرون بغلين آخرين
فاذا فوق احدهما سفطان فيهما ناج كسرى مرصعا وفيه الجوهر ،
وعلى الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى - وأدرك القمعاق فارسيا
فقتله وأخذ منه عيبتين فيها أدرع منها درع كسرى ودرع هرقل
ودرع خاقان وغيره استلبها الفرس في غزوهم ، ومع العيبتين غلافان
فيهما ستة أسياف من سيوف كسرى وهرمز والنعمان وهرقل وخاقان
وغيره ، فاحضر الجميع عند سعد فخيره فاختار سيف هرقل ، وبعث
بسيف كسرى وسيف النعمان الى عمر لتسمع العرب بذلك لمعرفتهم
بها ، ونقل الباقي في كتيبة القمعاق - وهكذا كل من أدرك شيئا
أتى به الى صاحب الاقباض حتى قال سعيد . لولا ما سبق لاهل بدر
لقلت انهم على فضل أهل بدر .

فلما جمعت الغنائم قسم سعد الفء بين الناس بعد ماخسه ، وأرسل في
الخمس كل شيء أراد أن يعجب منه العرب وأراد اخراج الخمس من
القطيف وهو بهار كسرى فلم تعتدل قسمته ، فقال للمسلمين هل تطيب
أنفسكم عن أربعة أخماسه ؟ فرضوا فبعث به الى عمر يضعه حيث يشاء .
والقطيف بساط واحد طوله ستون ذراعا في مثلها مقدار جريب ، كانت
الأكاسرة تعدده للشتاء اذا ذهب الرياحين شربوا عليه فكانهم في رياض
فيه طرق كالصير ، وفيه فصوص كالأنهار أرضها مذهبة وخلال ذلك

فصوص كالدر ، وفي حافاته كالارض المزروعة والارض المبجلة بالنبات
في الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب ، وزهرة الذهب والفضة
وثمره الجواهر وأشياء ذلك .

فلما قدمت الاحماس على عمر ثقل منها من غاب ومن شهد من
أهل البلاء ، ثم قسم الخمس في مواضعه ، وقال اشيروا على في هذا القطيف
فاشار عليه على بتقطيعه بين الناس فقطعه فاصاب عليا قطعة منه باعها
بعشرين الفا وماهى باجود قطعة .

﴿ فتح جلولاء وحلوان ﴾

لما انتهى الفرس بعد الهرب من المدائن الى جلولاء وافتقرت الطرق
بأهل أذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس ، أراد أهل كل جهة أن
يقصدوا الى بلادهم للدفاع عنها ، فتزامروا وقالوا لو افترقنا لم نجتمع
أبدانم اتفقوا على أن يجتمعوا للعرب في جلولاء ، فاحتفروا خندقا
واجتمعوا فيه وتقدم بزدجرد الى حلون فنزلوا بها ورماهم بالرجال
وخلف فيهم الاموال فاقاموا وأحاطوا خندقهم بحسك الحديد الاطرقهم
فاستشار سعد الخليفة فاشار عليه ان يقدم وان يسرح هاشم ابن اخيه
عتبة الى جلولاء وان يجعل على مقدمته القعقاع ، ففعل وسار هاشم
من المدائن في اثني عشر الفا منهم وجوه الانصار والمهاجرين واعلام العرب
ممن كان قد ارتد ومن لم يرتد ، فحاصروهم في خنادقهم ، واحاط
بهم وطاولهم الفرس وزاحفهم المسلمون ثمانين يوما ، ثم خرج الفرس
آخر الايام فقتل المسلمون منهم أكثر من ليلة الهرب الا انه كان

أعجل، رهبت عليهم ربح أظلم بها الجو فسقطت فرسانهم في الخندق
ففسد كحصن، وعلم المسلمون فحملوا عليهم ففروا بمنة وبسرة وهلكوا
فيما أعدوا من الحسك، وعقرت دوابهم فمادوا رجالة واتبعهم المسلمون
فلم يفلت منهم الا من لا يد، وجلت القتلى ميدان القتال، ولذلك
سميت جلولا، الواقعة بما جلاها من قتلاهم، وسار القعقاع في طلبهم
حتى بلغ خانقين

أما يزدجرد فقد فر من حلوان نحو الري، وقدم القعقاع فنزلها
من بعده، وبقي بها الى ان تحول سعد الى الكوفة، وكتبوا الى الخليفة
بافتح وبنزول القعقاع حلوان، وأرسلوا الخمس اليه فقسمه من ليلته

﴿ فتح تكريت والموصل ﴾

وتجمع بتكريت بعض الروم وايد وتغلب والنمو فبلغ سعد ذلك
فكتب الى الخليفة فكتب اليه بحربهم فوجه اليهم جيشا عليه عبد الله
ابن المعتز فحاصرهم أربعين يوما، ثم أرسل الى العرب المناصرين للروم
يدعوهم الى نصرته فقبلوا، وما هو الا أن جنده الروم فروا وتركوا
أمرأهم في فئة الخنادق فأرسل العرب اليه بالخبر وسأله الامان
واعلموه انهم معه واسلموا، فتقدم المسلمون الى خنادق الروم وكبروا
فأخذ العرب الذين أسلموا أبواب الخندق عليهم فلما أراد الروم الفرار
أخذتهم السيوف فلم يفلت منهم أحد، ثم تقدم المسلمون الى الموصل
فصالحهم أهلها وصارت جميع أعمال الموصل للمسلمين

غزو فارس من البحرين

كان العلاء بن الحضرمي وهو بالبحرين قد أراد ان يؤثر في
الفرس شيئا ، لان ظفر سعد بالقادسية أعظم مما صنعه العلاء بالبحرين
فغضب الناس الى فارس فأجابوه وفرقهم أجنادا فمبروا البحر الى
فارس بغير اذن من عمر ، فخرجت الجنود الى اصطخر فحال الفرس بينهم
وبين سفنهم فقاتل المسلمون مستميتين حتى قتلوا من الفرس مقتلة
عظيمة ، وانجھوا نحو البصرة طلبا للنجاة فأخذ الفرس عليهم الطرق
فمسكروا وامتنعوا ، ولكن الخليفة تداركهم فارسل الى عتبة بن
غزوان وهو بالبصرة ان ينقذهم ، فارسل عتبة اثني عشر ألف مقاتل
فادركوا المسلمين والفرس قد ندعوا اليهم من كل جهة فاقتتلوا وانهمز
المشركون وقتلوا وعاد المسلمون بالغنائم الى البصرة ولولا انهم تدوركو
لبادوا عن آخرهم ، وتلك من غاطات العلاء ولذلك صرفه الخليفة

{ فتح الاهواز والسوس }

اشرنا فيما سبق الى أن الهرمزان لما انهزم يوم القادسية قصد
خورستان وقاعدتها الاهواز فملكها ، وكان أصله من البيوتات السبعة في
فارس ، ثم أقام بغير على ثغور البصرة فاستمد عتبة سعد فأمدته والتقى
المسلمون بالهرمزان فانهزم وفر ، ثم طلب الصلح على أن تكون له نواح
عينها فأجيب ، ثم حصل بينه وبين المسلمين خلاف على الحدود فنقض

ومنع ماقبله وكشف جنوده ، فبعث اليه عتبة جيشا وهزمه ففر وطلب
 الصلح على مابقى من البلاد ، وكان يزدرج في خلال ذلك يمدده ويحرض
 أهل فارس حتى اجتمعوا له ، فارسل سعد النعمان بن مُقَرَّن في جند
 كثيف نزلوا منازل الهرمزان ، فلما بلغ الهرمزان مسير النعمان اليه
 بادره بالشدة ولقيه ولكنه انهزم الى تستر ، ثم سار أبو موسى الأشعري
 في جند البصرة فاتى تستر ولحقه بها النعمان فحاصروا الفرس بها أشهرا
 واكثرها فيهم القتل ، وزاحفوم ثمانين زحفا حتى انهزموا ، واقتحم
 المسلمون خنادقهم واحاطوا بها وضيقوا عليهم الحصار ، فاستأمن بعضهم
 من داخل البلد بمكتوب في سهم على أن يدهم على مدخل يدخلون
 منه فاجابوه ، ودخلت طائفة من المسلمين المدينة من ذلك المدخل يدلالة
 هذا المستأمن وملكوها وقتلوا المقاتلة ، ونحصرن الهرمزان بالقلعة
 فاطافوا به واستنزلوه على حكم عمر ، فنزل فاوثقوه واقتسموا الفى
 وأرسل أبو سبرة بن رهم : وكان على الجند الهرمزان الى عمر في وفد
 منهم أنس بن مالك والاحنف بن قيس فقدموا به المدينة والبسوه
 كسوته من الديباج المذهب وتاجه مرصعا بالياقوت وحليته ليراه
 المسلمون فلما رآه عمر أمر بنزع ما عليه وقال يا هرمان كيف رأيت
 أمر الله وعاقبة الغدر ؟ فقال يا عمر أنا واياكم في الجاهلية كان الله قد
 خلى بيننا وبينكم فغلبناكم ، فلما صار الآن معكم غلبتمونا قال فما حجتك
 وما عذرک في الانتقاض مرة بعد أخرى ، قال أخاف أن تقتلنى قبل
 أن أخبرك قال لا تخف ذلك ، ثم استسقى فأتى بالماء فقال انى أخاف
 أن أقتل وأنا أشرب ، فقال لا بأس عليك حتى تشربه ، فألقاه من يده

وقال لا حاجة لي في الماء وقد أمنتني ، قال كذبت ، قال أنس صدق بأمر المؤمنين فقد قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني وحتى تشربه ، وصدق الناس فأقبل عمر على الهرمزان وقال خدعتني لا والله إلا أن أسلم فأسلم ففرض له وأثر له المدينة .

﴿ مسير المسلمين الى الفتح في فارس ﴾

ولما جاء الأحنف بن قيس بالهرمزان الى عمر قال له يا أمير المؤمنين لا يزال أهل فارس يقاتلون مادام ملكهم فيهم فلو أذنت بالانسياب في في بلادهم فازلت ملكهم انقطع رجائهم ، فعقد سبعة الوية (١) لواء خراسان للأحنف (٢) لواء أردشير خرد وسابور لجاشع السلمي (٣) لواء اصطخر لثمان بن أبي العاصي الثقفي (٤) لواء فساو داريجرد لسارية الكنانى (٥) لواء كرمان لسهيل بن عدي (٦) لواء سجستان لعاصم بن عمرو (٧) لواء مكران للحكم التغلبي فساروا في بلاد العجم وفتحوا ولم ينهزم لهم جند جميعا

﴿ أين يزدجرد ؟ ﴾

قدمنا ان يزدجرد كان قد أجفل من حلوان الى الري ، ثم انه بعد ذلك سار الى اصبهان ومعه الناس ثم الى كرمان ، ثم قطع الى مرو وبخراسان فنزلها وامن العرب ، وكاتب الهرمزان واهل فارس بالاهواز والغيرزان واهل الجبال فنكثوا جميعا ثم هزمهم الله وخذلهم على ما رأيت وما ستري .

﴿ نهاوند وما بعدها ﴾

لما فتحت الاهواز كان يزدجرد يبرو ، فكاتبوه واستنجدوه ، فبعث الى الملوك ما بين السند وخراسان وحلوان يستمدهم فاجابوه واجتمعوا الى نهاوند وعلى الفرس الفيرزان في مائة وخمسين الفا - فلما سمع عمر بنخبر الأعاجم جمع الناس واستشارهم ان يسير بنفسه فاتفق رأيهم على ان يبعث الجنود و يقيم رداء لهم ، فولى على الحرب النعمان بن مقرن المزني ، وكان على جند الكوفة ، وامره ان يسير الى الفيرزان وكتب الى الذين بالاهواز ان يقيموا بتخوم اصبهان وفارس ، ويقطعوا المدد عن أهل نهاوند - ثم اجتمع الناس على النعمان فارسل طليحة وعمرو بن معد يكرب طليعة فانهى الأول الى نهاوند ، وعاد فاخبر الناس بما رأي ، فرحل النعمان وعبي المسلمين وجعل على المقدمة نعيم بن مقرن ، أما الفرس فقد توافي اليهم كل من غاب عن القادسية من أبطالهم فلما تراءى الجمعان كبر المسلمون وحطت العرب الاثقال ، ثم تراحفوا للقتال يومين والحرب سجال ، ثم احجزوهم في خنادقهم في اليوم الثالث وحاصروهم أياما حتى سئم المسلمون اعتصامهم بالخنادق وتشاوروا ، فإشار طليحة باستخراجهم للمناجزة بالاستطراد فناشبههم القمعاق ثم أظهر الهزيمة فبرزوا اليه من خنادقهم كأنهم حبال حديد قد توائقوا الا يفروا ، والقوا احسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا ، فالتطرد القمعاق لهم حتى فارقوا الخنادق ، فانقض عليهم المسلمون وثبتوا وصبروا فانقض الأعاجم وانهزموا

في كتابه الاصحاح السابع والعشرون

درم التفتيح محمد خير الدين المدرس بدار العلوم



وقتلوا حتى سالت الدماء وصيرت الأرض مزالقة زلق النعمان فيها
 وصرع فسجاء أخوه نعيم بثوب وتواصوا بكتمان موته ، وذهب الاعاجم
 ليلا وعميت عليهم المذاهب ، وعقرهم حسك الحديد ، ووقفوا في اللهب
 الذي أعدوه في عسكرهم ، فمات منهم الف ودخل المسلمون نهاوند
 يوم الواقعة وغنموا ما فيها وجمعوه الى صاحب الاقباض ، وفر الفيرزان
 الى همدان في الفلول فاتبعه نعيم فقتله قبل أن يدخلها ثم حاصر همدان
 حتى صالح صاحبها على الجزية واقتدى بهم أهل تلك النواحي ، ثم صار
 نعيم الى الري فأبى ملكها الصلح واستمد أهل النواحي ولكنه انهزم ،
 وأفاء الله على المسلمين بالري مثل ما كان بالمداين وتولى الصلح بالري
 عن أهلها عظيم منهم

ثم فتح المسلمون بعد ذلك أذربيجان والباب وجهات أرمينية الأخرى .

{ فتح خراسان }

لما عقدت الألوية للأمراء الانسياح في بلاد فارس كان الاحنف
 بن قيس منهم خراسان ، سار اليها من طريق الطبسين وافتتح هراة ،
 ثم سار الى مرو الشاهجان ففر يزدجرد منها الى مرو الروز فملكها
 الاحنف وهنالك لحقه مائة أهل الكوفة فسار الى مرو الروز وجعل
 الكوفيين في مقدمته ، فالتقوا هم ويزدجرد على بلخ فهزموه فغير
 النهر ولحقهم الاحنف وقد فتح الله عليهم ، ودخل عامة أهل خراسان
 في الصلح ما بين نيسابور وطخارستان وكتب الى الخليفة بالفتح
 فكتب اليه ان يقتصر على مادون النهر

وكان يزدجرد وهو يبرو الروز قد استنجد ملوك الامم ، فلما عبر
 مهزوما أنجده خاقان ملك الترك ، وأهل فرغانة والصغد ، فرجع
 يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزلا بلخ فجلا المسلمون عنها الى الاحنف
 بمرور الروز وتقدم المشركون اليه فأقام المسلمون يقاتلونهم أياما ،
 وصحبهم الاحنف ليلة وقد خرج فارس من الترك يضرب بطبله
 ومعه اثنان كذلك ثم يخرج العسكر بعدهم ونلك لهم عادة فقتلهم
 الاحنف فلما مر بهم خاقان تطير وتشاءم فرجع أدراجه وارتمى الى
 عائدا الى بلخ ، وبلغ الخبر يزدجرد وكان على سرور الشاهجان فجمع
 خزائنه واجمع اللاحق بخاقان على بلخ ، فمنعه أهل فارس ، وحملوه
 على صلح المسلمين والركون اليهم وانهم أوفى ذمة من الترك فأبى
 وقتلهم فهزموه واستولوا على الخزائن ، ولحق بخاقان وعبر النهر الى
 فرغانة فأقام يزدجرد ببلد الترك أيام عمرها ، ثم جاء أهل فارس الى
 الاحنف ودفعوا اليه الخزائن والاموال وصالحوه واغتبطوا بملكة المسلمين
 ثم نزل الاحنف بلخ فانزل أهل الكوفة في كورها ثم رجع الى
 سرور الروز ، وكتب الى الخليفة بالفتح فخطب الناس وقال

الاوان ملك المجوسية قد ذهب فلبسوا يملكون من بلادهم شبرا
 يضربهم اسم الاوان الله قد أوردكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم
 لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيسيتبدل الله بكم غيركم فاني لا أخاف
 علي هذه الامة أن تؤتى الامن قبلكم .

وهكذا كان شأن بقية الاسراء في أرض فارس حتى استوعبوها

وصارت للمسلمين

وقد اقتصرنا على لواء الاخنف بخرسان اكتفاء بأنه أشبه شيء
بنموذج لبقية الألوية

(عود الى الشام)

علمنا أنه بعد فتح فحل سار أبو عبيدة و خالد نحو حص — وبلغ
هرقل فبعث جيشا نزل غربى دمشق برج الروم ، وسارت سرية من
لده تطلب دمشق فاستقبلها يزيد ، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون فاخذهم
من خلفهم فلم يفلت منهم الا الشريد ، أما أبو عبيدة فقتل من بقي
بالمرج قتلا ذريعا ، وفر من فر منهم الى حص وتبعهم المسلمون ، فلما
علم هرقل بمسيرهم سار الى الرها ، ثم سلك أبو عبيدة طريق بعلبك
خاصر أهلها حتى طلبوا الأمان ، فسار عنهم الى حص ومعه خالد فخاربه
أهلها وما زال يقاتلهم ويشدد عليهم حتى خرجوا فطلبوا الصلح على
مثل صلح دمشق فاجابهم .

ثم استخلف على حص عبادة بن الصامت وسار الى حماة فتلقاه
أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية لرؤسهم والحراج على أرضهم ، ثم
سار الى شيزر والمعة فاذعن أهلها له بالصلح أيضا — وسار نحو
اللاذقية فقاتله أهلها وكان لها باب عظيم يفتحه جمع من الناس ،
فمسكروا المسلمون على بعد منها ، ثم حفروا حفائر عظيمة تستر الحفرة
منها الفارس راكبا ، فلما جن الليل استنروا فيها ، وأصبح أهل اللاذقية
وهم يرون أن المسلمين قد انصرفوا عنهم ، فأخرجوا سرحتهم وانتشروا
بظاهر البلد فلم يرعهم الا المسلمون بهيكون بهم فدخلوا معهم المدينة

وملكوها عنوة

ثم أرسل أبو عبيدة خالد إلى قنسر بن فزحف إليه ميناس (اعظم عظماء الروم بعد هرقل) فقتل، وسار خالد إلى هذه المدينة فتحصنوا منه، ثم نظروا في أمرهم ورأوا ما لقي أهل حمص فطلبوا الصلح فأبى خالد إلا على إخراج المدينة فأخربها.

ولما سمع هرقل أدب نحو القسطنطينية وعلا على نشرهم التفت إلى الشام وقال سلام عليك يا سورية سلاما لا اجتماع بعده ثم سار فدخل القسطنطينية.

ولما فرغ أبو عبيدة من أمر قنسر بن سار إلى حلب فصالح في طريقه أصنافا للعرب على الجزية ثم وصل إلى حلب فتحصن أهلها وحاصروهم المسلمون فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدنيتهم فأعطوا ذلك.

ثم سار إلى انطاكية فحاصرها من جميع نواحيها حتى صالحوا على الجلاء أو الجزية فجلا بعض وأقام بعض فأمّنهم.

ثم سار أبو عبيدة إلى منبج وعلى مقدمته عياض فلحقه وقصد صالحه أهلها على مثل صلح انطاكية، وسير عياضا إلى دلوك وما يليها فصالح أهلها على مثل صلح منبج واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بخبر الروم.

وهكذا تم للمسلمين الاستيلاء على الشام من هذه الناحية إلى الفرات سنة ١٤ إلى جبال طوروس، وعاد أبو عبيدة إلى فلسطين.

وفي هذه السنة أرسل يزيد أخاه معاوية إلى قيسارية بأمر الخليفة

فاستمات أهلها في الدفاع عنها حتى قتل منهم مائة ألف ولكنه قتها
وكان عمرو وشرحيل قد نزلا على أهل ييسان فافتتعاها

وقعة أجنادين

نزل الارطبون ومن معه (وكان أدهى الروم وأبعدا غورا)
أجنادين ووضع بالرملة وبإبلياء جندا عظيما ، فسار اليه عمرو وشرحيل
وكتب عمرو الى عمر بالخبر فقال : قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب
فانظروا عم تنفرج ، وكان من تدبير عمرو أن شغل أهل إبلياء وشغل
من بالرملة بجند ، وشغل معاوية أهل قيسارية بجند ، فاصبح أهل
أجنادين لا مدد لهم ، وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر منها على شيء ،
ثم حاول حتى دخل على الارطبون كرسل ليتعرف أحواله ، ففرقه
الارطبون ولكنه تخلص منه بخدعة ، ثم اقتتلوا كقتال اليرموك حتى
كثرت القتلى بينهم وفرأرطبون الى إبلياء ونزل عمرو أجنادين .

(فتح بيت المقدس)

لما دخل ارطبون إبلياء فتح عمرو نابلس وإفا وغزة وبيت
جبرين ، ثم أرسل اليه ارطبون يهدده بأنه لن يفتح من فلسطين شيئا
بعد أجنادين ونصح له بأن يرجع ولا يفتزلثلا بهزم ثم تقدم ابو عبيدة
فحصر بيت المقدس فطلب اهله منه ان يصالحهم على صلح أهل مدن
الشام وان يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب فكان هذا سبب
قدوم الخليفة العام — وقال ان عمرو بن العاص كتب اليه : اني

أعالج عدواً شديداً وبلاذاً قد ادخرت لك فراياًك .

أما الخليفة فقد سار حتى قدم الجابية على فرس وكتب لامراء الاجناد أن يوافوه بها ، فكان أول من لقيه يزيد وأبو عبيدة ، ثم خالد ، على الخيول وعليهم الدباج والحريز ، فنزل فأخذ الحجارة ورمم بها وقال أيلى تستقبلون بهذا الزى ؟ فقالوا له انها بلامقسة (أقبية) وان علينا السلاح ، قال فنعم اذن ، وركب حتى دخل الجابية وعمرو وشرحيل كأنهما لم يتحركا من مكانها وفى الجابية وافاء أهل أيلياء وخيراها فصالحهم على الجزيرة وفتحوها له ، أما أرطبون فقد فر الى مصر هو ومن أبى الصلح من الروم ، ثم سار عمر من الجابية الى بيت المقدس فركب فرسه فرأى به عرجاً فنزل عنه وأتى برذون فركبه فجعل يتجامل به فنزل وضرب وجهه وقال لأعلم من علمك هذه الخيلاء ، ثم لم يركب برذونا بعده ودخل أيلياء وتم فتحها على يديه .

فتح الجزيرة وأرمينية

كان أهل الجزيرة قد راسلوا هرقل وأغروه بالشام وواعدوه الممدد فاعتزم هرقل على قصد حمص ، وعلم أبو عبيدة فضم اليه مسالحه وعسكر بقناثها ، وأقبل اليه خالد من قيسرين وكتب الى عمر بنخبر هرقل فكتب الى سعد أن أندب الناس مع القمقاع بن عمرو ، وسرحهم من يومهم فان أباً عبيدة قد أحيط به ، وسرح سهيل بن عدى الى الرقة فان أهل الجزيرة هم الذين استدعوا الروم الى حمص ، وسرح عبدالله بن عتبان الى نصيبين ثم بقصد حران والرها ، وسرح الوليد بن عقبة الى عرب

الجزيرة من ربيعة وتتموخ ، وان يكون عياض بن غنم على أمراء الجزيرة هؤلاء . ان كانت حرب — فمضى القعقاع الى حمص ، وسار عياض وأمراء الجزيرة كل أمير الى كوربة ، وخرج الخليفة من المدينة فأتى الجالية يريد حمص مغيثا لابی عبيدة .

فلما سمع أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم وكانوا معهم بمحمص خبر الجنود الاسلامية ، فارقوا هرقل وتفرقوا الى بلادهم ، وزحف أبو عبيدة فهزم الروم ، وقدم القعقاع بعد ذلك بثلاث فكتبوا الى الخليفة بالفتح ووصول المدد فكتب اليهم أن اشركوهم فانهم نفرروا اليكم .

وسار عياض الى الجزيرة وسير سهيلا الى الرقة فحاصره حتى صالحوا وصاروا ذمة وكذلك صنع أهل نصيبين مع ابن عتيان ، ثم ضمهما اليه وسار بالناس الى حران فاجابه أهلها الى الجزيرة وكذلك فعل أهل الرها وخرج الوليد فقدم على عرب الجزيرة فنهضوا معه الا أياد بن زار فانهم دخلوا أرض الروم ، فكتب الخليفة الى هرقل : لتخرجهم أولئخرجن النصراني اليك فأخرجهم وكان في تغلب عز وامتناع ولا يزالون ينازعون الوليد ولم يقبل منهم الا الاسلام فكتب اليه الخليفة : انما ذلك يجزيرة العرب ، فدعهم على الا ينصروا وليدا ولا يمنعوا احدا من الاسلام ثم عزل الوليد عنهم لسطوته .

هكذا كمل فتح الجزيرة وكانت أسهل البلدان فتعاه — وقد ذكروا أن عياضا بعد أن فتح الرها دخل الدرب فاجازه الى بدليس وبلغ خلاط فصالحه بطريقها واتى الى العين الحامضة من ارمينية ثم عاد الى الرقة ومضى الى حمص فمات بها .

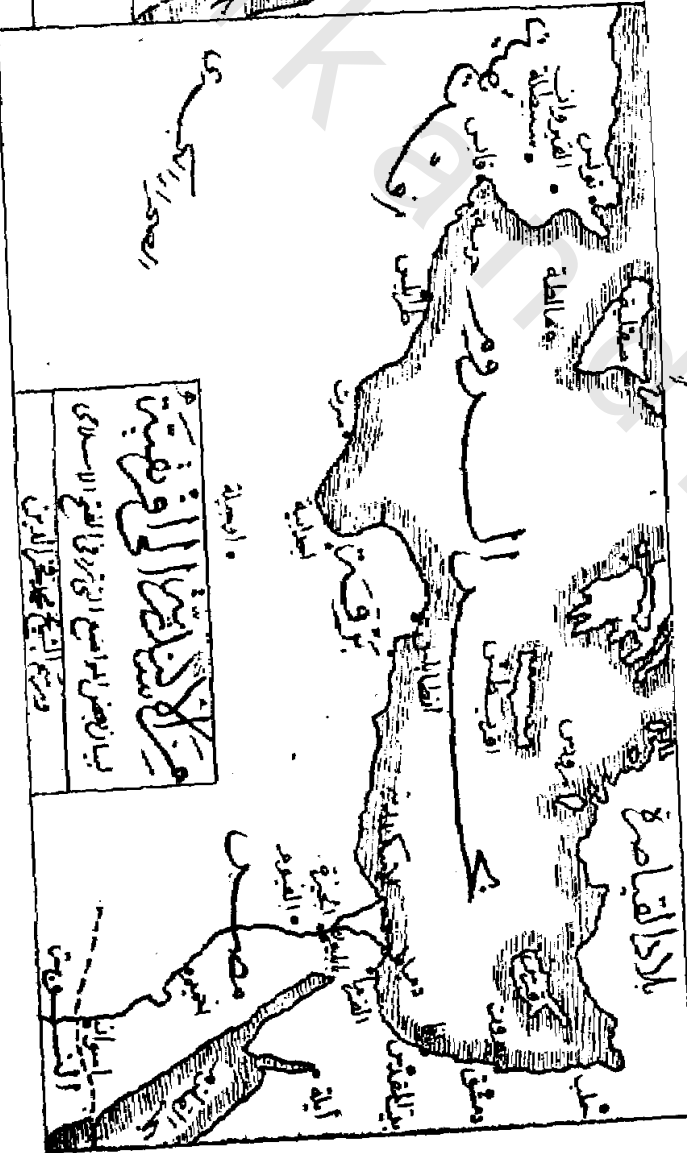
سورة الروم والاحزاب



في هذه السورة
مكية



سورة الاحزاب



سورة الاحزاب
مكية

﴿ فتح مصر ﴾

جاء في فتح مصر روايات شتى اخترت منها الرواية الآتية ما خلاصة:
لما قدم عمر بن الخطاب الجالية قام اليه عمرو بن العاص فخلا به وقال
يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أسير الى مصر وحرضه عليها وقال انك ان
فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم ، وهى أكثر الارض أموالا وأعجزها
عن القتال والحرب - فتخوف عمر على المسلمين وكره ذلك فلم يزل
عمرو يعظم أمرها عنده ، ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن
اليه عمر ، وعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك ، وقال له سر
وأنا مستخير الله في مسيرك ، وسيأتيك كتابي سريعا فان أدركك كتابي
أمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها - أو شيئا من أرضها
فانصرف ، وان أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فاهض لوجهك واستعن
بالله واستغفره . فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشرب به أحد
واستخار عمر الله فكان أنه تخوف على المسلمين في وجههم ذلك
فكتب الى عمرو يأمره أن ينصرف بمن معه من المسلمين فادرکه الكتاب
وهو برفح ، فتخوف ان هو أخذه وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما
عهد اليه عمر ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ، ودافعه وسار كما هو
حتى نزل قرية فيمابين رفح والعريش فسأل عنها فقبل انها من مصر ،
فدعا بالكتاب وقرأه على المسلمين ، فقال عمرو لمن معه : أستم تعلمون
أن هذه القرية من أرض مصر ؟ قالوا بلى ، قال فان أمير المؤمنين

عهد الى وأمرني ان لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع - ولم
يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر ، فسيروا على بركة الله

وقيل أن عمرا سار من تلقاء نفسه وان عمر المسمع أمره بالرجوع
وخشَّ نَ عليه في القول ويقال ان الخليفة ما كتب هذا الكتاب الا بعد
ان ذكر لعثمان انه اذن لعمر ان يسير من الشام الى مصر فقال
يا امير المؤمنين أن عمرا لجرأ وفيه اقدام وحب للامارة ، فاخشى أن يخرج
في غير ثقة ولا جماعة فيمرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدري
تكون أم لا ، فقدم عمر على كتابه الي عمرو اشفاقا على المسلمين ، ثم
قال لعثمان فاكتب اليه أن ادركك كماي هذا قبل أن تدخل مصر فارجم
الي موضعك ، وان كنت دخلت فامض لوجهك .

ومهما كان من أمر هذا الكتاب فان عمرا سار الى مصر مجتازا شبه
جزيرة الطور من الطريق المعتاد وهو طريق الساحل الذي توجد فيه
العيون والمياه العذبة من مرحلة الى أخرى .

فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو وكان بالاسكندرية توجه الى موضع
الفسطاط فكان يجهز على عمرو الجيوش - وكان على القصر قصر
الشمع رجل من الروم يقال له الاغرج واليا عليه وكان تحت يد المقوقس
وأقبل عمرو حتى اذا كان بالعريش فكان أول موضع قوتل فيه
الفرما ، قاتلته الروم قتالا شديدا نحووا من شهر ثم فتح الله على يديه
ومضى نحو مصر وكان بالاسكندرية اسقف للقبط يقال له أبوميامين فلما
بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى قبط مصر يعلمهم انه لا يكون الروم دولة

وان ملكهم قد انقطع ، وأمرهم بتلقى عمرو ، من أجل ذلك قيل أن
قبط الفرما كانوا عمرو أعوانا (ولا شك أن الاسقف كان مونورا من
الروم بسبب الاضطهاد الديني المذهبي ، ولذا حرص القبط وعم أهل
البلاد المونورون أيضا على مساعدة عمرو ، وكان لما قدموه من المساعدة
أثر عظيم في سهولة الفتح على المسلمين ، اذ كانوا يعدونهم بالزاد ويدلونهم
على الطرق الآمنة وغير ذلك بالضرورة)

ثم تقدم عمرو لابدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواصر
(العواصجة ، ثم مازال حتى أتى بلبليس فقاتل بها نحو من شهر حتى
فتح الله عليه .

وواضح أنه لم يسلك بعد الفرما طريق الساحل بل سار في الصحراء
الى جهات ودى الطميلات ، لان طريق الساحل كان ممتورا بالمياه
ولانه لم يشأ أن يقتحم الاراضى المصرية الزراعية المكتظة بالناس لئلا
يقطع عليه الطريق في كل مرحلة منها كان من اخلاص القبط اليه
(ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) أما الطريق الذى سلكه فلا يمكن قطعه
ويمكن الارتداد والانجاء اليه في كل مرحلة مع السلامة .

ثم تقدم حتى أتى أم دنين فقاتل من بها قتلا شديدا وأبطأ
عليه الفتح فكتب الى عمر يستمده فأمدته بأربعة آلاف فوصلوا اليه
أرسالا يتبع بعضهم بعضا

ثم أحاط المسلمون بالعصر وهو حصن بابليون وكان الروم قد
خندقوا خندقا وجعلوا له أبوابا وبشوا في أفيتها حديد فخرجت
اليهم فصيلة من المسلمين وجاءت من وراءهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن

المنجنيق - فلما أبطأ على عمرو الفتح قال الزبير اني أهب نفسي لله ، وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، فوضع سلما الى جانب الحصن ثم صعد وأحرمهم اذا سمعوا تكبيرة يجيئون به جميعا ، فما شعروا الا والزبير على الحصن يكبرو معه السيف وتحامل الناس على السلم فنهزم عمرو خوفا أن ينكسر السلم ، وكبر الزبير تكبيرة فاجابه المسلمون من الخارج ، فلم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا ، وعمد الزبير باصحابه الى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه اليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين على كل رجل منهم فاجابه عمرو الى ذلك

وكان مكثهم على القتال حتي فتح الله عليهم سبعة أشهر ومن نيابة المقوقس عن القبط في فرض الجزية اشارة الى أنه كان مع الأسقف المشار اليه فيما سبق في الرأي ، فناصر هذا ؟ لقد قيل انه كان موتورا من قيصر الروم أيضا .

ولا بد من الأشارة هنا الى أنه جاء في بعض الروايات الاخرى في

فتح مصر

(١) ان عمرو دخل الى الحصن وناظرهم في شيء مما هم فيه فلم يجدوا عنده ما أحبوا فخرج وكادوا يغدرون به فنجوا بحيلة أوسع من حيلتهم (٢) وانه لما حاصر المسلمون الحصن ورأى المقوقس وأكابر القبط ومن به من الروم الجدم من العرب على فتحه خافوا على أنفسهم فخرج المقوقس وجماعة من أكابر القبط من باب الحصن الجنوبي فلبقوا بالجريرة

وقطعوا الجسر الذي كان بينها وبين البر وكان النيل في فيض ، ثم أخذوا
بمفاوضة عمر بن الخطاب مهدي بن أويلا بالروم وقوتهم واحاطة المياه بهم ، فرد
عليهم عمرو بن الخطاب انه ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال : اما ان
دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم مالنا ، واما ان اعطينكم الجزية
عن بدواتهم صاغرون ، واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم
الله بيننا وهو خير الحاكمين .

(٥) وانه لما جاءت رسل المقوقس اليه سألهم عن القوم فقالوا : الموت
أحب الي ائحدهم من الحياة فاشار على من معه بصلح المسلمين قبل أن
يقبوا على الخروج من مواضعهم وارسل الي عمرو يطلب رسلا يتداعى
الى ماء ساء يكون فيه صلاح الطرفين فارسل اليه عمرو عشرة نفر
أحدهم عبادة بن الصامت فانتت المناقشة بينهما على تمسك المسلمين
باحدى الثلاث المعروفة فالتفت المقوقس الى أصحابه وقال ماترون ؟
فرفضوا وقالوا الموت أبسر من ذلك - فقال المقوقس لعبادة قد أبى
القوم فماترى ، فقام عبادة وأصحابه منصرفين ، فقال المقوقس لأصحابه
أطيعونى وأجيبوا القوم الى واحدة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم
طاقة فانتتوا الى قولهم الاول ، وقطعوا الجسر وألح المسلمون عند ذلك
بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا وأذعن القوم للجزية على صلح
يكون بينهم يعرفونه

فارسل المقوقس الي عمرو بان يرسل رسلا من قبله يتداولون
مهم شروط الصلح فاستشار عمرو أصحابه فقالوا لانجيهم الى شىء من
الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا ونصير الى الأرض كلها فيثا وفتحة

كما صار لنا القصر وما فيه ، فذكرهم بهد أمير المؤمنين فاقتنعوا ، وارسل
رسله فاجتمعوا واصطلحوا .

(١) على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط
دينارين دينارين على كل نفس شريفهم ووضعهم ممن بلغ منهم الحلم ليس
على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء .
(٢) وعلى أن للمسلمين عليهم النزل حيث نزلوا ، ومن نزل
عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت له ضيافة ثلاثة
أيام مفترضة عليهم

(٣) وعلى أن لهم أرضهم وأموالهم لا يتعرض لهم في شيء منها ،
شرط ذلك علي القبط خاصة ، ورفع ذلك عرفاءهم بالايان المؤكدة
(٤) وشرط المقوقس للروم أن يخبروا فمن أحب منهم أن يقيم
على مثل هذا أقام ، ومن أراد الخروج منهم إلى الروم خرج ، وعلى أن
للمقوقس الخيرة في الروم خاصة حتي يعلمه بما فعل فان قبل ذلك ورضيه
جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه .

ثم كتب المقوقس إلى قيصر الروم هرقل يعلمه بالامر كله فكتب إليه
يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل ، ويبين له أن المسلمين أضعف ناصرا
وأقل عددا ، والقبط أكثر مالا وأعز نفرا ، فان كانوا كرهوا القتال وأحبوا
أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم
وبالاسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف معهم المدد والقوة . فناهضهم
القتال ولا يكن لك رأى غير ذلك ، وكتب إلى جماعة الروم بمثل ذلك .

فلما جاء المقوقس ككتاب القيصر غضب وقال يامعش - سر الروم
لاأخرج مما دخلت فيه وصالحت العرب عليه ، واني لا أعلم انكم ترجعون
غدا الى رأيي ، وبمحكم أمابرضي أحدكم أن يكون آمنًا في دهره على
نفسه وماله وولده بدبنارين في السنة ١

وأقبل على عمرو فقال ان القيصر قد كره ما فعلت وكتب الى
والى الروم بقتالك ولم أكن لاخرج مما دخلت فيه - وانما سلطاني
على نفسي ومن أطاعني وقد تم الصالح فيما بينك وبينهم ولم يأت من
قبلهم نقض وانا متم لك على نفسي والقبض متمون لك على الصالح الذي
صالحهم عليه وطلب من عمرو (١) الا ينقض بالقبض وأن يدخله معهم
(٢) والا يصالح الروم بعد اليوم حتى يجعلهم فيثاوعبيدا فانهم أهل لذلك
(٣) وان يدفن اذا مات بناحية في الاسكندرية عينها - فانعم له عمرو
على أن يضم نواله الجسرين جميعا ، وبقيمواله الاتزال والضيافة والاسواق
والجسور ما بين الفسطاط الى الاسكندرية ، ففعلوا وصار القبط
أعوانا للمسلمين .

هذا ويقال أن هذا الصالح لم يك الا بعد ان فتح المسلمون الاسكندرية

﴿ فتح الاسكندرية ﴾

أما الروم بالاسكندرية استعدت وجاشت وقدم عليهم من أرض
الروم جمع عظيم فتحركوا من الاسكندرية وتحرك اليهم الجيش الاسلامي
والتقى الجمعان بسلطيس ثم بالكريون فهزم الروم حتى وصلوا الى
الاسكندرية والمسلمون يتبعونهم وكانت الاسكندرية حصينة ، فنزلوها

والقبط يمدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفة ، وسفن ملك الروم ورسله تختلف الى الاسكندرية ، واستعد القيصر لنزو العرب بنفسه ؛ ولكنه ماكاد يفرغ من الجهاز حتى صرعه الله سنة ٢٠ فكسر الله بموته شوكة الروم بالاسكندرية ، وفر منهم عدد كثير ، فوهنوا لما أصابهم ، وألح المسلمون على المدينة وحصونها وحاصروها حتى فتحوها بعد حصار تسعة أشهر قبل موت هرقل وخمسة أشهر بعد موته ، وهزم الروم في البر والبحر فخرج عمرو في أثر الهارين برا ، فتمكن الروم بالسفن من العودة الى الاسكندرية وقتلوا من المسلمين عددا وفيرا ، فكر عمرو وأعاد فتحها ثم كتب الى الخليفة بكل ما أحدث - وأراد أن يقيم بالاسكندرية لأنها مشيدة ، واسمها - تاذن الخليفة فلم يوافق ، وقال لا تسجلوا بيني وبينكم ماء فتحول عمرو الى القسطنطينية وبنى الناس وصارت القسطنطينية حاضرة للولاية المصرية الاسلامية . والعرب يقول لكل مدينة قسطنطينية ولذلك قيل لمصر قسطنطينية

(فتح الفيوم)

لما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو جرائد خيل الى القرى المختلفة وأقام المسلمون سنة لا يعرفون الفيوم ولا مكانها حتى أتاهم آت فذكرها لهم ، فأرسل عمرو معه أحد قواده - فلما سلكوا في الحجابة لم يروا شيئا فهموا بالانصراف فقال لا تعجلوا سيروا ، فان كذبا فما افـدركم على ما اردتم فلم يسيروا الا قليلا حتى طلع سوار الفيوم فهاجموا عليها فلم يكن عندهم قتال وألقوا ما بأيديهم .

﴿ فتح برقة وطرابلس والنوبة ﴾

وفي سنة ٢٢ سار عمرو بن العاص الى برقة فصالحه أهلها على الجزية ، ثم صار الى طرابلس فحاصرها شهرا فلم يظفر حتى أعمل سبعة نفر من رجاله الحيلة في اقتحامها فدخلوها وكبروا فظن أهلها ان المسلمين قمعوا المدينة فسارعوا الى السفن برجون النجاة واقبل عمرو بالجيش فدخل المدينة وأعمل السيف في الروم حتى فتح المدينة وكتب الى عمر يستأذنه في فتح باقي افرريقية فكتب اليه انها مفرقة لأهلها فعاد ، وأرسل عقبة بن نافع الفهري الى أرض النوبة فعانت الخيل فيها ولكن أهلها لم يصالحوا الا في سنة احدى وثلاثين في خلافة عثمان . وبعد عودة عقبة اختط المسلمون الجزيرة استجبته همدان ، فبنى لهم هناك حصنا بإشارة عمر ، وتم سنة ٢٢

هذا وقد ولي عمر بن العاص مصر بعد فتحها فهو أول من وليها من المسلمين وقد ظل عليها ثلاث سنين الي أن مات عمر ، وتولى عثمان فعزله وولى عبد الله بن أبي سرح

هذه فتوح عمر بن الخطاب في بلاد الاكسرة والقيصرية ، وترى أنها كادت تستوعب أرض فارس وشطرا كبيرا من أرض الروم بآسيا وافرريقية

﴿ سر النجاح في هذا الفتح ﴾

سار المسلمون في بلاد الاكسرة والقيصرية كالسيل الجارف مع أنهم كانوا أكثر من المسلمين عددا واقوي عدة وهم ايضا أقدر منهم

على التبعه ، واعرف بنظم القتال وحصولهم على المؤن والذخائر أيسر وطرق الجندات عليهم اسهل ، أذهبهم في عقر ديارهم والمسلمون يذنبهم وبين مركز القيادة العامة مراحل كلها في القفار الفقر والبراري الملكة ولم تغن عن اعداء المسلمين قوتهم شيئا ولو كثرت ، ولادخائرهم ووفهم اطعمتهم ونجدانهم وان عظمت .

والسرف في ذلك يرجع غالبا الى ما يسمى الان بالقوة المعنوية اذ كانت عند المسلمين على اشدها ، وعند اعدائهم ضئيفة جدا . وذلك لان المسلمين كانوا كقلب رجل واحد يجاهدون الاعداء للحصول على غرض واحد وهو اعلاء كلمة الحق ونشر الاسلام الذي هو دين الله ، وقد خرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أما اعداؤهم فقد خرجوا اليهم لينصروا الباطل ويصدوا عن سبيل الله ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا

وهذا الى أن المسلمين في دور نهوضهم واعدائهم في دور الهزم ، والى ان هؤلاء الاعداء استهتروا بالمسلمين ولم يفقهوا أن الرب الذين كانوا بالامس رعاياه ابل وغنم اصبحوا اليوم (وقد وحده الاسلام وجهتهم قادة شعوب وامم وأن الذين كانوا في جاهليةهم كالمهين المنغوش اصبحوا بعد اسلامهم كالبيان المرصوص بقندرون على الفتح وقوون على الغلب - جهل الفرس والروم ما صارت اليه الالة العربية فأتوا من ناحيتها عالم بك في حساباتهم ومن مأمته يؤتى الحذر ،

هذا وبضاف الى هذه الاسباب عوامل اخرى أهمها :

(١) ان الاحوال الداخلية في بلاد الروم والفرس كانت سيئة سواء

كانت ذلك من الوجهة المالية أم من الوجهة الدينية أم من الوجهة السياسية (١) فقدت خزائن الدولة من طول الحرب بينهما (ب) وفرق الروم دينهم وكانوا شيعة وأقام هرقل فوضع حدا للخلافات الدينية فتمكن رجال الدين في مقدمة المستأثرين من تحيز هرقل وأعلمهم اعانوا على تسليم دمشق للعرب أو وقفوا على الحياد - أما الفرس فتدفشنت فيه تعاليم مزدك فتهتك الحياء وفشا الغدر والخيانة وغلبت الدناءة والكذب مع أن أصول دينهم كانت راقية جدا، وكانوا إذا ألم بالضعف بساطتهم في زمن من الأزمان بعثتهم تلك الأصول القويمة إلى تدارك أمرهم فخلصوا مما ألم بهم في زمن يسير ورجعوا إلى مكائهم الأولى، نعم أن أنوشروان قتل مزدك وجماعة من شيعته ولكنه لم يستطع محو هذه التماثيل الفاسدة بعد ما علمته بالعقول فكان ذلك علة في ضعفهم حتى إذا هاجمهم العرب لم تكن الاحتملة واحدة وهي القادسية أو نهاوند وبعدها لم تقم للفرس قائمة، على حين أن الروم أقران الفرس ثبتوا في مجادلة العرب ومقاتلتهم أزما طويلا - وأما الحالة السياسية فإن هرقل في الروم لم يك من البيت المال بل وثب على عرش الروم وثوبا، ولا بد أن يكون لهذا الأمر أثره في سياسة الدولة الداخلية إذ ميدان الخلاف يكون مفتوحا باستمرار بين أنصار هرقل وبين الرجعيين من أنصار القيصر السابق - وإن يزدجرد في الفرس إنما تولى النساء من قبله عرش الأكامسة لفقدان الرجال، وكان من النحاسدوا اتخذوا بين القوادما كاد يفضي إلى الحروب فشان يزدجرد لا يقل عن شأن هرقل.

« ٢ » أن العرب بمايا المناذرة والغسانيين انضموا أو انضم فريق

منهم الى المسلمين حين زحفهم، فاما الذين اسلموا منهم فغيرهم على المسلمين
وأما الذين لم يسلموا فغلبتهم العاطفة الجنسية على الدينية او السياسية،
فانجازوا الى اخوتهم وابناء عموماتهم المسلمين وصاروا لهم عوناً يمدونهم
بالرجال والذخيرة سرا وجهرا ويدلونهم على الطرق والمسالك وهورات
الاعداء وينتظمون في صفوفهم ضد تابعيهم من الاكاسرة والقياصرة.

٣ - اعتقاد المسلمين اعتقادا صادقا بالقضاء والقدر وهذا الاعتقاد
يتبعه من الاخلاق الفاضلة والشجاعة والاقدام والبسالة والجرأة،
ويبعث على اقتحام المهالك التي توجف لها قلوب الاسود وتفشق
منها مراثر النمر . وبطبع الانفس على الثبات واحتمال المسكاره
ومقارعة الاهوال وبذل الارواح بلبه الاموال في سبيل الحق، فان
الذي يعتقد أن الاجل محدود والرزق مكفول والاشياء بيد الله
بصرفها كما يشاء لا يرهب الموت في الدفاع عن حقه واعلاء كلمته أو ملته
وقد امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضيلته بقوله (الذين
قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا
رضوان الله والله ذو فضل عظيم)

بهذا الاعتقاد انقض المسلون على الاكاسرة والقياصر فاذلواهم ودكدكوا
بلادهم وأوقعوا في قلوبهم الرعب ولعلتهم سيفوهم في المشرق والمغرب وسهل
عليهم حمل اولادهم ونسائهم الى ميادين القتال كأنهم يسرون الى الحدائق
والرياض وكأنهم اخذوا لانفسهم أمانا من الله بالتوكل عليه بمحوطهم
من كل ما يكرهون

(١) جرأ العرب على مهاجمة دوائى الارض فى ذلك العهد اعتقاداً منهم بأن الله مّم نوره ولو كره الكافرون، ونصديقاً بما كان رسول الله يكرره على مصابيحهم من وقت الى آخر من الله سيملكهم كنوز الاكسرة والقباصرة، وهذا الى ماكان من خفة انقلاهم واجترائهم بالقليل كاهو الحال عند اعدائهم من تكلف انواع الطعام والشراب والانية والسلاح والدواب، والى ماكان لديهم من الثروة الواسعة فى الرجال المهرة بأساليب الحرب وفنونها ممن شبوا واكتهلوا وشابوا فى ميادينها كخالد بن الوليد وعمر بن العاص وسعد بن أبى وقاص وعبادة بن الصامت وغيرهم ممن أبلوا فى حرب الروم وفارس بلاء حسناً - والى ماكان من تشجيع النساء المسلمات واشتراكنهن اشتراكاً فعلياً مع الرجال فى ميادين القتال وقيامهن بمواساة الجرحى ودفن القتلى، ومنهن ام حكيم بنت الحرث بن هشام وهند بنت عتبة ام معاوية بن أبى سفيان (ه) ان جيش العرب كان من العرب فحسب - اما جيش الروم والفرس فكان من الامم الخاضعة اليهم كالارمن والسراريان ومن على شاكلتهم وبستحيل ان يكون هؤلاء كقلب رجل واحد ويندفعون الى الحرب بمثل الدافع الذى كان لدى المسلمين، وان نفس لا تنس أنه مع هذا كان التخادل يسبق الى نفوسهم من قوادهم وأولى الراى فيها، مصلحة العرب المسلمين واجابتهم الى ما يطلبون كاحصل من هرقل بالشام ومن رستم بالقادسية ومن المقوقس بمصر - وفي هذا كسفاية

أما الاسباب التى أعانت على تأييد سلطانهم فى الناحيتين فهى

دائرة حول العدل والتسامح والوفاء — روي بعض المؤرخين ان هرقل لما جمع للمسلمين الجموع ثم بلغ المسلمين اقبالهم عليهم لوقعة اليرموك ردوا على اهل البلاد التي كانوا صالحوها ما قد أخذوا منهم من الخراج وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم ، فقال اهل تلك البلاد . لولايتكم وعدلكم أحب اليانما كنا فيه من الظلم والفسم ولندفعن جند هرقل مع عاملكم .

وقال جستاف لوبون : لما دخل العرب الشام كانت رومانية منذ سبعمائة سنة ، فأبانوا على تسامح مع كل مدن الشام ولذلك رضى الناس بسلطتهم مختارين وانتهت بهم الحال ان طرحوا النصرانية وقبلوا دين الفاتحين وتعلموا لسانهم — هذا شأن اهل الكتاب فما بالك بمن لا كتاب لهم ولادين كالفرس .

{ مقتل أمير المؤمنين عمر }

بينما كنت الجيوش الاسلامية منتصرة في كل جهة من الجهات التي وجهت اليها بلاد الفرس والروم والغنائم والاسرى والاخبار السارة ترد اليه تباعا من القواد والولاة والعمال ، اذ قام على المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله وذكر أبا بكر ، ثم قال : رأيت رؤيا لا أرها الا بحضور أجلى ، وان الناس بأمر وني أن أستخلف ، وان الله عز وجل لم يكن ليضيع دينه وخلافته التي بعث بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، فان تعجل بي أمر ، فان الشورى بين هؤلاء الستة الذين مات نبي الله وهو عنهم راض ، فمن بايعتم منهم فاسمعوا له وأطيعوا ، وانى أعلم أن أناسا سيطفنون في هذا الامر . أنا فأنلتهم بيدي هذ ، على

الاسلام . اولئك أعداء الله الضلال الكفار . وأنى أشهد الله على أمراء
الامصار انى انما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم ويبينوا لهم سنة نبيهم ويرفعوا
الى ماعمى عليهم - خطب بهذه الخطبة يوم الجمعة وأصيب يوم الاربعاء
لا ربيع ليال من ذى الحجة سنة ٢٣ .

كان رضى الله عنه لا يأذن لسبى قد احتلم أن يدخل المدينة ، حتى
كتب له المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة بذكر له غلاما عنده صنعا ،
ويستأذنه أن يدخل المدينة ويقول ان عنده أعمالا كثيرة فيهما منافع
للناس . انه حداد نقاش نجار ، فأذن له أن يرسل به الى المدينة . وضرب
عليه المغيرة مائة درهم كل شهر ، فجاء الى عمر يشتكي شدة الخراج .
فقال له ماذا تحس من العمل ، فذكر له الاعمال التي يحسنها . فقال
له عمر : ما خراجك بكثير في كنه عمالك . فانصرف ساحطا يتذمر .
ثم أن العبد مر به فدعاه فقال له ألم أحدث أنك تقول . لو اشاء لصنعت
رحا تطحن بالريح ؟ فالنفت العبد ساخطا عابسا الى عمر (ومع عمر
رهط) فقال . لا صنعن لك رحا يتحدث الناس بها ، فلما ولى العبد أقبل
عمر على الرهط الذين معه فقال لهم . أوعدنى العبد أنفا ثم لبث ليالى
وبعد قليل اشتمل العبد أبو اؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه في وسطه .
فكمن في زاوية من زوايا المسجد في خلس السحر ، فلم يزل هنالك حتى
خرج عمر بوقظ للصلاة صلاة الفجر . فلما دنا منه عمر وثب عليه فطعنه
ثلاث طعنات احداهن تحت سرتة وهي التي قتلتهم ثم انحاز أيضا على
أهل المسجد فطعن من يليه حتى طعن احد عشر رجلا او ثلاثة عشر
مات منهم سبعة فأقبل رجل من بني تميم يقال له حطان فالتقى كساة

عليه ثم احتضنه ، فلما علم العليج انه مأخوذ طامن نفسه
أما الخليفة فقد احتمله ابن عباس في رهط حتى ادخله بيته ثم اجتمع
عليه البديرون المهاجرون والأنصار فقال لابن عباس اخرج عليهم
فسلمهم . عن مبلأ منكم ومشورة كان هـذا أصابني ؟ فخرج ابن عباس
فسألهم ، فقال القوم لا والله . ولو ددنا ان الله زاد في عمرك من أعمارنا -
وكان بقيق مرة وبغيب أخرى . وكان يقول لابنه عبد الله ضع خدي
بالارض . فهل خدي والارض الا سواء . وقد سمعته الحاضرون وهو
يلفظ النفس الأخير يقول : وبلى ووبل أمى ان لم يغفر الله لى . وقد
دفن يوم الاحد صباح هلال المحرم سنة ٢٤ . وكانت خلافته نحو عشر
سنين ونصف سنة وعمره ثلاث وستون أو ست وستون سنة . ودفن
مع الرسول وصاحبه فى بيت عائشة رضى الله عنها

﴿ نظرة فى أسباب قتل الخليفة عمر ﴾

لا ينبغي أن تمضى حادثة من هذه الحوادث الكبرى كقتل الخليفة
من غير أن نحيط علما بالأسباب التى جرت اليها ولوعلى سبيل الاستنباط
ان مجرد ألم أبى لؤلؤة من عمر لأنه لم ينصفه فى الفريضة التى
فرضاها عليه سيده لا يبعثه على ارتكاب جرم فظيع كهذا ، وبخاصة
إذا علمت انه من المدينة غريب لا جاه له ، بل ان الذى دعاه الى قتل
الخليفة أوسع دائرة من هذا ، ونحن نبينه على الصورة الآتية
علمت مما مضى ان أبى موسى الأشعرى فتح تستروا أنه أسرا الهرمزان
وأرسله الى الخليفة ليحكم فيه حكمه ، فلما جاء قال له تكلم ، فقال بأعمر أكلام

حتى أم كلام ميت ، فقال نكلم لا بأس ، فقال الهرمزان كئنا معشر العجم
 (ما خلى الله بيننا وبينكم نقصيكم ونقتلكم) فإما كان الله معكم لم يكن
 لنا بكم بدان ، قال عمر ما نقول يا أنس ، قلت تركت خلفي شوكة
 شديدة وعدوا كليباً فإن قتلته بئس قومه من الحياة فكان أشد لشوكتهم
 وإن استحيته طمع القوم في الحياة فقال عمر يا أنس سبحان الله ، قاتل
 البراء بن مالك ومجراًة بن نور ؟ قلت فأيس لك إلى قتله سبيل ، قال وكم
 أعطاك ؟ أصبت منه ؟ قلت لا ولكمك قلت له لا بأس ، فقال متى ؟
 لتجيش معك بمن شهدت والابدأت بمقربتك ، قال أنس فخرجت من
 عنده فإذا الزبير بن العوام قد حفظ الذي حفظت ، فشهد لي ، فخلي
 سبيل الهرمزان فأسلم ، وفرض له عمر - وكان الهرمزان ألد أعداء المسلمين
 في فارس وهو من أهل مهرجا نقذق وقد حضر وقعة غلوالاء مع الأعاجم
 وكان ملكاً في ناحية ثم أضاع ملكه وتاجه ولكنه كان داهية في الغدر
 والدهاء وقد عرف المسلمون منه الخبث والخنث في الإبان - فلما أنزله
 عمر المدينة رأى نفسه كإفراد الجمهور ، وكانت كل حين تأتي أخبار
 هزيمة الفرس وما غنمه المسلمون من فتح بلادهم فكان يحرق الأرم
 ويتميز من الغيظ ، وزاد في أمره ما كان يراه من وفود أبناء فارس من
 الأسرى وما كان من أن العرب أصبحوا يتخذونهم موالى وخداما . وكان
 أبو لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة من هؤلاء الأسرى وكان مجوسياً يقد
 على المسلمين ويتربص بهم الدوائر ، ولما وفد سبى جلولاء كان يـح
 ردهم ويقول أكل كبدي عمر - ولما توعد أبو لؤلؤة الخليفة جاءه
 من الغد من يسمي كعب الأحبار اليهودي فقال يا أمير المؤمنين أعهد

فانك ميت قال وما يدريك؟ قال أجده في التوراة ، فاستحلفه أن يجد عمر
في التوراة ، قال لا ولكن أجد صفته ، وكعب الاحبار انما أسلم لما رأى
اليهودية في جزيرة العرب اضمحلت ، والنصرانية في الشام كاد يقضى
عليها ولانه ان تظاهر بالاسلام عززا لا يجده بين قومه ، ولانه كان
من أهل الكتاب وكان ذا بصيرة بتاريخ الاولين فكان القوم يملون
اليه يستبصرون بعلمه فلما رأى ذلك انتهازها فرصة وأسلم حتى يزيد الاقبال
عليه وقد صح له ذلك وبخاصة بعد أن تحققت حادثة الخليفة وظنوا أن
في التوراة التي بيده علم كل شيء .

وكان بالمدينة من نصارى الانبار أرسله - بعدا ليعلم أبناء المساميين
بالمدينة القراءة والكتابة واسمه جفينة ، والانبار للفرس والجفينة بهم صلة
وكان يجتمع بالهرمزان وابى أولؤة ، وقد رآهم عبد الرحمن بن أبى بكر
مجمعين يتناجون فاذا رأوه قاموا

من هذه القرائن نقيبين ان قتل الخليفة كان عن مؤامرة من هؤلاء
الاعداء دبروها واغتالوا عمر اطفاء لما في صدرهم من سورة الغضب والحقد
على عمر الذى يرسل الجيوش نباعا الى بلادهم فتفتحها وتستصفي موال
أهلها وتسبي ذرارهم وتسنتزلهم من سلطان كان لهم - ولم يك قول
أبى أولؤة لاصنعن لك رحا يتحدث الناس بها - الابدانة من بواجر
اما أجهوا عليه ، غلبته فلم يستطع كتمانها ، ولذلك فطن الخليفة له اوقال
هو عدنى العبد ، أما كعب الاحبار فكان على بيته من أمرهم بلا شك
اذلا يعقل أنه جاء بشيء من هذا عن توراته ، لكن وقد علم أن قتل

الخليفة أمر فرغ منه أراد أن يجعل لنفسه مكانة ولعلمه مصدقين فاخير
بما أخبر وكان من جراء ذلك فيما بعد انه دس كثير من الاسرائيليات التي
ابتدعها ولا اصل لها في التوراة

﴿ أعم الحوادث في عهد عمر ﴾

قد رأيت ما كان من الفتح الاسلامي في عهد عمر في بلاد الاكسرة
والقيصرية وما كان من انتصار المسلمين في الوقائع التي كانت بينهم وبين
أعدائهم ، وهناك جملة حوادث هامة كانت في عصره رأينا أن تقتصر
منها على الامور الآتية : ومنها أن عمر رضى الله عنه ظل يقوم برعاية
المصالح العامة للمسلمين حتى وهو بلفظ النفس الأخير

﴿ جمع القرآن الكريم ﴾

سأل عن آية من كتاب الله عز وجل ف قيل كانت مع فلان فقتل يوم
اليامة فقال انا لله وأمر بالقرآن فجمع ، فكان أول من جمعه في المصحف ،
قيل قام في الناس فقال : من كان تلقى من رسول الله شيئا من القرآن
فليأتنا به ، وكانوا قد كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعُصب ،
ولما أراد ان يكتب الأمام اقعد له نفرا من أصحابه وقال اذا اخذتم في
اللغة فاكتبوها بلاغة مضر فان القرآن نزل على رجل من مغبر

وأراد ان يكتب السنن فاستخار شهرا ثم أصبح وقد عزم له ، فقال
ذكرت قوما كتبوا كتابا فاقبلوا عليه وتركوا كتاب الله عز وجل

﴿ استحداث التاريخ ﴾

ورفع اليه صك محله في شعبان فقال أى شعبان هو : الذي مضى
أو الذي هو آت أو الذي نحن فيه ثم جمع أصحاب النبي فقال لهم ضعوا
شيئا للناس يعرفونه ، فقال قائل اكتبوا على تاريخ الروم وقال قائل
اكتبوا تاريخ الفرس كلما قام ملك طرح ما كان قبله ، فاجتمع رأيهم على
أن ينظروا كم اقام رسول الله بالمدينة فوجدوه انه قد اقام بها عشر سنين ،
فكتب أول التاريخ على هجرة رسول الله ، فكتب بذلك عمر لستين
من خلافته

﴿ تقرير الخراج على أرض العراق ﴾

كان عمر قد جعل لجريز بن عبد الله وقومه من بجيلة ربع ما غلبوا
عليه من السواد ، فلما جمعت غنائم جلولاء طلب رבעه ، فكتب سعد
الى عمر يعلمه ذلك فكتب عمر : ان شاء جريز أن يكون انما قاتل وقومه
على جعل كجعل المؤلفة قلوبهم فأعطوهم جعلهم وأن كانوا انما قاتلوا
لله واحتسبوا ما عنده ، فهم من المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم فقال
جريز صدق أمير المؤمنين وبر ، لا حاجة لنا بالربع ثم أن عمر بعث عثمان
بن حنيف الانصاري بمسح السواد فوجده ستة وثلاثين الف الف
جريب فجعل على جريب النخل عشرة دراهم وعلى جريب الكرم عشرة
دراهم وعلى جريب القصب ستة دراهم ، وعلى جريب الشعير درهمين
وكتب بذلك الى عمر فأجازه ، ويقال أن خراج السواد على عهد
عمر بلغ مائة الف الف درهم - ويقال أن حد السواد الذي وقمت عليه

المساحة من لدن نخوم الموصل ماراً مع الماء الى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرقي رجلة هذا طوله ، وأما عرضه فحده منقطع الجبل من أرض حاوان الى منتهى أطراف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب

(تمصير الامصار)

(١) تمصير الكوفة - لما فتح المسلمون المدائن كتب أمير المؤمنين

الى سعد يأمره ان يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا ، والا يجعل بينه وبينهم بحراً ، فاني الانبار وأراد أن يتخذها منزلاً فكثر على الناس الذباب فتحول الى موضع آخر فلم يصاح فتحول الى الكوفة فاخطتها وانزل القبائل منازلهم وبني مسجدها وذلك سنة ١٧ ، وكانت خطط اليمن في الجانب الشرقي وكانوا اثني عشر الفا وخطط نزار في الجانب الغربي وكانوا ثمانية آلاف ، واتخذ سعد باباً مبوباً من خشب وخص على قصره خصاً من قصب فبعث الخليفة محمد بن مسلمة الانصاري حتى احرق الباب والخص واقام سعداً في مساجد الكوفة فلم يقل فيه الا خيراً

(٢) تمصير البصرة - لما أرسل عمر الى ناحية البصرة عتب بن غزوان

حليف بنى نوفل بن عبد مناف ليشتغل العجم عن امداد اخوانهم بعد فتح الحيرة وما يليها ، نزل بالحريبة وكانت مسلحة للاعاجم ، وكتب الى عمر يعلمه نزوله واصحابه بحيث نزلوا وانه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به اذا شتوا ويسكنون فيه اذا انصرفوا من غزوهم ، فكتب اليه ان اجمع أصحابك في موضع واحد وليكن قريباً من الماء والمرعى واكتب الى بصفته فكتب اليه اني وجدت كثيرة القصبة في طرف البر

الى الريف ودونها مناطق ماء فيها قصباء ، فلما قرأ الكتاب قال هذه
أرض نصرية قريبة من المشارب والمراعى والمحتطب وكتب اليه أن أنزلها
الناس فأنزلهم اياها فبنى مساكن بالقصب وبنى عتبة مسجدا من قصب
وذلك سنة ١٤ وبني دار الامارة دون المسجد في الرحبة وكانت تسمى
الدهناء وفيها السجن والديوان فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك وحزموه
ووضعوه حتى يرجعوا ، فاذا رجعوا أعادوا بناءه فلم تزل الحال على ذلك
ثم ان الناس اختطوا وبنوا المنازل وبنى ابو موسى الاشعري في امارته
المسجد ودار الامارة بالابن والطين وسقفها بالعشب وزاد في المسجد
واحتقر لاهل البصرة نهرا قاده ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة وصار
طول نهر الابلة أربعة فراسخ .

(٣) الفسطاط : — كان المقوقس ملك مصر وصاحب القبط ينزل

الاسكندرية في بعض فصول السنة وفي بعضها مدينة منف وفي بعضها
قصر الشمع وقصر الشمع في وسط مدينة الفسطاط ، والعرب تقول
لكل مدينة فسطاط ، ولذلك قيل لمصر فسطاط — ولما فتح عمرو بن
العاص الاسكندرية ورأى بيوتها وبنائها مفروضا منها ، هم أن يسكنها
وقال مساكن قد كفيناها فكتب الى الخليفة يستأذنه في ذلك فسأل عمر
الرسول : هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ، قال نعم يا أمير المؤمنين اذا
جرى النيل ، فكتب الى عمرو اني لأحب أن تنزل المسلمين منزلا
يحول الماء بينى وبينهم في شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الاسكندرية
الى الفسطاط سنة احدى وعشرين وتنافس القباطل بعضها مع بعض
في المواضع فولى عمرو على الخطط أربعة كانوا هم الذين نزلوا الناس

وفصلوا بين القبائل، وتركوا بينهم وبين الحصن فضاء لتفريق دوابهم وتأديبها .

جامع عمرو . — ثم بنى المسجد وكان ماحوله حدائق وأعنابا، وكان طوله خمسين ذراعا في عرض ثلاثين، ويقال انه وقف على اقامة قبضته ثمانون رجلا من الصحابة، وكان للمسجد بابان يقابلان دار عمرو ابن العاص وبابان في بحريه، وبابان في غربيه، وكان طوله من القبلة الى البحرى مثل طول عمرو، وسقفه مطأطىء جداً ولا صحن له، وكان الناس يصطفون بفنائيه، وكان بينه وبين دار عمرو سبعة أذرع وكان الطريق محيطا به من جميع جوانبه — وأول من زاد في المسجد المذكور مسلمة بن مخلد الانصارى أيام معاوية ثم استمرت الزيادة فيه حتى صار على صورته الحالية

وبنى عمرو بالقسطنطينية دارا لأمير المؤمنين وكتب له بذلك فكتب اليه : أنى لرجل بالحجاز يكون له دار بمصر وأمره أن يجعلها سوقا للمسلمين فجعلت سوقا كان يباع فيها الرقيق .

وبنى خارجة بن حذيفة غرفة فبلغ ذلك عمر فكتب الى عمرو سلام عليك أما بعد فانه بلغنى أن خارجة بنى غرفة وأراد أن يطلع على عورات جيرانه، فاذا أتاك كتابى هذا فاهدمها ان شاء الله ففعل خليج أمير المؤمنين . — روى أن الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد

في خلافة عمر عام الرمادة فكتب الى عمرو وهو بمصر يستعينه فلباه بعير عظيمة فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يقيم بعضها ببعضها، فلما قدمت وسم بها الخليفة على الناس وكتب الى عمرو أن يقدم عليه ومهاجرة

من أهل مصر فقال له : ان الله قد فتح على المسلمين مصروهي كثيرة
 الخير والطعام ، وقد أتني في روعي لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين
 والتوسعة عليهم أن أحفر خليجا من نيلها حتى يسيل في البحر ، فهو
 أسهل لما أريد من حمل الطعام الى المدينة ومكة ، فان حملة على الظهر
 يبعد ، ولا تبلغ معه ما نريد ، فانطلق انت وأصحابك فتشاوروا في ذلك
 حتى تقولوا فيه رأيكم ، فانطلق عمر والى أصحابه فثقل ذلك عليهم وتخوفوا
 أن يدخل من هذا ضرر على أهل مصر ، فلما رجع الى الخليفة عـرف
 بالفراصة ان أصحابه لم يرضوا ، فقال له انطلق يا عمرو بعميزة مني ،
 ولا يأتي عليك الحول حتي تفرغ منه ان شاء الله تعالى ، فانصرف وجمع
 من الفعله ما بلغ منه ما أراد ثم احتفر الخليج الذي في حاشية القسطنطين
 الذي يقال له خليج أمير المؤمنين (وهو الذي في موضعه الآن شارع
 الخليج المصري وقد ردم هذا الخليج حديثا وقد رأيت والماء يجري فيه
 أيام الفيض وأوله فم الخليج المعروف) فساقه من النيل الى القلزم (وهو
 بعد غمرة تقريبا يكون في موضعه نرعة الاسماعيليه فلم يأت الحول حتي
 فرغ وجرت فيه السفن فحمل فيه ما أراد من الطعام الى المدينة ومكة ،
 ففهم الله بذلك أهل الحرمين ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتي حمل فيه
 عمر بن عبد العزيز ثم ضيعه الولاية بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل
 فانقطع وصار منتهدا الى ذنب التمساح (وهو بحيرة الاسماعيليه الآن)
 وليس بمصر خليج اسلامي غيره

(تدوين الدواوين وفرض العطاء للمسلمين)

كان المسلمون هم الجند ، وكان قتالهم للدين غالباً لا للدنيا ، ولم يفرض لهم النبي ولا أبو بكر عطاء مقررًا ولكن كانوا اذا غزوا وغنموا أخذوا نصيباً من الغنائم قررته الشريعة لهم ، واذا ورد الى المدينة مال من بعض البلاد أحضر الى المسجد وفرق فيهم - فلما كانت خلافة عمر رأى أن الفتوح قد توالى ، وأن كنوز الاكسرة قد ملكت ، وأن الجمول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد تتابعت ، فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الاموال فيهم ، ولم يكن يعرف كيف يصنع ، وكيف يضبط ذلك ، وكان بالمدينة بعض سرازمة الفرس فلما رأى حيرة عمر قال له يا أمير المؤمنين ان للاكسرة شيئاً يسمونه ديواناً ، جميع دخلهم وخرجهم مضبوط فيه لا يشذ منه شيء ، وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يتطرق عليها خلل ، فتنبه عمر وقال صفه لى فوصفه المرزبان ففطن عمر لذلك ودون الدواوين وفرض العطاء ولما وضع عمر الديوان استشار الناس فقال بمن أبدأ فقالوا أبدأ بنفسك قال لا وليكني أبدأ بالأقرب فالأقرب من رسول الله فبدأ بهم فوضع الديوان على ذلك : بدأ ببني هاشم والمطلب فاعطاهم جميعاً ثم أعطى بني عبد شمس ثم بني نوفل بن عبد مناف . وجعل لكل واحد من المسلمين نوعاً مقررًا وفرض لزوجات الرسول ولسراريه وأقاربه حتى استنفد الحاصل ولم يدخر في بيت المال شيئاً - فقام اليه رجل وقال يا أمير المؤمنين لو تركت في بيوت الاموال شيئاً يكون عدة

لحادث ان حدث، فزجره عمر وقال : كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانا الله شرها وهي فتنة لمن بعدى ، انى لا أعد للحادث الذى يحدث سوى طاعة الله ورسوله ، فهي عدتنا التى بها بلغنا ما بلغنا فان كان المال ثمن دين أحدكم هلككم

(القحط وعام الرمادة)

من الحوادث التى تذكر في عهد عمر أن الناس أصابهم سنة ١٨ هـ مجاعة وقحط وجذب قيل صارت الأرض كلها سوداء تسعة أشهر، فشبهت بالرماد وقيل كانت الريح تسفى ترابا كالرمادة فهذه سبب التسمية بعام الرمادة وأقسم عمر ألا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يخصب الناس وكتب الى أمراء الأمصار يستغيثهم لاهل المدينة ومن حولها ويستمددهم فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة باربعة آلاف راحلة من طعام، فولاه قسمتها فيمن حول المدينة فقسمها وانصرف الى عمله، وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام الى المدينة فصار الطعام بالمدينة كسعر مصر، ويقال أن الخليفة صلى صلاة الاستسقاء فنشأت طريرة من سحاب ثم التأمّت ومشّت فيها ربح ثم هدأت ودرت فاخصبت الأرض وكثر الرعى وسرحت الماشية فى المرعى وأكلت كيف شاءت وشربت فدرت البانها وسمنت وتجت وبذلك اخصب الناس

طاعون عمواس

وفى هذه السنة حصل طاعون عمواس (وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس) فمات فيه أبو عبيدة وهو أمير الناس، ومعاذ بن جبل

وزيد بن أبي سفيان وغيرهم وتفانى الناس منه - ويقال أن عمر بن الخطاب قدم الشام وهذا الوباء منتشر فلقيه أمراء الأجناد على الحدود ما بين الحجاز والشام وكان فيهم أبو عبيدة فأخبروه بالوباء وشدته وكان معه المهاجرون والانصار. خرج غازيا فاستشارهم فاختلفوا عليه فمنهم القائل خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا. ومنهم القائل انه بلاء وفناء فلا نرى أن تقدم عليه ، فقال لهم قوموا عني ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه وأشاروا بالعودة ، فنادي عمر في الناس انى مصبح على طهر ، فقال أبو عبيدة أفراراً من قدر الله ؟ قال نعم ، نفر من قدر الله الى قدر الله ولما هلك يزيد بن أبي سفيان استعمل عمر أخاه معاوية على دمشق وخراجها واستعمل شرحبيل بن حسنة على جند الاردن وخراجها وأصاب الناس من الموت ما لم يروا مثله قط وطمع له المدو في المسلمين لطول مكثه ، وكان عدة من مات في طاعون عمواس خمسة وعشرين ألفاً - وبعد ارتفاعه قال عمر ان مواريت أهل عمواس قد ضاعت وسار من المدينة الى الشام عن طريق أيلة فلما قدم الشام قسم الارزاق وسمى الشواتى والصوائف وسد فروج الشام ومسالحها وقسم مواريت أهل عمواس ورجع الى المدينة في ذى القعدة سنة ١٨

❦ اجلاء اليهود والنصارى ❦

كان رسول الله قد أراد اجلاء أهل خير اليهود ، فقالوا له دعنا نكون في هذه الارض نصالحها ونقوم عليها فأجابهم وأعطانم اباها بالشرط كما سلف - فلما كانت أيام عمر عاثوا في المسلمين وغشواهم وتحذوهم

وأناهم عبد الله بن عمر في حاجة فالتقوه من فوق بيت وفدغوا يديه ،
 وذكر عمر أن الرسول قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب فأجلى
 يهود خيبر وأخرجهم منها وقسمها بين من حضرها من المسلمين وجعل
 لأزواج النبي فيها نصيبا ، ثم أجلى أهل فدك وكان نصفها خاصا للرسول
 الله فقوم الخليفة نصفها الآخر بقيمة عدل فدفمها إلى أهلها وأجلاهم إلى
 الشام - وأما وادي القرى وتبعا فقليل أن عمر أجلاهم أيضا وقسم
 الأرض بين من قاتل عليها وقيل أنه لم يجلهم لأنها خارجة من الحجاز
 وأما نصارى نجران ويهودها فقد صالحهم الرسول وجعل لهم
 ذمة الله وعهده واشترط عليهم ألا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به ، فلما كانت
 أيام عمر أصابوا الربا وكثروا فخافهم على المسلمين فأجلاهم إلى الشام
 والنجرانية بناحية الكوفة واشترى عقاراتهم وأموالهم وكتب إلى
 الناس ليوسعوا اليهم في الجهات التي ينزلون بها - ويقال أنهم كانوا قد
 بلغوا أربعين ألفا فتحاصدوا بينهم فأتوا عمر فقالوا أجلنا وكان قد
 خافهم على المسلمين فاغتنمها فأجلاهم فندموا بعد ذلك وأتوه فقالوا
 أقلنا فأبى .

(أمر الشورى في الخلافة)

لما طعن عمر بن الخطاب قيل يا أمير المؤمنين لو استخلفت قال ان
 تر كنتم فقد ترككم من هو خير مني ، وان استخلفت فقد استخلف عليكم
 من هو خير مني ، ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان سالم مولى
 أبي حذيفة حيا لاستخلفته ، قيل فلوانك عهدت إلى عبد الله فإنه له أهل

في دينه وفضله وقديم اسلامه ، قال بحسب آل الخطاب أن يحاسب
 منهم رجل واحد عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولوددت انى نجوت
 من هذا الامر كفافا لالى ولا على ، ثم راحوا فقالوا يا أمير المؤمنين
 لو عهدت . فقال قد كنت أجهت بعد مقاتلى لكم أن أولى رجلا أمرهم
 أرجوان يحملكم على الحق وأشار الى على) ثم رأيت ألا تحملها حيا وميتا
 فعليكم هؤلاء الرهط الذين قال النبي انهم من اهل الجنة ، منهم سعيد
 ابن زيد بن عمرو بن نفيل ولست مدخله فيهم ، ولكن الستة على وعثمان
 ابنا عبد مناف وسعد (بن ابى وقاص) وعبد الرحمن بن عوف خال رسول
 الله والزيبر بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الخزومي احوارى
 رسول الله (الحواري الناصر وناصر الانبياء) وابن عمته ، وطلحة
 الخبر ، فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوكم واليا فأحسنوا موازرته ، فلما
 أصبح عمر دعا غلبا وعثمان وسعدا والزيبر وعبد الرحمن ثم قال انى
 نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم وانى
 لاخاف الناس عليكم ولكنى أخافكم على الناس وقد قبض رسول الله وهو عنكم
 راض فاجتمعوا الى حجرة عائشة باذنها فتشاوروا واختاروا منكم رجلا ،
 وليصل بالناس صهيبة ثلاثة أيام ولا يأتى اليوم الرابع الا وعليكم أمير
 منكم ، ويحضركم عبد الله (بن عمر) مشيرا ولا شيء له من الامر ، وطلحة
 شريككم فى الامر فان قدم فى الثلاثة فاحضروه أمرهم وان مضت قبل
 قدومه فامضوا أمرهم ، ومن لى بطلحة فقال سعد أنالك به ان شاء الله
 ثم قال لابي طلحة الانصارى ان الله قد أعز بكم الاسلام فاختر
 خمسين رجلا من الانصار وكونوا مع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا

منهم ، وقال للمقدارين الاسود اذا وضعتوني في حفرتي فاجمع هؤلاء
الرهط حتى يختاروا رجالا منهم فان اجتمع خمسة على رأى واحد
وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اجتمع أربعة فرفضوا وأبى الاثنان
فأضرب رأسيهما ، فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله
ابن عمر ، فان لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن
عوف واقلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس

فلما مات عمرو وأخرجت جنازته تصدى على وعثمان أيهما يصلى
عليه فقال عبد الرحمن كلاهما يحب الامرة ، لستما من هذاني شيء ، هذا
صهيب استخلفه عمر يصلى بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس على امام -
فلما دفن عمر جمع المقداد وأهل الشورى في بيت عائشة باذنها ونشاوروا
على سيجىء في كيفية انتخاب عثمان خليفه

ومما تقدم ترى ان عمر رضى الله عنه لم يشأ أن يترك الامة تتخبط في
اختيار الخليفة من بعده نخبطا ، ولم يرض ان يستخلف حتى لا يتحمل
تبعها حيا وميتا ، وانما ابتغى بين ذلك سبيلا ، ورسم للقوم طريقة العمل
وحاطها بشيء كثير من التدبير رجاء لايضل الناس من بعده سواء السبيل
غبر أن أصر الشورى وما أدت اليه أتاح الفرصة لاهياء ما كان
بين بنى هاشم وبنى أمية من الخلاف في الجاهلية

وقد روى عن معاوية قال انه لم يشتت بين المسلمين ولا فرق
أهواءهم الا الشورى التي جعلها عمر الى ستة نفر . . . فلم يكن منهم
رجل الا رجاها لنفسه ورجاها له قومه وتطلعت الى ذلك نفسه ولو ان
عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك اختلاف

كما روى ان عمر قال في شأن علي للمغيرة بن شعبة أنا والله لولا دعاية فيه ما شككت في ولايته وان نزلت علي رغم أنف قريش وبظهر ان هذه العقيدة هي التي صرفت عمر عن استخلاف علي

وروي عن عبد الله بن عباس انه قال : ماشيت عمر بن الخطاب يوما فقال لي يا ابن عباس ما بمن قومكم منكم وأنتم أهل البيت خاصة ، قال لأدرى ، قال لكنتي أدرى ، انكم فضلة مومم بالنبوة فقالوا ان فضلوا بالخلافة مع النبوة لم يبقوا لنا شيئا ، وان أفضل النصيبين بأيديكم بل ما أخالها الا مجتمعة لكم وان نزلت علي رغم أنف قريش ، وربما كان هذا الاعتقاد أيضا مما صرف عمر عن استخلاف علي مجازاة للرأي العام في آل البيت .

وبعد فهذه جملة صالحة من الحوادث التي كانت علي عهد عمر بن الخطاب - أما أخباره في عدة فطنته وقوة ذكائه وفراسته واهتمامه برعيته وحسنه بالمدينة وعدله وحذره من الابتداع وتمسكه بالسنة وشدة هيئته في القلوب وزهده وتواضعه وروعه وخوفه من الله عز وجل وطلبه الموت خوف المعجز عن الرعية وغير ذلك فقد وردت فيه قصص وحكايات ليس هذا موضع بسطها أو استقصائها فهي أشهر من أن تذكر .

ولقد حضر بأمور في خلافته لم يسبق اليها ، فهو أول من وضع التاريخ الهجري وأول من سمي بأمر المؤمنين ، وأول من جمع القرآن في الصحف ، وأول من سره قيام رمضان وجمع الناس عليه وأول من ضرب في الحرم ثمانين ، وأول من عس في عمله بالمدينة وحمل الدرّة وأدب

بها ، وقيل بعده . لدره عمر أهيب من سيفكم ، وأول من مسح السواء
وأرض الجبل ووضع الحراج على الأرض والجزية على جماجم أهل
الذمة فيما فتح من البلدان على اعتبار الغنى منهم والوسط والفقير ، وأول
من مصر الأمصار وانزلها العرب واستقضى القضاء فيها ، وأول من دون
الدواوين وفرض الاعطية وأول من قامم المال إذا عز لم
وكان رضى الله عنه يستعمل قوما وبدع أفضل منهم ليصرم
بالمال ، وكان أزهد الصحابة في الدنيا وأشد في أمر الله هذا وقد ولى
الخلافة لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣ وطعن ثلاث بقين من
ذي الحجة سنة ٢٣ وكان إسلامه فتحا وهجرة نصرأ وإمارته رحمة

خلافة عثمان

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف
وكان أبيض مشرباً صفرة كأنها فضة وذهب حسن الساعدين سبط الشمر
أصلع الرأس أجمل الناس إذا أغم .

وكان واسع الروة حسن السيرة محباً في قومه عفيفاً أميناً ، وقد
أصهر اليه الرسول بعد إسلامه بابنته رقية فماتت بالمدينة يوم بدر فزوجه
من ابنته الأخرى وهى أم كلثوم وكان من مهاجرة الحبشة كما كان سفير
رسول الله إلى قريش يوم الحديبية وكان يكتب الوحي لرسول الله كما
كان ليكل من ابى بكر وعمر كتاباً ومستشاراً .

ولى الخلافة اثنى عشرة سنة وستة عشر يوماً ، وهو أول من
اتخذ الشرطة وكان كاتبه مروان بن الحكم وحاجبه حمران مولاه

﴿ كيفية انتخابه خليفة ﴾

لما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت عائشة بأذنهم وهم خمسة ، معهم ابن عمر وطالمحات غائب وأمروا بأفروة فحجبهم ، وجاء عمرو ابن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحضرهما سعد وأقامهما وقال تريد أن تقولاً حضرننا وكنا في الشورى

تنافس القوم في الأمر وكثر بينهم الكلام كل يرى أنه أحق بالأمر فقال أبو طلحة لا ندافعوا فاني أخاف أن تنافسوها ، لا والذي ذهب بنفس محمد لا أزيدكم على الثلاثة الايام التي أمر بها عمر او أجلس في بيتي - فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد ، فقال أنا انخلع منها - قال عثمان أنا أول من رضى وقال القوم رضينا وعلى ساكت ، فقال عبد الرحمن ماتقول يا أبا الحسن قال ان أعطيتني موثقاً لتوثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألو الامة نصحا قال عبد الرحمن اعطوني موثيقكم على أن تكونوا معي على من نكل وان رضوا بما أخذت لكم فتوثق بعضهم من بعض وجعلوها الى عبد الرحمن

خلا عن الرحمن بعلي فقال لك أحق بالأمر لقربتك وسابقتك وحسن أثرك ولم تبع ، فمن أحق بها بعدك من هؤلاء قال عثمان - وخلا عثمان فسأله عن مثل ذلك فقال على وخلا بلال بير فقال عثمان ولما خاف على أن يكون عبد الرحمن والزيير وسعد مع عثمان لقي سعدا ومعه الحسن والحسين فقال له انقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا أسألك برحم ابني هذين من رسول الله وبرحم

هـى حمزة منك ألا تكون مع عبد الرحمن ظهيرا على لعثمان فأنى أدلى
بما لا بدلى به عثمان

ثم دار عبد الرحمن ليلاليه تلك على مشايخ قريش بشاورم فكلهم
يشير بعثمان ، حتى اذا كان فى الليلة التى استكمل فى صبيحتها الاجل أنى
منزل المسور بن مخرمة بعد هجمة من الليل فأيقظه فقال ألا أراك إلا
نأثما ولم أذق فى هذه الليالى نوما - فانطلق فادع لى الزبير وسعد فدعاها
وتشاورا ، ثم أرسل المسور الى على فناجاه طويلا وهو لا يشك أنه
صاحب الامر ثم أرسل المسور الى عثمان فناجاه طويلا حتى فرق
بينهما أذان الصبح

فاما صلوا الصبح جمع اليه الرهط ، وبعث الى من حضر من
المهاجرين والانصار والى أمراء الاجناد حتى ارنج المسجد باهله فقال
أيها الناس أن الناس قد أحبوا أن تلمحق أهل الامصار بالمصارم وقد
علموا من أميرهم ، فجهر عمار والمفداد بانتخاب على ، وجرا بن أبى
سرح باختيار عثمان ، فشم عمار بن أبى سرح وقال متى كنت تصح
المسلمين وتكلم بنو هاشم وبنو أمية فخطب فيهم عمار وقال : أنى تصرفون
هذا الامر عن بيت نبيكم ؟ فقال له رجل من بنى مخزوم لقد عدوت
طورك يا ابن سمية ، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها ؟ فنادى سعد
يا عبد الرحمن افرغ قبل أن يفتن الناس - فدعا عبد الرحمن عليا فقال
عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفين
من بعده قل اعمل بمبلغ علمى وطاقتى - ودعا عثمان فقال له مثل
ما قال لعلى فقال نعم ، فبابعه ، فقال على حبونه محابة ، ليس

ذا بأول يوم تظاهرت فيه علينا أم والله ماوليت عثمان الا ليرد الامر اليك
والله كل يوم هو في شأن ، فقال عبد الرحمن يا علمي لا تجعل على نفسك
سبيلا فاني قد نظرت وشاورت الناس فاذا هم لا يعدلون بعثمان أحدا
فخرج على وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله - وقال المقداد أم والله لقد
تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون فقال يا مقداد والله لقد
اجتهدت للمسلمين ، قال لئن كنت أردت بذلك الله دفأنا بك الله ثواب
الحسنين ثم قال المقداد ما رأيت مثل ماأوتى أهل هذا البيت بعد نبيهم
ولا أقضى منهم بالعدل ولا أعرف منهم بالحق أم والله لو أجد أعوانا ،
فقال له عبد الرحمن يا مقداد اتق الله فاني اخشى عليك الفتنة

وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه عثمان فقبل له ان الناس قد
بايعوا عثمان فقال أكل قريش رضوا به ؟ قالوا نعم ، وأتى عثمان فقال له
عثمان أنت على رأس أمرك ، قال طلحة فان أبيت أتردها ؟ قال نعم ،
قال أكل الناس بايعوك قال نعم ، قال قد رضيت ، لا أرغب عما اجتمعت
الناس عليه وبإياله .

﴿ نظرة في هذا الانتخاب ﴾

قد تم انتخاب عثمان على الصورة التي وصفت ، وقد صارت على
سنن واضح لا سبيل الى نقده في أي ناحية من نواحيه الا ان أسمي
الظن أولا بالخليفة عمر وثانيا بخيار الصحابة ، وينبغي أن يسند وجه
اختيار عثمان والمعدل عن على الى ما كان من موافقة الرأي العام في
ذلك الوقت من أنه لا ينبغي ان يجمع بنو هاشم بين جاء النسب وجاء

الخلافة ثم الى ماكان من ظهور على حتى في آخر لحظة بالتجديد مجتهدا ،
والامة لاتزال حريصة على التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ومارسم الشيخان
وقد غالى بمض الباحثين في التاريخ وجعل أمر اختيار عثمان
نتيجة تدبير قام باحكامه بنو أمية ، وكانوا حزبا قويا في المدينة ولم يدخلوا
في الاسلام الا رجاء ان يستعيدوا ما كان لهم في الجاهلية من ملك ، وقد
نجحوا بدسائسهم في اقضاء الخلافة عن على واسنادها الى عثمان ومعنى
ذلك انتصار بنى أمية على بنى هاشم .

وهذه المغالاة نتيجة جهل بأحوال الصحابة وأخلاقهم ، واذا لم
تطلب الاخلاق الفاضلة من الامانة والصدق والعدل وصيانة الحق بين
كبار الصحابة فأين تطلب ؟ ومن الذى يكون المثل الاعلى فى تحرى
الحق والعمل على مقتضاه ان لم نجده فى أصحاب رسول الله الذين مات
وهو راض عنهم - أما اولئك الباحثين فان جهلهم آت من أنهم يقيسون
أصحاب رسول الله هؤلاء برجال السياسة فى العصر الحاضر الذين
يضحون بالمصالح العامة فى سبيل الحصول على المصالح الخاصة ، وهو
قياس مع الفارق .

﴿ أول ما نظر فيه ﴾

وبعد أن تمت البيعة جلس عثمان فى جانب المسجد ودعا عبيد الله
ابن عمر بن الخطاب وكان قد قتل أبا لؤلؤة قاتل أبيه ، وقتل جفينة وهو
رجل نصرانى من أهل الحيرة وقتل الهرمزان وانما قتل هؤلاء النفزلان
عبد الرحمن بن أبى بكر قال غداة قتل عمر : رأيت عشيبة أمس الهرمزان

وأباً لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون ، فلما رأوني ثاروا وسقط منهم خنجره
 رأسان ، نصابه في وسطه وهو الحجر الذي ضرب به عمر ، فلما قتلهم
 عبيد الله أخذه سعد بن أبي وقاص فحبسه في داره وأخذ سيفه واحضره
 عند عثمان ، وكان عبيد الله يقول والله لأقتل رجلاً ممن شرك في دم
 النبي ، يعرض بالمهاجرين والانصار ، فلما أحضره عثمان قال أشيروا علي
 في هذا الرجل الذي فتق في الاسلام ما فتق ، فقال علي أرى أن تقتله ،
 قتل بعض المهاجرين قتل عمر أمس وبقتل ابنه اليوم ، وقال عمرو بن
 العاص يا أمير المؤمنين ان الله قد أعفأك أن يكون هذا الحدث كان ولك
 على المسلمين سلطان ، فقال عثمان أنا وليه وقد جعلتها دبة واحتملتها في
 مالي - بذلك وجد مخرجاً من هذا المأزق ولكن الناس أكثروا في دم
 الهرمزان فبين لهم وجهة نظره ، ثم رأى ان ينفي عبيد الله حسماً للنزاع
 وقطعاً للكلام فاخرجه من المدينة وأثرله داراً في الكوفة

هذا ومن يراجع أخبار هؤلاء القتلى يستنبط أن طعن عمر لم يك
 أمراً فردياً فعله أبو لؤلؤة لان عمر لم ينصفه من المفيرة ، بل انه مؤامرة
 سياسية دبرها هؤلاء انتقاماً من المسلمين (الذين هدموا بناء النصرانية
 والمجوسية) وشخص خليفتهم وولى أمرهم عمر

أما جفينة فرجل من نصارى الاثبات أرسله سعد الى المدينة ليقوم
 بتعليم صبيانها القراءة والكتابة ، وأما الهرمزان فقد عرفت من خبره
 في أسره انه لا يقيم الايمان والعهود وزناً ، وأما أبو لؤلؤة فمن سبي الفرس
 فكلمهم حينئذ من العجم الحافدين على المسلمين وهم في كل يوم يسمعون
 بالفتح في بلادهم وبرون الاسرى من الفرس يفتدون تباعاً ويقتسمون

أقتسام العبيد وكان أبو لؤلؤة كلما وفد منهم وفد مسح على رؤوسهم وقال أكل كبدي عمر، وكانت العجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض ويجتمعون عند الهرمزان، ولا بدأنهم كانوا يتداولون في أمورهم ويذكرون ما هم فيه ويرجعون بالتبعية على عمر خليفة المسلمين، ويظهر أن كعب الاخبار كان يطلع على تدبيرهم وهو يهودى أسلم حينما رأى أن النصرانية واليهودية في اضمحلال باستمرار أمام الاسلام في بلاد العرب والشام وأن اسلامه يجعله في عز لم يحلم به بين قومه وبخاصة لانه كان عنده علم من الكتاب ومعرفة بأخبار العرب في جاهليتهم وقد جاء الى عمر فقال له اعهدي فانك ميت في ثلاثة أيام فلما قتل عمر ظن المسلمون أن كعبا يجد في أخبار التوراة ما لا يعلمه العرب فكان له بهذا الخبر وأمثاله منزلة سامية بينهم، ولو كان التحقيق في قتل عمر قد سار على المنوال الحاضر لاتخذت النيابة مثالا من أخبار كعب قرينه لا شراكم مع هؤلاء في جريمة قتل عمر - هذا ولا شك ان عبيد الله بن عمر انما قتل من قتل على اعتقاد انهم اشتركوا في هذه الجناية (ويقال انه قتل ابنة أبي لؤلؤة أيضا) ولكنه أخطأ مرتين : لانه قتل غير القاتل ، ولأنه تولى القصاص بنفسه من غير ان ينتظر حكم ولى الامر ، فهو قد اقترف جريمة القتل عمدا ، ولذلك لما تولى على الخلافة أراد قتله فهرب منه الى معاوية بالشام ، ولكن عثمان استند في اعفائه من القتل على رأى اقتنع بوجاهته فقضى بما تقدم في شأن عبيد الله ، ثم قام وصعد المنبر وبايعه الناس كافة ، وولى لوقته سعد بن أبي وقاص على الكوفة وعزل المغيرة بن شعبه وذلك بوصية

عمر لانه أوصى بتولية سعد وقال لم أعزله عن سوء ولا خيانة منه ، وأقر
لأول مرة عمال عمر كلهم .

﴿ الفتوح في عهد عثمان ﴾

من الفتوح التي كانت في عهد عثمان ما سبق فتحه أيام عمر : لان أهلها
نقضوا ما عاهدوا المسلمين عليه ولذلك يكون جهاد المسلمين لردم الى
الطاعة فتحا جديدا .

﴿ (١) فتح الاسكندرية ﴾

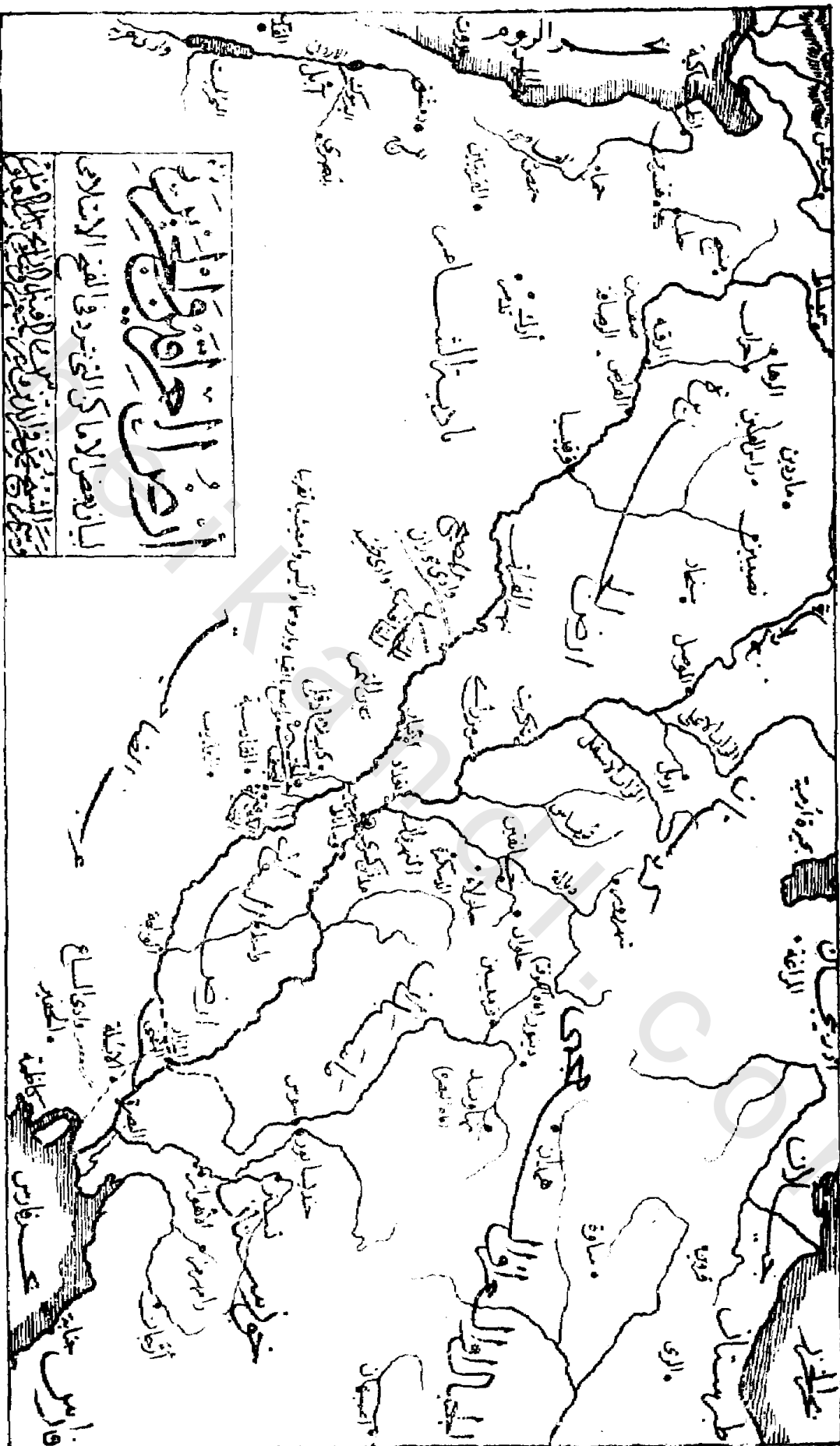
لما سار هرقل الى القسطنطينية وفارق الشام واستولى المسلمون
على الاسكندرية ، بقي الروم بها تحت أيديهم ، فكانوا هرقل وأخبروه
بقلة من عندهم من المسلمين ، ومما هم فيه من الذلة وأداء الجزية واستنجدوه
فأنجدهم وأرسل اليهم عسكريا مع منويز الخصى في ثلاثمائة مركب
مشحونة بالمقاتلة ، فدخل منويز الاسكندرية وقتل من بها من روابط
المسلمين ، وخرج يريد عمرو ابا الفسطاط . فلما علم عمرو سار اليه بالمسلمين
ولما التقى الجمعان انهزم الروم وولوا مدبرين الى الاسكندرية اذ لم يكن
لهم على غيرها طريق ، فدخلوها وتحصنوا بها فألح عليهم عمرو حتى دخلها
بالسيف عنوة وقتل الروم وقائدهم وكان الروم قد أخذوا في خروجهم
الى عمرو اموال اهل القرى فردها عليهم بالبينة ثم هدم سور الاسكندرية
(وكان قد نذر لئن فتحها ليفعلن ذلك) ثم رجع الى مصر واستخلف
على الاسكندرية وردان مولاه فلم يلبث الا قليلا حتى أتاه عزله اذولى
هشام بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان أخاه من الرضاع وكان عهد الله

على خراج مصر من قبل عثمان فخرى بينه وبين عمرو كلام فكتب
عبد الله يشكو عمرا فعزله عثمان وجمع العاملين لعبد الله بن سعد ، ويقال
ان عزل عمرو جاءه وقد نزلت الروم الاسكندرية فسأل أهل مصر
الخليفة أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم لان له معرفة بالحرب
وهيبة في أنفس العدو ففعل حتى هزمهم فأراد عثمان ان يجعل عمرا على
الحرب وعبد الله على الخراج فابى عمرو وقال أنا كما سك قرني البقرة
والامير يحلبها فولى عثمان بن سعد مصر .

﴿ فتح أرمينية وأذربيجان ﴾

أشرفنا في خلافة عمر الى أن المسلمين وصلوا في الفتح هذه النواحي
الى ما وراء الباب ثم أنهم نقضوا فغزاهم الوليد بن عقبة لما استعمله
عثمان على الكوفة وفتح وغنم وسبى حتي طلب أهل كور أذربيجان
الصالح فصالحهم على الصالح السابق وهو ثمانمائة الف درهم وقبض
المال، ثم بعث سليمان بن ربيعة الباهلي في اثني عشر ألفا الى أهل أرمينية
فسار بقتل ويغنم ويسبى ثم عاد الى الوليد ظافرا

ويروى أن عثمان كتب الى معاوية يغزى جيب بن مسلمة في أهل
الشام أرمينية فبعثه وحاصر قال قلا حتى نزلوا على الجلاء أو الجزية ، فجلا
كثير منهم فلحقوا بارض الروم وأقام فيها فيمن معه أشهر انهم بلغه أن بطريق
أرمينا ففس وهو بلاد ملطية وسيواس وقونية الى خليج قسطنطينية قد
زحف اليه في ثمانين ألفا فكتب الى معاوية يخبره فكتب معاوية الى عثمان
فارسل عثمان الى سعيد بن العاصي ، وقد ولاه الكوفة وعزل الوليد) بامداد



ارض العرب والجزيرة

بيان بعض الاماكن التي تتردى في الفتح الاسلامي

وتسعى الى فتح جزيرة العرب والجزيرة

حبيب فامده بسلامان بن ربيعة في ستة آلاف فبيت الروم وهزمهم وعاد الى قالية لا ، ثم سار في البلاد فمر بخلاط ثم أنى سمشاط فحاربوه فهزمهم وغلب على حصونهم ثم سار الى نفليس فصالحه أهلها وسار سلامان بن ربيعة الباهلي الى اران فصالحه أهلها على الحراج وكذلك صنع أهل شروان وملوك الجبال الى الباب

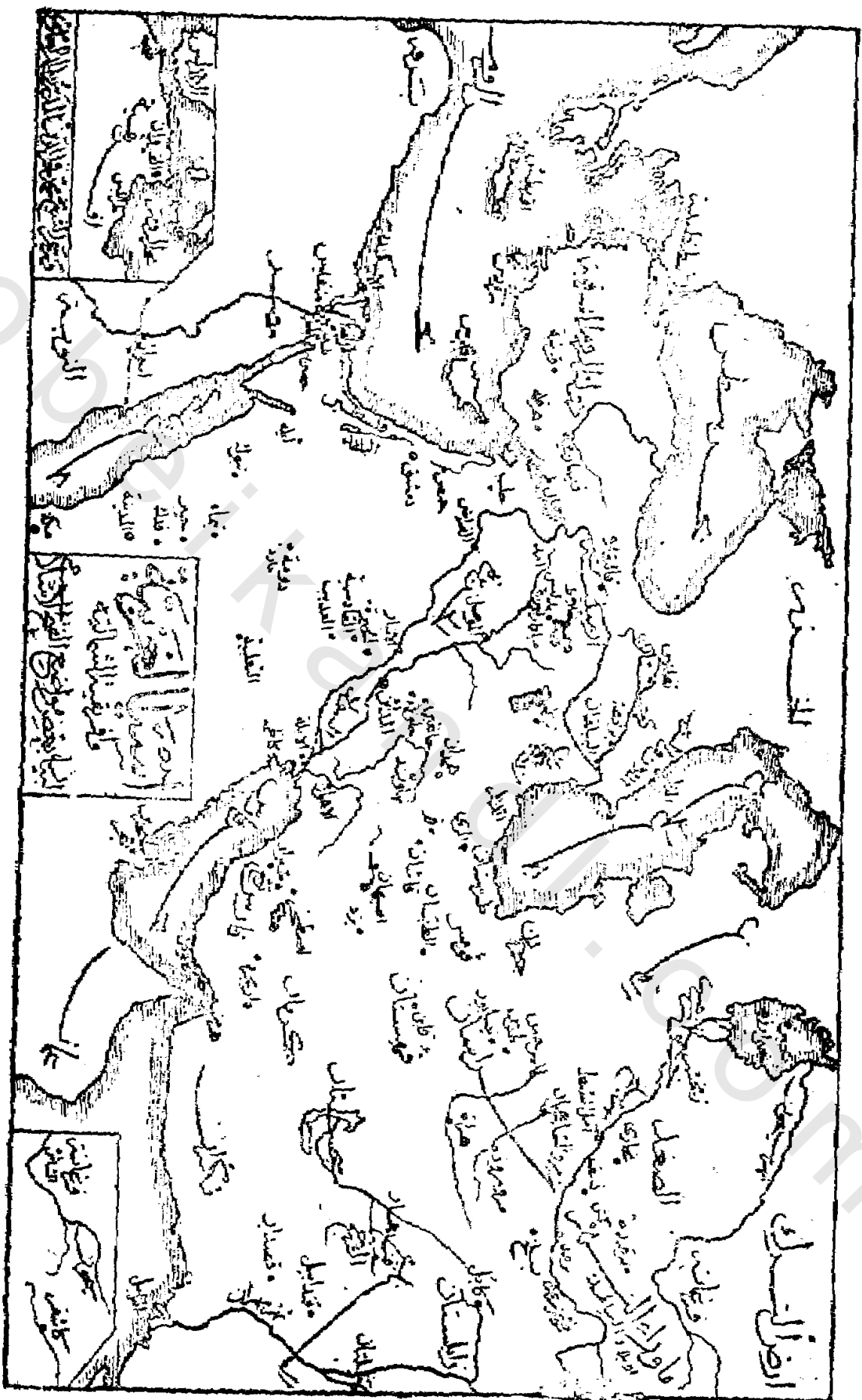
﴿ (٢) الفتح في فارس وخراسان ﴾

عزل عثمان أباموسى الاشعري عن البصرة وولى مكانه عبد الله ابن عامر وهو ابن خال عثمان وكان ابن خمس وعشرين سنة ، فصرف عبيد الله بن معمر عن خراسان وبعثه الى فارس وولى على خراسان عمير بن عثمان بن سعد فائخن فيها حتى وصل الى فرغانة ولم يدع كوترة الا اصلحها ، ثم جاشت فارس وانتفضت بعاملها واجتمعوا له فلقيتهم باصطخر فهزموا جنده وقتلوه فعلم ابن عامر فاستنفر أهل البصرة ولقى الحارث بن باصطخر فقتل منهم مقلّة عظيمة وفتحت اصطخر عنوة ، ثم سار الى غيرها فنقضت ثانية فمادوا حاصرها طويلا ورموها بالمجانيق واقتحمها عنوة وقتل بها خلقا كثير امن الاعاجم وأفنى اكثر أهل البيوتات ووجوه الاساورة لانهم كانوا قد لجئوا اليها ووطئ أهل فارس وطأة لم يزلوا منها في ذل وكتب الى عثمان بالفتح فأمره ان يولى العمال على كور فارس ولما افتتح ابن عامر فارس أشار عليه الناس بقصد خراسان وكانوا قد انتقضوا فسار اليها ويقال انه عاد اولا الى البصرة ومنها سار الى خراسان واستخلف علي البصرة زياد ابن أبيه وسار الى كرمان وقد

نكتو فسير الحربهم فصيلة والحرب سجستان فصيلة أخرى وسار هو إلى نيسابور وتقدمه الأحنف بن قيس إلى الطيسين حصنين هما بابا خراسان فصالحه أهلها وسار إلى قوهستان فقتل أهلها حتى أحجزهم في حصنهم ولحقهم ابن عامر فصالحوه على ستمائة ألف درهم ثم بعث ابن عامر السرايا إلى أعمال نيسابور فاستولى عليها وعلى المدينة بعد أن حاصرها أشهر وكان بها أربعة مرازية من فارس فسأل أحدهم الأمان على أن يدخلهم ليلاً وفتح لهم الباب وتحصن الأكبر منهم في حصنها فحاصروه حتى صالح على ألف ألف درهم

ثم أرسل السرايا إلى تساوا بيوردوسرخس وطوس ومرو ففتحت كلها صلحا أو عنوة وأرسل الأحنف إلى طخارستان فصالح في طريقه أهل مرو والروز بعد أن هزمهم وحاصرهم فيها ثم اجتمع إليه أهل تلك النواحي فهزمهم ورجع إلى مرو ثم ذهب إلى بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحوه ثم سار إلى خوارزم على نهر جيحون فامتنعت عليه فرجع إلى بلخ - ثم إن ابن عامر استعمل على سجستان عبد الرحمن بن سمرة فسار إليها وحاصر زرنج حتى صالحوه ، ثم غلب على ماحولها وفتح كابل وزابلستان صلحا ثم عاد إلى زرنج - ولما كان هذا الفتح العظيم على يد ابن عامر قيل له لم يفتتح لأحد ما فتحت عليك فقال لا جرم ، لأن جملين شكرى لله على ذلك أن أخرج محرما من موقفي هذا فأحرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فسار في أرض طخارستان ودوخها

وبالتأمل ترى أن فتوح فارس وخراسان من فتوح أهل



ارض الترك

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البحر

البصرة كما أن فتوح أرمينية وأذربيجان من فتوح أهل الكوفة وكذلك جهات طبرستان وقومس وجرجان فإن سعيد بن العاص غزا طبرستان ومعه ناس من أصحاب النبي منهم الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن الزبير وحذيفة بن اليمان ، ووافق ذلك خروج ابن عامر من البصرة فنزل نيسابور ونزل سعد قومس وهي صلح ، ثم أتى جرجان فصالحوه

(٤) فتح قبرص

كان معاوية بن أبي سفيان قد جعله عمر مـكان أخيه يزيد علي على دمشق والأردن فلما نولى عثمان جمع له حمص وقنسرين ثم فلسطين فاجتمع الشام كله لمعاوية لسنتين من اماره عثمان وكان يلح على عمر في غزو البحر وهو بمحمص وكان كتب اليه في شأن قبرص أن قرية من قري حمص بسماع أهلها بنجاح كلاب قبرص وصياح دجاجهم - فكتب الى عمرو ابن العاص أن صف لي البحر وراكبه فكتب اليه كتابه المعروف فكتب الى معاوية والذي بعث محمدا بالحق لأحمل فيه مسلما أبدا - ثم ألح على عثمان بعده في غزو البحر فأجابه على خيار الناس وطوعهم ففعل وسار المسلمون الى قبرص من الشام ، وسار اليها عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم أهلها على سبعة آلاف دينار كل سنة يؤدون الى الروم مثلها لا ينعمهم المسلمون عن ذلك وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم من سواهم ، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم اليهم ويكون طريق المسلمين الى العدو عليهم وكان ذلك سنة ٢٨ أو ٢٩ أو ٣٣

﴿ (٥) الفتح في أفريقية ﴾

أمر عثمان عبد الله بن أبي سرح بغزو أفريقية سنة خمس وعشرين وقال له ان فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم ، فأمر عقبة بن نافع بن عبد القيس على جند ، وعبد الله بن نافع بن الحرث على آخر وسرحهم ما فخرجا في عشرة آلاف الى افريقية فصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة أهلها - ثم ان ابن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك فاستشار الصحابة فاشاروا به فجهز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة فساروا مع عبد الله سنة ست وعشرين ولقيهم عقبة بن معه ببرقة ثم ساروا الى طرابلس فنهبوا الروم عندها ثم ساروا الى أفريقية وبثوا السرياء في كل ناحية ، وكان ملكهم جرجير يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ويحمل اليه الخراج ، فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين الفا ولقي المسلمين على يوم وليلة من سببلة دار ملكهم ، فدعوه الى الاس- لام أو الجزية فاستكبر ، ولحقهم عبد الرحمن بن الزبير مددا بعثه عثمان ، ولما سمع جرجير بالمدد فت في عضده ثم أن المسلمين حملوا حملة رجل واحد حتى غشوا الروم في خيامهم فانهزموا وقتل جرجير عبد الله بن الزبير وأخذت ابنته ، ثم حاصر ابن أبي سرح سببلة حتى فتحها وما زال يوغل ويفتح الله عليه حتى صالحه أهل افريقية على ألفى ألف وخمسمائة دينار ، فارسل ابن الزبير والخمس فاشترى مروان بخمسمائة الف دينار ثم رجع ابن أبي سرح الى مصر بعد مقامه سنة وثلاثة أشهر .

ولما بلغ هرقل أن أهل أفريقية صالحوا غضب عليهم وبعث بطريقا يأخذ منهم مثل ذلك المال فأبوا وقالوا كان ينبغي أن يساعدا فيما نزل بنا فخاربهم البطريق وطردهم ملكهم الذي ولوه بعد جرجير ففر إلى الشام .

ثم خرج قسطنطين بن هرقل غازيا إلى الاسكندرية في ستمائة مركب وركب المسلمين البحر مع ابن أبي سرح ومعه معاوية في أهل الشام ولما التقى الجمعان استمر القتال فانهزم قسطنطين وجرح وسار إلى صقلية فاخبرهم بالهزيمة وعاد ابن أبي سرح ظافرا ، وتسمى هذه الغزوة (ذات الصواري) وكان سنة ٣٤٤ وسميت بذلك لكثرة صواري المراكب واجتماعها

﴿ مقتل يزدجرد ﴾

لما خرج ابن عامر من البصرة إلى فارس فاقتحمها هرب يزدجرد فبعث ابن عامر في أثره من اتبعه إلى كرمان فهرب منها إلى خراسان ولحق بمرو فسأل ماهويه (وهو مرزبانها) في المال فمنعه وخافه على نفسه وخافه أهل مرو على أنفسهم ، فاستصروا الترك فاتوه فيبتوه فقتلوا أصحابه ، فهرب يزدجرد ماشيا إلى شط المرخاب فاوى إلى بيت رجل ينقر الأرحاء فلما نام قتله . وقيل أن أهل مرو هم الذين بيتوه وقتلوا أصحابه وهرب منهم فقتله النصارى وتبعوا أثره إلى بيت الذي ينقر الأرحاء فاخذوه وضربوه فاقرب بقتله فقتلوه وأهله وقد جاء في قصة يزدجرد وقتله روايات كثيرة تنتهي كلها إلى أن النصارى قتله بعد أن ظل في محاربة العرب ست عشرة سنة وبمؤنه انقرض ملك الساسانية

﴿أمر المصاحف﴾

كان سعيد بن العاصي ردها لحذيفة بن اليمان بأذريجان حينما سار لغزو الباب مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة ، فلما عاد حذيفة أخبره بما رأى من اختلاف أهل البلد ان في القرآن ، وان أهل حمص يقولون قراءتنا خير من قراءة غيرنا أخذناها عن المقداد ، وأهل دمشق يقولون كذلك ، وأهل البصرة عن أبي موسى ، وأهل الكوفة عن ابن مسعود ، فانكر ذلك سعيد واستعظمه وحذر من الاختلاف في القرآن ، ووافقه من حضر من الصحابة والتابعين ، وأنكر عليه أصحاب ابن مسعود وأغلظ عليهم وخطأهم فاغلظ له ابن مسعود فغضب سعيد وافترق المجلس ، ثم سار حذيفة الى عثمان فأخبره وقال : أنا النذير العريان قادرك الأمة ، فجمع عثمان الصحابة فرأوا ما رآه حذيفة ، فارسل عثمان الى حفصة أن ابشى الينا بالصحف ننسخها ، وكانت هذه الصحف هي التي كتبت أيام أبي بكر (فان القتل لما استحر في القراء يوم اليمامة قال عمر لأبي بكر أرى ان تأمر بجمع القرآن لئلا يذهب الكثير منه لفناء القراء فأبى وقال ان رسول الله لم يفعله ، ثم استبصر ورجع الى رأى عمر ، وأمر زيد بن ثابت بجمعه من الرقاع والعشب وصدور الرجال ، وكتب في الصحف فكانت عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة) وارسل عثمان فأخذها وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف وقال : اذا اختلفتم في كلمة فاكتبوها بلفظ قريش ففعلوا ونسخوا المصاحف فبعث الى كل اقل

بمصحف يعتمد عليه و حرق ما سوى ذلك في سائر الامصار فكل الناس عرف فضل هذا الفعل الا ما كان من اهل الكوفة فان المصحف لما قدم عليهم فرح به اصحاب النبي أما اصحاب ابن مسعود ومن وافقهم فامتنعوا عن ذلك وعابوا الناس فقام فيهم ابن مسعود حتى نحاهم عن ذلك وحملهم عليه

﴿ بدء الانتفاض على عثمان ﴾

مقدمة — لما استكمل الفتح على ما رأيت ونزل العرب الامصار وكان المختصون بصحبة الرسول والمتأدبون بآدابه والمقتدون بهدية هم المهاجرون والانصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم — وأما سائر العرب من بكر وعبد القيس وسائر ربيعة والازد وكندة وقضاعة وتميم، فلم يكونوا من تلك الصحبة بمكان الا قليلا منهم، وكان لهم في الفتح الاسلامي فضل يترفون لانفسهم به، ولا ينكر فضلاؤهم فضل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار بل يدينون بمعرفة حقهم، وكانوا في أيام الرسول وما بعده بقليل قد شغلوا بامر النبوة وتردد الوحي وتنزل الملائكة فلما مضت تلك الايام تنوى الحال بعض الشيء واستفحل الملك وذل العدو نبضت فيهم عروق الجاهلية واستيقظوا فاذا الرياسة عليهم للمهاجرين والانصار من قريش، عند هذا أنفت نفوسهم ورأوا أنه لا ينبغي أن يخضعوا لغيرهم وقد كانوا اسيادة ليس لاحد عليهم سبيل، ووافق ذلك أيام عثمان فأرادوا أن يصطادوا في الماء العكر فكانوا يظهرون الطعن في ولاته بالأمصار ومؤاخذتهم

ونقدمهم والابطال في طاعتهم والتجني عليهم وسؤال الاستبدال والعزل ،
وبقيضون في التكبر على عثمان - وفشت المقالة بذلك من اتباعهم وتنادوا
بالظلم من الامراء في جهاتهم ، وانتهت الاخبار بذلك الى الصحابة بالمدينة
فارتابوا لها ، وافاضوا في عزل عثمان وحمله على عزل امرائه

فلما أحس عثمان الامر بعث الى الامصار من يأتيه بصحيح الخبر
فرجعوا اليه وقالوا ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعيان المسلمين - الا عمار
ابن ياسر فقد استماله قوم من الاشرار بمصر وانقطعوا اليه فلم يرجع ، وكان
ممن لازمه عبد الله بن سبأ ويعرف بابن السوداء كان يهوديا وهاجر
أيام عثمان فلم يحسن اسلامه وأخرج من البصرة فلحق بالكوفة ثم بالشام
وأخرجوه فلحق بمصر وكان يكثر الطعن على عثمان ويدعو في السرايا
البيت ويقول أن محمدا يرجع كما يرجع عيسى مستدلا بقوله تعالى « ان
الذي فرض عليك القرآن لرادك الى مآد » وان عليا وصي النبي
وقد ظلم حيث لم تجز وصيته ، وان عثمان اخذ الأمر بغير حق ، وكان
يحرص الناس على القيام في ذلك والطعن على الأمراء فاستمال الناس
بذلك في الامصار وكاتب به بعضهم بعضا وكان معه خالد بن ماجم
وسودان بن جهران وكنانة بن بشر فشطوا عمارا عن المسير الى المدينة
وبعد فقه حجر عمر على أعلام قريش الا باذن والى أجل ، وكان
يقول لهم ان أخوف ما أخافه على هذه الامة انتشاركم في البلاد ، ولقد
كان لرجل منهم يستأذنه في الغزو فيقول له قد كان لك في غزوك مع
رسول الله ما يبلغك ، وخير لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك
كل ذلك خشية أن تمتلئ أيديهم بالاموال وينقطع اليهم الناس في البلاد

التي يذهبون اليها فيكون سمرهم في نقد أولى الأمر من الخليفة وعماله
ومن هنا يكونون مصدرا للمتاعب الخليفة ومبعضا للفتنة .

أما عثمان فقد خلى عنهم فانساحوا في البلاد فرأوها ورأوا الدنيا
فيها فلم تمض سنة من إمارة عثمان حتى أخذ من قريش رجال أموالا
في الأمصار وانقطع الناس اليهم فنهضوا ونهض الناس معهم لمناقشة
عثمان الحساب حينما ظهر لهم انه آثر أقاربه من بني أمية بالمال والأعمال
فكان عمر حرج عليهم حتى لا تغرم الحياة الدنيا فيكونون خطرا على
الامة ، وعثمان فتح لهم أبواب الغنى (ان الانسان ليظن ان رآه استغنى)
نعم انه كان لعثمان وجهة نظر لا يستهان بها في حضهم على نزول
الأمصار واتخاذ الأموال بها وهي انه حسب انهم سيكونون له أعوانا
وعيوننا ، وأنهم هم أهل السابقة والفضل سيصبحون سادة الناس وقادتهم
وبهم تنقطع اطماع غيرهم في الرياسة ولو أنه اصاب الى ذلك ما يشغلهم
بانفسهم عنه وعن التحدث في مجالسهم ومنتدياتهم بنقد أعماله العامة
والخاصة ، كالجهاد مثلا ، لسلم من نتيجة اذنه اليهم الذي كان مجرد اجتهاد
منه وحسن ظن ، وقد يجنى على المرء اجتهاده - وبعد فهل تراه أساء
اليهم أو جاءته الاسامة من طريق الاحسان وانطبق عليه الأثر المشهور
وهو (اتق شر من أحسنت اليه) !!

في هذه المقدمة الطويلة بينا ما كان من نفسية العرب عامة وقريش
خاصة أيام عثمان

أما الأمصار فقد كانت السكوفة أول مصر فرق الشيطان بين

أهله في الاسلام ولقد بدأ الشر بالنزاع بين سعد الأمير ، وابن مسعود أمين بيت المال ، اقترض الاول من الثاني ثم عجز عن الوفاء فتلاحيا واستعان كل منهما على صاحبه بقوم فبعثا بذلك العصبية من بعد موتها - وثنى بأن الوليد بن عقبة استفتى عثمان بقتل شباب من أبناء الكوفة عاثوا في الارض فسادا ، فأضمر آباؤهم الشر للوليد وتحينوا الفرص للإيقاع به حتى لفقوا عليه تهمة المعاقرة عند عثمان فأحضره وجلده مع أن الوليد دحلف وأخبره خبرهم وأنهم موتورون لقتل أبنائهم ، فقال عثمان نقيم الحدود وبيوء شاهد الزور بالنار

ولما ولي سعيد بن العاص بعد الوليد رجع معه أولئك الذين أتهموا الوليد ولفقوا عليه مالفقوا ، وهم يعتقدون أن لهم بدا على سعيد فلن يبرم أمرا الا بمشورتهم واذنهم غير أن ظنهم خاب فعادوا الى الشغب والكيد لسعيد أيضا وكان منهم الاشترا النخعي — وأحس سعيد بنو اباهم فحرمهم أن يسمروا عنده فانقطعوا الى اذاعة أخبار السوء عن عثمان وسعيد حتى اضطر الاخير الى استئذان الخليفة في نفيهم الى الشام فنفاهم وأوصى معاوية بهم ، فنصح اليهم فلم ير فيهم ما يحب فكتب الى الخليفة أنه قدم على قوم ليست لهم عقول ولا أدبان ، وقال لهم اذهبوا حيث شئتم فأووا الى الجزيرة فهدهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد حتى تابوا ، وسرح الاشتر الى عثمان بتوبتهم جميعاً فظلوا بالجزيرة الى أن فرق سعيد الامراء لغزو فارس وخرج الى عثمان فعادوا الى الكوفة ، فلما أراد سعيد العودة منعوه فعاد الى عثمان فاضطر الى أن ينزل على

ارادتهم وهي أن يولى عليهم أبا موسى الأشعري ، وبذلك صار الامر اليهم وضعف سلطان الخليفة عليهم

وأما البصرة فلم تك أقل اضطراباً من الكوفة ، وقد ظهر فيها عبد الله بن سبأ وبث دعوته سرا وجهرا . وجاء القوم بكلام يقبلونه بسهولة ، وهو تعظيم النبي وآله فقبله الجهل والسوقة ومن لم تثبت له قدم في الاسلام ، والتفوا حوله ، ولكن ابن عامر أخرجه فاستقر أخيرا بمصر التي لم يك الامر فيها أقل منه في أمصار العراق . فان ابن سبأ لما جاءها وأسمع الناس دعوته ووجد منهم أذنا واعية ، قال لهم انهضوا في هذا الامر فحركوه وابدؤوا بالظن على أمر فكلموا دعوا غيركم الى هذا الامر ، ثم كاتب من أفسد بالشام والعراق وكانوه حتى باغت الدعوة أهل المدينة فحركهم ذلك الى مخاطبة عثمان بما دخل على الناس من عماله ، فاستشارهم فأشاروا عليه بارسال من أرسلهم الى الامصار فرجعوا اليه ولم ينكروا شيئا كساف ، واستبطناً الناس عمارا فلم يفجأهم الا كتاب ابن سرح يخبرهم أن عمارا قد استماله قوم بمصر وانقطعوا اليه منهم ابن سبأ - وكان في نفس عمار من عثمان مودة لانه ضربه مرة في القذف - وانفق أن اجتمع بمصر محمد بن أبي حذيفة على محمد بن أبي بكر ، ألف بينهما بغض عثمان لانه لم يولهما وولى ابن عامر - هؤلاء الثلاثة كانوا بمصر ولبون الناس على عثمان ولهم منازلهم في نفوس الناس وأما الشام فقد قبض عليها معاوية بيد من حسد به ولهذا لم تجد دعوة الداعين فيها ما وجدته في مصر والعراق ، غير أن أبا ذر لما ظهر بالمدينة ثم بالشام وجاهر بأنه لا ينبغي لاحد أن يكون عنده أكثر من

قوت يومه ، وبأخذ بالظاهر في ذم الادخار بكنز الذهب والفضة ، كان ابن سبأ يأتيه فيعريه بمعاوية وبعبث قوله المال مل الله فما زال به حتى عتب معاوية فاستعجب له وقال سأقول مال المسلمين ، وجاء ابن سبأ الى أبي الدرداء وعبادة بن الصامت بمثل ما أتى به أبا ذر فدفعاه ، وجاء به عبادة الى معاوية وقال هذا الذي بعث عليك أبا ذر فأخرجه من الشام - ولما أكثر أبو ذر شكاة معاوية الى عثمان استقدمه وقال له يا أبا ذر لا يمكن حمل الناس على الزهد ولكن على أن أقضى بينهم بحكم الله وأرغبهم في الاقتصاد ، فلم يرض واستأذن عثمان في الخروج من المدينة فأذن له ونزل الريزة وبنى مسجداً وأقطعه عثمان عدداً من الابل وأعطاه مملوكين وأجرى عليه رزقا فعد أولئك الناس خروج أبي ذر نفيًا وجعلوه في أسباب الطعن على عثمان . هذا وأما ما يروى من أن عثمان قال لمعاوية أحمله الى المدينة بغير وطاء وأن عثمان نفاه الى الريزة على وجه شنيع فمن أوضاع الناقين على عثمان ولا أصل له

وبعد فقد رأيت أن البلاد الاسلامية عامة قد فشلت فيها فاشية السوء بين الحكام والمحكومين وما زالت تنمو حتى سئل المسلمون سيوفهم على أنفسهم وحدثت أشأم ثورة في الاسلام

حصر عثمان ومقتله

قد رأيت أن أجزأ هذا الموضوع على النحو الآتي :

(١) لما كثرت الاشاعة في الامصار بالطعن على عثمان وعمله كذب اليهم : انه قد رفع الى أهل المدينة أن عمالي وقع منهم أضرار بالناس ،

وقد أخذتهم بأن يوافقوني في كل موسم ، فمن كان له حق فليحضر
 بأخذ بحقه مني أو من عمالي أو تصدقوا فان الله يجزي المتصدقين فبكي
 الناس عند قراءة كتابه عليهم ودعوا له - ثم بث الى عمال الامصار
 فقدموا عليه بالموسم فقال ويحكم ما هذه الشكاية والاذاعة ا فقالوا له ألم
 يخبرك رسلك بأن أحدا لم يشافهم بشيء وانما هذه اشاعة لا يحل
 الاخذ بها - فقال لهم سكنوا الناس ويبنوا لهم ، ورجع الى المدينة فدعا
 عليا وطلحة والزبير ومعاوية حاضر فقال أنتم ولادة هذا الامر واخترتم
 صاحبكم (يعني عثمان) وقد كبر وأشرف ، وفشت مقالته خفتها عليكم
 فاتهره علي ، وقال عثمان : اللذان قبلي منما قرابتهما احتسابا لله ، ورسول
 الله كان يعطى قرابته ، وان قرابتي أهل عيلة فأعطيتهم ، فان رأيتم ذلك
 خطأ فردوه ، قالوا أعطيت عبد الله بن خالد خمسين ألفا ومروان
 خمسة عشر ألفا ، قال آخذ ذلك منهما ، فأنصرفوا راضين - ثم قال
 معاوية : اخرج معي الى الشام قبل أن بهجم عليك مالا تطيقه قال
 لا أبتغي بجوار رسول الله بدلا ، قال فابث اليك جندا يقيمون معك ،
 قال لا أضيق على جيران رسول الله ، فقال لستغنا كن ولتغزى ، قال
 حسبي الله ونعم الوكيل - ثم مر على علي وطلحة والزبير فوصاهم
 بعثمان وودعهم

(٢) وكان المنحرفون عن عثمان بالامصار قد تواعدوا عند مسير
 الامراء اليه أن يثبوا عليه في مغيبهم فرجع الامراء ولم يتهيأ لهم ذلك ،
 ثم جاءتهم كتب من المدينة ممن صار الى مذهبهم في الانحراف : أن
 اقدموا علينا فان الجهاد عندنا فنكاتبوا من أمصارهم في القدوم الى

المدينة (١) فخرج المصريون في خمسمائة أو ألف وعليهم الغافقي بن
 حرب العكي ' ب ' وخرج أهل الكوفة وعليهم الاشتر ' ج ' وخرج
 أهل البصرة وعليهم حرقوص بن زهير السعدي وكلهم في عدد أهل
 مصر - خرجوا جميعا في شوال مظهرين للحج - فلما كانوا على ثلاث
 مراحل من المدينة تقدم ناس من أهل البصرة (وكان هوام في طلحة)
 الى ذي خشب - وتقدم ناس من أهل الكوفة (وكن هوام في الزبير)
 فنزلوا الاغوص - ونزل معهم ناس من أهل مصر (وكان هوام في علي)
 ونزكوا عامتهم بذي المروة - ثم دخل فريق منهم المدينة واقبوا عليا
 وطلحة والزبير وعائشة وأمهاة المؤمنين وأخبروهم انهم انما أتوا الى
 الحج وأن يستعفوا من بعض المال واستأذنوا في الدخول فمزمومهم
 فرجعوا الى أصحابهم وتشاوروا في أن يذهب كل فريق الى صاحبه فأتى
 المصريون عليا فصاح بهم وطردهم وكذلك صنع طلحة والزبير بمن
 جاءها فانصرفوا جميعا الى عسكرهم وتفرقوا، ثم لم يشر أهل المدينة
 والتكبير في نواحيها وقد هجموا وأحاطوا ببثمان ونادوا بأمان من
 كف يده .

وغدا عليهم علي فقال ما ردكم بعد ذهابكم وقالوا أخذنا كتابا مع
 يريد بقتلنا ، وقال البصريون لطلحة والكوفيون للزبير مثل ذلك وانهم
 جاءوا لينصروا أهل مصر فقال لهم علي كيف علمتم بما لقي أهل مصر
 وكلهم على مراحل من صاحبه حتى رجعت عليا جميعا ، هذا أمر أبرم
 بليل ، فقالوا اجملوه كيف شئتم لاحتاجة لنا هذا الرجل ليعتزلنا - كل

ذلك وهم يصلون خلفه وهم أدق في عينه من التراب وكانوا قد منعوا الناس من الاجتماع

(٢) وكتب عثمان الى أهل الامصار يستنجد بهم فخرجوا على الصعب والذلول وأقام نفر في الامصار يحضون على اعانة أهل المدينة ثم خرج عثمان صلى بالناس الجمعة فنصح للثائرين فلم يلبثوا أن ناروا بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فادخل داره واستقتل نفر من أهل المدينة مع عثمان فارسل اليهم عثمان بعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا، وأقبل على وطلحة والزبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرخته وبشكون اليه ما يجدون وكان عنده نفر من بنى أمية فيهم مروان فقالوا كلام لعلى أهلكنا وصنعت هذا الصنيع فقام علي مغضبا وعاد هو والجماعة الى منازلهم وصلى عثمان بالباس ثلاثين يوما بعد ذلك ثم منعه وصلى الغافقي بن حرب وتفرق أهل المدينة في حيطانهم ولزموا بيوتهم لا يجلس أحد ولا يخرج الا بسيفه ليمتنع به، وكان الحصار أربعين يوما ومن تعرض للثائرين وضموافيه السلاح فلما مضت ثمان عشرة ليلة قدم ركبان من الامصار فاخبروا انوار بخبر من نهبوا اليهم من الجود فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعه كل شيء حتى الماء فارسل الى علي وطلحة والزبير وازواج النبي فغضب علي غضبا شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان واشرف عليهم عثمان وقرر حقوقه وسوابقه فقال بعضهم مهلا عن أمير المؤمنين فجاء الاشر وقال لا يمكر بكم، ثم خرجت عائشة الى الحج ودعمت أخاها محمد بن أبي بكر وقد قدم مع

المصريين) فأبى - وكان ابن عباس ممن لزم بيت عثمان للمدافعة فاشرف عليه عثمان وأمره أن يهيج بالناس فقال جهاد هؤلاء أحب الى ، فاقسم عليه فانطلق .

(٤) ولما رأى أهل مصر أن أهل الموسم يريدون قصدهم وأن يجمعوا ذلك الى حجهم مع ما بلغهم من مسير أهل الامصار قالوا لا يخرجنا من هذا الامر الذى وقعنا فيه الا قتل هذا الرجل فيشتغل الناس عنا بذلك فقاموا الى الباب ليفتحوه فمنعهم الحسين بن على وابن الزبير وابن طلحة و مروان وسعيد بن العاصى ومن معهم من أبناء الصحابة وقتلواهم وغلبوهم دون الباب ؛ فزجرهم عثمان وقال أنتم فى حل من نصرتى وحلف ليدخلن فدخلوا وأغلق الباب فجاء الثائرون بالدار وأحرقوه ورمى الناس عثمان بالسهم حتى خضب الحسن بن على بالدماء على بابه وخشى محمد بن أبى بكر أن تغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فاخذ بيدي رجلين فقال لهما اذا جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن والحسين كشف الناس عن عثمان وبطل ما نريد ولكن مروا بنا حتى نقسور عليه الدار فنقله من غير أن يعلم أحد ، فقسور محمد بن أبى بكر وصاحبه من دار محمد بن حزم الانصارى فدخلوا عليه وليس معه الا امرأته نائلة بنت الفرافصة والمصحف فى حجره ولا يعلم أحد ممن كان معه لانهم كانوا على البيوت - فتقدم اليه محمد بن أبى بكر وأخذ بلحيته فقال له عثمان أرسل لحييتى بابن أخى فلو رآك أبوك لساءه مكانك ، وغمز الرجلين فوجأاه بمشاقص معها حتى قلاه وخرجوا ثلاثتهم هاربين من حيث أتوا وخرجت امرأته فقالت ان أمير المؤمنين

قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان معها فوجدوا عثمان مذبوحا فأكبروا عليه ببيكون . وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا ولطم علي وجه الحسن وضرب صدر الحسين وشتم ابن طلحة وأمن ابن الزبير وخرج وهو غضبان يرى أن طلحة قد أعان عليه .

ويقال ان نائلة أكتبت على عثمان نقي الضرب بيدها فنفجها أحدم بالسيف في أصابعها فقطعها ثم قتلوا عثمان وسال دمه على المصحف . أما الثائرون فانتهبوا الدار وما على النساء حتى ماكان على نائلة ودار القتال بينهم وبين غلمان عثمان وأرادوا قطع رأس عثمان فنهزم النساء حتى قال قاتل منهم أتركوه ثم خرجوا الى بيت المال فانتهبوه

وكان قتل الخليفة عثمان لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ويقال انه بقى في بيته ثلاثة أيام ثم دفن ليلا رضى الله عنه

وهناك رواية أخرى يرويها الزهري عن سعيد بن المسيب قال : قلت لسعيد هل أنت مجبري كيف قتل عثمان ماكان شأن الناس وشأنه ، ولم خذله أصحاب محمد ؟ فقال : قتل عثمان مظلوما ، ومن قتله كان ظالما له ، ومن خذله كان معذورا ، قلت وكيف ذلك ؟ قال : ان عثمان لما الى كره ولايته نفر من أصحاب الرسول لأن عثمان كان يحب قومه ، فرأى الناس اثني عشرة سنة وكان كثيرا ما يولي بني أمية ممن لم يكن له من رسول الله صفة ، وكان يجرى من أمرائه ما يكره اصحاب محمد فكان يستعذب فيهم فلا يعزلهم ، . . . وولى عبد الله بن ابي سرح مصر فمكث عليها

سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه ، ومن قبل ذلك كانت من
عثمان هنات الى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر ، فكانت
هذيل وبنو زهرة قلوبهم مافيهالابن مسعود ، وكانت بنو غفار واحلافها
ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم مافيهالابن مسعود ، وكانت بنو مخروم قد حنقت على
عثمان بحال عمار بن ياسر ، وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح ،
فكتب اليه عثمان يتهده فابى ابن أبي سرح أن يقبل مانهاه عثمان عنه
وضرب رجلا ممن اتى عمان فقتله ، فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل
الى المدينة فزلوا المسجد وشكوا الى اصحاب رسول الله في مواقيت
الصلاة ما صنع ابن أبي سرح ، فقام طلحة فكلّم عثمان بكلام شديد ، وارسلت
اليه عائشة : قد تقدم اليك اصحاب الرسول وسألوك عزل هذا الرجل
فايبت ان تمزله ، فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك ، ودخل
عليه على وكان متكلم القوم فقال : انما سألوك رجلا فكان رجل وقد
ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم ، وان وجب عليه حق فانصفهم
منه ، فقال لهم اختاروا رجلا أوله عليكم مكانه فأشار الناس عليهم
محمد بن أبي بكر فقالوا استعمل علينا محمد بن أبي بكر فكتب عهده
وولاه واخرج معهم عدة من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل
مصر وبين ابن أبي سرح فلما كانوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة
اذا هم بغلام أسود على بعير يخبط الارض خبطا كأنه رجل يطلب أو
يطلب ، فقال له اصحاب محمد ما قصتك كأنك هارب أو طالب ، فقال
أنا غلام امير المؤمنين وجهنى الى عامل مصر ، فقالوا هذا عامل مصر
معنا ، قال ليس هذا أريد ، وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر فبعث في

طلبه فأتى به ، فقال له غلام من انت ؟ فاقبل مرة بقول غلام أمير المؤمنين ومرة غلام مروان حتى عرفه رجل منهم انه لثمان ، فقال محمد الى من أرسلت ، قال الى عامل مصر ، قال قال باذا ؟ قال برسالة قال ملك كذاب ؟ قال لا فتشوه فلم يجد معه شيء الا أداة قد بدست فيها شيء يتقاقل فحرقوه ليخرج فلم يخرج ، فشقوا الاداة فاذا فيها كتاب من ثمان الى ابن أبي سرح : فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فاذا فيه . اذا جاءك فلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتابهم وقر على عملك حتى بأتيك رأيي وأحتبس من جاء يتظلم منك . . . فلما قرءوا الكتاب فزعوا وعزموا على الرجوع الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم القوم الذين أرسلوا معه ودفعوا الكتاب الى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان من اصحاب رسول الله ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرءوهم الكتاب فلم يبق أحد في المدينة الا حنق على عثمان وازداد من كان منهم غاضبا لابن مسعود وأبي ذر وعمار غضبا وحنقا ، وقام أصحاب النبي فلهقوا بمنزلهم ، ما منهم أحد الا وهو معتم بما قرءوا في الكتاب ، وحاصر الناس عثمان وأجاب عليه محمد بن أبي بكر بنى تميم وغيرهم وأعان طاحه على ذلك وكانت عائشة تقرضه كثيرا فلما رأى ذلك على بعث الى طلحة والزبير وسعدو عمار ونفر من اصحاب الرسول كلهم بدرى ، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب واللام والبكير وقل له على : هذا الغلام غلامك ؟ قال نعم ، والبكير بميرك قال نعم ، واللام خانمك قال نعم ، قال فانت كذبت

الكتاب ؟ قال لا ، وحلف بالله ما كتب الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت
الغلام الى مصر قط ، واما الخط فعرفوه أنه خط مروان
وسألوه أن يدفع اليهم مروان فأبى وكان مروان عنده في الدار ،
فخرج أصحاب محمد عليه السلام من عنده غضابا وشكوا في أمر عثمان
وعلموا انه لا يحلف باطلا الا أن قوما قالوا لا نبرى عثمان الا أن يدفع
الينا مروان حتى نمتحنه ونعرف امر هذا الكتاب ، وكيف بأمر يقتل
رجال من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق ، فان يك عثمان كتبه
عزلناه ، وان بك مروان كتبه على لسانه نظرنا في أمره ، ولزموا بيوتهم
وأبى عثمان أن يخرج اليهم مروان وخشي عليه القتل ، فحاصر الناس
عثمان ومنعوا عنه الماء الى أن تسوروا عليه داره وقتلوه كما سلف

ويروى أن أهل مصر لما قدموا دخلوا على عثمان فقالوا كذبت
فيما كذا وكذا فقال انما هما اثنتان . أن نقيموا رجلين من المسلمين أو
يميني بالله الذي لا اله الا هو ما كتبت ولا أملت ولا علمت ، وقد
يكتب الكتاب على لسان الرجل وينتش الختم على الخاتم ، قالوا قد أحل
الله ذلك وحضره في الدار ، فأرسل عثمان الى الاشتر فقال ما يريد
الناس مني قال واحدة من ثلاث ليس عنها بد قل ما هي قال يخبرونك
بين أن تخاع لهم أمرهم فتقول هذا أمركم فإلذوه من شتم ، وأما أن
تقتص من نفسك فان أبيت فالقوم قاتلوك فقال . اما أن أخلع لهم
أمرهم ، فما كنت لأخلع سربالا سربلية الله تعالى فتكون سنة من
بعدي كلما كره القوم أمامهم خلعوه ، وأما أن اقتص من نفسي فوالله لقد

علمت أن صاحبى بين يدى قد كانا باقيا نوما يقوى بدنى على القصاص ، وأما قتلونى فلمن قتلتمونى لاتحاربون بعدى أبدا ثم لزم داره وأقسم على أهل المدينة فرجعوا الامن ذكرنا من أبناء الصحابة فحاصره الثوار الى أن قتلوه قبل أن تجيئه النجدة فلما رأى عثمان ما قد نزل به كتب الى معاوية أن أبعث الى من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول فتبرص به معاوية وكره مخالفة أصحاب النبي وقد علم اجتماعهم فلما أبطأ معاوية كتب الى يزيد بن أسد بن كرر البجلي والى أهل الشام يستنفرهم وبذكر حقه عليهم ، ويقول ان كان عندكم غياث فالعجل العجل فان القوم معاجلى ، فعجل يزيد وتبعه الناس حتى اذا كانوا بوادى القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا ، وكتب عثمان الى ابن عامر بالبصرة فاجاب الناس وساروا حتى اذا كانوا بالربذة ونزلت مقدمتهم احدى نواحي المدينة أتاها قتل عثمان . وبمناسبة الكتاب الذى وجدوه مع غلام عثمان فرجعوا من الطريق ودخلوا المدينة وحاصروا عثمان تقول ان هذا الكتاب لا يبعد أنه مقتول وأنه لا من عثمان ولا من مروان وأن فريقا من أهل المدينة ممن حقدوا على عثمان قد لعب دورا في هذا الشأن فكتب كتبا من هذا القبيل ليزيد الطين بلة ، فقد جاء الثوار كتاب من علي أيضا يدعوهم الى العودة بعد أن فارقوا المدينة فلما دخلوا عليه قالوا قم معنا الى هذا الرجل قال لا والله لا أقوم معكم قالوا فلم كتبت اليها قال والله ما كتبت اليكم فنظر القوم بعضهم الى بعض - وليس ببعيد أن يكون هؤلاء الكتاب كتبوا الى أهل مصر بان عليا معهم فى رأى مثلا .

وجاء الثوار كتاب من عائشة تدعوهم الى الخروج على عثمان

حتى لقد قال لها مروان هذا عملك فقلت والله ما كتبت اليهم لسواد في
بياض فكان الثوار يرون أنه كتب على لسان علي وعلى لسانها كما كتب على
لسان عثمان الى اهل مصر ، فكان اختلاق هذه الكتب كلها سببا للمقتلة
التي أدت الى قتل عثمان :

وواضح أنه كان ينبغي على عثمان أن يضاعف اقناع الناس باجراء
محقق سريع في أمر الغلام ومن سلم اليه الكتاب ومن الذي أمره أن
يخرج وفي أمر الجمل وكيف ان القيم على ابل الصدقة تصرف فيه هذ
التصرف ، فعند ذلك كانت تنجلي الحقيقة وبقع العقاب على الجاني
وتنطفئ الثورة ، لمن عثمان لم يفعل ، بل قال لهم (حينها سألوهم ما هذا
الكتاب الذي وجدناه مع رسولك وكتبت به الى عاملك) ما فعات
ولا علم لي بما تقولون ، قالوا يريدك على جملك وكتاب كتبتك ، عليه
خاتمك ، قال اما الجمل فمسرور وقد يشبه الخط الخط واما الخاتم فانتقش
عليه . قالوا فانا لانعجل عليك وان كنا قد اتهمناك ، اعزل عنا عمالك
الفساق واستعمل علينا من لا يتهم علي دماءنا واموالنا واردد علينا مظالمنا
قال عثمان ما أراى اذا في شيء ان كنت استعمل من هو يتم وأعزل من
كرهتم ، الامر اذا أمركم ، قالوا والله لنفعل ما أو لنعزل او لنقتل فانظر
لنفسك او دع ، فأبى عليهم وقال . لم اكن لاخلع سريالا سربلنيه الله ،
فخصروه أربعين ليلة وطلمحة يصلى بالناس .

وبعد فلقائل أن يقول أين أهل المدينة وقد حاصر الثائرون عثمان
وقتلوه مع طول أمد الحصار واتساع الزمن لاجراء كل ما يمكن من

التدبير، وهل عجزوا عن نصرته وهم الذين قاتلوا أعداء الاسلام جميعا حتى انتصروا عليهم؟

والجواب عن ذلك بسيط جدا وهو أن أهل المدينة من الانصار والمهاجرين لم يكونوا راضين عن عثمان لانه جرأ الناس عليه وأطمعهم في جانبه من رقبته ولينه، ولأن منهم من كان يريد الامر لنفسه وأحب شيء اليه أن تشور الفتن فيتمكن من الوثوب، ولأن عثمان لم يستن بسنة صاحبيه في استشارة أعلام المهاجرين، كما كان يفعل عمر في كل دقيق وجليل من أمور المسلمين العامة بل كان يفضي بكل ذلك الى قرابته من بني أمية ولا سابقة لهم، فلما رأى السابقون الاولون انه أخرهم وفدم المسبوقين ضعف روح التعاون بينه وبينهم فلم يدفعوا عنه طعنا ولم يخذلوا عنه الناس وتراخوا في نصرته حتى تمكن منه الثائرون وقتلوه وكان عثمان رحمه الله بين عوامل قاسية كلها تقتارعه منها

(١) بنو أمية الذين غلبوه على أمره وكلما رأى طريقة لمعالجة الخطر لا يحبونها حملوه على تركها.

(٢) أهل المدينة الذين كانوا بين خاذل له وساكت عن رضا ومؤاب عليه، أما المعينون فقليل ما هم

(٣) الثائرون الذين رأوا أن تنازلهم ولو عن شيء مما رسموه لأنفسهم هو منتهى خذلانهم.

(٤) تمسك الخليفة بالخلافة واثاؤه أن ينزل عن الأمر الى رجال الامة يدبرونه على حسب ما يريدون.

ولقد لقيه المعيرة بن شعبة وهو محصور فقال له يا أمير المؤمنين إنك

امام العامة وقد نزل بك ماتري وانى اعرض عليك خصالا ثلاثا اختار
احداهن : اما ان تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة ، وانت على
الحق وهم على الباطل ، واما ان تخرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه
فتقع على رواحلك فتلحق بمكة فانهم لن يستحلوك وانت بها ؛ واما ان
تلحق بالشام فانهم اهل الشام وفيهم معاوية ، فقال له : اما ان اخرج
فأقاتل ، فلن اكون اول من خلف رسول الله في امته بسفك الدماء ،
واما ان اخرج الى مكة فانهم لن يستحلوني بها فاني سمعت رسول الله
يقول . بلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم ؛
فلن اكون انا ، واما ان الحق بالشام فانهم اهل الشام وفيهم معاوية ،
فلن افارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا وقد لبس عبد الله بن عمر درعه وتقلد سيفه يوم الدار فعزم
عليه ان يخرج ويضع سلاحه ويكف يده ، ففعل

ودخل يزيد بن ثابت عليه فقال ان هذه الانصار بالباب وتقول .
ان شئت كنا أنصار الله مرتين ، قل لاجابة لى في ذلك ، كفوا
وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة كنت مع عثمان يوم الدار فقال
أقسم على كل من رأى لى عليه سمعا وطاعة أن يكف يده ويلقى
سلاحه فالقى القوم أسلحتهم .

وقال ابن عوف كان ممن نصر عثمان سبعمائة فيهم الحسن بن علي
وعبد الله بن الزبير ولو تركهم عثمان لضربهم حتى يخرجوهم من أقطارها
ومن هذا ترى أن عثمان رضى الله عنه لم يعمل على اجابة الثوار
الى مطالبهم ، ولا خلى بين الثوار وبين من تعرض الى نصرته من أبناء

الصحابه بل أقسم عليهم أن لا يعجلوا فما الذي ينتظر من الثوار وقد أمكنتهم الفرصة ، وعلى من تكون التبعة ؟

ان الباحث المنصف لا يخلى عثمان من تبعة قتل عثمان ولا من تبعة الثورة عليه بل ويلتمس العذر حتى لمن قعد عن نصرته .

هذا وقد أكثر بعض الباحثين في التاريخ التنبؤ بعلی بن أبی طالب وقال انه اسلم عثمان الى الثوار وكأن علیا كان الأمة بأسرها ، أو أنه ان شاء اطال عمر عثمان وان شاء قضى عليه وارجعوا ذلك كله الى انه كان بين عثمان وعلى عداوة هي التي كانت بين بنی هاشم وبين أمية في الجاهلية يضم اليها ما كان من محاسد كل منهما على منزلة صاحبه من رسول الله وكل منها زوج ابنته غير ان رسول الله كان يقدم فاطمة وعلياً ، ثم ما كان من اسراف على ايام الغزوات في قتل رجال من بنی أمية ، وما كان من أن عثمان لم يحضر في دار فاطمة مع المتخلفين عن بيعة أبي بكر اي ان علیا كان في نفسه من عثمان شيء كثير وقد ظهر حينما عدل عنه عبدالرحمن بن عوف الى عثمان - ولذلك كله لم يبادر علی الى انقاذ عثمان من الموقف الحرج الذي وقف فيه

والحق ان هذا كله ظلم لعلی فمحال انه بعد أن آخى رسول الله بين الناس وبعد قول الله تعالى (اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) ان نعتقد ان هذا نوع من التحليل الصحيح لحوادث التاريخ والمنتقب الروايات التي جاءت في ثورة الناس على عثمان يجد ان علیا كان قد جعل نفسه وسيطاً بين عثمان وبينهم وان عثمان كان يقول اليوم ما ينقضه غداً حتى أقسم لا يعود الى عثمان في شيء وكان كلما اشتكى الناس

اليه عثمان أرسل الحسن ابنه اليه فلما أكثر عليه قال ان أبالك يرى
أن احدا لا يعلم ما يعلم ، ونحن اعلم بما نفعل فكف عنا ، فلم يبعث على
ابيه الحسن في شيء بعد ذلك

وأرسل عثمان الى ابن عباس ان أ كفى ابن عمك فقال : ان ابن
عمي ليس بالرجل يرى له ، ولكنه يرى لنفسه فارسلى اليه بما أحيت
قال : قل له فليخرج الى ماله لينبع فلا أغتم به ولا يغتم بى ، فأتى
عليها فاخبره ، فقال ما اتخذنى عثمان الا ناصحا ، ام والله انه ليختبر القوم
فخرج على الى ينبع فما زال هنالك فلما اشتد الامر برجوع الثوار
ومحاصرتهم عثمان كتب اليه :

اما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطيبين وطمع في من
كان يضمف عن نفسه ، فاقبل الى على أي امريك أحيت وكنلى أو على
صديقا كنت أم عدوا

فإن كنت ما كولا فكن خيرا كل والافأدركنى ولما أمزق

فبادر اليه على ولكنه لم يدارك من أمره شيئا

وبعد فما ذنب على ان كان الثوار يلوذون به يجعلونه وسيطا أو
يسترشدون برأيه باعتبار أنه رجل ذو عقل راجح أو كلمة مسموعة
عند عثمان وغيره

﴿ ما نقم الناس من عثمان وما رد به عليهم ﴾

لما توافى اهل الامصار الى المدينة أرسل عثمان الى الكوفيين والبصريين
ونادى الصلاة جامعة وهم عنده في اصل المنبر فأقبل أصحاب رسول الله

فأحاطوا بهم ، فحمد الله وأثنى عليه وأخبرهم خبر القوم ثم قال أن هؤلاء
 ذكروا أموراً قد علموا منها ، مثل الذي علمتم إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونها
 ليجبوا على عند من لا يعلم ، وأذكر هذه الأمور بتصرف واختصار (١)
 قالوا أتم الصلاة في السفر وكانت لا تتم ، إلا واني قدمت بلداً
 فيه أهلى ولى مال بالطائف) فاتممت لهن .

(٢) وقالوا وحيت حمى وانى والله ما حميت حمى : قبلى والله ما حموا
 لأحد شيئاً ، ما حموا إلا ما غلب عليه أهل المدينة ، ثم لم يمنعوهم رعية
 أحداً إلا من ساق درهماً ومالى من بعير غير راحلتين ، ومالى ناغية
 ولا راغبة ، وانى قد وليت وأنا أكثر العرب بعيراً وشاه فالى اليوم شه
 ولا بعير ، غير بعيرين لحبى

٣ ، وقالوا كان القرآن كتباً فتركتها إلا واحداً - إلا وان القرآن
 واحد جاء من عند واحد ، وإنما أنا فى ذلك تابع لهؤلاء

(٤) قالوا أنى رددت الحكم وقد سيره رسول الله - والحكم مكي
 سيره رسول الله من مكة الى الطائف (٢) ثم رده رسول الله ، فى رسول
 الله سيره ورسول الله رده

(٥) وقالوا استعملت الأحداث - ولم استعمل إلا مجتمعاً محتملاً
 مرضياً ، وهؤلاء أهل عملهم فسلبوهم عنهم ، ولقد ولى من قبلى أحدث
 منهم ، وقيل فى ذلك لرسول الله أشد مما قيل لى فى استعماله أسامة
 (١) وقالوا انى اعطيت ابن أبى سرح ما فاء الله عليه - وانى إنما
 نفقته ما فاء الله عليه من الخمس فكان مائة ألف ، وقد أتفد قبل ذلك
 أبو بكر وعمر فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددونه عليهم وليس

ذلك لهم (٧) وقالوا اني أحب أهل بيتي وأعظمهم - فاما حبى فانه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم وأما اعطاؤهم فانى انما أعطيهم من مالى ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى ولا لاحد من الناس ولقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغبة من صلب مالى اذ مارسول الله وأبى بكر وعمر وأنا يومئذ شحيح حريض، افحين أتيت على أسنان أهل بيتى وفي عمري وودعت الذى لى فى أهل قال الملهدون ما قالوا

(٨) وقالو اعطيت الارض رجالا - وان هذه الارضين شاركم فيها المهاجرون والانصار أيام فتحت، فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله ومن رجع الى أهله لم يذهب ذلك ما حوى الله له، فنظرت فى الذى يصيبهم مما افاء الله عليهم فبعته لهم بامرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت اليهم نصيبهم فهو فى أيديهم دونى (يشير الى ما اشتراه من بعض أعلام الصحابة حين أراد أن يخرجوا الى الامصار) هذا وقد جاء عنه فى مسألة الحمى : أرأيت ما حميت من الحمى ، الله اذن لك أم على الله تفترى فقال وأما الحمى فان عمر حمى الحمى قبلى لأبل الصدقة ، فلما وليت زادت ابل الصدقة فزدت فى الحمى لما زاد فى ابل الصدقة .

وقد لانت حاشية عثمان لوائحك الطوائف الذين خرجوا للكيد له وأبى بقية المسلمين الا قتلهم وأبى هو الا العفو والصفح فرجعوا الى بلادهم على الامر الذى خرجوا به وظن عثمان بصنيعه معهم أنه عفو قد أطفأ نائرة نفوسهم ولكن حسن ظنه بهم كان فى غير موضعه ، فانهم

تماهدوا واتعدوا انقاد ما اعزموا عليه من محاصرة الخليفة وخلعه أو قتله
ان أبي على مامضى ،

ويضاف الى ما أنكره الناس عليه هذه الاشياء نلحقها بسوا بقها على
هذا النحو .

(٩) اخراج أبي ذر الى الزبدة وقد علمت أنه هو الذى استأذن
فى الخروج من المدينة .

(١٠) تطاوله فى البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة لازواجه
وبناته وأهله .

(١١) ضربه عبد الله بن مسعود حتى كسر ضلعا من أضلاعه
أما بمحل الاسباب التى أدت الى قتل الخليفة عثمان فيمكن اجمالها
على النحو الآتى

(١) اختلاف أعلام الصحابة فيما بينهم وتطلع بقية أهل الشورى
لى الخلافة ، كل يريد لها لنفسه ، وهذا جعل الناس كأنهم فرقوا دينهم
وصاروا شيعة ، وضعف روح التعاون بينهم وبين الخليفة فلم يجدوا فى
الدفاع عنه وبذلك اتسع المجال أمام الثائرين واستطار الشر وكثر قول
السوء واستحدثت السكتب المزورة المفتراة وكثر الناس على عثمان
ونالوا منه أقبح ما نبيل من أحد وأصحاب النبي ليس منهم أحد
ينهى ولا يذب .

(٢) لين عثمان وحيأؤه واشفاقه وحرصه على الدماء ان تراق
وكرهيته الفتنة وتوقية أسبابها وعمله على اغلاق ما قد يكون من أبوابها
وقد اتخذت بطاقته الدين منه والحياء وسيلة الى الاستئثار بالسلطة

دونه حتى لقد قال القائلون ان الخلافة بالاسم لعثمان وبالفعل لمروان ،
ولقد تعرض اليه على ، وقال له في شأن ابنه على ولاته ان عمر بن الخطاب
كان كل من ولى فانما يظأ على صماخه ان بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به
أقصى الغاية ، وانك لاتفعل ، ضعفت ورفقت على أقربائك انشدك الله هل
تعلم ان معاوية كان أخوف من عمر من برأ غلام عمر منه قال نعم قال فان
معاوية يقطع الامور دونك وانت تعلمها فيقول للناس هذا أمر عثمان ،
فيلغك ولا تغير على معاوية وواضح انه كان ينبغي على عثمان وقد تولى
أمر المسلمين أن يكون لنا من غير ضعف قويا من غير عنف

(٣) ما كان من اذنه لاعلام الصحابة بالانسحاق الى الامصار وحضهم
على ذلك ومشتري ما كان لهم من ضياع وغيرها لينساحوا في البلاد ، وقد
شرحنا وجهة نظره ونظر عمر في هذا الموضوع — فلما انساحوا انقطع
اليهم بعض الناس وصاروا اوزاعا اليهم واملكوهم وقالوا بملك كون
فيكون قد عرفناهم وتقدمنا اليهم في التقرب فكان ذلك اول وهن دخل
علي الاسلام وأول فتنة كانت في العامة ليس الا ذلك وسمعت تعاليم
ابن سبأ مثلاً بمصر ، وخطبوا في جبل على ، كما خطب أهل البصرة
في جبل طلحة ، وأهل الكوفة في جبل الزبير ، كل قوم يحبون ان يلى
صاحبهم هذا ولن يفوتنا قبل ان تنتهى من هذا الموضوع ان نذكر

(١) ان محمد بن حذيفة مادعاه الى الخروج على عثمان مع أنه
تربى يتيماً في حجره الا انه سأل عثمان العمل حين ولى فقال له يا بني لو
كنت رضائهم سألتني العمل لاستعملاتك ، ولكن لست هناك ، قال فأذن لي
فلا أخرج فلا أطلب ما بقوتني ، قال اذهب حيث شئت وجهزك من عنده

وحمله وأعطاه ، فلما وقع الى مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية .

(ب) وان عمار بن ياسر كان بينه وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب كلام ، فضر بهما عثمان فأورت ذلك بين آل عمار وآل عتبة

(ج) وان محمد بن أبي بكر قد دعاه الى ركوب عثمان الغضب والطمع ، فإنه كان من الأسلام بالمكان الذي هو به ، وغرد اقوام قطعهم ، وكانت له دالة فلزمه حق ، فأخذه عثمان من ظهره ولم يدهن فأجتمع هذا الى هذا فصار مذمما بعد أن كان محمدا

هذا وقد سئل سعد بن أبي وقاص عن عثمان فقال : أم والله لقد كان أحسننا وضوءا وأطولنا صلاة وأتانا لكتاب الله وأعظمنا نفقة في سبيل الله ، ثم ولى فانكروا عليه شيئا فأتوا اليه أعظم مما نكروا ، وسئل : من قتل عثمان فقال قتله سيف سلته عائشة وشحذه طلحة ، وسمه على ، قيل فما حال الزبير ؟ قال أشار بيده وصمت بلسانه وفي هذا كفاية

خلافة علي

هو علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف - ولى الخلافة يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ٣٥ و قتل يوم الجمعة بالكوفة اسبع بقين من رمضان سنة ٤٠ فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر

﴿ كيفية بيعته ﴾

لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله من الأنصار والمهاجرين

وفيهم طلحة والزبير فأتوا عليا فقالوا انه لا بد للناس من أمام ، قال
 لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به فقلوا ما نختار غيرك ، وترددوا
 اليه مرارا دقلوا له في آخر ذلك : انا لانعلم أحدا أحق به منك ، لا أقدم
 سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله ، فقال لانفعلوا فأنى أكون وزيرا
 خيرا من أن أكون أميرا ، فقالوا والله مانحن بفاعلين حتي نبايعك قال
 ففي المسجد ، فأن بيعتي لاتكون خفية ولا تكون الا في المسجد : فخرج
 الى المسجد وعليه ازار وطاق وعمامة خز ونعلاه في يده متوكئا على
 قوس فبايعه الناس وكان أول من بايعه من الناس طلحة ، فظروا اليه
 بعضهم وقال : انا لله ، أول من بدأ بالبيعة بدشلاء ، لانهم هذا الامر ،
 وبايعه الزبير وقال لهما على ان أجبتهما أن تبايعاني وأن أجبتهما بايعتكما
 فقالا : لا ، بل نبايعك فبايعاه وبايع الناس

المتخلفون عن بيعة علي

وتخلف عن بيعة علي سعد فجاءوا به فقال له علي بايع فقال لا حتي يبايع
 الناس والله ما عليك مني بأس ، فقال خلوا سبيله ، وجاءوا بابن عمر فقالوا
 له بايع فقال حتي يبايع الناس فأمر باخلاء سبيله أيضا .
 وبايعه الانصار الا نفيرا يسيرا منهم حسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد
 وانا سعيد الحدرى ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت
 وكانوا عثمانية - وهرب النعمان بن بشير فاخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التي
 قطعت وقمص عثمان الذي قتل فيه ولحق بالشام فكان معاوية يعلق قميص
 عثمان وفيه الاصابع فاذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظا وجندوا في

أمرهم ، ثم يرفعه فاذا أحس منهم فتورا يقول له عمرو بن العاص (حرك لها حوارها نحن) فيعلقه .

﴿ أول التحدى ﴾

ولما عاد على الى بيته بعد البيعة جاءه طلحة والزبير وقالوا قد اشترطنا اقامة الحدود فأقمها على قتلة هذا الرجل (يريد الثوار ورؤساءهم) فقال لاقدرة لى على شىء مما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الامور فتؤخذ الحقوق ، فأفترقوا عنه ، وأكثر بعضهم المقالة فى قتلة عثمان ، وباغ عليها ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته اليهم ونظره لهم ثم هرب بنو أمية ولحقوا بالشام واختفي مروان فلم يظهر الا بالعراق فى وقعة الجمل على ماسيجىء ، وعند ذلك اشتد على على قريش فمنهم من اخرج ، ونادى فى اليوم الثالث برجوع الاعراب الى بلادهم فأبوا وتذامرت معهم السبئية ، ثم جاءه طلحة والزبير فقالا دعنا نأتى البصرة والكوفة فنستنفر الناس فامهلها ، وجاء المغيرة بن شعبة فأشار عليه باستبقاء العمال حتى يستقر الأمر وتستبدلوا بمن شاء فامهله فرجع من الغد فأشار عليه بمعالجة الاستبدال وجاءه بن عباس فأخبره بخبر المغيرة فقال نصبحك أمس وغشك اليوم ، قال فما رأى قال كان ان تخرج عند قتل الرجل الى مكة ، وأما اليوم فان بنى أمية يشبهون على الناس بان يجمعوك طرفا من هذا الأمر وبطلبون ما طلب أهل المدينة فلا تقدر عليهم مع أنى لا من طلحة والزبير أن يكرأ عليك وأنا أشير عليك أن تقر معاوية ، فان يا يبرك فعلى أن أقلعه من منزله ، فقال على والله لا اعطيه الا السيف

فقال له أنت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب ، أما سمعت قول رسول الله الحرب خدعة ؟ قال بلي ، قال ابن عباس أم والله لئن أطيقتي لا أتركهم ينظرون في دبر الأمور ولا يعرفون ما كان من وجهها من غير نقصان عليك ولا أثم لك ، فقال يابن عباس لست من هنالك ولا من هنات معاوية في شيء ، فقال ابن عباس اطعني والحق بمالك بينبع واغلق بابك دونك فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك فانك والله ان نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا فأبي على وقال أشر على وأرى ، فاذا خالفتك قاطعني قال ابسر مالك عندي الطاعة قال تسير الى الشام فقد وليتها ، قال اذن يقتلني معاوية بعثمان أو يحبسني فيتحكم على لقرايتي منك ، ولكن أكتب اليه فنه وعده فقال لا والله لا كان هذا أبداً وكان المغيرة يقول نصحته فلما لم يقتل عشمته وخرج فلحق بمكة — وقد فسر ابن عباس نصحه وعالله بان معاوية وأصحابه أهل دنيا فتى ثبتهم على لا ينالون من ولى هذا الامر ومتى عزلهم يقولون أخذ هذا الأمر بغير شوري وهو قتل صاحبنا ويؤلبون الناس عليه فتنتقض عليه الشام وكان المغيرة يقول له في شأن معاوية وهو بنصح له : ان في معاوية جرأة وهو في أهل الشام يستمع منه ولك حجة في اثباته هي أن عمر ولأه الشام . فقال على والله لا اسعمل معاوية يومين

ونرى من كل ما سبق أن عليا كان يرى الرأي لنفسه ولا يراه لغيره من أجل ذلك اتهم بأنه يمالئ الشوار ويعتمد عليهم .

﴿ ارسال المال ﴾

ثم فرق على المال على الامصار فبعث على البصرة عثمان بن حنيف
وعلى الكوفة عمارة بن شهاب من المهاجرين ، وعبيد الله بن عباس
على اليمن ، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر وسهل بن حنيف
على الشام :

فاما سهل فانه خرج حتى اذا كان بقبوك لقيه خيل فقال لهم انا
أمير على الشام ، قالوا ان كان بعثك غير عثمان فارجع فرجع .
واما قيس فلقية بابل خيالة من أهل مصر فقالوا من أنت قال
قيس بن سعد من فل عثمان او من قتلته فانا اطلب من آوي اليه فأتهم به
ومضى حتى دخل مصر وأظهر أمره فافترقوا عليه فرقة كانت معه وأخري
تربصوا واعتزلوا بخربتا وقالوا لآخوانهم ان قتل قتلة عثمان فنحن على
جدبنا حتى نمرك أو نصيب حاجتنا وفرقة ثالثة قالوا نحن مع على ما لم
يقدر من آخواننا :

وبهذه المناسبة نقول انا تركنا عبد الله بن سعد واليا على مصر
بعد عمرو بن العاص من قبل عثمان ونقول انه في السنة الحادية عشرة
من ولاية عبد الله خرج وراء المنحرفين عن عثمان واستخلف على مصر
عقبة بن عامر الجهني ، فخرج عليه محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة
ابن عبد شمس وملك مصر من غير ولاية من خليفة وأخرج عقبة من
الفسطاط ودعا الناس الى خلع عثمان فاعتزله شيعة عثمان ومنهم مسلمة بن
مخلك وكتبوا الى عثمان فحضر سعد بن أبي وقاص من قبل الخليفة ليصاح

الامر فخرج عليه جماعة من أصحاب ابن حذيفة فماد راجعا وجاء
عبد الله بن سعد فمعه أن يدخل فكر راجعا الى عسقلان ثم قتل
بفلسطين سنة ٢٦

وأراد ابن حذيفة أن ينجد عثمان بجيش فقدم عليهم الخبر بقتل
عثمان فثارت سبعة وعقدت لمعاوية بن حذم وباليوم على الطلب بدم
عثمان فقاتلهم ابن حذيفة ولكنهم هزموه وظلوا بخربنا الى أن قدم
معاوية بن أبي سفيان من الشام الى مصر فخرج اليه ابن حذيفة ومنعه
من الدخول الى الفسطاط ثم اتفقا على أن يجملا رهنا ويتركا الحرب
فاستخلف ابن حذيفة على مصر وخرج في الرهن هو وعدة من قنلة
عثمان ، فلما وصلوا الى معاوية قبض عليهم وحبسهم وسار الى دمشق
فهربوا من السجن فتيبهم أمير فلسطين حتى ظفر بهم وقتلهم فلما بلغ
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مصاب محمد بن أبي حذيفة ولى على
مصر قيس بن عباد فكان من شأنه ما قصناه حتى دخل مصر

عود : - وأما عبيد الله بن عباس فدخل الى اليمن فجمع بعلى بن
منبة مال الجبابة وخرج به الى مكة - وأما عمارة فلما بلغ زباله لقيه
طليحة بن خويلد فقال له ارجع فان القوم لا يستبدلون بأبي موسى
والا ضربت عنقك

وأما عثمان بن حنيف فمضى الى البصرة واختلفوا عليه فاطاعته
فرقة وقالت فرقة تنظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا ، ولم يجد
عثمان بن حنيف لابن عامر في ذلك رأيا ولا استقلالا بحرب

(اضطراب الامر على الامام)

هكذا كانت أحوال ولاية علي فلما رجع من رجع وجاءت أخبار الآخرين بما رأيت اضطرا علي الى طلحة والزبير فقال لهما قد وقع ما كنت أحذركم والذي وقم لا تدارك الا بأمانته وانها فتنة كالنار كلما سمرت ازدادت واستثارت، فقالا له ائذن لنا نخرج من المدينة فاما ان نكائر واما أن تدعنا، فقال سأمسك الامر ما استمسك فاذا لم أجد بدا فآخر الدواء الـكي :

وكتب علي الى أبي موسى فكتب اليه بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم ومن الكاره منهم ومن الراضى حتى كأنه يشاهدهم

وكتب الى معاوية فلم يجبه الى ثلاثة أشهر من قتل عثمان ثم دعا رجلا من بني عابس وأعطاه كتابا مختوما عنوانه : من معاوية الى علي وأوصاه بما يقول وسيره مع رسول علي فدخل المدينة ودفع العباسي الكتاب الى الامام ففرض ختمه فلم يجد فيه كتابا فقال للرسول ما وراءك؟ قال آمن أنا؟ قال نعم، قال تركت قوما لا يرضون الا بالقود، قال ممن؟ قال منك، تركت ستين الف شيخ يبكون تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم على منبر دمشق، فقال أمني يطلبون دم عثمان؟ ألسن موتورا كثره عثمان... قال العباسي واني آمن؟ قال نعم فصاحت السبئية اقتلوا هذا الكلب وافد الكلاب، فنادى يا آل مضر يا آل قيس الخيل والنبل، فمنعته مضر ودس أهل المدينة على من، يأتيهم برأيه في القتال

فجالسه ساعة فقال له على سيرا والفرز الشام فقال لعل : الاناة والرفق
أمثل وتمثل .

ومن لم يصانع في أمور كثيرة بضرس بأنياب وبوطاً بمنهم
فتمثل على :

متى تجمع القلب الذي وصار ما وأنفا حمياً تجتنبك المظالم
فعلم أن رأيه القتال ، فعند ذلك استأذنه طلحة والزبير في العمرة
ولحقا بمكة ، أما هو فاعتزم الخروج الى الشام ودعا أهل المدينة الى
قتالهم وأمر الناس بالجهز ودفع اللواء لابنه محمد بن الحنفية وولى
عبدالله بن عباس ميمنته وآخر ميسرته وجعل على مقدمته أبا ليلى بن
عمرو بن الجراح ولم يول أحدا ممن خرج على عثمان ثم استخلف على
المدينة ومكة ، وكتب الى قيس بمصر وابن حنيف بالبصرة وأبي موسى
بالكوفة أن يندبوا الناس الى الشام ويدنواهم علي التجهز للشام إذ أنه
الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وأنهم على الخلاف فانتقض من الشام

❦ ابتداء وقعة الجمل ❦

ولما جاء خبر مكة الى علي قام في الناس وقال : الا ان طاحه والزبير
وعائشة قد ثمالوا على نقض امارتي ودعوا الناس الى الاصلاح ،
وسأصبر ما لم اخف على جماعتكم ، واكف ان كفوا واقتصدنحوهم ، وندب
أهل المدينة فثاقلوا ، وبعث الى عبد الله بن عمر فقال أنا من أهل
المدينة أفعل ما يفعلون ، قال فاعطني كفيلا بانك لا تخرج ، قال ولا هذه
فتركة ثم خرج ابن عمر الى مكة وقيل لعل انه خرج الى الشام فصدق

حتى ركبته إليه ابنته (زوجة عمر أُم كلثوم) فأخبرته أنه خرج معتمرا
وانه على طاعته الا في النهوض فوثق به فيما قال ورجع الى أهل المدينة
فخطبهم وحرصهم فرجعوا الى اجابته

وكانت عائشة خرجت الى مكة وعثمان محمور ففضت نسكها
وانقلبت تربد المدينة فامقيت في طريقها أحد بني ليث اخوالها فأخبرها
بقتل عثمان وبيمة علي فقالت قتل عثمان والله ظالما ولا تطلبن بدمه فقال
لها ولم، والله ان أول من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين اقتلوا
نعلنا فقد كفر فقالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي
الاخير خير من قولي الاول

وهنا نشير الى ان عائشة كانت تحقد على عثمان انه لما تولى نقصها من
عطائها الذي فضلها عمر بن الخطاب وتربصت به وهو يخطب يوما
بالمسجد ودلت قميص رسول الله ونادت يا معشر المسلمين هذا جلاباب
رسول الله لم يبيل وقد أبلى عثمان سنته - ولها بقية قصص في حق عثمان
تدل على أنها ما خرجت حاجة ولا معتمرة وانها خرجت لتؤايب علي عثمان
وكانت تحقد على علي منذ حديث الافك ولذلك لم تفهم للطلب
بدم عثمان الا للتأليب على علي لتقضي بيعته - ولوبويع لطاحة وهو نيمى
من قوم أبيها أو بويع الزبير وهو زوج أختها أسماء كانت تطلب بدم
عثمان أيضا؟ اللهم لا، ولها أحاديث في شأن علي تدل على أنها كانت تضر
إليه شيئا

أما طلحة والزبير فقد أخطأتهما الخلافة بعد ان تعبوا في الحصول
عليها، فلما صارت الى علي تمنيا لو أنها أصابا منه حظا فطلبها منه البصرة

والكوفة غير أنه أمهلها فعلم أنها لن يبلغها ما أرادا فخرجنا عليه ويقال
أنها ما خرجنا إلا بعد أن مالا معاوية فحرضها على طلب البيعة لانفسها
الواحد نلو الآخر وقد أثرت الكتب التي تبوأت بين معاوية وبينها
وأن صحت روايتها فأننى أرى أن معاوية إنما اتخذها وسيلة للوصول
الى غرضه على حسابهما ، وقد تم له ذلك فقد أبقتا فتنة لقي كل منها حتفه
فيها وظفر في النهاية معاوية

عود - ورجعت عائشة من الطريق الى مكة وجاءها الناس
فاخبرتهم أن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة
اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما ونقموا منه أمورا نزع لهم عنها
فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا
البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام والله لا صبع من عثمان
خير من طباق الأرض أمثالهم ولو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص
منه كما يخلص الذهب من خبثه او الثوب من درنه ، فقال عبد الله بن
الحضرمي (كان عامل عثمان على مكة أنا أول طالب وتبعه بنو أمية ممن
كانوا قد هربوا الى مكة بعد قتل عثمان ومنهم سميد بن العاص والوليد
ابن عتبة - وقدم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير وقدم يعلى بن
منبه من اليمن بمال وفير - ثم قدم طلحة والزبير من المدينة . فقالتاها
ماوراء كما فقلا تحملنا من المدينة هرابا من غوغاء واعراب غلبوا على
خيارهم فلم ينعوا انفسهم ، ولا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا فقالت
انهضوا بنا اليهم ، وقال آخرون نأنى الشام فقال ابن عامر ان معاوية
كفاكم الشام فاتوا البصرة فلي بها صنائع ولهم في طلحة هوى

فنكروا عليه مجيئه من البصرة وقالوا هلا اقتت كما أقام معاوية فنكفى بك
ثم نأتى الكوفة نفسد على هؤلاء القوم المذاهب فلم يجدوا عنده جوابا
مقبولا واستقام رأيهم على رأيه وقالوا لها تترك المدينة فان الذين
معنا لا يطيقون من المدينة ويحتمون ببصرة على واذا أتينا البصرة أنهضناهم
كما أنهضنا أهل مكة وجاءنا دنا - فانفقوا ودعوا عبد الله بن عمر
فأبى وقال أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون ، وكان أمهات المؤمنين
مع عائشة على قصد المدينة ، فلما نهضت الى البصرة قعدوا عنها
وأجابتها حفصة فمنعها أخوها عبد الله وجهزهم ابن عامر بما معه من
الاموال والظهر ونادوا في الناس بالجلال فحملوا على - ثمانية بغير
وساروا في الف من أهل مكة ومن أهل المدينة وتلاحق بهم الناس
فكانوا ثلاثة آلاف ، وبعثت أم الفضل أم عبد الله بن العباس من أباغ
عليها الخبر - ونهضت عائشة ومن معها وجاء مروان بن الحكم الى
طلحة والزبير فقال على أبيكما السلم بالأمره وأؤذن للصلاة (مما يدل
على أن بنى أمية كانت تعمل في الحفاء) فبعثت اليه عائشة : أتربد أن
تفرق أمرنا ، ليصل بالناس ابن أختي تعنى عبد الله بن الزبير وودع أمهات
المؤمنين عائشة وأشار سعيد بن العاص على مروان وأصحابه بأدراك
نأرهم من عائشة وطلحة والزبير فقاتلوا وسيراعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا ثم
جاء الى طلحة والزبير فقال لمن تجعلان الأمران ظفرت ؟ قال لا أحدنا لذي
تختاره الناس ، فقال بل اجعلوه لولد عثمان لانكم خرجتم تطلبون بدمه
فقالا وكيف ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم ، قل فلا أراى أسعى
الا لاخراجها من بنى عبد مناف ورجع فرجع برجوعه جماعة ومضى

القوم ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان وأركب يعلى عائشة جلا اشتراه
بمائة دينار ، وساروا ودلهم الدليل على طريق الحوآب أحد المياه فنبههم
الكلاب فقالوا أى ماء هذا فقبل الحوآب فصرخت عائشة وقالت ردوني
سمعت رسول الله يقول وعنده نساؤه : أبتكن تنبجها كلاب الحوآب
وأناخت بعيرها وأقامت بهم يوما وليلة الى ان قيل النجاء النجاء فقد
أدرككم على فارتحلوا نحو البصرة

فلما كانوا بفنائها قدمت عبد الله بن عامر وكنبت معه الى رجال
البصرة كلاحنف بن قيس وأقامت بالحفير تنتظر الجواب ، فلما بلغ
أهل البصرة ذلك دعاه عثمان بن حنيف رجالا وقال انطلقوا الى هذه
المرأة فاعلموا علمها وعلم من جاء معها ، فقالت ان الغوغاء ونزاع القبائل
قد فعلوا ، افعلوا فخرجت في المسلمين أعلمهم بذلك وبالأذي فيه الناس
وراءنا وما ينبغي من اصلاح هذا الامر وقال طلحة لما قالوا ما أقدمك :
الطلب بدم عثمان فقالا ألم تباع عليا ؟ قال بلى والسيف على رأسى
ووالستقيل عليا البيعة ان هو لم يخل بيننا وبين قتلة عثمان ، وقال الزبير
كما قال طلحة فرجعوا الى ابن حنيف فاسترجع وقال دارت رحا
الاسلام ورب الكعبة واستشار الناس فقال قوم اعتزل فقال بل
أمنعهم حتى يأتى أمير المؤمنين ، فجاءه من أشار عليه بالمسالمة حتى
يأتى أمر علي فأبى ونادى فى الناس بحمل السلاح ودرس من يتعرف
نوايا أهل البصرة حتى علم أن لهم بالبصرة ناصراً فكسره ذلك
ونقدمت عائشة ومن معها الى المربد وخرج ابن حنيف فيمن معه
وحضر أهل البصرة ونكلم طلحة من اليمنة فذكر عثمان وفضله ودعا

الى الطلب بدمه وكذلك الزبير ثم تكلمت عائشة فاختلف اصحاب
ابن حنيف عليه ومال بعضهم الى عائشة ثم افترق الناس وتحاصبوا،
وجاءها رجل فقال لها والله قتل عثمان أهون من خروجك من بيتك
على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح ثم نشب القتال حتى حجز الليل
فباتوا يتأهبون فلما أصبحوا اقتتلوا الى أن زال النهار وقتل من أصحاب
ابن حنيف فتنادوا الى الصاح وتوادعوا على أن يبعثوا الى المدينة فإن
كان طلحة والزبير أكرها سلم لهم ابن حنيف والارجع عنه فلما جاء الرسول
المدينة سأل الناس فلم يجبه بأتهما أكرها الا أسامة بن زيد فضربه
الناس حتى كاد يقتل - ولما علم بالخبر كتب الى ابن حنيف بعجزه ويقول
والله ما اكرها على فرقة ، ولقد أكرها على جماعة - ولما عاد الرسول
الى البصرة بقول أسامة بمث طلحة والزبير الى ابن حنيف ليجتمع بهما
فامتنع واحتج وقال هذا غير ما كنا فيه ، فجمعها الناس وجاء المسجد
في ليلة شانية فأبطأ عثمان فانشب بعض انبياعهم القتال واقتحموا على
ابن حنيف داره فاخرجوه وقد تنفوا شعر وجهه كله وبعثوا الى عائشة
فقات خلوا سبيله ثم حصل الخلاف بينهم وبين أهل البصرة واشتعلت
نار الحرب من أجل ابن حنيف ولكن طلحة والزبير انتصرا وكتبوا
الى أهل الشام بما صنعوا وكتبت عائشة الى أهل الكوفة بالخبر وامرتهم
ان يبدوا الناس عن علي ويمثل ذلك الى اليمامة والى أهل المدينة وبائع
أهل البصرة طلحة والزبير

(مسير على الى البصرة)

تركنا عليا يستعد الى مكة ، ثم جاءه الخبر بأن المتجمعين اليه بمكة قصدوا البصرة وفيهم طلحة والزبير فاتخذ التدبير ليقطع الطريق عليهما وبردهما قبل وصولهما أو يوقع بهما ، فسار على تعيئته التي كان يقصد بها الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخفين في تسعمائة وذلك في ربيع الآخر سنة ٣٦

ولقيه عبد الله بن سلام فأخذ بمنائه وقتل يأمر المؤمنين لا تخرج منها فوالله ان خرجت منها لا يعود اليها سلطان المسلمين أبداً ، فسبوه فقال لهم دعوه فنعم الرجل من أصحاب محمد ، وسار فانتهى الى الربطة ، وهناك جاءه خبر سبقهم فاقام بأتمر ما يفعل ، ولحقه ابنه الحسن وعذله في خروجه وما كان من عصيانه اياه ، فقال ما الذي عصيتك فيه حين أمرني ؟ قال أمرتك عند حصار عثمان أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ، ثم أمرتك يوم قتل الاتبايع حتى تأتيتك وفود العرب وبيمة الامصار ، وأمرتك عند خروج هؤلاء أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فان كان الفساد ، كان على يد غيرك ، فقال أما الخروح من المدينة فلم يكن اليه سبيل وقد كان أحيط بنا كما أحيط بعثمان ، وأما البيعة فخففنا ضياع الامر ، والحل والعقد لأهل المدينة لا للعرب ولا للامصار . وسار الناس الى عثمان فقتلوه وبابعوني طائعين غير مكرهين ، فانا أقاتل من خالف بمن أطاع الى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين ، وأما القعود عن طلحة والزبير ، فإذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الامر فننظر فيه . —



بسم الله الرحمن الرحيم
 في موقعي لكتابي وصفي

«الشمس على الزمان لا تدرى ما العلو»

ثم أرسل الى الكوفة محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر يستنفران
الناس وأقام بالربذة يمرض ، وأرسل الى المدينة فأتاه ما يريده من دابة
وسلاح وقال له بعض من معه عرفنا بقصدك من القوم ؛ قال الاصلاح
ان قبلوه ، والانظروهم ، وان بادرونا الممتنعنا منهم ، وجاءه جماعة من طييء
تأفر بن معه فقبلهم وأثنى عليهم ثم سار من الربذة الى فيد فأتته أسد
وطييء فعرضوا عليه الفير معه فقال الزموا قراركم ففى المهاجرين
الكفاية، وجاءه رجل من أهل الكوفة فسأله على عن أبى موسى فقال
ان أردت الصلح فهو صاحبه وأن أردت القتال فليس بصاحبه فقال والله
ما أريد الا الصلح حتى يرد علينا ثم انتهى الى الثعلبية فبلغه مالى عثمان بن
حنيف ومن ناصره وأتى ذى قار فجاءه فيها ابن حنيف وأراه ما بوجه فدعاه
بمخبر ودعا على طلحة والزبير وأقام ينتظر محمدا ومحمدا وإذا هما قد فرعا كتاب
على الى أبى موسى وأقاما فى الناس بأمره فلم يجبهما أحد وشاورا أباموسى
فى الخروج الى على فقال : الخروج : سبيل الدنيا والقعود سبيل الآخرة
فقدوا كاهم وغضب محمد ومحمد وأغلظا لأبى موسى فقال والله ان
بيعة عثمان لى عتقى وعنق على ، وان كان لابد من القتال ، فحتى نفرغ من
قتلة عثمان حيث كانوا - فرجعوا الى على بالخبر فرجع على باللائمة على
الاشتر وقال أنت صاحبة فى أبى موسى فاذهب أنت وابن العباس واصالح
ما أفسدت فقدما على أبى موسى فاذا هو لا يرى الا القعود ، فأرسل اليه
ابنه الحسن وعمار بن ياسر فانطلقا حتى دخلا المسجد وخرج أبو موسى
فلحق الحسن فضمه اليه وقال لعمار : أعدوت على أمير المؤمنين فيمن
عدا ؟ فقال لم افعل فاقبل الحسين على أبى موسى فقال : لم تشبب الناس

عنا وما أدركنا الا الاصلاح ، فذكره بقول النبي : ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب والمسلو اخوان ودماؤهم حرام فغضب عمار وسبه فسبه آخر وتاور الناس فكفهم أبو موسى ، ثم جاء كتاب عائشة فقراء على الناس منكرها عليها فنار الناس أيضا ونصحهم أبو موسى وقال لهم أطيعوني واخلوا قريشا اذابوا الا الخروج من دار الهجرة وفراق اهل العلم حتى ينجلي الامر ، فخالفه كثير من الناس وحرضوه على اجابة على وطاعته وحرض عدي بن حاتم قومه وحجر بن عدي فنفر مع الحسن تسعة آلاف من اهل الكوفة سارت منها ستة في البر وثلاثة في البحر وأرسل على الأشتر الى الكوفة فدخلها والناس في المسجد وأبو موسى والحسن وعمار في منازعة معه ، فجعل الأشتر يمر بالقبائل ويدعوهم الى قصر الأمانة حتى انتهى اليه فدخله وأبو موسى بالمسجد بخطبهم وبثبثهم ودخل الاشتر القصر وخرج غلمان أبي موسى وصاح به أبو موسى اخرج لأمر لك وأجله تلك العشية ودخل الناس لينهبوا متاعه فمنعهم الأشتر وقرر الناس مع الحسن فقدموا على عدي بن قار فركب اليهم ورحب بهم ثم دعا القعقاع فأرسله الى أهل البصرة وقال : الق هذين الرجلين فادعهما للألفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة - فخرج وبدأ بمائسة وقال لها : أي أمة ما أشخصك ؟ قالت : أريد الاصلاح بين الناس . فقال ابعتي الى طلحة والزبير نسمن مني ومنهما فلما جاءا قال لهما سألت أم المؤمنين فقالت الاصلاح فوافقاها فقال فأخبراني ما هو ؟ فلا قلة عثمان فان تركهم ترك القرآن ، قال فقد قتلتهم منه ستائة من أهل البصرة

وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم... فأبى الإصلاح فقالت عائشة فما تقول أنت؟ فقال هذا الأمر دواؤه التسكين وأخذ ينصح اليهم فقالوا أصبت وأحسنيت فإن قـدم على وهو على مثل رأيتك صلح الأمر فرجع وأخبر عليا فاعجبه وأشرف القوم على الصلح

ثم أمر الناس بالرحيل من الغد والاي رحل معه أحد ممن أعان على عثمان واجتمع نفر من أهل مصر ونشاوروا فيما قال علي وقالوا هو أبصر بكتاب الله وأقرب الى العمل به وهو يقول مايقول وإنما معه الذين أعانوا على عثمان فكيف اذا اجتمعوا ورأوا قلتاني كثيرتهم ومازالوا يتداولون حتى انتهوا الى أن عزهم في خلطة الناس

وأصبح علي راحلا وانضم اليه كثير من عبد القيس وسار طلحة والزبير وعائشة والتقى الجمعان منتصف جمادي الآخرة، وأشار على الزبير بعض أصحابه ان يناجز القتال فاعتذر . وطلب اصحاب علي منه مثل ذلك فأبى ونهى عن قتالهم وأرسل اليهم ان يكفوا وجاءه الاحنف ابن قيس وكان قيس قد اعتزل فطلب الى علي أن ينضم اليه في القتال أو يكف عنه ستة آلاف سيف فاختر الكف واعتزل الاحنف بمن معه حتى انتهص على فانضم اليه

ولما بقي الجمعان خرج طلحة والزبير وجاءهم علي حتى اختلفت أعناق دوابهم؛ فقال علي لقد اعدتكم اسلحا وخيلا ورجالا ان كنتم اعدتكم عند الله عذرا فانقيا الله ، ألم أكن أخا كما في دينكما محرمان دمي وأحرم دمكما ، فهل من حدث أحل لكمادمي ؟ قال طلحة ألبت على عثمان ، قال علي يومئذ يوفيه الله دينهم الحق ، يا طلحة ، تطلب بدم عثمان العن الله

قتله عثمان ياطلحة جئت بعروس رسول الله تقاتل بها وخبات عرسك في البيت ؟ اما بايعتني ؟ قال بايعتك والسيف على عنقي ، ثم قال للزبير تذكر يوم قال رسول الله : لتقاتلنه وأنت له ظالم ، قال اللهم نعم ولو ذكرت قبل مسيرى ماسرت ، ووالله لأقاتلك ابدا واقترقوا : فقال على لأصحابه : ان الزبير قد عهد ألا يقاتلكم

رجع الزبير الى عائشة وقال لها ما كنت في موطن مذ عقلت الا وانا اعرف فيه أمري غير موطنى هذا ، قالت فما تريد ان تصنع ؟ قال اريد ان ادعهم واذهب ، فقال له ابنه عبد الله : خشيت رايات ابن ابي طالب وعملت أنها تحملها فتية المجاد وان تحتها الموت الاحمر فحبذت ، فاحفظه ذلك وقال حلفت فقال كفر عن يمينك فاعتق غلامه ، وقيل انما رجع حين سمع ان عمار بن ياسر مع على فخاف ان يقتل عمارا وقد قال النبي باعمار تفلك العثة الباغية فردم ابنه عبد الله والتف الناس على عائشة واستمد الفريقان فنزلت مضر الى مضر وربيعة الى ربيعة واليمن الي اليمن وهم ذلك كانوا لا يذكرن الا الصلح وخرج على وطلحة والزبير فتوافوا فلم يروا أمرا أمثل من الصلح ووضع الحرب ثم افترقوا على ذلك وتبادل على ورؤساء من معه الرسل مع طلحة والزبير ورؤساء من معها بذلك وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التي أشرفوا عليها والصلح - وبات الذين أثاروا امر عثمان بشرب ليلة بتشاورون ، خافوا أن تجتمع كلمة الناس ويصطلحوا عالا يكون الصلح الا عليهم ولهذا انفقوا على انشاب الحرب بين الناس فغلسوا وما يشعربهم أحد فقصد مضرهم الى مضرهم وربيعتهم الى ربيعتهم وبعثهم الى بينهم فوضعوا فيهم السلاح ، فثار أهل البصرة وثار

كل قوم في وجوه أمهات حبابهم - وسأل طلحة والزبير الناس ما هذا فقالوا طرقتنا
أهل الكوفة ليلا فقالا إن عليا لا ينتهي حتى يسفك الدماء ثم دفعوا
أولئك المقاتلين إلى عسكرهم فسمع علي وأصحابه الصيحة فقال علي
ما هذا فقليل ما شعرنا إلا وقوم منهم يبتونا فرددناهم فوجدنا القوم على
رجل فركبونا وثار الناس وركب علي وقال إن طلحة والزبير لا ينتهيان
حتى يسفك الدماء ونادى في الناس كفوا ، وكان رأيهم جميعا في تلك
الفتنة الا يقاتلوا حتى يبدءوا يطلبون بذلك الحجة ، ولا يقتلوا مدبرا
ولا يجهزوا على جريح ولا يسجلوا سلبا - وأقبل رجل إلى عائشة وقال قد
أبى القوم إلا القتال فلم - ل الله يصاح بك ، فاركبها والبسوا هو دجلها
الأدراع وأوقفوها بحيث تسمع الفوغاء ، وأقتتل الناس حتى انهزم أصحاب
الجمال ، وأصيب طلحة بسهم في رجله فدخل البصرة ودمه يسيل وهو
يقول اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى إلى أن مات ، وذهب الزبير إلى
وادي السباع وإنما فارق المعركة لأنه قاتل تمذيرا لما ذكر له علي (فمر
بمسكر الأحنف بن قيس (وهو على الحياض كما سلف) فاتبه عمرو بن
الجرموز وكان يسأله حتى إذا قام إلى الصلاة قتله ورجع بفرسه وسلاحه
وخاتمه إلى الأحنف فقال والله ما أدري أحسنت أم أسأت ، فجاء ابن
الجرموز إلى علي وقال للحاجب استأذن لقاتل الزبير فقال أئذن له
وبشره بالنار ثم رمى القوم عائشة حتى جارت بالاستغاثة ثم بالدعاء على
قتله عثمان وضج الناس بالدعاء وحرصتهم على القتال وتقدم مضر الكوفة
ومضر البصرة فاجتلدوا أمام الجمل حتى ضرسوا واشتد الأمر وتنادى
الشجعان من الجانبين بالصبر واستحضر القتل حول الجمل حتى قتل علي

الخطام سبعون كلهم من قریش وجرح عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم ونادى على اعقروا الجمل بتفرقوا فضر به رجل فسقطوا اجتمع الناس وحمل القعقاع والخطام بيد زفر بن الحرث وقال اعقروا الجمل قبل أن تصاب أم المؤمنين ف ضرب الجمل على سافه فوقم على شقه وأمن القعقاع من يايه واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير وحملوا المودج فوضعا وهو كالقنفذ بالسهم وفر من وراءه ، ونادى علي لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور وأمر بحمل المودج من بين القتلى ، وأمر محمد بن ابى بكر أن يضرب عليها قبة وأن ينظر هل بها جراحة ، فجاء بسألهام جاءها على فقال كيف أنت يا أمة ؟ قالت بخير ، قال يغمر الله لك قالت ولك ، رجاء وجوه الناس فسلخوا عليها ، ولما كان الليل ادخلها ابن أخيها البصرة فاقرها في دار عبد الله بن خفاف الخزاعي وكان قد قتل في الموقعة ، وأذن علي في دفن القتلى وصلى عليهم ، وجمع ما كان في العسكر من كل شيء وبعث به الى مسجد البصرة وقال من عرف شيئا فليأخذه الا سلاحا عليه سمة السلطان وأحصى القتلى من الجانبين فكانوا عشرة آلاف وانتهت الموقعة بانتصار علي وشيعته ، فجاءه الأحنف ابن قيس في بنى سعد فانضم الى علي ، ودخل البصرة فبايعه أهلها ، وقبل عذر زياد ابن أبيه لأنه اعتزل وزعم أنه مريض فأراد علي أن يولي البصرة فأتمتع وقال ولها رجلا من أهلك تسكن اليه الناس وسأشير عليه . وأشار ابن عباس فولاه وجعل زيادا على الخراج وبيت المال وأمر ابن عباس بموافقته فيما يراه

ثم ذهب على الى عائشة في دار ابن خلف فصاحت به النساء فلم
يلتفت اليهن وجيى بالذين عرضوا لعائشة بالقول والاساءة فأوجعهم ضرباً
وجهر عائشة الى المدينة بما احتاجت اليه وبعثها مع أخيها في أربعين من
نسوة البصرة اختارهن لمرافقتها

ثم جاء يوم ارتحالها فودعها واستعنت له واستعنت لها ومشى معها
أميالا وشيعها بنوه مسافة يوم وذلك في أول رجب فذهبت الى مكة
فقضت الحج وعادت الى المدينة وعاد النابون من بنى أمية الى الشام
وبعد فقد رأيت أنه لولا السبئية الذين ناروا بعثمان ما وقعت وقعة
الجل وان طلحة والزبير قتلا ، فأما طلحة فكان أول مصرع قيل
أنه -هم غرب فأصاب ركبتة فلما رآه مروان قال لا أنتظر بعد اليوم
بنأرى في عثمان فاما الزبير فقد قتل غيلة وهو منصرف عن القتل . وأما
عائشة فانه لما ظفر على اني -تى دنا من هودجها فكلمها بكلام فاجابته :
ملكك فاسجح فجهزها كما سلف وقد بقيت الى أيام معاوية وماتت وقد
قاربت السبعين وقيل لها تدفين مع رسول الله فقالت لا . أنى أحدث
بعده حدثنا ، فادفنوني مع اخوتي بالبقيع

هذا وان تعجب فعجب ان نسمع ان من علماء المسلمين من برر ما كان من
خروج عائشة وطلحة والزبير وقال لم يكن خروجها وخروجوها
خروجاً عليه وإنما كان للمطالبة بدم عثمان وقتل قتلته اذ عجز على
هذا وهو فتق في الاسلام يجب رتقه وليس في ذلك ابطال لامامة على
ولا طعن فيها ولا طلب احداث امام آخر — وبظهر ان ذلك مبالغة
في المجاملة صيانة لاصحاب رسول الله ان ينسب اليهم مالا ينبغي سبل

وأعرب منه ان يقال ان السيدة عائشة حملت على ما فعلت غير ان سياق القصة يؤيد انها حملت الناس على الخروج ايضا فكانت زعيمة هذا الامر قبل ان يفد عليها طلحة والزبير ، وربما كان الابقى بالباحث المدقق المتدين ان يقول قامت لدى الجميع شبهة في أحقية علي أو أهليته للخلافة فاجتهدوا وأدام اجتهدهم الى مناوآته ولذلك لما بان لهم وجه الرأى فى الامر ، تابوا وهم كما نعلم ليسوا معصومين

وقد رأيت ان حركتهما مع عائشة قضى عليهما بالفشل وبظهر ان السر فى ذلك يرجع اليهما أولا اذا كان كل منهما يريد الخلافة لنفسه اي انهما لم يخلصا فى اعمالهما على ان الذين رافقوهما من بنى أمية ومن لف لفهم كانوا يترهبون بهم الدوائر وينتهزون الفرص للابقاع بها ، وينتظرون غرة منهما أو من احدهما للاخذ بتأثيرهم منهما ولذا يقال أن مروان هو الذى قتل الزبير

﴿مبايعة عمرو بن العاص لمعاوية﴾

أشرنا فيما مضى الى ان عمر بن العاص لما أحيط بعثمان مضى الى فلسطين فكان يؤلب عليه الناس حتي بلغه انه قتل فارتحل الى دمشق فبلغه بيعة على فاشتد عليه الامر وأقام ينتظر ما يصنعه الناس ، ثم بلغه مسير عائشة وطلحة والزبير فأمل فرجا من أمره ثم جاءه الخبر بوقعة الجمل فارتاب فى أمره ، وسمع ان معاوية بالشام لا يبايع عليا وأنه يعظم قتل عثمان ، فاستشار ابنه فى المسير اليه فقال له ابنه عبد الله توفى النبى والشيخان بعدهم و هم راضون عنك ، فأري ان تكف يدك وتجاس فى بيتك

حتى يجتمع الناس ، وقال له محمد انت ناب من أنياب العرب ، وكيف
يجتمع هذا الامر وايس لك فيه صيت ، فقال يا عبد الله أمرتني بما هو خير
لى له دبنى وبما محمد أمرتني بما هو خير لى فى دنياى ، ويروى انه قال انى
أن أتيت عليا قال انما انت رجل من المسلمين ، وان اتيت معاوية بخطابنى
بنفسه ويشركنى فى أمره فأتى معاوية فما زال معه حتى حضر امر
الحكمين ورجع الى مصر فى ولايته الثانية عليها

لقد كان عمرو بن العاص بمحمد علي عثمان انه عرله عن مصر بعبد الله
ابن سعد كما علمت ثم اعتزل أهل المدينة الى فلسطين يؤاب الناس
على عثمان ، فمن عجب انه ينضم الى معاوية وبصبح مطالبا بدم عثمان
وقد علل عمرو بن العاص سبب انضمامه الى معاوية تعليلا واضحا

﴿ ولاية سعد بن قيس على مصر ﴾

بلغ أمير المؤمنين الخبر بمصاب محمد بن حذيفة فولى مصر قيس
ابن عبادة الانصارى فابث عليها نحو أربعة أشهر ومهد أمورها واستمال
الخارجية بخبرتها من شيعة عثمان ورد عليهم أرزاقهم وقدموا عليه بمصر
فاكرمهم وأنعم عليهم وكان عنده رأى ومعرفة ودهاء فعظم على معاوية
ابن أبى سفيان وعمرو بن العاص ولايته لمصر فانه كان من حزب على
واجتهدا كثيرا ليخرجاه منها فلم بقدر على ذلك حتى عمل معاوية على
قيس من قبل على وأشاع أن قيسا من شيعته ومن حزبه وانه يبعث
اليه بالكذب والصيحة سرا ، ولازال يظهر ذلك حتى بلغ عليا وساعده
فى ذلك محمد بن أبى بكر لحبه مصر وأمرتها ، وعبد الله بن جعفر فهازالا

بعلى حتى كتب لقيس فامر به بالقدوم عليه ، وعزله عن مصر ، وولى عليها الاشتر النخعي أو محمد بن أبى بكر ، ففقد على بذلك أعظم قوة كانت له في المغرب ولو أنه اتقى قيسا لا وقع معاوية وعمران نارين ولحصرهما بين جند العراق وجند مصر وشغلها في وقت واحد بالدفاع من ناحيتين مختلفتين ، كان قيس أنقل خلق الله على معاوية لقربه من الشام وبخاصة بعد انتصار علي في وقعة الجمل وفراغه فكان يخشى أن يقبل عليه من العراق ويقبل اليه قيس بأهل مصر فيقع بينهم فاخذ بخادعه .

كتب اليه كتابا جاء فيه كتب الى الله يا قيس بن سعد فانك ممن أعان على قتل عثمان ان كانت التوبة تغني شيئا . وأما صاحبك فقد نيقنا انه الذي أغرى به وحملهم على قتله حتى قتلوه وانه لم يسلم من دمه عظم قومك فان بايعتنا على هذا الامر فلك سلطان العراق ولما شئت من أملك سلطان الحجاز مادام لى سلطان .

وأحب سعد أن يدافعه ولا يبعجل حربه فكذب اليه يستظرو وقال له لن يبدولك من قبلى شيء مما تكره - فعرف معاوية أنه لا يزال مباحدا مفارقا فكتب اليه : أما بعد فلم أرك تدنو فاعدك سلما ولم أرك مباحدا فاعدك حربا وليس مثلى من يخدع ويده أعنة الخيل ومعه أعداد لرجال فكذب اليه سعد : أما بعد فالعجب من اغترارك بي يا معاوية وطمعك في تسومنى الخروج عن طاعة أولى الناس بالامرة وأقربهم بالخلافة وأقولهم بالحق ... وتأمرنى بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الامر وأقولهم بالزور وأضلهم سبيلا .

فلما رأى معاوية أن قيسا لا يلين له كاده من قبل على فاطم للباس
أن قيسا قد بايعه واختلق معاوية كتابا زعم أنه من قيس وفيه . أما بعد
فلما نظرت أنه لا يسكن مظاهرة قوم قتلوا أمهم محرما مسلما براتقيا
مستغفرا واني معكم على قتله بما أحببتهم من الاموال والرجال متى شئتم
عجلت اليكم .

فشاع في أهل الشام أن قيسا بايع معاوية ، وبلغ عليا الامر
فأكبره وأعظمه فقال له عبد الله بن جعفر دع ما يريك الى ما لا يريك
اعزل قيسا عن مصر فقال والله ما أصدق هذا على قيس ، غير انه عزله
وولى الاشتر أو محمد بن أبي بكر لكن الاشتر مات قبل دخول مصر
بديدة من معاوية اذ بلغه أن عليا ولاه فعلم أن الاشتر متى قدمها كان
أشد عليه فكسب الى دهقان التلزم ان الاشتر واصل الى مصر قد وليها
فان أنت كفيتني أباه لم أخذ منك خراجا ما بقيت ، فلما لقي الاشتر قال
له انزل فاني رجل من أهل الخراج وقد أحضرت ما عندي فنزل
الاشتر فأتاه بطعام وعلف وسقاء شربة من عسل جعل فيها سهما فلما شربه
مات وبث الدهقان من أخبر بموته فلما بلغ معاوية وعمر بن العاص
موت الاشتر قال ثنيهما أن لله جنودا من عسل «وقيل في موته غير ذلك»
ولما مات الاشتر ولى على مصر محمد بن أبي بكر فتلحقه قيس بن
سعد وقال لك جئت من عند أمير لا رأى له وليس عزله أيى بئاعى ان انصح
لك وله وانا من أمركم هذا على بصيرة وأنى أدلك على ما كنت أكيد به
معاوية وعمر وأهل حربنا فكأيدهم به ووصف له المكيدة فاستغف محمد
وخالفه في كل شيء أمر به وقتك في المصريين وهدم دور شيعة عثمان

فنصبوا اليه الحرب ثم صالحهم على ان يسيرم الى معاوية فلاحقوا به
في الشام وبقيت منهم بقية ظلت تناوى محمد الى ان انتقضت عليه الامور وقتل
سنه سبع وثلاثين وهي التي كانت فيها وقعة صفين

﴿ أمر صفين ﴾

لما رجع على بعد وقعة الجمل الى الكوفة مجمعا علي قصد الشام بحث
الى جرير بن عبد الله البجلي، وكان عاملا على همدان لعثمان، و الى
الاشعث بن قيس وكان على اذربيجان لعثمان ايضا، بأن يأخذاه البيعة
ويحضر عنده، فلما حضر بحث جرير الى معاوية بطلبه وكتب معه كتابا يلزمه
فيه باجماع المهاجرين والانصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وحربه
اياهما، ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه الناس، فسار الى معاوية
فطاوله الجواب واستشار بن العاص فأشار عليه بجمع أهل الشام ويلزم
عليه دم عثمان وبقائه بهم ففعل - وكان اهل الشام لما قدم عليهم النعمان
ابن بشير بقميص عثمان الملوث بدمه كما قدمنا، وضمه على المنبر وجمع
الاجناد اليه فبكوا مدة واقسموا ألا يمسه ماء الجنابة ولا يناموا حتى
يثأروا من قتلة عثمان ومن حال دون ذلك قتلوه، فرجع جرير بذلك كله
الى علي غير مقضى الحاجة، وعذله الاشترفى ارسال جرير وانه طال
مقامه حتي تمكن أهل الشام من رأيهم، فغضب لذلك جرير و لحق
بقرقيسيا واستقدمه معاوية فقدم عليه

ثم خرج على وعسكر بالانخيلة . وقدم عليه عبد الله بن العباس
في أهل البصرة، ونجهز معاوية واغراه عمرو بقله جند علي وقال

ان أهل العراق قد فرقوا جمعهم ووهنوا شوكتهم وقلوا حدم ، وأهل
البصرة مخالفون لى بمن قتل منهم وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل
الكوفة يوم الجمل وانما سار على في شرذمة قليلة ...)

وعبي معاوية أهل الشام وعقد لعمر وولانيه ولغلامه وردان الالوية،
وبعث على في مقدمته زياد بن النضر في ثمانية آلاف وشريح بن هاني
في أربعة آلاف ، وسار من النخيلة الى المدائن واستنفر من كان بها من
المقاتلة وبعث معقل بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره أن يأخذ طريق
الموصل حتى يوافيه على الرقة فلما وصل الى الرقة نصب له جسر فمير ، ولما
بلغ على الفرات دعا زيادا وشريحا فجاءوا من ورائه فسرهما أمامه في
اثنى عشر ألفا نحو معاوية على حالهما التي خرجا عليها من الكوفة فلما أتيا
سور الروم لقيهما أبو الاعور السلمي في جند الشام فطاولاه وبعثا الى على
فسرح الاشر وأمره ان يجمعهم على مجنبتيه وقال لا تقاتل حتى آتيك غير
أن أبا الاعور حمل عليهم فقاتلوه ساعة وافترقوا ثم خرجوا من الغداة
فاقتتلوا عامة يومهم حتى حجز بينهم الليل ووفاهم من المد على وعساكره
فقدم الاشر وانتهى الى معاوية فواقفه ولحقهم على فتواقفوا طويلا

ثم ان عليا طلب لعسكره موزعا ينزل فيه وكان معاوية قد سبق
فنزل منزلا اختاره بسيطا واسعا افيع وملاك شريعة الفرات وليس في
ذلك الصقع شريعة غيرها وجعلها في حيزه وبعث اليها من يجمعها ويمنعها
فطلب اصحاب على شريعة غيرها فلم يجدوا فأتوا عليا فاخبروه بفعل
اصحاب معاوية وبعطش الناس فارسل على الى معاوية اناسرنا ونحن عازمون
على الكف عنكم حتى نعذر اليكم فسا بقنا جندكم بالقتال ونحن رأينا

الكف حتى ندعوك ونحتج عليك، وقد منعتهم الماء والناس غير منتهيين، فابعت الى اصحابك يخلون عن الماء للورد وليكفو لسظرف فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له وان اردت القتال حتى يشرب الغالب فعلنا، فاشار عمر بن العاص بتخليه الماء لهم واشار ابن ابي سرح والوليد بن عقبة بمنعهم الماء كما منعوا عثمان فمر ان الاشعث بن قيس جاء الى الماء فقام عليهم عليه بأمر علي فاقتتلوا ساعة وارسل معاوية جندا وعلى جندا واشتد القتال حتى ظفر أصحاب على بالماء وقالوا والله لانسقيه اهل الشام. فنهاهم عن ذلك على واقام يومين ثم بعث الى معاوية يدعوه الى الطاعة وذلك اول ذالحجة سنة ٢٦ فقال معاوية ونترك دم عثمان ولا والله لا افعله أبدا وتشدد وقل للرسول انصرفوا فليس بيني وبينكم الا السيف فلما رجعوا الى على بالخبر اقام الفريقان أيام ذي الحجة في قتال: عسكر من هؤلاء وعسكر من هؤلاء، كرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام حذرا من الاستئصال والهلاك

(الهبة وتبادل الرسل)

ثم جاء المحرم فذهبوا الى الموادة حتى ينقضى طمعا في الصالح واختلفت الرسل بين على ومعاوية، فبعث علي عدي بن حاتم في نفر فجاؤا معاوية ودعاه الى الدخول في طاعة على وحذره أن يصيبه ما أصاب أصحاب الجمل، فقال له معاوية كالك انما جئت مهددا لم تأت مصلحا هيئات يا عدي انا ابن حرب لا بقمقم لي بالشنان وانك من قتلة عثمان وارجوان يقتلك به - وانتهى امر معاوية بقوله ونحن مع ذلك

نجيبكم الى الطاعة والجماعة اذ ادفع اليها قتلة عثمان ، فقال له اخدم
أسرك أن تقل عماراً؟ قال نعم بمولاه وافترقوا غير ان معاوية خلا
بأحدهم وسأله النصر بعشيرته على أن يوليه أحد المصريين فأبى وقال
أنى على بيعة من ربي ولن أكون ظهير للمجرمين وقام عنه فقال معاوية
لعمرو : كأن قلوبهم قلب رجل واحد

وبعث معاوية الى على حبيب بن مسلمة في نفر فقال حبيب لعلى
في آخر حديثه : ثم أعتزل أمر الناس فيولوا من أجمعوا عليه فردده على
ردا قبيحا ، وخطب فيهم خطبة جاء في آخرها : والعجب من انقيادكم
له (لمعاوية) دون بيت نبيكم ولا ينبغي لكم ذلك ، وأنا أذعوكم الى الكتاب
والسنة ومعالم الدين وأمانة الباطل وحقاق الحق فقالوا نشهد أن عثمان
قتل مظلوما ، قال لا أقول مظلوما ولا ظالما ، قالوا فمن لم يقل ذلك فنحن
منه براء وانصرفوا فقال على لأصحابه لا يكن هؤلاء في ضلالهم أجد
منكم في حقكم

﴿التعبئة والقتال﴾

ولما انسلك المحرم نادى على في الناس بالقتال وعبى الكتاب وقال
لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم ، فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراء ولا تجهزوا
على جريح ، ولا تكشفوا عن عورة ، ولا تمشوا ولا تأخذوا مالا ولا تهيجوا
امراة وان شتمتم فانهن ضماف الانفس والقوى ثم حرضهم ودعاهم
وجعل الأشر على خيل الكوفة ، وسهل بن حنيف على خيل

البصرة وقيس بن سعد على رجاله البصرة ، وعمار بن ياسر على رجاله الكوفة . وعبي معاوية كتابه فحمل على خيل دمشق عمرو بن العاص ، وعلى رجالها مسلم بن عقبة المري - وتبايع رجال من أهل الشام على الموت فمقلوا أنفسهم بالعائم في خمسة صفوف فاقتلوا عامة يومهم وتابعوا القتال خمسة أيام أخرى ثم عبي على الناس عشية يومه وأمرهم بمهاضة القوم باجمهم ، وأصبح وزحف وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها من الشام ومن ليس لهم أحد بالشام بصرفهم الى من ليس لهم أحد بالعراق مثل بجيلة صرفهم الى الخم - وخرج معاوية في أهل الشام فاقتل الناس عامة يومهم ثم انصرفوا عند المساء وكل غير غالب ، فلما أصبحوا كان على في القلب بين أهل البصرة والكوفة ، واقبل الناس الى الظهر وتبادلوا التقدم والتأخر الى ان كشف الاشر أهل الشام وألحقهم معاوية عند الاصفرار ثم زحف مرة أخرى فازال أهل الشام عن مواقعهم حتى ألحقهم بالصفوف المعتقلة بالعائم ، وتقدم قيس بن المكشوح براية بجيلة وقاتل الناس قتالا شديدا وتبارز الشجعان من كل جانب - ثم خرج عمار بن ياسر ونادي من سعى الى رضوان ربه فلا يرجع الى مال ولا ولد ، وقال لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص تقدم ياهاشم الجنة تحت ظلال السيوف والموت تحت اطراف الأسل ، وتقدم حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له يا عمرو بعث دينك بمصر تبالك ! فقال له لا ولكن أطلب بدم عثمان - ثم قاتل عمار فلم يرجع حتى قتل وقال اليوم ألقى الاحبة ، محمدا وحزبه

﴿سنة الحرب وانتصار علي﴾

ولما قتل عمار حمل علي وحمل معه ربيعة وهضروهمدان حملة منكزة فلم يبق لأهل الشام صف الا انتقض حتى بلغوا معاوية ، فناداه علي علام يقتل الناس بيننا؟ هلم أحاكمك الى الله فابنا قتل صاحبه استقام له الأمر، فقال عمرو : انصت : فقال معاوية لكذك ما انصفت - ثم اقتتل الناس الى الصباح وهي اية الجمعة وتسمى ليلة الهرير حتى أصبح فركب الاشر ودعا الناس الى الحملة علي أهل الشام فحمل وأمدته علي بالرجال

﴿حيلة عمرو بن العاص﴾

فلما رأى عمرو رشدة أهل العراق وخاف علي أصحابا الهلاك قل لمعاوية مر الناس : يرفعون المصاحف على الرماح ويقولون كتاب الله بيننا وبينكم ، فان قبلوا ذلك ارتفع عنا القتال ، وان أبى بعضهم وجدنا في افتراقهم راحة ، ففعلوا .

اختلاف أصحاب علي . فقال الناس من أصحاب علي نجيب الى كتاب الله ، فقال لهم علي : امضوا على حثكم وقال عدوكم ... لسوا باصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم ، صحبتهم أطفالا ورجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال ، ويحسبكم ! والله ما رفعوها الا مكيدة وخديعة ، فقالوا لا يسعنا أن ندعى الى كتاب الله فلا نقبل ، فقال انما قتلناهم بكتاب الله وانهم نبدوه ، وقال بعض الذين صاروا خوارج فيما بعد ذلك . أجب الى كتاب الله والا دفعناك برمتك الى القوم أو فعلنا بك ما فعلنا

بابن عفان فقال ان تطيعوني فقاتلوا وان تعصوني فافعلوا ما ابداكم
الاشتر وايقاف الحرب . قالوا فابعث الى الاشتر وكنفه عن القتال
فبعث اليه يزيد بن هانيء بذلك فأبى ، وقال قد رجوت أن يفتح الله لى ،
فلما جاء يزيد بذلك ارجى الموقف باللنط وقالوا لعلى ما نراك الا أمرته
بقتال ، فابعث اليه فليأتيك والاعتزلناك ، فقال على وبمحك يا يزيد اقبل
له اقبل الى فان الفتنة قد وقعت ، فقال أرفع المصاحف ؟ قال نعم ،
قال لقد ظننت أن ذلك يوقع فرقه ، أنها مشورة ابن العاهر ، الا ترى
الى الفتح ، الا ترى ما يلقون ، الا ترى ما صنع الله لنا ؟ لن ينبغي أن
أدع هؤلاء وانصرف عنهم ، فقال له يزيد أنجب أن نظفر وأمير المؤمنين
يسلم على عدوه أو يقتل ، قال لا والله ، فاعلمه بقولهم فاقبل اليهم
الاشتر وأطال عتبتهم وقال أمهلوني فواقفا فقد أحسست بالفتح ، فقالوا الا
دعنا يا أشتر ، قاتلناهم لله وندع قتالهم لله ، فقال . بل خدعتم ودعيتهم الى
وضع الحرب فأجبتهم ، وسبهم وسبوه وضربوا وجهه دابته بسياطهم وضرب
وجوه دوابهم بسوطه فصاح به وبهم علي فكفوا .

﴿ التحكيم ﴾

وقال الناس قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حـكـمـا ، فجاء
الاشعث بن قيس وقال ان الناس قد رضوا بما دعوا اليه من حكم القرآن
فان شئت أتيت معاوية وسألته ما يريد ، قال أفعل ، فأناؤه وسأله لاي:
شئ رفعتم المصاحف ؟ فقال ليرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله به فى كتابه
تبعثون رجلا ترضونه ، ونبعث رجلا نرضاه ونأخذ عليهما ان يعملا

بما في كتاب الله لا يمدوانه ، ثم تتبع ما تفقا عليه ، فقال الاشعث
هذا الحق ، ورجع الى علي والناس وأخبرهم فقالوا رضينا

(اختيار الحكمين)

ورضى أهل الشام عمرا وقال الاشعث والذين صاروا خوارج
رضينا بابي موسى ، فقال علي لأرضاه ، فقال الاشعث ومن معه
لا نرضى إلا به ، قال فإنه ليس ثقة ، قد فارقني وخذل الناس عني
وهرب مني حتي أمنت به بد شهر ، قالوا لا نريد إلا رجلا هو منك ومن
معاوية سواء ، نال فلاشتر ، قالوا وهل سعر الأرض غير الاشتر ،
قال فاصنعوا ما بدأ لكم ، فبعثوا الى أبي موسى فحضر ، وطلب الاحنف
ابن قيس أن يكون مع أبي موسى فابى الناس .

كتاب الاتفاق وحضر عمرو بن العاص عند علي لتكتب القضية بحضوره
فكتبوا بعد البسملة هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين ، فقال عمرو . ليس
هو بأمرنا ، فقال الاحنف لا تمحها فاني أتطير بعجوها ، فمكث علي مليا ،
ثم قال الاشعث أمحها ، فقال علي الله أكبر وذكر قصة الحديبية فقال عمرو
سبحان الله ، نشبه بالكفار ونحن مؤمنون فقال علي يا ابن النابغة ومتي لم تكن
للفاسقين وكيا لاوله ومين عدوا فقال عمرو والله لا يجمع بيني وبينك مجلس
بعد اليوم فقال ، علي أرجو ان يظهر الله مجاسي منك ومن أشباهك وكتب
الكتاب : هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ،
قاضي علي علي أهل الكوفة ومن معهم ، ومعاوية علي أهل الشام ومن
معهم ، انا نزل عند حكم الله في كتابه والايجمع بيننا غيره ، وان كتاب

الله ينشأ من فاتحته إلى خاتمته نحمي ما أحيانا ونحيت ما أمات مما وجد الحكمان
 في كتاب الله وهما أبو موسى عبد الله قيس وعمر بن العاص ، وما لم
 يجدا في كتاب الله فلاسفة العادلة الجامعة غير المفرقة ، وأخذ الحكمان من
 علي ومعاوية من الجندين اليهود والموائيق أنها آمنان على أنفسهم وأهليهما
 والامة لها أنصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس
 وعمر بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الامة ولا يورداها في
 حرب ولا فرقة حتى يبغيها ، وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن
 تؤخر ذلك أخرهما ، وإن مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل
 الشام ، وشهد رجال من أهل العراق ورجال من أهل الشام ، وكتب الكتاب
 ثلاث عشر خلت من صفر سنة ٣٧ وافقوا على أن يوافي علي موضع
 الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان وقيل لعلي أن الاشترا لا يقر بما في
 الصحيفة ولا يري لا قتال القوم فقال علي وإنا والله ما رضيت ولا حببت
 أن ترضوا ورجع الناس عن صفين

﴿ اعتزال الخوارج عليا ورجوعهم إليه ﴾

ولما رجع علي خالفت الحرورية وانكروا تحكيم الرجال
 ورجعوا على غير الطريق الذي جاءوا منه حتى جازوا النخيلة ورأوا
 بيوت الكوفة . ومر علي بقبر خباب بن الارت فوقف واسترحم له
 ثم دخل الكوفة فلم تدخل الخوارج معه وأنوا حرورا فنزلوا بها في
 اثني عشر الفاء وقالوا البيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهي عن
 المنكر والامر شورى بعد الفتح ، فلما سمع علي ذلك وأصحابه

له في أعناقنا بيعة ثانية ، نحن أولياء من واليت واعداء من عاديت فقالت
الخوارج . استبقتم أنتم وأهل الشام الى الكفر كفرسى رهان بايعتم
عليها انكم أولياء من والى واعداء من عادى ، وبايع اهل الشام معاوية
على ما احبوا أو كرهوا ، فلستم جميعا من الحق في شيء .

بعث اليهم على عبد الله بن عباس وقال لا تراجعهم حتى آتيك
فلم نصبر عن مكالمتهم فقال ما نمقتكم من الحكمين وقد امر الله بهما بين
الزوجين فقال (أن يريد اصلاحا يوفق الله بينهما ؟ فكيف بالامة
فقالوا اما ما جعل الله حكمه الى الناس وامرهم بالنظر فيه فهو لهم وما حكم
فامضاء فليس للعباد ان ينظروا فيه قال ابن عباس فان الله يقول (يحكم
به ذوا عدل منكم) ، قالوا أو تجعل الحكم في الصيد والحرث وبين المرأة
وزوجها كالحكم في دماء المسلمين ؟ - ثم قالوا له قد كما بالامس نقاتل
عمرو بن العاص فان كان عدلا فلم قاتلناه ؟ وأن لم يكن عدلا فكيف
نسوغ تحكيمه ؟ وأنتم قد حكمتكم الرجال في امر معاوية واصحابه والله
قد أمضى حكمه فيهم أن يقتلوا أو يرجعوا ، وجعلتم بينكم المودة في
الكتب وقد قطعها الله بين المسلمين واهل الحرب منذ نزلت براءة - ثم
خرج اليهم على وهم في مجلس ابن عباس فقال من زعيمكم قالوا ابن
الكواء ، قال فها هذا الخروج ؟ قالوا لحكومتمكم يوم صفين ، قال أتعلمون
انه لم يكن رأيي وانما كن رأيكم مخالفا مع اني اشترطت على الحكمين ان يحكما
القرآن ، فان فملا فلا ضير والا فنحن برام من حكمهم ؟ قالوا فتحكم
الرجال في الدماء عدل ؟ قالوا حكمتنا القرآن الا انه لا ينطق وانما يتكلم به
الرجال قالوا فلم جعلتم الا جل بينكم ؟ قال لعل الله يصلح في هذه الهدنة

هذه الأمة ادخلوا مصركم رحمكم الله فدخلوا من عند آخرهم
 كلمة - وبعد فانه بظهور هؤلاء الخوارج يتبين لك أن جيش على
 وإن كان قاب قوسين أو أدنى من الانتصار ، قد عاد كالخندول ، لأنه
 متفرق الكلمة مختلف الوجهة أصبح منقسما على نفسه ، وفرق بين اجتماع
 الجند حول الأمير وبين تفرقهم عنه . أما جيش معاوية فقد عاد كالظافر
 المنذور لا اجتماع كلمتهم واتفاق وجهتهم ذلك لأنهم كانوا من أهل
 الشام ، وجيش على من الأمصار المختلفة كالبصرة والكوفة وعرب البادية
 الذين لم يك لعل في نفوسهم المكانة التي كانت لمعاوية في نفوس أهل
 الشام لأنه طارىء جديد عليهم وربما عدوا الخروج عليه ضربا من
 ضروب الشجاعة ، أما معاوية فأمر منذ أزمان وقد ألف أهل الشام
 طاعته وكانوا بمدون أوامره كالوامر الدين

ومن هنا يتبين لك الفرق جليا بين جيش على وجيش معاوية
 في القوة المعنوية

وقد اتخذ معاوية فوق ذلك من وسائل الترغيب في ناحيته ما تعفف
 عن مثله على كبد المال وما كان يمتنى به أمراءه وبعدهم اذا قاموا معه ،
 وكان تحريض على وحماله أهل الشام بالسياسة والدهاء على اعتقاد أن
 عليا أجرم إذ أنه قتل عثمان وإن دمه في عنقه ؛ وكان يثيرهم من وقت إلى
 آخر بتعليق قميص عثمان على المنبر - ولم يك لعل وسائل كهذه
 على أنه هدر كنهان أركان قواه بعزل قيس بن سعد الذي عرف له
 كل من معاوية وعمر ومكانته في القيادة ومنزلته في التدبير والسياسة

﴿ أمر الحكمين ﴾

ولما انقضى الاجل وحان وقت الحكمين، بعث على أبي موسى في أربعائة رجل ومعهم عبدالله بن عباس يصلون بهم، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعائة من أهل الشام، والتقوا باذرخ من دومة الجندل. فكان أصحاب عمرو اليه أطوع من أصحاب ابن عباس لابن عباس حتى لم يكووا يسألوه عن كتاب معاوية إذا جاءه منه كتاب، ويسأل أهل العراق ابن عباس عن كل كتاب يجيئة من علي، فإن كنتم ظنوا به الظنون^١ — وحضر مع الحكمين عبدالله بن عمر، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن الزبير والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص على خلاف فيه

ولما اجتمع الحكماء قال عمرو لابن موسى: إن تعلم أن عثمان قتل مظلوما وأن معاوية وقومه أوليائه؟ قال بلى، قال فما يمنعك منه وهو في قريش كما علمت، وأن قصرت به السابقة قدّمه حسن السياسة وأنه صهر رسول الله وكتابه وصاحبه والمطالب بدم عثمان ثم عرض له بسultan فقال له يا عمرو اتق الله واعلم أن هذا الأمر ليس بالشرف والالكان لآل أبرهة، وإنما هو بالدين والفضل، مع أنه لو كان بشرف قريش لكان لعلي بن أبي طالب، وما كنت لأرى لمعاوية طلبه دم عثمان وأولية وأدع المهاجرين الأولين وأما تعرضك لي بالسultan فلو خرج لي معاوية عن سلطانته ما وليته وما أرتشى في حكم الله، ولكنك إن شئت أن تحيي اسم عمر بن الخطاب فقال له عمرو فما يمنعك من ابني وهو من علمت؟ فقال له هو رجل صدق ولكنك غمسته في الفتنة، فقال عمر: وإن هذا الأمر لا يصلح

الا بالرجل يأكل ويطعم وكانت في ابن عمر غفلة . فقال له ابن الزبير
 أظن وكان بازاته فنهيه لما قال . فقال ابن عمرو والله لأرشو عليها أبدا
 قال ابو موسى يابن العاص ان العرب أسندت امرها اليك بعد المقارعة
 بالسيوف فلا تردهم في فتنة فلما اراده عمرو على ابنه او علي معاوية فابى
 واراد ابو موسى ابن عمر فابى عمرو ، قال عمرو خبرني مارأبك ؟ قال
 أرى أن نخلع الرجلين ونجعل الامر شورى فيختار المسلمون
 لانفسهم من أحبوا ، فقال عمرو والرأى مارأيت ، ثم أقبل على الناس
 وهم ينتظرونهم ، وكان عمرو قد عود ابا موسى أن يقدمه في الكلام
 لما له من الصحبة والسن فقال يا ابا موسى أعلمهم أن رأينا قد اتفق
 فقال أنارأينا أمرا نرجو الله أن يصاح به هذه الامة ، فقال ابن عباس
 وبحك اظنه خذعك ا فاجعل له الكلام قبلك ثم تكلم بعده فانه رجل غادر
 ولأآمن ان يكون قد أعطاك الرضا فيما بينكما ، فاذا قمت في الناس
 خالفك ، فابى ، وكان رجلا مغفلا فقال انا قد اتفقنا ، وقال أيها الناس
 انا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصاح لامرها ولا ألم لشعبها من
 أمر قد أجمع رأى ورأى عمرو عليه ، وهو أن نخلع عليا ومعاوية
 ويولى الناس أمرهم من أحبوا ، وأنى قد خلعت عليا ومعاوية
 فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه أهلا ، ثم تنحى
 وأقبل عمرو فقام وقال ان هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه ، وأنا
 أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية فانه ولى ابن عفان والطالب
 بدمه وأحق الناس بمقامه

عند ذلك قال سعد ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايده فقال

ما أصنع ، وافقني على أمر ثم نزع عنه ، فقال ابن عباس لا ذنب لك ، إنما الذنب لمن قدمك في هذا المقام ، وقال ابن عمر ، انظروا الام صار أمر هذه الأمة : صار الى رجل ما يبالي ما صنع والى آخر ضئيف ، وقال أبو موسى لعمر : لا وفقك الله غدرت وفجرت ، وإنما مثلك كمثلك الكلاب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، قال عمرو : وان ملك كمثلك الحمار يحمل أسفارا ، فحمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسوط ، وحمل ابن عمرو على هانئ فضربه بالسوط وحجز الناس بينهم ولحق أبو موسى بمكة ، وانصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ورجع ابن عباس وشريحا الى علي بالخبر فكان يقاتل اذا صلى الغداة ويقول اللهم العن معاوية وعمراؤا وفلانا وفلانا - فلما بلغ ذلك معاوية كان اذا قاتل بلعن عليا وابن عباس والحسن والحسين ، هكذا روى وامل كلامهما كان يدعو على صاحبه بغير اللعن

انتهى أمر الحكمين بما رأيت ، ويقال انهما كتبا صحيفة بما انفقا عليه ولكن ذلك لا يعقل ، اذ لو صح أنهما فعلا ذلك ما تسنى لعمر أن ينقض ما فيها ويعدل عن خلع معاوية بل ويثبت في الخلافة جهارا نهارا من غير أن يتعرض الناس وفي مقدمتهم أبو موسى وبسته مسكون بالصحيفة ويدعون القوم الى تنفيذ ما جاء فيها

وبعد فهل ذكر عمرو ان مقاله كان باتفاق بينه وبين زميله أو يستند على أساس صحيح ؟ وهل مقاله يعتبر حجة لاهل الشام حتى يذهبوا ويسلموا على معاوية بالخلافة ؟ لا ، ولكن المجاهرة بقول الزور فيمن لا خلاق لهم تؤدي الى أكثر من هذا

واذا نظرنا في أصل ما اتفقنا عليه وجدنا أن أبا موسى في اقتراحه أو الرضا به قد سلب من على حقا اكتسبه ولم يسلب معاوية شيئا، وسوى بينه وبين معاوية في هذا الشأن فجعلهما كزعمين مع أن عليا قد اعترف بخلافته أهل الحجاز واليمن ومصر وخراسان ولم ينكر إلا أهل الشام الذين لم يقوموا مع معاوية إلا للانتقام من قتلة عثمان لا للمطالبة لمعاوية بالخلافة، فابو موسى بخلمه عليا ومعاوية قد رفع منزلة معاوية الى مستوى الخلافة بقدر ما حظ من شأن على من غير أن يشمر وكان ابن عباس يقول : لحي الله أبا موسى لقد نبهته فما تنبه، وكان أبو موسى يقول . حذرنى ابن عباس غدرا وعمر وفاطمة بذت اليه ولم أظن أنه يؤثر شيئا على نصيحة المسلمين ، والحق أن اختيار رابي موسى كان من سوء حظ على وصحبه اذا كيف يعمل أن الذي كان يثبط الناس عن على أمس ينتصر له اليوم ، هذا — اما على فلم يرض بهذه النتيجة ورأى أن الحكم مخالف للكتاب والسنة ، وأمام معاوية فرضى ورأى أن أقل ما في هذا الحكم سلب على الامامة وارجاع الامر الى الناس يختارون من يولونه أمرهم وهو في هذا واثق بأن أهل الشام لن يفضلوا عليه أحدا ابدا

(أمر الخوارج)

لم يك تدبير عمرو بن العاص وغدره بأبي موسى وخلمه عليا هو السبب الوحيد في تثبيت ملك معاوية وزعزعة سلطان علي ، بل هنالك أسباب أخرى أهمها اضطراب جند على وتخاذلهم عن نصرته وخروج

الخوارج عليه وانكارهم امر التحكم الذي دعوا اليه بالامس ،
واشتغاله بحربهم -

وقد علمنا ان الخوارج بعد ان اعتزلوه عانوا الى الانضمام في صفوفه
ودخلوا الكوفة ، غير انه لما اعتزم علي ان يبعث ابا موسى للحكومة اناه
نفران من الخوارج وقال له تب عن خطيئتك راجع عن قضيتك واخرج
بنا الى عدونا نقاتلهم ، فقال على قد كتبنا يدينا وبيدنا كتابا وعاهدناهم ،
فقال له احدهما : ذلك ذنب تنبغي التوبة منه ، فقال على ليس بذنب ولكنه
عجز عن الرأي وقد نهيتكم ، فقال الثاني : لكن لم تدع تحكيم الرجال
لاقاتلتك اطلب وجه الله فاتهره على ، ثم خرجا يناديان : لاحكم الله
وخطب على يوما فتنادوا بهذه الكلمة من جوانب المسجد ، فقال على :
الله اكبر كلمة حق اريد بها باطل ، ثم خطب ثانية فقالوها فقال
اما ان لكم عندنا ثلاثا ما صحبتتمونا . لانتمكم مساجد الله ان تذكروا
فيها اسمه ، ولا الفىء ما دمتم معانا ، ولا نقاتلكم حتى تبدءونا وننتظر
فيكم امر الله - .

ثم اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فصبح اليهم
وحرضهم على الخروج الى بعض النواحي لانكار هذه البدع وتبعه
حرقوص بن زهير السعدي في المقالة ، فقال بعضهم لا بد لكم من أمير
وراية فمرضوها على نفر فأبوا ، وعرضوها على ابن وهب فأجاب
فبايعوه ، وكتب الى أهل البصرة من الخوارج يستحثهم على اللحاق
بهم فاجابوه وساروا وسار معهم طرفة بن عدى بن حاتم فاتبعه أبوه
الى المدائن فلم يقدر عليه فرجع وكتب على الى سعد بن مسعود عامله

بالمدائن فسار في طلبهم ومعه خمسمائة فارس فقير الخوارج طريقهم
وساروا على بغداد فلحقهم بالكرخ مساء فاقتتلوا ساعة ، وقيل لسعد
ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأنك فيهم أمر ، خلهم قليذهبوا واكتب الى
أمير المؤمنين فان أمرك باتباعهم اتبعهم وان كفاهم غيرك كان في ذلك
عافية لك ، فأبى ، فلما جن عليهم الليل غير ابن وهب دجلة وسار الى
النهر وان ولحقه بقية خوارج البصرة

ولما خرجت الخوارج بايع عليا أصحابه علي قتالهم وانكر شأن
الحكمين وقال انها اختلاف في حكمها وكلاهما لم يرشد فاستعدوا
للمسير الى الشام

وكتب الى الخوارج بالنهر وان فاستحسنهم للمسير الى العدو وقال
نحن على الامر الاول الذي كنا عليه فكتبوا اليه انك غضبت
لنفسك ولم تغضب لربك ، فاز شهدت على نفسك بالكفر
وتبت نظرا فيما بيننا وبينك ، والافقدنا بذناك على سواء ان الله لا يحب
الخائنين ، فيئس على منهم ورأى ان يمضى الى الشام ويدعهم وقام في الناس
يحرضهم على ذلك — وكتب الى ابن عباس بالبصرة من معسكره
بالنخيلة بأمره باشخاص الناس الى أن يأتيه أمره ، فاشخص ابن عباس
الاحنف بن قيس في ألف وخمسمائة وخطبهم ابن عباس ثانية وقال كيف
ينفر هذا العدد القليل واتم ستون ألف مقاتل ، ثم تهدم وأمرهم بالنفير
مع ابن قدامة السعدي فخرج معه ألف وستمائة ووافوا عليا ثلاثة آلاف
أوبزيدون ، فجمع أهل الكوفة ولا طفهم بالقول وحرضهم وأخبرهم
بما فعل أهل البصرة وقال ليكتب الى رئيس كل قبيلة مائة عشرته

من المقاتلة وابناء المقاتلة الذين ادركوا القتال ،وعبدان عشرينه ومواليهم
فاجابه نفر منهم عدى بن حاتم وحجر بن عدي وغيرهما من اشراف
الناس بالسمم والطاعة وأمروا ذويهم الا يختلف منهم احد، فكانوا اربعة من
ألف مقاتل ،وسبعة عشر الفامن الابناء ممن أدركوا ثمانية آلاف من مواليهم
وعبدهم فكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين الفا سوى أهل البصرة
ومثلثة آلاف ومائتا رجل

وبلغه ان الناس يريدون تقديم الخوارج فقال لهم ان قتال أهل الشام
أعم علينا لانهم يقاتلونكم ليكونوا ملوكا جبارين ويتخذوا عباد الله خولا
فرجعوا الى رأيه وقالوا سر بنا الى حيث شئت

(قتال الخوارج)

وبينا هو على ذلك قد اعتزم السير الى الشام بلغه أن خوارج أهل
البصرة لقوا عبد الله بن خباب من الصحابة قريبا من النهروان فعرفهم
بنفسه فسأله عن أبي بكر وعمر فأتى خيرا ثم عن عثمان في أول خلافته
وآخرها فقال كان محقا في أول خلافته وآخرها فسأله عن علي قبل التحكيم
وبعده فقال هو أعلم بالله وأشد توقيا على دينه، فقالوا انك توالى الرجال
على أسمائهم ذبحوه وبقروا بطن امرأته وهي حامل ثم قتلوا ثلاث نساوة
من طيبة فأسف عليا قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم على الناس
فبعث الحرث بن مرة العبدى لينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه فقال لعلى أصحابه
كيف ندع هؤلاء ونأمن غائلتهم في أموالنا وعيالنا انما تقدم أمرهم على الشام
وقام الاشعث بن قيس بمثل ذلك فوافقهم علي وسار الى الخوارج
وبعث من يقول لهم ادفعوا الينا قتلة اخواتنا منكم فنكف عنكم حتى

ألقى أهل المغرب (يعنى أهل الشام) لعل الله يردكم الى خير، فقالوا
 كلنا قتلهم وكانا مستحل دماءكم ودماءهم، ثم جاءهم قيس بن سعد ووعظهم
 وكذلك أبو أيوب الأنصاري ثم جاءهم على فهددهم وسفه رأيهم وقال
 نحن على الأمر الأول فقالوا أنا كفرنا بالتحكيم وقد تبنا فان تبت أنت
 فنحن معك وان أبيت فقد نابذناك، فقال كيف أحكم
 علي نفسي بالكفر بعد إيماني وهجرتي وجهادي ثم أنصرف عنهم
 ثم تأهب الفريقان للقتال واجتمعوا وتقدم اليهم على فرأهم
 عند جسر الزهوان لم يعبروا. فبقي أصحابه وعبوا أصحابهم ودفع
 على إلى أبي أيوب راية لهم كأمان لمن جاءها ومن لم يقتل ولم يستعرض
 فناداهم اليها وقال من انصرف إلى الكوفة أو إلى المدائن فهو آمن -
 فاعتزل منهم فروة بن نوفل الأشجعي في خمسمائة وقال اعتزل حتى
 يتضح لي امر في قتال علي، فنزل الدسكرة، وخرج آخرون إلى الكوفة
 ورجع آخرون إلى علي، وكانوا أربعة آلاف وبقي منهم ألف وثمانمائة
 فزحفوا إلى علي فحمل عليهم هو والناس، وفرقهم على اليمنة والميسرة
 وعطفت عليهم الحيل من المجنبتين ونهض اليهم الرجال بالسلاح والدواب
 فهلكوا كلهم في ساعة واحدة وكان ما قيل لهم موتوا فماتوا، وقتل ابن
 وهب ونفر من رؤسائهم وأخذ ما في عسكرهم من السلاح والدواب
 فقسمه بين المسلمين، وطاف عدى بين حاتم على ابنه طرفة بين القتلى
 فدفنه ودفن رجال من المسلمين قبلاهم فنهى علي عن ذلك وقال
 اتقواهم وتدفنواهم ونادى بالرحيل فارتحل الناس ولم يفقد منهم الا
 سبعة، وكانت الواقعة في شعبان سنة ٢٨ هـ

لمعري هل حصل بين معاوية وأصحابه شيء من هذا - على أنه لما فرغ من النهر وان وقال لهم توجّهوا من فوركم إلى عدوكم شكوا إليه الكلال ونفاذ السهام والرماح وطلبوا الرجوع إلى الكوفة ليستعدوا فإنه أقوى على القتال فأبى وأقبل فنزل ومنعهم من دخول منازلهم حتى بسروا إلى عدوهم فنسللوا إليها وتركوا المعسكر خاليا - فهل يمثل هؤلاء العصاة ينتظر الانتصار على جند معاوية وهم أطوع إليه من بنائه ؟

ولما رأى على خلوا المعسكر دخل الكوفة وانكسر عليه رآه في المسير ثم ندبهم ثانيا فلم ينفروا فاقام أياما ثم كلم رؤساءهم حينما يئس فسألهم عن رأيهم وما الذي يبطلهم بهم ، فمنهم الممتل ومنهم المتكره وأقلهم من نشط ، فخطبهم وأغلظ في عتابهم وأعلمهم بماله عليهم من الطاعة في الحق والنصح فأنافلوا وسكنوا

وبينا أمر على على هذا النحو من الانتقاض والانشقاق ، إذا أمر معاوية وأصحابه على انتظام والتمام على ما سترى

﴿ ملك عمرو بن العاص مصر ﴾

تركنا محمد بن أبي بكر على مصر من قبل على بعد قدس بن سعد ابن عبادة والاشترى ففتك محمد في المصريين كما سبقت الإشارة إلى ذلك فلما اختلف الناس بالعراق على على طمع معاوية في مصر وقصد أن يستعين بأخذها على حرب على ، فجمع أصحابه وخواصه ومنهم عمرو وقال هل تدرون ما دعوتكم إليه ؟ قالوا لا يعلم الغيب إلا الله فقال عمرو نعم

أهمك أمر مصر وخراجها الكثير وعدد أهلها، فتدعوننا لنشير عليك فيها
فأعزم وأنقض، في افتتاحها عزك وعز أصحابك وكبت عدوك، فقال له يابن
العاص انما أهمك الذي كان بيننا (يعني أنه جعل له مصر اذا اجتمع معه علي قتال
علي) وقال معاوية للقوم ماترون، قالوا ما نرى الا رأى عمرو، قال فكيف
اصنع فقال عمرو وأبعث جيشا كثيفا عليهم رجل حازم صارم تثق اليه فيأتي
الي مصر فانه سيأتيه من كان من أهلها على رأينا فتظاهره علي من كان
بها من أعدائنا، قال معاوية أو غير ذلك؟ قال وما هو، قال نكتب من بها
من شيعةتنا نؤمرهم على أمرهم ونغنيهم قدومنا عليهم فتقوي قلوبهم ونعلم
صديقنا من عدونا، وانك يابن العاص بورك لك في العجلة، قال عمرو
فأعمل برأيك، فوالله ما أرى امرئ الا صائر للحرب، فكتب معاوية اليهم
كتابا بثني عليهم قال في آخره فائتوا فان الجيش واصل اليكم، فاما وصل
الكتاب الى مسلمة بين مغلدة ومعاوية بن حديج كتبنا اليه . اما بعد فجل
الينا بخيلك ورجلك فان عدونا أصبحوا لنا هائبين: وكان ابن مغلدة
وصاحبه يقيمان بخربنا في عشرة آلاف وقد باينوا محمد بن أبي بكر ولم
يحسن تدبيرهم كما كان يفعل قيس بن سعد بن عبادة أيام ولايته على مصر
فلذلك انتقضت على محمد الأمور فدالت دولته

ولما وقف معاوية على كتبها وكان يومئذ بفلسطين جهز عمرو
ابن العاص في ستة آلاف وخرج يودعه وأوصاه بما يفعل، فسار عمرو
حتى وصل الى مصر واجتمعت العشائرية عليه فكتب الى محمد . أما بعد
فتح غنى بدمك فأنى لا أحب أن يصيبك منى قلامة ظفر، والناس بهذه
البلاد داجمة معا على خلافك وهم مسلموك فأخرج منها أنى لك من الناصحين

وأرسل اليه كتاب معاوية الذي جاء في بعض عباراته. وانا لا نعلم أحدا كان على هتمان أشد منك فسميت عليه مع الساعين وسفكت دمه مع السافكين... ولن يسلمك الله من القصاص أينما كنت .

طوى محمد الكتابين واستنجد عليا فورد عليه الكتاب بالوصية والشدّة ولم يده بأحد - ثم كتب الى عمرو ومعاوية كتابا خشنا لها فيه القول وخطب في الناس ان اتدبوا مع كنانة بن بشر فانتدب مع كنانة نحو من ألفي رجل وخرج محمد في ألفين آخرين واستقبل عمرو كنانة وهو على مقدمة محمد فسرّح عمرو اليه الكتاب من أهل الشام كتيبة بعد كتيبة وهو بهزمها، فاستنجد عمرو بمعاوية بن حديج فسار في أصحابه وحاءوا بكنانة، فلما رأى كنانة ذلك ترجل عن فرسه وترجل أصحابه فقاتل حتى قتل بعدان قتل من أهل الشام مقلة عظيمة
(مقتل محمد بن أبي بكر)

ولما رأى أصحاب محمد ذلك تفرقوا عنه فنزل عن فرسه ومشي حتى انتهى الى خربة فأوى اليها، وجاء عمرو بن العاص ودخل الفسطاط وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد فسأل قوما كانوا على الطريق هل رأيتم رجلا من صفته كذا وكذا، فقال واحد منهم: قد دخل تلك الخربة، فدخلوها فاذا برجل جالس فقال ابن حديج هو ورب الكعبة فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشا فاقبلوا به على الفسطاط ووئب اخوه عبد الرحمن الى عمرو بن العاص وكان في جنده فقال أيتل اخي صبرا؟ فارسل عمرو الى ابن حديج بأمره ان ياتيه بمحمد كرامة لآخيه فقال ابن حديج: ايقفل كنانة بن بشر واخلي انا محمدا

هيات هيات، وقال محمد بن اسمعيل بن حبيب لاسنان الله أن سقيتك
قطرة أنكم منعتم عثمان الماء ثم قتلتموه صائها . والله لا أقتلك يا ابن ابى بكر
فليسقك الله من الجحيم ، فقال يابن اليهودية الذساجة ليس ذلك اليك ام
والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم بي هذا . فقال له ابن حبيب أتدري ما أصنع
بك ، ادخلك في جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار ، ثم أتفد فيه
مباقل ، وقيل انه قطع رأسه وأرسل الى معاوية بن أبى سفيان
بدمشق وطيف به

ولما بلغ عائشة قله وجدت عليه وجدا عظيما وأخذت اولاده
وعياله وتولت تربيتهم -

(أمر على بمد ذلك)

ولما بلغ عليا مقتله وما كان من الأمر بمصر وتملك عمر ولها واجتماع
الناس عليه وعلى معاوية ، قام في الناس خطيبا فحثهم على الجهاد والعبر
والسير الى اعدائهم من الشاميين والمصريين وواعدهم الجرعة بين الكوفة
والحيرة - فلما كان من الغد خرج بمشى اليها حتى نزلها فلم يخرج اليه
أحد من الجيش - فلما كان العشي بعث الى أشراف الناس فدخلوا عليه
وهو حزبن كئيب فقام فيهم خطيبا يوجب من جماعة معاوية كيف يحببه وفي
السنة المرة والمرتين الى أي وجه شام يقول وأنا أدعوكم وأنتم أولو النهي
وبقية الناس على معاوية فتفرقون عني وتمصونني وتخلفون على ،
فقام مالك بن كعب الأرحبي فندب الناس الى امثال أمر على والسمع
والطاعة له ، فانتدب الفان أمر عليهم مالكا هذا فساد بهم ، ثم قدم على

جماعة ممن كان مع محمد بمصر فأخبروه كيف وقع الامر وكيف قتل محمد وكيف استقر أمر عمرو فيها ، فبعث الى مالك فردده من الطريق ذلك لانه خشي عليهم من أهل الشام قبل وصولهم الى مصر ، واستقر أمر العراقيين على خلاف على فيما يأمرهم به وينهاهم عنه والخروج عليه والتنقد على أحكامه وأقواله وأفعاله فكتب الى ابن عباس وهو نائبه يشكو اليه ما يلقاه من الناس من المخالفة والمماندة فرد عليه بسليته في ذلك وبغزيه في ابن أبي بكر ويحثه على نلاني الناس وتداركهم والصبر على مسيئتهم ثم ركب اليه واستخلف على البصرة .

﴿ أمر الخوارج بعد النهروان ﴾

لما قتل على أهل النهروان خرج عليه سنة ٢٨ جملة خوارج بالدسكرة وما سيدان وضواحي المدائن فانتصر عليهم قواد على — وكان أشد من خرج عليه :

(١) أبو امرئ السعدى التميمي : أتى شهر زور وأكثر من معه

من الموالى وكانوا نحو أربع مائة فسار بهم حتى نزلوا على خمسة فراسخ من الكوفة ، فأرسل اليه على بدعوه الى بيعته ودخول الكوفة فقال ليس بيننا غير الحرب فبعث اليه على شريح بن هاني فحمل عليه الخوارج وكشفوه فخرج على بنفسه وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعدى فدعاهم الى طاعة على وحذرهم القتل فلم يجيبوا ، ولحقهم على فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه فقتلهم أصحاب على ولم يسلم منهم غير خمسين استأمنوا فأمهم ، وأمر بادخال جرحاهم الكوفة ومداواتهم حتى برئوا

وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج - ولجراتهم قاربو الكوفة
 (٢) الحرث بن راشد في بنى ناجية : وكانوا ثلثمائة رجل مقيمين
 بالكوفة مع علي ، قدموا معه من البصرة وكانوا قد خرجوا إليه يوم الجمل
 وشهدوا معه صفين والنهروان ، فجاء الحرث إلى علي في ثلاثين راكبا
 من أصحابه فقال له والله يا علي لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك وأنى غدا
 لمفارقك ؟ (وذلك بعد تحكيم الحكمين ، فقال له علي تكاتك أمك : إذا
 نعى ربك وتكث عهدهك ولا تنفر إلا نفسك ، خبرني لم نفعل ذلك ؛
 فقال لأنك حكمت وضعفت عن الحق إذا جد الجد وركنت إلى القوم
 الذين ظلموا أنفسهم ، فانا عليك زار وعليهم ناقم ولكم جميعا مبابن ،
 فدعاه علي إلى مدرسة الكتاب والسنة ووعظه فقال أنى عائد إليك
 غدا ورجع إلى أصحابه فقال لهم انى فارقت عليا علي أن أعود إليه
 ولا أرانى إلا مفارقه غدا ، فأشاروا إليه بأن يترث غير أنه سار هو
 وأصحابه من ليلتهم فلما سمع بهم علي قال بعدا لهم كما بعدت ثمود ، فقال
 له زياد البكرى تخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليك
 من أهل طاعتك فأذن لي في اتباعهم حتى أردهم عليك فأذله ، فجمع
 أصحابه من بكر بن وائل وأعلمهم الخبر فسار معه مائة وثلاثون رجلا
 وأدركهم بالمدار (عند ملتقى دجلة بالفرات) وهم متبعون
 فلما رأوا زيادا وأصحابه قال الحرث ما تريدون ، فقال له زياد نخلوا
 فتمتدكر أمرنا فرضى ونزل زياد وأصحابه علي ماء هنالك فأكلوا
 واستراحوا وخرج زياد إلى الحرث وقال له ما الذي نغمت علي أمير
 المؤمنين وعلينا فقال لم أرض صاحبكم أما مولا سيرنكم سيرة فرأيت

أن أعتزل وأكون مع من يدعوا الى الشورى ، فقال زياد وهل يجتمع الناس على رجل يدانى صاحبك الذى فارقه علماً بالله وكتابة وسنة رسوله مع قرابته من الرسول وسابقته فى الاسلام ؟ فقال له ذلك ما أقول لك ، ثم سأله شيئاً آخر فأبى ، فدعى كل أصحابه وأقتلوا وتطاعنوا وتضاربوا بالسيف حتى حجز الليل بينهم ولم يقتل من جيش زياد غير رجلين ولكن زياد اجرح ، وخرج الحرب ليلاً الى الاهواز وتلاحق به هنالك أصحابه ، فكتب زياد الى على بنجرهم وانه مقبم بالبصرة بدأوى الجرحى فارسل على معقل بن قيس فى الفين من أهل الكوفة وكتب الى ابن عباس بان يمد به بالفين وكتب الى زياد بالعود مع الشكر - واجتمع على زياد علوج من أهل الاهواز وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه ، فسار معقل اليهم فلاحقهم باحد جبال رامهرمز وأصطف الفريقان واشتبك القتال فقتل أصحاب الحرب وانهزم الى أسياف البحر فكتب معقل الى على فامر به باتباعه وقتله أو نفيه فسار اليه فاذا هو قد رد قومه عن طاعة على وأفسد من عنده من عبد القيس وسائر العرب وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صنفين وهذا العام ، فلما سمع الحرب بمسير معقل ازداد فى افساد أصحابه وأرضى كل صنف منهم وخدعهم جميعاً وحرضهم على القتال فلما جاءه معقل نصب راية أمان فتفرق عن الحرب جل من كان معه من غير قومه وعند ذلك عي معقل أصحابه نحو أصحاب الحرب ودارت رحا القتال فقتل الحرب ومائة وسبعون رجلاً من أصحابه وفر الباقيون يمينا وشمالا وسبي معقل من أدرك من حريمهم وذرابتهم وأخذ رجالا كثيرا فاما من كان مسلما فخلاه وأخذ بيعته وترك

عياله ، وأما من كان ارتد فعرض عليهم الاسلام فرجعوا فغلب سبيلهم
وسبيل عيالهم ، وجعم من منع الصدقة وأخذ منهم صدقة عامين -
وكتب الى علي بالفتح

نعم ان عليا انتصر على هؤلاء الخوارج ولكنهم شغلوه عن معاوية
الذي كان في أمن داخلي عظيم يستعد للغزو والفتح وهو مطمئن هادئ ،
وجنده حوله لا يفكرون الا في الخضوع اليه واجابة دعوته - وكان قثم
ابن العباس عامل علي في مكة ، وعبيد الله أخوه علي اليمن وعبد الله
علي البصرة واحد بني ربوع علي خراسان ، وأما الشام ومصر فانه
كان بها معاوية وعماله

(ارسال معاوية عبد الله بن الحضرمي الى البصرة)

بعد مقتل محمد بن أبي بكر ، واستيلاء بن العاص على مصر
سير معاوية عبد الله بن الحضرمي الى البصرة وقال ان جل اهلها يرون
رأبنا في عثمان وقد قتلوا في الطلب بدمه ، فهم لذلك حنقون يودون ان
يحبسهم من بجمهم وينهض بهم في الطلب بث - أرم ودم أمامهم ، فانزل
في مضر وتودد الازد ودع ربيعة فانه لن ينحرف عنك أحد سوام فسار
ابن الحضرمي حتى قدم البصرة وكان ابن عباس قد خرج الى علي
بالكوفة واستخلف زياد بن أبيه

فلما وصل بن الحضرمي الى البصرة نزل في بني تميم فأتاه العثمانية
مسلمين عليه وحضره غيظهم ، فخطبهم مذكرا بعثمان وان عليا قتله
وأنهم طالبوا بدمه وضراهم الخير

فقال الضحاك بن قيس وكان على شرطة بن عباس فبح الله ما جئنا به وما تدعوننا اليه ، أتيتنا والله بمثل ما أتانا طلحة والزبير - أتينا وقد بايعنا عليا واستقامت الأمور ، تحملا بأعلى الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضا ونحن الآن مجتمعون على بيعته وقد أقال العترة وعفا عن المسيء - افتأمرنا ان نقتضى أسياقنا ليكون معاوية أميرا فقام عبد الله بن خازم السلمي فقال للضحاك اسبكت واقبل على ابن الحضرمي وقال نحن انصارك ويدك فاخرج كتاب معاوية اليهم يدعوهم الى الطلب بدم عثمان ويضمن أنه يعمل فيهم بالسنة ويعطيهم عطاء بن في السنة - فقام الأحنف بن قيس فاعتزل القوم - وقام غيره فهدد ابن الحضرمي فاستنصر ببعضهم وخاف زياد فاستدعى رجلا من بكر بن وائل وقال امنعوني حتى يأتي أمر أمير المؤمنين فرضى أحدهما وامتنع الآخر لميله الى بنى أمية فطلب زياد الى أحد الأزدان يحميه وبيت مال المسلمين فقال له تعال الى داري واحمله ففعل وكتب الى علي بالخبر اليه أحد بنى تميم ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فان امتنعوا قاتل بمن أطاعه من عصاه وكتب الى زياد بذلك فجاء الى زياد وجمع رجالا واتي قومه ونهض الى ابن الحضرمي ومن معه فدعاهم فشتموه وقتلوه غيلة فاراد زياد قتالهم فارسلت تميم الى الأزدان لم تعرض لجاركم فتريدون الى جارتنا فكريهت الأزد قتالهم وقالوا ان عرضوا لجارنا منعناهم وان يكفوا عنه كفنا ، فكتب زياد الى علي فارسل جارية بن قدامة السعدي في خمسمائة من تميم وكتب الى زياد بمونة جارية ، فقدم جارية البصرة فحذره زياد ما أصاب غيره ،

فقام جارية في الأزد فجزاهم خيرا وقرأ عليهم كتاب علي ووعدهم فأجابته أكثرهم فسار إلى ابن الحضرمي واقتتلوا فانهزم بن الحضرمي ولجأ إلى دار فاحرقها عليه وعلى من معه فتنفرق الناس ورجع زياد إلى دار الإمارة

وهنا انتصر على أيضا ولكن أين انتصر ؟ لا ترى أنه هوجم في عقر داره ؟

(توجيه زياد بن أبيه إلى فارس)

لما قتل ابن الحضرمي واختلف الناس على علي طمع أهل فارس وأهل كرمان في كسر الخراج فغلب أهل كل ناحية على مابليهم وأخرجوا عمالهم ، فاستشار على الناس في رجل يوليه فارس فقال له جارية بن قدامة السعدي الأديك يا أمير المؤمنين على رجل صليب الرأي عالم بالسياسة كاف لما ولي ؟ قال من هو ؟ قال زياد ، قال هو لها فولاد فارس وكرمان ووجهه في أربعة آلاف فدوخ تلك البلاد حتى استقاموا وأدوا الخراج وكان أهل فارس يقولون مارأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى انوشروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة والعلم بما يأتي وبقال انه لما جاء فارس بعث إلى رؤسائها فوعد من نصره ومناه وخوف قوما وتوعدهم ، وضرب بعضهم ببعض ، ودل بعضهم على عورة بعض وهربت طائفة وأقامت طائفة فقتل بعضهم بعضا وصفت له فارس فلم يلق بها جمعا ولا حربا ، وفعل مثل ذلك بكرمان ثم رجع إلى فارس فسار في كورها ومناهم فسكن الناس واستقامت له البلاد وأتى اصطخر فنزلها وحصن قاعتها فكانت تسمى قلعة زياد

﴿ سر يا معاوية الى بلاد علي ﴾

لم يقف معاوية عند هذا الحد ، بل انه في سنة ٣٩ وما بعدها فرق
الجيوش في اطراف علي

(١) فوجه النعمان بن بشير للاغارة على عين التمر ، وبلغ عليها
فخطب على الناس وأمرهم بالخروج فنشاقلوا ونولوا أن صاحب هذه
المسلحة استغاث بأحد جيرانه فأغاثه فتداركه وأعانه على أهل الشام
حتى انهزموا للملكوا عين التمر

(٢) ووجه سفينان بن عوف الى هيت ليغير عليها ويأتي الانبار
والمدائن فيوقع بأهلها ، فلما وصل الى هيت لم يجد بها أحدا فسار الى
الانبار وقاتل مساحتها وقتل صاحبها واحتمل الشاميون ما كان فيها من
الاموال وأموال أهلها ورجعوا الى معاوية ، وعلم علي فخرج الى النخيلة
قال له الناس نحن نكفيك فقال ما تكفوني ولا أنفسكم وسرح في أثر
القوم من خرج في طلبهم حتى هيت فلم يلحقهم فرجع

(٣) ووجه عبدالله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة الى تيماء وأمره
أن يأخذ الصدقة من أهل البوادي وأن يقتل من امتنع من عطائه صدقة
له ، ثم يأتي مكة والمدينة والحجاز يفعل ذلك ، فوجه علي المسيب بن نجبة
الفزاري فقاتل مسعدة بديها وحمل عليه وضربه وهرلابلته من قتله ويقول
له النجاء النجاء فدخل ابن مسعدة وفريق من معه الحصن وهرب الباقيون
الى الشام وانتهب الأعراب ابل الصدقة لما المسيب فوضع الخطب على باب
الحصن وألقى الزيران فيه حتى احترق ، فأشرف عليه اصحاب ابن مسعدة

وقالوا يا مسيب قونك، فرق لهم وكره هلاكهم وأمر بإطفاء النار، فخرج ابن مسعدة ليلا في أصحابه وفر إلى الشام ولم ينجمه المسيب ولو شاء لأهلكه - ولكنهم من قواد على لامن قواد معاوية، داهن قومه وغش خليفته

(٤) وجه الخجك بن قيس إلى واقصة من بلاد طيء وأمره أن يغير على الأعراب الذين في طاعة، على فسار وأخذ أموال الناس وقتل من لقي من الأعراب وممر بالتميلية ثم بالنقطة طانة، وبلغ أمره عليا ف أرسل خجرج بن عدى الكندي فلاحق الضحك بتدمر فاقتتلوا وحجز الليل بينهما فهرب الضحك وأصحابه ورجع حجر ومن معه

(٥) سار معاوية بنفسه إلى دجلة ثم عاد، وأرسل يزيد بن شجرة الرهاوى إلى مكة ليقيم للناس الحج سنة ٢٩ فمزم عاملها وهو قثم ابن العباس على مفارقة مكة فنهاه أبو سعيد الخدري، ثم تنازع قثم ويزيد حتى اصطالحا على شية بن عثمان بن أبي طلحة العبدي حاجب الكعبة فصل بالناس وأقام الموسم

(٦) وسير عبد الرحمن بن قبات إلى بلاد الجزيرة لكن شبيب بن عامر جد الكرمانى اتفق هو وصاحب هيت فرد الساميين وتبعهم حتى وصل إلى بعلبك ورجع ظافرا فاغار على الرقة فلم يدع للعثمانية بها ماشية إلا استاقها ولا خيلا ولا سلاحا إلا أخذه وعاد إلى نصيبين فقال على : رحم الله سيديا لقد أبعد الغارة وعجل النصر

(٧) وفي سنة ٤٠ بعث بسر بن أرطاة في ثلاثة آلاف إلى الحجاز فقدم المدينة وعليها أبو أيوب الأنصارى عاملا على فهرب فأتى عليا بالكوفة أما بسر فهدد أهل المدينة أن لم يبايعوا معاوية فبايعوا ثم هدم

دورابها وسار فالحق بمكة فخافه أبو موسى أن يقتله فأمنه بسر وكان أبو موسى قد كتب إلى أهل اليمن قبل ذلك أن خيلا مبعوثه من عند معاوية تقتل الناس ، تقتل من أبى أن يقر بالحكومة — فلما أتم بسر أخذ البيعة من أهل مكة بالاكراه سار إلى اليمن ، وكان عليها عبيد الله ابن عباس ففر إلى الكوفة وأتى عليها ، فأتى بسر فقتل من استخافه وقتل ابنه ، ولقى ثقل عبيد الله وفيه ابنان له صغيران فذبجهما ، وقتل جماعة كثيرة من شيعة علي باليمن ورجع بسر إلى الشام

وبعد فأنما سردنا هذه الوقائع لتبين أن معاوية لم يقنع بما كان في يده من الشام ومصر بل أراد أن يجمع إليه البلاد الإسلامية كلها انتزاعا من يد علي منتهزا فرصة ضعفه وتشاغل جنده وخروج الحوارج عليه ومفارقة بعض أنصاره له واعتزالهم حتى يتبين لهم الأمر جليا

﴿ خروج عبد الله بن العباس ﴾

وفي سنة ٤٠ خرج عبد الله بن العباس من البصرة ولحق بمكة وسبب ذلك أن أبا الأسود الدؤلى وكان على قضاء البصرة كتب إلى علي في حق ابن عباس فكتب إليه علي : أما بعد فاعلمني ما أخذت من الجزية ومن أين أخذت وفيهم وضعت ، فكتب إليه أما بعد فقد فهمت تعظيمك مرزأة ما بلغك أنى رزأته من مال أهل هذا البلد ، فأبعث إلى عمالك من أحببت فاني ظاعن والسلام ، ثم دعا ابن عباس أخواله بنى هلال بن عاصم ومن انضم إليهم ومضى ومعه نحو عشرين رجلا حتى قدم مكة ومعه ما كان في بيت مال البصرة وهو ستة آلاف الف

فكتب اليه على : أما بعد فاني كنت أشركتك في أماتي ولم يكن من أهل بيتي رجل أوثق عندي منك بمواساتي وموازرتي بأداء الأمانة فلما رأيت الزمان قد كلب على ابن عمك والعدو قد حرد ، وأمانة الداب قد خربت ، وهذه الأمة قد فتنت قلبت لابن عمك ظهر الحن ففارقته مع المفارقين وخذله أسوأ خذلان وخنته مع من خان ، فلا ابن عمك آسيت ، ولا الأمانة اليه أدبت ، كأنك لم تكن على بيعة من ربك وإنما كدت أمة محمد عن دنياهم وغدرتهم في فيئهم ، فلما أمكنتك الفرصة في خيانة الأمة . أسرعت الغدرة ، وعاجلت الوثبة ، فاخطفت ما قدرت عليه من أموالهم وانقلبت بها الى الحجاز كأنما انما حزت على أهلك . ميراثك من أبيك وأهلك . . . وتوالت الكتب بينها الى ان كتب اليه ابن عباس والله لئن لم تدعني من أساطيرك لأحملنك الى معاوية بقائك به ، فكف عنه على .

(المهادنة بين علي ومعاوية)

وفي هذه السنة وهي سنة ٤٠ جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات جرت بينهما ، لم تقف عليها في كتاب من كتب التاريخ بعد) علي وضع الحرب بينهما ويكون لعل العراق ، ولماوية الشام ، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو ، ويقال انه لما لم يعط أحد الفريقين صاحبه الطاعة ، كتب معاوية الى علي أما اذا شئت فلك العراق ولي الشام ، وتكف السيف عن هذه الامة ولا نهريق دماء المسلمين ، ففعل ذلك وتراضيا فاقام معاوية بالشام

بجنوده يحبيها وما حولها ، وعلى بالعراق يحبيها ويقسمها بين جنوده

(موقف معاوية من على)

يقال بالاختصار أنه كان موقفا عدائيا وقد استنبط الباحثون

في التاريخ ما قد يكون من أسباب المشادة والحرب بينهما ومن ذلك

(١) العداء الذي كان بين بنى هاشم وبنى أمية في الجاهلية وهو

معروف ، ثم في الاسلام لما كان من غزو النبي اياهم وافراط على في

قتلهم حتى كان فتح مكة وأسر أبي سفيان وما كان من اسلام قريش وبعد

ذلك علاكم بنى هاشم لانهم كانوا السابقين الاولين من المهاجرين

وانحط شأن بنى أمية حتى شكوا الى أبي بكر ما يجدونه من التخلف

عن رتب المهاجرين فقال ادركوا اخوانكم بالجهاد فاجابوه في حروب

المرتدين ، ثم جاء عمر فرمي بهم الروم فكان معظمهم بالشام

مع يزيد ثم مع معاوية الذي سئحت له الفرصة باستعادة الرياسة في

بنى أمية لتصل رياستهم في الاسلام بما كان من رياستهم في الجاهلية

وكان يقول لازلت أطعم في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله

عليه وسلم يا معاوية اذا ملكت فاحسن

(٢) قتل عثمان فان معاوية جعله سهما مصوبا الى بنى أمية لهدم

كيانهم وان عليا ومعه بنو هاشم لم يمنعوه بل اسلموه فضلا عن أن عليا آوى

الثوار واتخذ بعضهم قوادا وولاه كمحمد بن أبي بكر

(٣) ان عليا لم يستشر معاوية في أمر البيعة له ، مع أنه من كبار

قريش وأكبر ولايتها ، وظن أن بيعة أهل المدينة كافية كما كان الشأن في

خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، ولم يعبأ بولاة الامصار اذ ليس عليهم الا

المصادقة على ما فعله أهل المدينة - وفاته رضى الله عنه ان الزمن غير الزمن والحال غير الحال .

(٤) أنه بادر بعزل معاوية ولم يقبل نصحية ناصح في شأنه خاصة وقال لا أدهن في ديني ، وليس له عندي الا السيف وما أشبه ذلك .

(٥) ان كثير من أعيان الصحابة لم يبايع عليا كما سبق فرأى معاوية الا يشذ عنهم لحاجة في نفسه وبخاصة حينما وصل الى علمه أن الذي بايع عليا أو عقد له البيعة باكره أهل المدينة عليها هم الثوار

(٦) وأخيرا أن عليا لم يحب طامعة والزبير الى مقاصة قتله عثمان حينما طلبا اليه ذلك بل تربث فعمده معاوية تهوانا في أمر عثمان كله ومجامله للثوار .

وربما كانت هذه الاسباب وجبهة الى حد ما - وقد أفرغ على قصارى جهده في اقناع معاوية فلم يقتنع ، معتزا بالتفاف قومه حوله وحبهم له) وتداولوا الكتب والرسل فكان معاوية بطاول وعاطل حتى أنذره على بحرب معضلة وقال له ان يبعثي بالمدينة لزمك وأنت بالشام لانه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما يوبىءوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وانما الشوري للمهاجرين والانصار ، فاذا اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضا وان خرج عن أمرهم خارج ردوه الى ما خرج عنه فان أبي قاتلوه على اتباع غير سبيل المؤمنين ... وكتب اليه معاوية لعمرى لو بايعك الذين ذكرت وأنت بريء من دم عثمان لكتبنت كما أبى بكر وعمر وعثمان ولكنك أغريت بدم عثمان وخذات الأنصار

فإطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى أهل الشام الاقتلاك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شوري بين المسلمين وأنا كان الحجازيون هم الحكماء على الناس والحق فيهم، فلما فارقوه كان لحكام على الناس أهل الشام .

فرد عليه على وجاء في رده وأما قولك ادفع الى قتلة عثمان فما أنت وذاك وههنا بنو عثمان وهم أولى بذلك منك ، فان زعمت أنك أقوى على طلب دم عثمان منهم فارجم الى البيعة التي لزمتهك وحاكم القوم الى . . . فرد عليه معاوية أنك قتلت ناصرك واستنصرت وأترك فأوسم الله لارمينك بشهاب تذكىه الريح ولا يطفئه الماء ...

فرد عليه على والله ما قتل بن عمك غيرك وانى أرجوا أن الحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته وأن السيف الذى ضربت به أباك وأهلك لمى دائم .

وهكذا كانت تدور المكاتبات بينهما على هذا النحو حتى وقعت حرب صفين ولقد جعل بعض المؤرخين خلافة على رضى الله عنه سلسلة أخطاء وجعل منها (١) اكتفاؤه ببيعة أهل المدينة في ظروف كان الثوار بها يهربون الناس ولا يخشون أحداً أبداً

(٢) خروجه من بيت الخلافة المهيبة وهو المدينة المنورة الى العراق ثم خروجه من الكوفة بنفسه الى الحرب في صفين ، ولو أحسن صنعا لبقى في المدينة وأرسل الجيش تلو الجيش الى الجهات الخالفة . ثم استنفوا الناس ووجههم مددا كما كان يفعل الخلفاء من قبله — ثم اعتمد على

أهل العراق واتخذ أنصاره منهم وكان يدعوهم بنفسه ويخرج إليهم ، فلم
تلك هيئته في نفوسهم هيبة معاوية في نفوس أهل الشام ، ولذلك كانوا
يستحقون بأوامره ، فلن دعاهم لا يسموا دعاه ، ولو سمعوا ما استجابوا له .

(٢) انه لم يكن من أمره شيئا بل كانت ثقته بنفسه وشجاعته
وصراخه تحول بينه وبين اظهار ما راه حقا وعدلا ، وقد جاهر بعدم
صلاحية العمال فاعدوا له ما استطاعوا من قوة — وكان معاوية يقول :
أخنت علي علي باربعة : كنت أكنم سرى وكان رجلا يظهره ، وكنت
في أصابع جند وأطوعه ، وكان في أخبث جند وأعصاه ، ونزكته وأصحاب
الجل وقتلت ان ظفروا به كانوا أهون علي منه ، وان ظفر بهم اغتربها في
دينه ، وكنت أحب الى قريش منه

(٣) انه عجل بمزل قيس عن مصر وولى محمد بن أبي بكر ثم
محسن سياستها واعتزله العثمانية فكانوا من أهم الأسباب التي ساعدت
تمخرو بن العاص على فتحها وكانت اولى قوة لا يستهان بها
من أجل هذه الأخطاء استيقظت العصبية القبلية وحصلت
الحروب الداخلية وطمع في المسلمين أعداؤهم وفرق المسلمون دينهم
وكانوا شيعة ، وقتل من شجعانهم في صفين نحو تسمين الفاء ، وهو عدد
له يقتل مثله في جميع القطن الإسلامية الماضية التي كان الغرض منها
إسلامة الله تعالى ولولا ان الفريقين عضنهم الحرب وجئوا الى التسكين
لهلكت البقية الباقية من الطرفين ، ولضاعت الثغور وأفلتت الروح

ويكفي انه كان من نتائج صفين السيئة : ظهور الحوارج وهم أولئك
الثورويون المنقلبون الذين كانوا أصحاب علي وأنصاره في الجمل وصفين

فقبل التحكيم ثم كانوا سبب الفتن الداخلية المتوالية بين المسلمين
عصرى بنى أمية وبنى العباس وبعبارة أخرى سبب طمع أعداء المسلمين
فيهم ووقوف الفتح الاسلامي

ولو ان معاوية لم يشغل جنده بمحاربة على لقفى على النبوة
البيزنطية برمتها ، ولو ان عليا تفرغ الى الفتح ولم تشغله هذه الحروب
المتوالية لررفت رايات الاسلام على شواطئ الهادي شرقا وبحر
الظلمات غربا ولـكانت بلاد الترك والسند والهند والصين والبربر
والصقالبة من الممالك الاسلامية

(اغتيال على)

قتل رضى الله عنه سنة أربعين لسبع عشرة من رمضان ،
وكان سبب قتله : ان عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، واليهام بن
عبد الله التميمي وعمرو بن بكر التميمي السعدي ، ثلاثهم من الخوارج
لحقوا من فلولهم بالحجاز واجتمعوا فتذاكروا ما فيه الناس وعابوا الولاية
وترحموا على قتلى النهروان وقالوا ما نضع بالبقاء بعدهم فلو شربنا أنفسنا
وقتلنا أئمة الضلال وارحنا الناس منهم ، فقال ابن ملجم أنا أكفيكم
عليا وقال البرك أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو أنا أكفيكم ابن العاص
واتعدوا يوما وتماهدوا الا يرجع أحد عن صاحبه حتي يقتله أو يموت
فاما البرك فمعد معاوية فلما خرج لصلاة الصبح ضرب في البيت بالسيف
ولم يفلح وأخذ فقتل وعند ذلك اتخذ معاوية المنصور وقوا الحرس وخيام
الشرط علي رأسه اذا سجد

وأما عمرو فجلس لابن العاص فلم يخرج لصلاة الصبح وكان اشتكى ،

فأمر صاحب شرطته خارجة أن يصلي بالناس فشد عليه فضربه فقتله وهو يرى أنه ابن العاص ، فلما أخذ وأدخلوه على ابن العاص قال فن قتلنا إذا ؟ قالوا خارجة ، فقال له والله ما ظننته غيرك ، فقال ابن العاص : أردت عمرا وأراد الله خارجة وأمر بقتله

وأما ابن ملجم فقد جلس لعلى مقابل السيدة التى يخرج منها الى الصلاة فلما خرج الى صلاة الصبح شد عليه فضربه بسكين كانت معه أو بسيف في جبهته وفي رأسه فحمل من وقته وقبض على ابن ملجم ، فقال على اطمموه واسقوه فان عشت فانا ولى دمي ان شئت قتلنا وان شئت عفوت ، وان مت فاقتلوه قتلى ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكان ابن ملجم قد سم سيفه ، فتم على جريحه يوم الجمعة والسبت وتوفي ليلة الاحد ، ولما دفن أحضر بن ملجم فاجتمع الناس وجاءوا بالانفط والنواري ، فقال محمد بن الحنفية والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ابن أبي طالب دعونا نشنف منه ، فقطع عبد الله يديه ورجليه وقطع لسانه ثم أخرجوه في قوصرة وأحرقوه بالنار

ولما بلغ عائشة قتل على قالت

فألت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

وبقتل على ختمت تلك المأساة التى قامت بين المسلمين مدة خلافته وهى خمس سنين الاثلاثة أشهر وانهت فصول تلك الرواية المحزنة التى انفطر لها قلب الاسلام والمسلمين

وقال الحسن فى صبيحة الليلة التى قتل فيها أبوه : أيها الناس انا قتل فيكم الليلة رجل كان رسول الله يبعثه فيكم نفه جبريل عن

عنه وميكائيل عن يساره فلا ينشني حتى يفتح الله له مارك
الا ثمانمائة درهم

(خلافة الحسن)

بويغ للحسن في رمضان سنة ٤٠ فكتب اليه ابن عباس : ان الناس
قد ولوك أمرهم بعد علي فاشدد عن يمينك وجاهد عدوك واستر من
الضنين ذنبه بما لم يلم دينك واستعمل أهل البيوتات نستصاح بهم عشائرم
وأول من بايع الحسن قيس بن سعد وقال أبسط يدك على كتاب
الله وسنة رسوله وقتل الملحدين ثم بايعه الناس فكان يشترط عليهم انكم
سامعون مطيعون تسالمون من سالمات وتحاربون من حاربت ، فارتابوا
وقالوا ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال

ولما بلغ عليا قتل معاوية بويغ بالخلافة ودعي بامير المؤمنين وكان
قد بويغ بها بعد اجتماع الحكمين

ولما بويغ الحسن رجف معاوية في أهل الشام الى الكوفة فسار
الحسن في أربعين الفا كانوا قد بايعوا أباه قبل قتله على الموت ، وعلى
مقدمه قيس بن سعد أو عبد الله بن العباس - فلما نزل الحسن المدائن
شاع في العسكر ان قيس بن سعد قتل فانفروا واهتاج الناس وماج
بعضهم في بعض وجاءوا الى سراق الحسن ونهبوا ما حوله حتى نزعوه
بساطه التي كان عليه واستلبوه رداءه وطعنه بعضهم في فخذه وحمل الى
المدائن جريحا وكاد أمره ينحل فكذب الى معاوية بذكر له النزول عن
الأمر علي ان يعطيه ماني بيت مال الكوفة وخمسة آلاف الف ، ويعطيه

خراج دار بجرد من فارس والابشتم عليا وهو يسمع ، وأخير بذلك أخوه الحسين وابن عمه عبد الله بن جعفر فمذلاه فلم يرجع اليهما ، وبلغت صحيفة معاوية فأمسكها - وكان قد سارع فارسل الى الحسن عبد الله ابن عامر وعبد الله بن سمرة ومعه صحيفة يديضاء ختم في أسفلها وكتب اليه أن اشترط في هذه الصحيفة ماشئت فهو لك ، فاشترط فيها أضعاف ما كان في الصحيفة فلما سلم له وطالبه في الشروط أعطاه ما في الصحيفة الأولى وقال هو الذي طلبت

ثم نادى في أهل العراق : ان أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله بطلب السيوف وان أردتم الحياة قبلنا وأخذنا لكم الرضا ، فناداه الناس من كل جانب : البقية البقية ، فامضى الصالح وباع لمعاوية ، ستة أشهر من بيعته فدخل معاوية الكوفة وباع له الناس ، وكتب الحسن الى قيس بن سعد . بأمره بطاعة معاوية . فقام قيس في أصحابه فقال : نحن بين القتال مع غير امام أو طاعة امام ضلالة فمال الناس طاعة الامم أولى وانصرفوا الى معاوية فبابعوه وامتنع قيس وانصرف

وارتحل الحسن الى المدينة فاقام بها الى أن مات سنة ٤٩ - وهما ينقل من ان معاوية دس اليه السم فهو من أحاديث الشيعة ، وعلام يسميه معاوية ولا حول للحسن ولا قوة ثم حصل خلاف بين معاوية وعبد الله ابن العباس وقيس بن سعد وغيرهما فما زال معاوية حتى سوي الخلاف بينهم جميعا وجاء سعد بن أبي وقاص فباع واستقر الامر لمعاوية ، وانفق الجماعة على بيعته وذلك في منتصف سنة ٤٦ وسمى العام من أجل ذلك عام الجماعة وانتهت مدة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم

الاحوال الاجتماعية

(١) شكل الحكومة : كان أول مظهر من مظاهر مدنية الاسلام تأسيس الخلافة الاسلامية - فكان الذي يختار لها يسمى خليفة رسول الله ، غير انه لم يخاطب بها الا أبو بكر وحده حتى تولى عمر فأطلق عليه اسم أمير المؤمنين كما أطلق على الخلفاء الراشدين من بعده - والخلافة كما رأيت رئاسة أساسها الدين ، وغايتها حمل الكافة على مافيه صالحهم ، يقوم بذلك الخليفة أو الامير متبعا لكتاب الله أو سنة رسوله الا اذا عرض ما ليس فيهما فان المسائل المعارضة تقاس بنظائرها ولم يك الخليفة لواء الامير في هذا الشأن الا كواحد من الصحابة فاذا جرم اجتهدهم الى حكم من الاحكام كان سلطانه الديني في تنفيذ هذا الحكم فقط

ولم تكن الخلافة في أسرة بعينها كبني هاشم مثلاً بل كانت شائعة في بيت قريشي ، ينتخب الرجل للقيام باعبائها انتخاباً ، ويسير في حكم الناس بما أنزل الله أو جاء عن رسوله أو أدي اليه اجماع الصحابة ، ومن أجل ذلك تجد حكومة الخلافة أقرب أنواع الحكومات الى الجمهورية الديمقراطية من طريق لها انتخابية لا وراثية ولا من أسرة بعينها ، ومن طريق ان القائم فيها مقيد بنوع من الاحكام لا يعتمد

وكان للخليفة أو أمير المؤمنين مجلس للشورى مؤلف من أعلام الصحابة وشيوخهم من الانصار والمهاجرين وأولى الراى من غيرهم - وكان هنالك شورى عامة تتألف من كل من له رأى من المسلمين ، يجتمعون في المسجد وتعرض عليهم الجلائل من الامور فيقبلونها على وجوها حتى يتبين لهم الحق فيها

وكان الخليفة كآحاد الناس ، فلاشارة لملك ولا حاجب ولا حارس ولا قصر ولا خدم ولا شئ ، مطلقا من أبهة الرئاسة

(٢) القضاء : — وكان الخلفاء يفصلون بين الناس بأنفسهم فيما يحصل

بينهم من المنازعات فلما كثرت الاعمال واتسعت الفتوح ، فوضوا هذا الامر الى غيرهم — كذلك فعل أبو بكر فولي عمر القضاء فهو أول قاض في الاسلام ولكنه لم يسم قاضيا ، فلما تولى الخلافة بعث القضاء الى الامصار ورسم لهم الطرق التي يسلكونها في تحرى العدل والحق ، فكان سواء مندم الخليفة وآحاد الرعية والشريف والوزير ، وكان لهم راتب من بيت المال ولاسلطان لامراء الامصار عليهم ، على أن تعين القضاء لم يك مانعا من أن يزاول الخليفة أو الأمير نظر ما يعرض عليه من الخصومات ، وكان عمر يقضى حيث يدركه الخصوم — والغالب أن القاضى هو الذي كان يباشر تنفيذ ما يصدره من الاحكام الا فى القصاص واقامة الحدود فان ذلك كان للخليفة أو أمراء الامصار

(٣) الجند — كان الرسول يقود الجند بنفسه أو يرسل السرايا

وأمرو عليها من يشاء ولكن لما تعددت الجهات التي يراد غزوها وتباعدت اقتصر الخليفة على عقد الألوية لأمراء المسلمين وقادتهم ولم يك للجنه ديوان الامن عهد عمر ، وكان رزقهم فى بيت المال — وكانت حروبهم أولا بالكر والفر ثم أتبعوا طريق الصفوف والمقدمة والساقة ، والقلب والمجنبتين أو الجناحين

(٤) الخراج ، ما كان يفرض على الارض التي ملكها المسلمون

عنوة ثم تركوها فى أيدي أهلها فهو كالاجارة ، وكان له عمال مستقلون

يجمعونه ثم ينفقون منه ما يأمر به الخليفة من أرزاق الجند والمطابخ
العلماء، والباقي يرسل الى دار الخلافة - وكان الحراج أحيانا يبيع
أبيدنا وأحيانا يكون حصّة شامة فيما تخرجه الارض - والمشور ما قل
يؤخذ على الارض التي غنمها المسلمون وقسمت بينهم، أو الارض
التي أُلهم أهلها عليها أو ملكها المسلمون عنوة وأهلها لا تقبل منهم
الجزية كعبيد الاوثان من العرب - والصدقات : هي ما يؤخذ
من المسلمين على أموالهم من الحرث والانعام والدرهم والدينار
وهي الزكاة :

﴿ دولة بني أمية ﴾

٤١ - ١٣٢

ملكّت هذه الدولة تسعين سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما
وذلك الف شهر منها أيام الحسن بن علي وهي خمسة أشهر وعشرة أيام،
وأيام ابن الزبير وهي سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيام، فيكون
صافي أيامها ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر

ويرجع الى بني أمية الفضل في جمع كلمة المسلمين بعد نفرها
وانفاق الجماعة على بيعة معاوية في منتصف سنة احدى واربعين بعد أن
خلع الحسن نفسه، وعندما نسي الناس شأن النبوة والحوارق والوحي
وزل الملائكة وذكروا العصبية رجعوا الى التغلب، وحينما تعين
بنو أمية للغلب اذ كانت جنود معاوية من قريش شوكة مضر وكان معاوية
حينئذ كبيرهم وعصيته أشد وأمضي شوكة فلم تعد الخلافة

ولاسأله فيها غيره فاستوثق قدمه واستفعل شأنه واستحكمت في أرض مصر رياسته وتوثق عقده وتغلب بيني أمية على مضر وسائر العرب، واسبس لقومه ملكا أقام في بنائه عشرين سنة وهو أمير ومثلها وهو سلطان وخليفة، واستعمل في تسير أموره ضروب سياسته التي لم يك أحد يمانيه في شيء منها، - لامن العرب عامة ولامن أهل الترشيح الى الخلافة من قومه خاصة ككبنى على من فاطمة وغيرها ونبي هاشم وآل الزبير وأمثالهم، اذ كان مصانم رهوس العرب وقروم مضر بالاغضاء والصبر على الاذى، واحتمال المكاره، وكانت غايته في الحلم لا تدرك وعصابته لا تنزع مرقانه تزل عنها أثبت الاقدام وكان عمرو بن العاص يقول في حقه احذروا ذم قريش وابن كريمها من يضحك عند الغضب ولا ينأى الاعلى الرضا ويتناول ما فوقه من نعته، وكان معاوية يقول : لو ان بيني وبين الناس شجرة ما انقطعت أبدا قيل له وكيف ذلك قال : كنت اذا مدوها أرختها واذا أرخوها مددتها

نعم مهد معاوية الامويين السلطان بالشام ومجند من أهله قاتل حتى ظفر، وجند الشام كما علمت قد اشتهروا بالطاعة يدل على ذلك ماورد عن علي في بعض خطبه اذ يقول لاهل العراق (لوددت ان معاوية صار فني بكم صرف الدينار بالدرهم، فاخذ مني عشرة منكم واعطاني رجلا منهم) وكان بما وفق اليه في الجملة انه ألم بطبائع أهل الشام وخصائصهم وخواص بقاعهم وأثرها في أخلاقهم، تعرف ذلك من أبيه وأهله، لاذ كانت لهم بالشام تجارة واسعة اختلفوا من أجلها الى هذه البلاد

كثيراً، ثم ضم اليه مآدرسه بنفسه منذ بعثت البعوث إلى فتح الشام فكان من أجل ذلك على بصيرة تامة بجنوده وميولهم وما يمكنه ضمائرهم وهذا إلى ما كان يعمل به معاوية من الأخذ بأراء الأشراف والنزول على حكم النواب إذ كان له مجلس يعقد في المسجد للبحث في سياسة الدولة وقال زباد ما غلبني أمير المؤمنين معاوية قط إلا في أمر واحد، طلبت رجلاً من عمالي كسر على الخراج فلجأ إلي فكتبت إليه أن هذا فساد عملي وعملك، فكتب إلى : أنه لا ينبغي لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة لأننا نحن جميعاً في المصيبة، ولا نشد جميعاً فنحمل الناس على المهالك ولكن تكون أنت للشدة والفظاظة وأنا للرافة والرحمة — هذا — وقد ولي الخلافة الأموية : معاوية بن أبي سفيان ثم يزيد ابنه فمعاوية الثاني وهو بن يزيد، وبه انتهى ورثة الملك من بني سفيان وابتدئ تلك سادة آخر من بني أمية وهم مروان بن الحكم، فابنه عبد الملك، قالوا زيد ابن عبد الملك في ليان أخوه فمروان بن عبد العزيز بن مروان ثم يعود إلى يزيد بن عبد الملك فمروان أخوه فالوليد بن يزيد بن عبد الملك فيزيد ابن الوليد بن عبد الملك فأخوه إبراهيم ثم آخرهم مروان بن محمد بن مروان وبه انتهى ملك بني أمية وعادت الدولة إلى بني هاشم بقيام بني العباس

معاوية بن أبي سفيان

وهو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أسلم قبل أبيه في عمرة القضاء وبقي يخاف من أبيه الخروج إلى النبي

صلى الله عليه وسلم واظهر اسلامه يوم الفتح ، وقد ولي امره الشام
بالمير ثم اثنان ثم نازع عليا الخلافة حتى وليها من بعد في سنة ٤٠ من
الهجرة بعد موت علي وبعد ان أسلم اليه الحسن بن علي الامر بهد
الهور وقعت بينه وبين علي والحسن ، وهو كاتب النبي وأخو زوجته
لم حبيبة — وتوفي في رجب سنة ٦٠

بيته وأمره مع الحسن

روى أنه بولع بالخلافة ببیت المقدس سنة ٤٠ وكان قبل ذلك
يدعى الأمير في بلاد الشام ، فلما قتل علي دعى بالمير المؤمنين والاراجح
أنه يوم بها بعد اجتماع الحكمين وما كان من أمرها سنة ٢٧ ثم
توكلت خلافته بتنازل الحسن اليه واجتماع الناس عليه عام ٤١
وهو عام الجماعة الذي كتب فيه الحسن الى معاوية حينما رأى تفرق
الأمر عنه وذكر شروطا وقال له أن انت أعطيتني هذا فانا سعي
معليك وعليك ان تنفي لي ، وقال لآخيه الحسين وعبد الله بن جعفر
انني قد ارسلت لمعاوية في الصلح فقال له الحسين انشدك الله الاتصدق
لعاوية معاوية وتكذب أحذوئه أليك ، فقال له الحسن اسكت أنا
أعلم بالامر منك ، فلما اصطلحا قام في اهل العراق فقال يا اهل العراق
أنه قد سخرى بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبى وطعنكم إياى وانتها بكم
ميتاعي — ثم ان معاوية لم يف له بشئ من الشروط بل انه لم يجبه الى
الكف عن شتم علي ، فاما خراج دار بجرذ فان اهل البصرة منعه
منه وقالوا هذا فيؤنا لا نعطيه أحدا وهذا بالبداهة بأمر معاوية — ثم

دخل معاوية الكوفة وبايعه الحسن فبايعه الناس وكان عمرو بن العاص
 حاضرا فاعز الى معاوية أن يأمر الحسن بالخطابة ليظهر لهم عيه ، فقام
 فحمد الله بديهة ثم قال : أيها الناس ، ان الله هداكم بأوامره وحقن دماءكم
 بآخرنا وان لهذا الامر مائة والدينيا دول ، وأن الله عز وجل قال لنبيه
 (وان أدري له فتنه لكم ومتاع الى حين) فحقدها معاوية على عمرو
 وقال هذا من رأيك - وقيل للحسن ما حملك على ما فعلت قال كرهت
 الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوما لا يثق بهم أحدا أبدا الاغلب ، ليس
 أحد منهم يوافق آخر في رأى ولا هوى ، مختلفين لانية لهم في خير
 ولا شر ، لقد لقي أبى منهم أهورا عظاما فليت شعري لمن يصلحون
 بعدى ، - ودخل عليه سفيان أحد أصحابه فقال السلام عليك بامذل
 المؤمنين فقال لا تقل ذلك ، انى كرهت أن أفتلكم في طلب الملك -
 ثم رحل الى المدينة كما سلف ، وورث على معاوية بعد عام الجماعة فقال
 له معاوية والله لا حبونك بجائزة ما أجزت بها أحدا قبلك ولا أجز بها
 أحدا بعدك وأمر له بمائة الف

أما كيفية بيعة معاوية بالكوفة فانه لما دخلها بعد مصالحة الحسن
 أحضر الناس ، وكان الرجل يحضر ويقول والله يا معاوية انى لأبائك
 وانى لكاره لك ، فكان يقول بايم فان الله قد بجمل في المكروه خيرا
 كثيرا ، ويأبى الآخر فيقول أعوذ بالله من شر نفسك ، وأتاه
 قيس بن سعد بن عبادة فقال بايع قيس ، قال ان كنت لاكره مثل
 هذا اليوم يا معاوية ، فقال له مه رحمك الله ، فقال لقد حرصت أن أفرق
 بين روحك وجسدك قبل ذلك فأبى الله يا بن أبي سفيان الا ما أحب ،

قال فلا يرد أمر الله ، فأقبل قيس على الناس بوجهه فقال يا معشر
الناس لقد اعتضمت الشر من الخير واستبدلتكم الذل من العز والكفر من
الايان فأصبحتم بعد ولابة أمير المؤمنين وسيد المسلمين وابن عم رسول
رب العالمين وقد وليكم الطليق ابن الطليق يسومكم الخسف ويسير
فيكم بالعسف ، فكيف تجهل ذلك أنفسكم أم طبع الله على قلوبكم وأنتم
لا تعقلون ، فجثا معاوية على ركبتيه ثم أخذ بيده وقال أقسمت عليك
ثم صفق على كفه ونادى الناس بايع قيس فقال كذبتم والله ما بايعت
ولم يبايع لمعاوية أحد الا أخذ عليه الايمان فكان أول من
استحلف على بيعته

ودخل اليه سعد بن مالك فقال السلام عليك أيها الملك ، فغضب
معاوية فقال الا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ، قال ذلك ان كنا
أمرناك ، انما أنت مبتز

وامل فيما مضى صورة تعطيك كيف يبيع بالكوفة ، وماذا كان
رأى القوم فيه وفي خلافته ، أما بالشام قد بايع الناس هناك وسمعوا
له وأطاعوا وفرحوا بعودة الملك فيهم لانهم عصيته وقد اتخذ دمشق
مركز الخلافة من جراء ذلك ومن أجل ان مركزها (وقد اتسعت
المملكة الاسلامية) أنسب من المدينة والكوفة وبخاصة اذا روعى انه
كان يريد القضاء على الدولة البيزنطية وضم أسلاكها الى دولته

قال ابن خلدون في تاريخه وقد كان ينبغي أن تلتحق دولة معاوية
وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تأليفهم في الفضل والعدالة والصحة .
وانما أخره المؤرخون في التأليف عنهم لأمريين :

(١) ان الخلافة لعهده كانت مغالبة لاجل ما قدمنا من العصبية التي حدثت لعصره ، وأما قبل ذلك فكانت اختيارا واجتماعا ، فيزوا بين الحاليين ، فكان معاوية أول خلفاء المغالبة والعصبية الذين يعبر عنهم أهل الاهواء بالملوك ويشبهون بعضهم ببعض ، وحاشا لله أن يشبه معاوية بأحد من بعده ، فهو من الخلفاء الراشدين ... وأعلم ان الملك الذي يخالف بل يناقى الخلافة هو الجيروتية المعبر عنها بالكسروية التي أنكرها عمر على معاوية حين رأى ظواهرها (في الجاييه) وأما الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة ، فلا يناقى الخلافة ولا النبوة ، فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبين وملكين كانا على غايه الاستقامة في دنياهما وعلى طاعة ربهما عز وجل ، ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبهته للاستكثار من الدنيا وانما ساقه أمر العصبية بطبعها ...

(٢) في ذكر معاوية مع خلفاء بني أمية دون الخلفاء الأربعة انهم كانوا أهل نسب واحد ، وعظيمهم معاوية فجعل مع أهل نسبه ، والخلفاء الاولون مختلفو الانساب فجعلوا في نمط واحد ، وألحق بهم عثمان وان كان من أهل هذا النسب للحوقة بهم قريبا في الفضل

أخبار معاوية

لما استقل معاوية بالخلافة بعث العمال الى الامصار

(١) فبعث على الكوفة المغيرة بن شعبه ، ويقال أنه ولي عليها أولا عبيد الله بن عمر بن العاص فأتاه المغيرة وقال : عمرو بمصر وابنه بالكوفة

فانت بين نأبي أسد ، فعزله وولى المغيرة وباع ذلك عمرا فقال معاوية
بختان مال فلا تقدر على رده ، فعد فاستعمل من يخافك فنصب المغيرة
على الصلاة وولى على الخراج غيره .

(٢) وبث على البصرة بسر بن ارطاة وكان على فارس من
أعمال البصرة زياد بن أبيه ، فبعث اليه معاوية يطلب المال فقال
صرفت بعضه في وجهه واستودعت بعضه للحاجة اليه وحملت ما فضل
الى أمير المؤمنين رحمه الله فكتب اليه معاوية بالقدوم لينظر في ذلك
فامتنع فجمع بسر أولاد زياد وكتب اليه لتقدم او لاقتل بنيك
فامتنع واعتزم بسر قتلهم ، فاتاه أبو بكر (وكان أخا زياد لأمه) فقال
أخذتهم بلا ذنب وقد صالح الحسن على أصحاب على حيث كانوا فامهلهم
بسر الى ان يأتى كتاب معاوية ثم قدم أبو بكر على معاوية وقال ان
الناس لم يبايعوك على قتل الاطفال ، وان سرا يريد قتل بنى زياد فكتب
اليه بتخليتهم وعاد أبو بكر الى البصرة فادر كهم واطلقهم وكانوا
موثقين للمقتل ولم يبق على قتلهم الا ساعة - ثم عزل معاوية بسرا
وولى البصرة عبد الله بن عامر فولى على خراسان من قبله قيس بن الهيثم
السلمى وكان أهل بعض هذه النواحي قد نكثوا ، فذهب الى بلخ
وأخرب نوبهارها (وهو بيت النار) فسألوا الصلح فصالحهم وتابعهم
أهل تلك الاطراف من الناكثين

(٣) وولى على المدينة سروان بن الحكم وعلى مكة خالد بن العاص
ابن هشام وكان على مصر عمرو بن العاص حتى توفي سنة ٤٣ ، فولى معاوية
عبد الله بن عمرو مكان أبيه وقيل انه ولى عليها أخاه لآبيه ، عتبة بن

أبى سفيان بعد موت ابن العاص ثم ولّى بعده عقبة بن عامر الجهني وقبره
بزار بالقرافة ولاهل مصر فيه اعتقاد عظيم ، وليس في الجبانة قبر صحابي
مقطوع به الاقبر عقبة

﴿ صالح معاوية وقيس ﴾

كان قيس بن سعد بن عبادة قد امتنع من بيعة معاوية وتماقد هو
ومن تحت امرته من الجند على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة على
ولمن كان معه على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة ، فراسله
معاوية بدعوه الى طاعته وأرسل اليه بسجل وختم على أسفله وقال له
أكتب في هذا ماشئت فهو لك فلما وصل السجل اشترط قيس له
ولشييعته الامان على ما أصابوا من الدماء والاموال ولم يسأل مالا ،
فأعطاه معاوية ما سأل ودخل قيس ومن معه في طاعته

﴿ قدوم زياد ﴾

وكان زياد بن أبيه قد امتنع بفارس كما قدمنا وكان يلى أمواله بالبصرة
ابن أخيه عبد الرحمن بن أبى بكره فكتب معاوية الى المغيرة بالكوفة أن
ينظر في ذلك فراعى حق زياد وحسن العذر عن عبد الرحمن عند معاوية
ثم أقبل المغيرة على معاوية فذكر له ما عنده من الوجل باعتصام زياد
بفارس فقال له المغيرة ما زياد هناك ، فقال معاوية : داهية العرب معه
أموال فارس يدبر الحيل ، ما يؤمننى أن يبيع لرجل من أهل هذا

السيف فاذا هو قد أعاد الحرب جذعة - ما استأذنه المغيرة أن يأتيه
 ويتلطف له ، ثم أتاه وقال ان معاوية بعثني اليك وقد بايعه الحسن ولم
 يكن هناك غيره ، فخذ لنفسك قبل أن يستغنى معاوية عنك ، قال أشر
 على والمستشار مؤمن ، فقال أرى أن تشخص اليه ونصل حبلك بحبله
 ونرجع عنه ، وكتب اليه معاوية بأمانه بعد عود المغيرة عنه . فخرج زياد
 من فارس نحو معاوية فسأله عن الاموال فأخبره وصدقه معاوية وأذن
 له أن ينزل الكوفة فكان المغيرة يكرمه ويعظمه . غير ان معاوية كتب
 اليه أن يلزم زيادا وحجر بن عدى وجماعة آخرين بالصلاة مع الجماعة
 فكانوا يحضرون معه الصلوات ، وذلك لانهم كانوا من شيعة علي

﴿ الخوارج ﴾

كان معاوية في نظر الخوارج أولى بالقتل من علي لانه وصل الى
 مقام الخلافة الاسلامية بالقهر والدهاء والاستبداد لا بالشورى وابداء
 الآراء الحرة ، وهذا يضاد نظريتهم في أمر الخلافة - ومن أجل ذلك
 ثاروا على معاوية وناصروا الامويين العداء وجاء أن ينتزعوا هذا الامر
 من مفضية ثم يكون الامر شورى بين المسلمين يولون عليهم
 بالانتخاب وبمحض اختيارهم من شاءوا من عامة المسلمين اذ لا فضل
 لعربي على عجمي الا بالتقوى ، وقد خرجوا على علي فتمكن
 من الفتك بهم في أقصر وقت مع تمرد أهل العراق عليه ، ولا شك
 ان أمرهم على معاوية يكون أهون واخضاعهم بل افتاؤهم عليه أيسر ،
 لانه في جند أطوع وقد فرغ من بني هاشم ، فروة بن نوفل الاشجعي

— كان قد ترك قتال على والحسن واعتزل في خمسمائة في شهر زور ،
فلما تسلم معاوية الامر من الحسن قالوا قد جاء الآن مالا شك فيه وساروا
حتى حلوا بالبخيلة وكان معاوية بالكوفة فكتب الى الحسن (وقد سار
يريد المدينة) يدعو به الى قتال فروة فلم يرجع وكتب الى معاوية : لو
أثرت أن أقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقنالك فاني تركتك اصلاح
الامة وحق دمائها ، فأرسل معاوية الى الخوارج جهنم من أهل الشام
فقاتلهم فانهزم أهل الشام فقال معاوية لأهل الكوفة والله لأمان لكم
عندي حتى تكفؤهم فقاتلهم ، فقاتل الخوارج أليس معاوية عدونا
وعدوكم ؟ دعونا حتى نقاتله ، فان أصبنا كذا قد كفيناكم عدوكم وان
أصابنا كنتم قد كفيتهمونا — فقالوا لا بد لنا من قتالكم ، فوعظ فروة
قومه فلم يرجع فأخذ قهرا وأدخل الكوفة فاستعمل بقية الخوارج عليهم
رجلا من طيبي فقاتلهم أهل الكوفة فقاتلهم حتى انهزموا وقتل أميرهم
ثم لمواشعهم وولوا عليهم رجلا من بني أسد فقدم بهم الى البخيلة والنعم
اليهم من انهم ، فسير اليهم معاوية عبد الله بن عوف الأحمر في الفين
فقتلهم جميعا الا خمسين دخلوا الكوفة — ثم عاد معاوية الى دمشق وخلف
المغيرة بن شبة فعاد فروة الى الخروج فبعث اليه المغيرة من قتله
بشهر زور

المستورد الخارجي — اجتمع الخوارج بالكوفة على المستورد بن
عائفة التيمي (تيم الرباب) وعلى ثلاثة آخرين وكلهم من فل النهروان
ودخلوا الكوفة بعد مقتل على ودخلوا منزل حيان بن طبيان السلمي
وتشاوروا فيمن يولون عليهم فـ كما دفع الامارة عن نفسه ثم انفقوا

وولوا المستورد وبالعزة وخالطوه بأمر المؤمنين فكبسهم المغيرة في
 منزلهم فاستسلوا وأخذهم المغيرة فحبسهم وقررهم فلم يقرروا بشيء
 وذكروا أنهم اجتمعوا لقراءة القرآن - فلبثوا في السجن نحو سنة ثم فر
 المستورد إلى الحيرة واختلقت إليه الخوارج وبأغ المغيرة خبرهم فخطب
 الناس وتهدد الخوارج فقام إليه معقل بن قيس فقال لي كفك كل رئيس
 قومه فاستحسن المغيرة هذا الرأي ودعا الرؤساء وقال لي كفني كل
 رجل منكم قومه وشدد عليهم وتوعدهم فقام صمصعة بن صوحان وخطب
 في عبد القيس مهددا فقال كل قوم أين أنتمنا بكانهم انطلقنا عليهم وأحس
 المستورد بما صنع المغيرة في الناس وبما قام به رؤسهم فيهم فقال نحن مر تحملون
 وساروا إلى الصراة فاستشار المغيرة الناس فيمن يرسله اليهم فقال عدى
 ابن حاتم كئنا لهم عدو فابننا شئت سار اليهم ، وقال معقل بن قيس أرسلني
 اليهم فأرسلهم في ثلاثة آلاف وجعل معظمهم من شيعة علي وسار الخوارج
 إلى بهر سير ليبروا إلى المدائن فمعهما عاملها ، ودعاهم إلى الطاعة على
 الأمان فأبوا وساروا إلى المذار وبأغ بن عامر بالبصرة خبرهم وما صنع
 المغيرة فأرسل اليهم شريك الحارثي ، وكان من شيعة علي أيضا ، في
 ثلاثة آلاف ، وأدركهم مقدمة معقل فهزمهم الخوارج ، وعلم معقل
 فأسرع بأهل القوة ممن معه وحمل على الخوارج فلم يظفروا ولم يظفروا
 وباتوا جميعا على تبئنه ، وبيناهم كذلك إذ بأغ الخوارج نهوض
 شريك فرجعوا من حيث أتوا وخاف معقل أن تكون مكيدة فاحتاط
 ولما أصبح اجتمع بشريك وأرسل فصيلة قاتلتهم حتى هزم منهم غير
 فلولهم رجعت إلى معقل وأصحابه فقاتلوهم حتى كادوا يفتنهم فرجعت

تلك الفصيلة وراءهم وشاءوا جميعا على الخوارج شدة منكرة وظل
القنال الى أن نادى المستورد مقللا للبراز فقبل معقل فطمع به
المستورد برمحه فخرج السنان من ظهره ، وفي الوقت
ضربه معقل بسيفه والرمح فيه فخالط دماغه ومات معا وحمل اصحاب
معقل على الخوارج فقتلوه جميعا .
ونكتفى بما ذكرناه من أمر الخوارج ليكون نموذجا لبقية ما كان
منهم على عهد معاوية

(استلحاق معاوية زيادا)

في سنة ٤٤ استلحق معاوية زياد بن سمية وكانت سمية مولاة
للحرث بن كندة الطبيب وولدت عنده ابا بكر ثم زوجها بمولى له
وولدت زيادا وكان أبو سفيان ذهب الى الطائف في بعض حاجاته
فأصابها بنوع من أنكحة الجاهلية وولدت زيادا هذا ونسبته الى أبي
سفيان فأقر لها به الا انه كان يخفيه - ولما شب زياد سميت به النجابة
واستكتبه أبو موسى الاشعري وهو على البصرة ثم استعمله على
فارس فضبطها وحمي قلاعها .

وبلغ معاوية خبره فساءه ذلك وكتب الى زياد يتهدده فقام زياد
في الناس بقول العجب كل العجب من ابن آكلة الأكباد ورأس
النفاق ، يخوفني بقصده اياي ، ويبنى وبينه ابن عم رسول الله في المهاجرين
والانصار وبلغ ذلك عليا فكتب اليه: اني وليتك وانا اراك اهلا ، وقد
كان من أبي سفيان فلتة من آمال الباطل وكذب النفس لا توجب

ميراثا ولا نسباً ، ومعاوية يأبى الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام ولما قتل على وكان من أمر زياد ومصالحته معاوية ما ذكرنا أرسل زياد من بعرض الى معاوية بنسب أبي سفيان وراى معاوية ان يستميله باستلحاقه ، فالتمس الشهادة بذلك ممن علم حقوق نسبه بأبى سفيان فشهد له رجال من أهل البصرة والحقة وكان استلحاقه أول ما ردت به أحكام الشريعة علانية ، فان رسول الله قضى بالولد للفراس وللعاقر بالحجر ، وكتب زياد الى عائشة : من زياد بن أبى سفيان ، وهو يريد أن تكتب له الى زياد بن أبى سفيان فيحتج بذلك فكتبت : من عائشة أم المؤمنين الى أبنها زياد وعظم ذلك على المسلمين عامة وعلى بنى أمية خاصة - أما معاوية فلم يأبه بشيء من هذا كله واعتبر استلحاقه زياد فرصة لا تموض ، وأما زياد فانه لما راي وسمع قال : ان كان ما قالوا (الشهود حقا) فالحمد لله الذى حفظ منى ماضيع الناس ورفع منى ما وضعوا ، وان كان باطلا فمعاوية والشهود أعلم

ثم ولى زياد البصرة وأضاف له خراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان ، فقدم البصرة سنة ٤٥هـ والفسق ظاهر فاش فخطبهم خطبته البتراء وكان زياد أول من شدد أمر السلطان وأكد الملك لمعاوية فجرد السيف أخذ بالظلة وعان على الشبهة وخافه السفهاء ، والدعار ، وأمن الناس على أنفسهم ومتاعهم حتى كان الشيء يسقط من يد الانسان فلا يتعرض له أحد حتى يأبى صاحبه فيأخذه ولا يغلق أحد بابيه

وقد أدر العطاء واستكثر من الشرط فبلغوا أربعة آلاف ،

وسئل في اصلاح السابلة فقـال حتى اصاح المصر ، فلما ضبطه
اصلاح ماوراءه

وكان يستعين بعدة من الصحابة منهم عمران بن حصين
ولاه قضاء البصرة فاستعفى فولى مكانه عبد الله بن فضالة
الليثي .

ويقال أن زيادا أول من سير بين يديه بالحراب والعمد واتخذ
الحراس رابطة فكان خمسمائة منهم لا يفارقون المسجد
وقسم ولاية خراسان على أربعة كان منهم الحكم بن عمر الغفاري
على هراة وباذغيس وبوشنج ، فغزا طخارستان وغنم غنائم كثيرة
ثم سار الى جبال الفور وكانوا قد ارتدوا ففتح وغنم وسبى ثم عبر
النهر الى ماوراءه فملأه غارة

ولما مات المغيرة بن شعبة عامل الكوفة سنة خمسين ولى الكوفة
معاوية مكانه زيادا وجمع له المصرين ، فسار اليها فلما وصل الكوفة
حصبوه على المنبر فلما نزل جاس على كرسي وأحاط أصحابه
بأبواب المسجد بأنونه بالناس يستعطفهم على ذلك ومن لم يخلف
حبسه فبلغوا ثمانين فعاقبهم عقابا شديدا قيل أنه قطع أيديهم .

قضية حجر بن عدى

كان المغيرة أيام ولايته كثيرا ما يتعرض لعلى في مجالسه وخطبه
وبترحم على عثمان وبدعوا له ، فكان حجر بن عدى يقول
أشهد أن من تدمون أحق بالفضل ومن تزكون أحق بالذم فبعث اليه المغيرة

يقول: يا حجر اتق غضب السلطان وسطوته فانها تهلك امثالك، لا يزيدك على ذلك - فلما كان آخر ايامه المغيرة قال في بعض ايامه مثل ما كان يقول فصاح به حجر ثم قال له مر لنا بارزاقنا فقد حبستها منا واصبحت مولعا بذيهم المؤمنين، فصاح الناس من جوانب المسجد: صدق حجر - فدخل المغيرة بيته وعزله قومه في جراءة حجر عليه لان ذلك بوهن من سلطانه وينضب معاوية عليه فاعتذر اليهم ثم مات

فلما تولى زياد خطب الناس وترحم على عثمان وامن قائله، فقال حجر ما كان يقول فسكت عنه ورجع الى البصرة ثم بلغه عنه ان الشيعة يجتمعون عليه ويسلمون لمن معاوية والبراءة منه، فشخص الى الكوفة وخطب الناس وحجر جالس بسمع، فتهده ثم بعث اليه فامتنع، فبعث زياد الى اهل الكوفة وتهدهم فقبروا وقال ليدع كل رجل منكم عشيرته الذين عند حجر، يفعلوا حتى اذا لم يبق معه الا قومه ارسل اليه صاحب شرطته فامتنع فحمل عليهم وخرج حجر الى دور قومه واجتمع اليه الناس، فارسل زياد مذحج وهمدان ليأتوه به فلما علم تنقل في دور القبائل حتى اعياهم طلبه، فدعا حجر محمد بن الاشعث لياخذ له الامان من زياد حتى يبعث به الى معاوية فجاء محمد ومعه جرير بن عبد الله وغيره فاستأمنوا له زيادا فأجابهم ثم أحضروا حجرا فحبسه وطلب أصحابه فتفرق رؤساؤهم ونواروا وجد زياد في طلبهم وأخذ زياد هدى بن حاتم وهو في المسجد وقال له اتقني بعبد الله بن خليفة الطائي فقال له: اتيك بابن عمي لتقتله والله لو كان تحت قدمي مارفعتهما عنه، فحبسه فنكر الناس ذلك وكلموه وقالوا تفعل هذا بصاحب رسول الله

وكبير طي، فقال اخرجني على ان يخرج ابن عمه عني فأجابه الى هذا الطلب .
ثم ان زيادا دعا رؤوس بعض القبائل فشهدوا أن حجرا جمع
الجموع وأظهر شتم معاوية ودعا الى حربه وزعم أن الأمر لا يصلح
الا في الطالبين وان النفر الذين معه وهم رموس اصحابه على مقدم
رأيه واستكبر من اليهود في هذا الموضوع ، ثم ارسل حجرا واصحابه
(وهم أحد عشر رجلا واتبعهم برجلين آخرين) الى معاوية فلما انتهوا
الى مرج عذراء قرب دمشق حبسهم معاوية هنالك فاستشفع في نفر
منهم رجال فاطلقتهم معاوية الا حجرا فإنه ارسل اليه ومن معه رجالا
ليقتلوا منهم من أمر بقتله فأتوهم وعرضوا عليهم البراءة من على فأبوا
وصلوا عامة ليلتهم ثم قدموا من الغد الى القتل فقتل حجر وستة معه
وصلى عليهم ودفنوا

ولما بلغ عائشة خبر حجر واصحابه ارسلت من يشفع فيهم لدي
معاوية فلم بدرتهم وقال رسولها ان غاب عنك حلم أبي سفيان فقال
حيث غاب على مثلك من حلماء قومي . ومهلى ابن سمية فاحتملت
وأسفت عائشة لقتل حجر وكانت تنى عليه

هذا وقد توفي زياد سنة ٣٠ هـ بطاعون بعد ان كتب الى معاوية
اني ضببت العراق بشمالى، وعينى فارغة فاشغلها بالحجاز فكتب له
عهده بذلك - فكان زياد حاكما على القسم الشرقى من دولة معاوية
تقريبا ولما توفي دفن على مقربة من الكوفة وكان يلبس القميص وبرقعه

(المهدي يزيد)

كان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبة، أراد معاوية أن يعزله عن الكوفة فقال الرأي أن اشخص إلى معاوية فاستعفيه ليظهر للناس كراهتي للولاية فسار إلى معاوية في جمع، ودخل على يزيد وقال له أنه قد ذهب أصحاب النبي وآله وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنما بقي أنسائهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسنة والسياسة، ولا أدري ما ينعم أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة، قال أو ترى ذلك يتم؟ قال نعم، فدخل يزيد على أبيه وأخبره بها قال المغيرة، فأحضر المغيرة وقال ما يقول يزيد؟ قال يا أمير المؤمنين قد رأيت من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفي زيد منك خاف، فأعقد له، فإن حدث بك حدث كان كهفاً للناس وخلفاً منك ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة، قال معاوية ومن لي بهذا؟ قال أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك - قال فارجع إلى عملك وتحدث مع من تثق إليه في ذلك وتري ونرى - ورجع إلى أصحابه فقال لقد وضعت رجل معاوية في غرز (أمر) بعيد الغاية على أمة محمد وفتقت عليهم فتقلاً لا يرتق أبداً - وسار إلى المغيرة فذاكر من بثق إليه فاجابوا إلى بيعته فأوفد منهم عشرة إلى معاوية فزبنوا له بيعة يزيد ودعوه إلى عقدها فقال لا نعتجلوا باظهارها وكونوا على رأيكم، وقال لموسى بن المغيرة: بكم اشتري أبوك من هؤلاء دينهم قلل ثلاثين الفا قال لقد هان عليهم دينهم وقوى عزم معاوية على البيعة ليزيد فكتب إلى زياد يستشير دفاحضر

زياد أحد خواصه وقال له ان أمير المؤمنين يستشيرني في كذا وكذا
وانه يتخوف نفرة الناس ويرجو اطاعتهم ، وعلاقة أمر الاسلام وضمانه
عظيم وبزید صاحب رحلة وشهاون مع ما قد اطلع به من الصيد ، فلق
أمير المؤمنين وأد اليه فملات بزید وقل له رويدك بالأمر ، فاحرى لك
أن تم لك لا تعجل فان دركاً في تأخير ، خير من فوات في عجلة -
ويقال ان معاوية كتب الى زياد بالبصرة : ان المغيرة قد دعا أهل الكوفة
الى البيعة ليزيد ولالية العهد بدي وليس المغيرة أحق بابن أخيك منك ، فإذا
وصل اليك كتاب فادع الناس قبلك الى مثل ما دعاهم اليه المغيرة وخذ عليهم
البيعة ليزيد ، فلما قرأ زياد الكتاب على الناس دعا بيعة وكتب معه كتاباً
الى معاوية بالبرث فغضب معاوية وحلف ليردنه الى أمه سمية وأبيه عبيد
ثم مات زياد قبل البيعة فظهر معاوية عهداً مفتعلاً فقرأه على الناس فيه
عقد الولاء ليزيد بعهده وانما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد فلم يزل يروض
الناس لبيعته سبع سنين ويشاور ويمطى الأقارب ويداني الأبعاد حتى
استوثق له من أكثر الناس واستشار ابن الزبير فنصح اليه بالتبصر ،
والأحنف بن قيس فقال له نخافكم ان صدقناكم ونخاف الله ان كذبنا

فلما كانت سنة خمس وخمسين كتب معاوية الى سائر الأمصار ان
يفدوا عليه فوفدوا وكان على وفد المدينة محمد بن عمرو بن حزم فعرض
عليه امر يزيد فنصح اليه بتقوى الله فيمن يوليه امر أمة محمد ، فقال
معاوية لم يبق الا ابني وابناؤهم فابني أحب الى من ابناؤهم فاخرج عنى
ثم جلس معاوية في اصحابه وأذن للوفود فدخلوا عليه ، وتقدم الى اصحابه
أن يقولوا في يزيد فتكلم الضحاک بن قيس فذكر فضل يزيد وعقله

وطلب الى معاوية ان يعهد اليه بعده وتكلم الاحنف بن قيس فقال لمعاوية ان كنت تعلمه رضا لهذه الامة فلا تشاور الناس فيه ، وان كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده للذبا وانت تذهب الى الآخرة فبايع له وبايع الناس ومكارهون - ثم كتب معاوية الى مروان بن الحكم عامله على المدينة ان ادع اهل المدينة الى بيعة يزيد فان اهل العراق والشام قد بايعوا ففعل وقال نسنة ابي بكر الهادية المهدية فقال له عبد الرحمن بن ابي بكر كذبت ان ابا بكر ترك الاهل والعشيرة وبايع لرجل من بنى عدى رضى دينه وأمانته واختاره لامة محمد وتكلم الحسين وابن الزبير وابن عمرو وانكروا بيعة يزيد فكتب الى معاوية بذلك فخرج الى المدينة في ألف وتلقاه الناس فلما نظر الى الحسين قال مرحبا بسيد شباب المسلمين وكذلك منع مع ابن الزبير وابن عمر ودعا لهم بدواب وحمام عليها وخرج حتى اتى مكة ففضى حجة ، ثم امر بالمنبر فقرب من الكعبة ودعاهم فاجتمعوا وقالوا لابن الزبير اكفنا كلامه ، قال على الا تخالفونى ، قالوا لك ذلك ، ثم اتوا معاوية فرحب بهم وقال لهم يزيد اخوكم وابن عمكم وانما اردت ان اقدمه باسم الخلافة وتكونوا انتم تأمرون وتنهون فسمكونا وتكلم ابن الزبير فخيره بين ثلاث اما ان يترك كما ترك الرسول واما ان يختار اختيار ابي بكر واما تصنع ما صنع عمر فقال للاخبرين ما رايكما فقالوا نحن على ما قال ابن الزبير ، فقال معاوية اننى اتقدم اليكم وقد أعذر من انذر انى قاتل مقالة ، فاقسم بالله لئن رد على رجل منكم كلمة فى مقامى هذا لترجم اليه كلمة حتى يضرب رأسه فلا ينظر كل رجل منكم الا الى نفسه ولا يبقى الا عليها وامر ان يقوم على رأس كل رجل

منهم رجلان بسيفيهما فاذن تكلم بكلمة يرد بها عليا قوله قتلناه وخرج وأخرجهم معه ، وحف به أهل الشام واجتمع الناس فقال معاوية انا وجدنا الخاديت الناس ذات عوار ، قولوا ان حسينا وابن ابي بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا يزيد وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لانهم امراء دونهم ولا نقضى امر الا عن مشورتهم ، واني دعوتهم فوجدتهم ساهمين مطيعين ، فبايعوا وسلموا واطاعوا فقال أهل الشام وما يعظم من أمر هؤلاء اذن لنا فنضرب أعناقهم ، لانرضى حتى يبايعوا علانية فقال معاوية سبحان الله ما أسرع الناس الى قربش بالشر وأحلى دماءهم عندهم ، أنصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد ، ودعا الناس الى البيعة فبايعوا ثم قربت رواحله فركب ومضى ، فقال الناس للحسين وأصحابه قلمم لانبايع فلما دعيتهم باليعة ، قالوا لم نفعل ، قالوا بلى قد فماتم وبابعتهم أفلا أنكرتم قالوا خفنا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم وكنتم ما يكن من اختلاف الروايات فان معاوية قد رسم الى الخلافة طريقا غير الذي رسمه الخلفاء الراشدون من قبله اذ جعلها وراثية كما يفعل ذلك الاكسرة والقيصرة وأخرجها من دائرة الشورى والانتخاب بالاختيار الى دائرة النعيين من الاولاد ، مستعملا في ذلك أولا دهاءه ، وثانيا المخلصين اليه من ولاته وعماله ، وثالثا اكراه من يرفضون وبخاصة الرجال الذين لهم مكانة أو حرمة في نفوس الناس - وقد دافع ابن خلدون عن معاوية مبدئا وجهة نظره فيما صنم اذ قال في مقدمته

« والذي دعا معاوية لا يشار ابنه يزيد بالعهد دون سواء انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم ، باتفاق أهل الحل والعقد

عليه حينئذ من بنى أمية ، اذ بنى أمية يومئذ لا يرضون سواهم ، وهم
عصابة قريش وأهل الملة ، وأهل الغلب منهم ، فأثره بذلك دون غيره
من بطن انه أولى بها ، وعدل عن الفاضل الى المفضول حرصا على
الاتفاق واجتماع الاهواء الذى شأنه أهم عند الشارع ، وإن كان لا يظن
بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبه مانعة من سوى ذلك ، وحضور أكابر
الصحابة لذلك يوسكوتهم عنه ، دليل على اتفله الريب فيه ، فليدعوا
ممن يأخذهم في الحق هراوة ، وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول
الحق ، فلهم كلهم أجل من ذلك ، وفرار عبد الله بن عمر من ذلك انما هو
محمول على نوره من الدخول في شيء من الامور مباحا كان أو محظورا
كما هو معروف منه ، ولم يبق في مخالفة هذا العهد الذى اتفق عليه الجمهور
الا ابن الزبير ، وندور التحالف معروف ،

وقال في ناحية أخرى : ولا بطن بمعاوية غيره (الخوف على
افتراق الكلمة فلم يكن ليجهد اليه) الى يزيد وهو يعتقد ما كان عليه
من الفسق ، حاشا الله لمعاوية من ذلك ،

وهذا الدفاع من نواح شتى غاية في متانة الاسلوب ولكنه ليس
نهاية في الاقتناع

(الغزو)

(١) سير معاوية سنة ٤٨ هـ جيشا كثيفا مع سفيان بن عوف الى
القسطنطينية فأوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية ولم يظفروا
منها باطلائ ، بل أنلفت نيران الروم أكثر السفن الاسلامية وتوفي
في مدة الحصار أبو أبواب الاتصاري وكان في الجيش هو وابن عباس

وابن همر وابن همر وابن الربيع ،

(٢) وفي سنة ٥٠ ولى عقبة بن نافع الفهري المرقية فوضع السيف في أهلها لانهم كانوا يرتدون اذا فارقهم المسكر ، فرأى أن يتخذ مدينة بتلك البلاد تكون مقرا للمسكر واختار بقعة القيروان وكانت شجرا فقطع أشجارها وبني فيها المدينة

(٣) وولى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان فقطع نهر جيحون الى سمرقند والصفد وهزم الكفار ، وسار الى ترمذ ففتحها صلحا وقدمات في هذه الغزوة قثم بن العباس ودفن بسمرقند

(٤) وفي سنة ١٤٤ غزا المهلب بن أبي صفرة الهند ووصل الى قنديل بالسند وكسر العدو وسلم وغنم وهي أول غزواته وفي سنة ٤٦ جمع ملك الترك كابلشاه الجموع وزحف على المسلمين فزح المسلمون عن مدينة كابل ولكن الربيع بن زياد الحارثي والى سجستان لقيهم وقتلهم فزهمهم وساق وراءهم المسلمين الى الرخج فغنموا منهم شيئا كثيرا

(٥) وفي سنة ٥٣ فتحت رودس فتحها جنادة بن أبي أمية الازدي ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم ، وكانوا أشد شيء على الروم يعترضونهم في البحر ويأخذون سفنهم وكان معاوية يدر لهم العطاء وكان العدو قد خافهم

وبعد فانا نريد من سرد هذه الحوادث بيان ان الامور توطلت الى معاوية أيام خلافته ولم تحدث ثورات داخلية أو فتن تحول بينه وبين الفتح والغزو في البلاد التي تجاور أطراف دولته شرقا وغربا في البر أو البحر

(معاوية وبنو هاشم)

قبل لمعاوية بعد مقتل أمير المؤمنين علي: إن الخلافة قد استقرت لك ،
فلو قتلت الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن الزبير لاسترحمت
من الفكرة في أمر الملك وترعزعه ، فقال : اذا قتلت هؤلاء فعلى من
أنا أمر

والمنتج سيرة معاوية مع الهاشميين يجد أنه التزم حاسنتهم ومجاملتهم
ومداراتهم وصبر على شيء كثير من مساوئهم وكان يصدق عليهم
وقد لجأ اليه عقيل بن أبي طالب فأكرمه وقربه وقضى حوائجه وديونه ،
ثم قال له يوما أنا خير لك من أخيك علي ، قال صدقت ، إن أخى آثر دينه
على دنياه وأنت آثرت دنياك على دينك فأنت خير لي من أخى وأخى
خير لنفسه منك ، وقال له يوما وقد كف بصرمنا أتم معشر بنى هاشم
تصابون في أبصاركم فقال وأتم معشر بنى أمية تصابون في بصائركم ،
وقال له في بعض الأيام والله إن غلبا حافظ لك قطع قرابتك وما وصلك
ولا اصطنعك ، فقال عقيل والله لقد أجزل العطية وأعظمها ووصل
القرابة وحفظها وحسن ظني بالله إذ ساء به ظني ، وحفظ أمانته وأصلح
رعيته إذ ختم وأفسدتم وجرتم ، فأكف لأبالك فإنه عما تقول بمعزل
واجتمع عنده بنو هاشم يوما فخطب فيهم يذكر فضله وحلمه
عليهم فقال ابن عباس والله ما منحتنا شيئا حتى سألناه ، ولا فتحت لنا
بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنا خيرك لله أوسع منك ، ولئن أغلقت
دوننا بابك لنكفن أنفسنا عنك ، وأما هذا المال فليس لك منه إلا
مال الرجل من المسلمين ، ولنا في كتاب الله حقان حق في التزينة وحق

ل النعماء... ولولا حقنا في هذا المال لم ياتك منا زائر يحمله خف أو طائر، أكفأك أم أزيدك، قال كفاني .

وهكذا كان يتسمع حلمه فيسمع منهم ما يكره ولا يجرى ساكنا للانتقام منهم مع قدرته عليهم ، ذلك لان معاوية كان عاقلا في دنياه قويا قوي، ما كنه جيد السياسة حسن التدبير حكيمًا بليغًا يحلم في موضع الحلم ويستدق في موضع الشدة وكان كريها باذلال المال فلا يزال اشراف قريش كابن العباس وابن الزبير وابن جعفر وابن عمرو وابن أبي بكر وابان بن عثمان وناس من آل طالب يقدون عليه بدمشق فيكرم منوهم ويحسن قراهم ويقضي حوائجهم ولا يزالون يمدثونه اغلظ الحديث ويحبونه اقبح التجبیه وهو يداعبهم تارة ويتغافل عنهم أخرى ولا يمدم الا بالجوهر والسنينة والصلاة الجملة

ويظهر لي انه (وبيده الاموال والدنيا بأسرها) كان يمسك عنهم حتى تضطرهم الحال الى قصده فيعطيه ما تجمع لهم من حقوقهم في أموال المسلمين على رهوس الاشهاد كالتفضل عليهم ، فيضطر مثل ابن عباس (دفاعا عن نفسه وقومه) أن يسمع معاوية ما يكره حتى يكون الناص مع معاوية على بنى هاشم ويقولوا قد أعطاهم فلم يشكروا له بل شتموه واجترأوا عليه وان معاوية كما استخدم البذل في فريق من الناس يستميلهم بذلك الى ناحيته ، قد استخدم المنم في فريق آخر ليستذلهم ، والنتيجة في الحالين له وبيده الاعطاء والمنم

وما كان ابواؤه عقيلًا الا ليحسن الناس به الظن ويقولوا آوى

أخا على مع ما بينهما من الخلاف، والعداء، وبظهران عقيلاً أحسن أن معاوية في حاجة إلى أيوائه وأكرامه فكان من أجل ذلك شديد الجراً عليه ولم يجرؤ بنو هاشم وحدهم على معاوية بل تجرأ عليه الانصار وله مع أفراد منهم أحاديث تدل على شيء كثير من دهائه وسعة حلمه على بني هاشم ومن لف لفهم - ولقد دخل عليه ابنه يزيد غضبان وقال لقد أفرطت في الحلم حتى خفت أن يعد ذلك منك ضعفاً وجبناً فقال معاوية أي بني، إنه لا يكون مع الحلم ندامة ولا مذمة، فامض لشأنك ودعني ورأيي، وبمثل هذه السيرة صار خليفة العالم وخضع له من أبناء المهاجرين والانصار كل من يعتقد أنه أولى منه بالخلافة وكان عقيل قد قدم على معاوية بالشام فامر له بثلاثمائة ألف دينار وقال له هذه مائة ألف تقضى بها ديونك، ومائة ألف تنصل بها رحمك ومائة ألف توسع بها على نفسك - وكان قد قدم على أخيه في الكوفة فشكا إليه الضائقة فوعده أن يعطيه عطاءً إذا خرج، فقال عقيل: وإنما شخوصي من الحجاز إليك من أجل عطائك؟ وماذا يبلغ مني عطاؤك وما يدفع من حاجتي ونزركه وقصد معاوية (ولم يجرؤ)

(اصلاحات معاوية)

لقد ابتكر معاوية في دولة أشياء لم يسبق إليها من أهمها

(١) البريد - وهو أن يجعل خيل مضمرات في عدة

أماكن، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها، وقد تعب فرسه، ركب غيره فرساً مستريحاً، وكذلك يفعل في المكان الآخر والآخري

حتى يصل إلى بسرعة.

(٢) ديوان الخاتم وتناخص اعمال هذا الديوان في انه اذا صدر توقيع من الخليفة بأمر من الامور أحضر التوقيع الى ذلك الديوان وأثبتت نسخته فيه وخزم بخيط وختم بشمع

وكان الذي حمل معاوية على اختراع هذا الديوان انه أحال عمر بن الزبير على زياد بمائة ألف درهم ففرض عمر الكتاب وصير المائة مائتين (وكانت تواقيمهم تصدر غير مختومة) فلما رفع زياد حسابه الى معاوية انكر معاوية ذلك وقال ما أحلنا الا بمائة ألف واخذ عمر بردها وحبسه فأداه عنه آخوه عبد الله فاحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم فصارت التواقيم تصدر منه مختومة لا يدري أحد ما فيها ولا يتمكن من تغييرها (٣) وقد استخدم المسيحيين في مصالح الدولة وقال انه عهد بامور

المال الى منصور و سرجون من نصارى العرب السوريين وفضائل معاوية اكثر من ان تستقص فقد كان ينطق عن علم وبسكت عن حلم واذا أعطى أغنى واذا حارب أفنى وقد ادلى العرب عزة ومنعه فكان العربي حيث نزل محترماً مرعى الجانب آمناً على نفسه وحقه ولكنه كان مصروف الهممة الى تدبير الدنيا بهون عليه كل شيء اذا انتظم له امر الملك وقد عرف بالحرص على معرفة اخبار السابقين والجد في معرفة احوال ساستهم وقادتهم فضلاً عن جده في طلب العلم وانصرافه عن اللهو واللعب - روي أنه كان يستمر حتى ثلث الليل في اخبار العرب وأيامها ، والعجم وملوكها وسياستها لرعيتهما وسير ملوك الامم وحروبها ومكايدها
نم بدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم بقعد فيحضر الدفاتر التي فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايده ، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون

وقد كانوا يحفظها وقراءتها ، فمنهم من جمع كل ليلة جملة من الاخبار والسير والآثار وأنواع السياسات .

ولا شك في ان معاوية وهو امير بني ملاد الشام عشرين سنة وخليفة ، ظلها ، قد استفاد الشيء الكثير من نظام الحكم الرومانى فرق ما كان من تجاربه واختباراته طوال هذه المدة .

(وفاة معاوية)

وبعد هذا التاريخ المجيد المفعم بالحوادث السياسية العظمى مات معاوية سنة ٦٠ هـ ولما أضر كته الوفاة أوصى ابنه يزيد وصية تدل على عقله ولبه وخبرته بالامور ومعرفة بالرجال ، فلم يعمل يزيد بشيء منها - قيل انه دعاه وهو مريض فارصاه بها وقيل انه تركها مع الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المري اذ كان يزيد غائبا بحدوارين ، وهى ثيابنى انى قد كفيتك الشد والفرحال ، ووطأت لك الامور ، وذالت لك الاعداء ، وأخضعت لك الرقاب ، وجمعت لك ما لم يجمعه لك أحد ، فانظر أهل الحجاز فانهم أصلاك ، فاكرم من قدم عليك منهم ، وتعهد من غاب . - وانظر أهل العراق فان سألوك أن تعزل كل يوم عاملا فافعل ، فان عزل عاملا أبسر من أن يشهر مائه الف سيف - وانظر أهل الشام ، وليكونوا بطانتك ، فان رايك من عدوك شيء فانتصر بهم ، فاذا أصبتهم فاردد أهل الشام الى بلادهم ، فانهم ان أقاموا بغيرها تغيرت أخلاقهم ، وانى لست أخاف أن ينازعك فى هذا الامر الا أربعة من قريش : الحسين ابن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن

أبى بكر فنادى ابن عمر فرجل قد رقت العبادة وإذا لم يبق غيره بابك ،
وأما الحسين فهو رجل خفيف دل يتركه أهل المراق حتى يخرجوه
فإن خرج عليك وظفرت به فاصفح عنه فإن له رحما ماسه وحقا عظيما
وقرابة من محمد ، وأما ابن أبى بكر فإن رأى أصحابه صنوا شيئا صنم مثله ،
وليس له همة إلا فى النساء . وأما الذى يجثم لك جثوم الاسد ، ويراوغك
مراوغة الثعلب ، فإن أمكنته فرصة وثب ، فذلك بن الزبير ، فإن هو
فعلها بك وقدرت عليه ، فقطعه اربا اربا واحقن دما . قومك ما استطعت
وفى هذه الوصية دليل على ما سبق من وفور رغبته فى تدبير الملك
وشدة كلفه بلباسه

ويلحظ فى رواية الوصية على هذا النحو انه ذكر فيها عبد الرحمن
بن أبى بكر مع أنه مات قبل معاوية سنة ثلاث وخمسين فى نومة نالها
وكان على حرسه قيس بن حمزة الهمداني وهو اول من اتخذ
الحرس منذ انشقاق الدولة الخوارج على قتله - وقتل على وابن العاص
وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون الرومى ، وكان على حجابته سعد
مولاه وكان على قضائه فضالة بن عبيد الانصارى ثم ابودريس الخولاني
وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن محسن الحميرى - وهو اول خليفة
بابع لولده فى الاسلام واول من عمل المقصورة فى المساجد واول
من خطب جالسا

(يزيد الأول)

وهو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان - بويع له بالخلافة بعد موت

أُتيه في رجب سنة ٦٠ وتوفي في النصف من ربيع الأول سنة ٦٤ ودفن
 بمحوار بن خارجا من المدينة ، فكانت ولايته أربع سنين وإياما
 ولم يك له همة حين ولي الأمر إلا البيعة للنفر الذين أبوا على معاوية
 الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعة وإنه ولي عهد بعده
 والفراخ من أمرهم

وكان على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وعلى مكة عمرو بن سعيد
 بن العاص وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى الكوفة النعمان بن بشير ،
 وكان مروان بالمدينة بعد عزله عنها بالوليد ... فكانت يزيد إلى الوليد
 ينمى معاوية وكتب إليه في صحيفة كأنها اذن فأمره : أما بعد فخذ حسينا
 وابن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذ أشد اليلس فيه رخصة حتى يبيعوا
 والسلام فبعث إلى مروان فلما قرأ الكتاب بعث معاوية استرجع وترحم عليه
 واستشاره الوليد كيف يصنع قال أرى أن تدعوم الساعة وتأمرهم بالبيعة فإن
 فعلوا قبلت منهم وكفأت عنهم وإن أبوا ضربت أعناقهم ، قبل أن يعلموا
 بموت معاوية فانهم ان علموا بموته وثب كل رجل منهم بناحية وظهر
 الخلاف ودعا إلى نفسه أما ابن عمر فلا يرى القتال ولا يحب أن يلي
 على الناس إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفوا

فارس الوليد إلى الحسين وابن الزبير يدعوهما وكانا في المسجد ، فقال
 لهما الرسول أجييا الأمير ، فقالا انصرف ، الآن نأتيه ، وقال ابن الزبير
 للحسين : ما تراه بمث اليك في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها للناس
 فقال الحسين أظن أن طائفتهم قد هلك فبعث اليك ليأخذنا بالبيعة قبل
 أن يفسحوا في الناس الخبر ، فقال وأنا ما أظن غيره فما تريد أن تصنع ؟ قال

الحسين أجمع فتيانى الساعة امشى اليه وأجاسهم على الباب وأدخل عليه، قال انى أخافه عليك اذا دخلت ، قال لا آتية الا وأنا قادر على الامتناع، ثم قام فجمع اليه أصحابه وأهل بيته وقال لهم انى داخل ، فاذا دعوتكم أو سمعتم صوتى قد علا فادخلوا على باجمكم والا فلا تبرحوا حتى أخرج اليكم - ثم دخل فسلم ومروان عنده فشكرهما على الصلة بعد القطيعة ودعا لهما باصلاح ذات البين ، فقرأ الوليد الكتاب بنمى معاوية ودعاه الى البيعة فاسترجع وترحم وقال مثلى لا يبايع سرا ، ولا يكتفى بها منى ، فاذا ظهرت الى الناس ودعوتهم ودعوتنا معهم كان الامر واحدا وكنت أول مجيب ، وكان الوليد بحب المسألة فقال للحسين انصرف ، فقال مروان لا يقدر منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتل بينك وبينهم ، الزم البيعة والا فاضرب عنقه ، فوثب الحسين وقال أأنت تقتلنى أم هو ؟ كذبت والله وانصرف الى منزله ، وأخذ مروان فى عزل الوليد فقال يا مروان والله ما أحب ان لى ما طامت عليه الشمس من مال الدنيا وملكها وانى قتلت الحسين ان قال لا يبايع

وأما ابن الزبير فاختفى فى داره وجمع أصحابه ، وألح الوليد فى طلبه وبعث مواليه فشتموا ابن الزبير وهددوه وأقاموا بيباه فى طلبه، فبعث ابن الزبير أخاه جعفرا يلاطف الوليد ويشكو ما أصابه من الذعر ويعدده بالحضور من الغداة ، وأن يصرف رسله من بابه ، فبعث الوليد اليهم فأنصرفوا ، وخرج ابن الزبير من ليلته مع أخيه جعفر وحدهما وأخذا طريق مكة ، فسرح الرحالة فى طلبهما فلم يدركوهما ورجعوا وتشاغلوا به عن الحسين سائر يومه

ثم أرسل الى الحسين يدعوه فقال للرسل أصبحوا وترون ونرى
وكانوا يبقون عليه فكفوا عنا فصار من ليلته فرارا من البيعة ليزيد وأخذ
معه بنيه واخوته وبني أخيه الا محمد بن الحنفية ، فانه قال له يا أخى أنت
أحب الناس الى وأعزهم على ولست أدخر النصيحة لاحد من الخلق أحق
بها منك ، تنح عن يزيد وعن الانصار ما استطعت ، وأبعث دعائك الى
الناس ، فان أجابوك فاحمد الله وإن اجتمعوا على غيرك لم ينقص الله
بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك ، وأنا أخاف
أن تأتى مصرا أو قوما فيختلفون عليك فتكون الاول اساءة ، فيكون
خير الامة نفسا وأبا ، أضيعها زمارا وأذلها ، فقال له الحسين فانى ذاهب
قال أنزل مكة فان اطمأنت بك الدار فبسييل ذلك ، وإن نأت بك لحقت
بالرمال وشعب الجبال وخرجت من بلد الى آخر حتى تنظر مصير أمر
الناس وتعرف الرأى ، فقال يا أخى نصحت وأشفقت ، ولحق بمكة
وبعث الوليد الى ابن عمر ليبايع فقال اذا بايع الناس بايت فتركوه
وكانوا لا يتخوفونه

ولما بلغ يزيد ما صنع الوليد عزله عن المدينة واستعمل عليها عمرو
ابن سعيد الأشدق فجعل على شرطته عمرو بن الزبير لما كان بينه وبين
أخيه من البغضاء واستشاره فيمن يرسله الى أخيه فقال لا تجد رجلا
أنكى له منى ، فجهاز معه سبعمائة مقاتل فعذله مروان في غزو مكة ،
فقال والله لنغزونه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم وسار
الجيش فنزل أنيس بن عمرو الاسلمى وهو على المقدمة بنى طوى ،
ونزل عمرو بن الزبير بالابطح وأرسل الى أخيه : بر يمين يزيد ، فانه

حلف ألا يقبل بيعته إلا أن يؤتى به في جامعة ، وتعال حتى أجعل في عنقك جامعة من فضة لا نري ، ولا يضرب الناس بعضهم بعضاً فانك في بلد حرام ، فارسل عبد الله بن الزبير من اجتمع له من أهل مكة فہزموا أنيسابندي طوى وتخلف عن عمرو بن الزبير أصحابه فدخل دار بن علقمة وأجاره أخوه عبدة بن الزبير وقال لعبد الله قد أجرت صمرا فلم يجز جواره وأخذ عمرافحبسه وضربه حتى مات تحت السياط

❦ أمر الحسين ❦

لما خرج الحسين الى مكة لقيه عبد الله بن مطيع وسأله أن ترمي فقال مكة واستخير الله فيما بعد ، فذبحه ألا يقرب الكوفة ، وذكره قتلهم أباه وخذلانهم أخاه ، وأن يقيم بمكة لا يفارق الحرم حتى يتداعى اليه الناس ، فاقبل حتى نزل مكة واهلها يختلفون اليه ومن به من المعتمرين ، وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة يختلف الى الحسين فيمن يختلف اليه ولا يزال بشير عليه بالرأي وهو أنقل خلق الله عليه لأنه يرى أن أهل الحجاز لا يبايعونه مادام الحسين باقيا بالبلد.

(مراسلة الكوفيين الحسين وقتل مسلم بن عقيل)

لما بلغ أهل الكوفة موت معاوية ، وامتناع الحسين وابن عمر

وابن الزبير عن النيمة ، ارجفوا بيزيد ، واجتمعت الشيعة في منزل
 سليمان بن حرد الخزاعي فذكروا سير الحسين الى مكة وكتبوا
 اليه يستدعونه كتابين ثم أرسلوا اليه رسولا يستحثونه على المسير
 اليهم ثم كتبوا اليه كتابا رابعا فكتب اليهم الحسين عند اجتماع الكنب
 عنده قد فهمت ما فقصتم ، وقد بعثت اليكم ابن عمي وثقتي من
 أهل بيتي مسلم بن عقيل بكتب الى بامركم ورأى بكم فان اجتمع
 ملوكم على مثل ما قدمت به رسلكم اقدم عليكم قريبا .

وسار مسلم من مكة الى الكوفة فاقبل الى المدينة وصلى في
 مسجد الرسول واستأجر دليلين من قيس فاقبلوا فضلا الطريق
 وعطشوا فأتى الدليلان وقالوا لمسلم : هذا الطريق الى الماء فوصل اليه
 وكتب الى الحسين اني تطيرت فان رأيت اعفيتني فكتب اليه
 خشيت الا يكون حملك على ذلك الا الجبن فامض لوجهك ، فسار مسلم
 حتى دخل الكوفة في ذي الحجة سنة ٦٠ واحتلفت اليه الشيعة وقر
 عليهم كتاب الحسين فبكوا ووعدوه النصر - وعلم النعمان بن بشير
 مكانه وهو أمير الكوفة وكان يجزع الى السام فخطب في الناس وحذرهم
 الفتنة وقال لا أقاتل من لا يقاقلني ولا آخذ بالظنة والتهمة ولكن ان نكثتم
 بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله لا ضربنكم بسيفي مائت قائمة يدي ولو
 لم يكن لي ناصر - فقام اليه بعض حلفاء بني أمية وقال لا يصلح
 ما ترى الا الغشم «الظلم» وهذا الذي أنت عليه مع عدوك رأي
 المستضعفين فقال أكون مع المستضعفين في طاعة الله أحب الي
 من ان أكون من الاعزين في معصية الله ثم تركه فكتب جماعة الى

يزيد بالخبر وبتدوم مسلم ومبايعة الناس له ، ويقولون ان النعمان رجل
 ضعيف او هو بتضعف فالتجار يزيدسرجون فاشار عليه ان يولى
 عبيد الله بن زياد الكوفة فاحذبرأيه وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله
 وامره بطلب مسلم وقتله او تفيه فلما وصل كتابه الى عبيد الله أمر
 بالتجهز ليبرز من الغد .

وكان الحسين قد كتب الى اشراف البصرة بدعوتهم الى الكتاب
 والسنة فكلهم كتبوا كتابه الا المذار بن الجارود فانه خاف ان يكون
 دسيسا من ابن زياد فأتاه بالرسول والكتاب فضرب عنق الرسول وخطب
 الناس فحذروهم الخلف وانذروهم وخرج من البصرة في جماعة فتساقطوا عنه
 وجاء أن يتف عليهم فذهبوا الحسين الى الكوفة ولكنه لم يقف حتي دخل
 الكوفة وحده فجعل يمر بالمجالس فلا يشكون انه الحسين فيقولون مرحبا بابن
 رسول الله وهو لا يكلمهم وخرج اليه الناس من دورهم فساء ما رأى
 منهم ، وسمع النعمان فاعلق عليه الباب وهو لا يشك انه الحسين ، فأنهني
 اليه وقال له افتح لافتح ، فسمعها انسان خلقه فرجع الى الناس وقال
 لهم انه ابن مرجانة ابن زياد ففرق الناس وفتح له النعمان فدخل
 واغلقوا الباب ، فلما أصبح جلس على المنبر وباع الناس ان أمير المؤمنين
 ولاء هذا المصروعدهم واوعدهم وحذروهم وانذروهم ثم نزل واخذ
 العرفاء والناس أخذوا شديدا ليرفعوا اليه من فيهم من طلبية أمير المؤمنين
 فلما سمع مسلم خرج الى دارهانيء ابن عروة المرادي وقال أيتك لتجيرني
 وتضيفني فقال لقد كلفتنى شططا ، ادخل فأواه فاختلفت الشيعة اليه
 في دارهانيء واستعمل عبيد الله جواسيسه وامواله في طلب مسلم واصحابه

مرض هاني وجاء عبيد الله ليعوده ثم مرض شريك بن الاعور وكان في دار هاني فبعاه ليعوده ايضا لانه كان كريما عليه ثم خرج على ان يعود لزيارته فاذا شريك على مسلم بقله اذا عاد (لان شريكا كان شديد التشيع) فلم يقبل هاني ومات شريك بعد ثلاثة ايام ، وانتهى امر الجواسيس بوصولهم الى مسلم بن عقيل وأخبار ابن زياد انه بدار هاني ، وانقطع هاني عن عبيد الله بعد المرض فدعا بن زياد محمد بن الاشعث وآخرين وسألهم عن سبب انقطاع هاني فقالوا انه مريض وأتوا هانيا فقالوا ان الاسير قد سأل عنك فلبس ثيابه وركب معهم فلما دنا من القصر أحس الشر ولكن الذي معه طمأنوه فلما دخل على ابن زياد مع القوم سأله ما هذه الامور التي تربس في دراك لأمير المؤمنين والمسلمين ، جئت بعلم فادخلت دارك وجمعت له السلاح والرجال وظننت ان ذلك يغني لك ما فمات ، قال بلى وطال النزاع بينهما فدعا ابن زياد جاسوسه وقال لهاني ان عرف هذا فلما رآه هاني سقط في يده اذ علم ان هذا كان عينا عليهم ثم رجعت اليه نفسه فحلف مادعوته ولا علمت بشيء من أمره حتى رأته جالسا على بابي بمأني النزول على ، فاستحييت من رده فان شئت أعطيتك الا ان موثقا نطقت به حتى أخرجه من داري وأعود اليك فقال لا والله لا نطرقني أبدا حتى تأتيني به فقال لا آتيك بضيفي تقتله أبدا فلما كثر الكلام قام رجل الى هاني فنصح له بتسليم مسلم خشية ان يقتله بن زياد فأبى ثم أتيا فامر به ابن زياد ان يضرب ويحبس وعلم عمرو بن الحجاج ان هانيا قتل فاقبل في مذبح فاحاط بقصر الامارة لكن شريحا القاضي اعلم انه حتى لم يقتل فانصرف بمن معه

وعلم مسلم فنأدى في أصحابه بشمارهم وكان قد بايحه ثمانية عشر ألفاً وحوله في الدور أربعة آلاف فاجتمع اليه ناس كثير وقصدوا ابن زياد فتمحروا في القصر وأغلق الباب وليس معه الا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون من الاشراف واهل بيته ومواليه غير انه اشار الى الاشراف بان يخرجوا فيمن بطيعهم من قومهم ويخلوا الناس عن مسلم ففعلوا وتفرق الناس عن مسلم حتى لم يبق معه الا ثلاثون رجلاً فلما رأى ذلك خرج فمضى في اذارقة الكوفة لا يدري ابن يذهب حتى لجأ الى باب امرأة من كندة وطلب الماء فسمته وقالت له اذهب الى اهلك فلم يفعل فقالت له لا أحل لك الجلوس على بابي فقال لها ليس له في هذا المصير منزل ولا عشرة ثم عرفها بنفسه وقال لها كذبتى هؤلاء القوم وغرونى فقالت له ادخل فدخل اما ابن زياد فانه لما رأى الاصوات خفتت نزل الى المسجد وخطب في الناس وامرهم بالطاعة وتفطيش الدور، ولما أصبح اتى ابن تلك المرأة واخبر عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بموضع مسلم فجاء عبد الرحمن أباه وهو عند ابن زياد فاسره بذلك فاخبر محمد بن عبد الله بن زياد فقال له قم فأتنى به الساعة فخرج في سبعين حتى أتوا الدار فعرف مسلم انه قد اتى فخرج اليهم وقتلهم بسيفه منفرداً حتى اخرجهم من الدار مراراً حتى اشفوا على سطح الدار وجعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في القصب ويبلقونها عليه فخرج عليهم بقاتلهم فقال له محمد بن الاشعث لك الامان فلا تقتل نفسك فأبى وقتلهم حتى كل وامنه ابن الاشعث فقال له انى أراك ستعجز عن أمانى فهل تستطيع ان تبعث الى الحسين ليرجع بأهل بيته ولا يغره أهل الكوفة فقال له والله لا فمان ثم كذب

الى الحسين - ما قال مسلم فلقية الرسول بزيلة فاخبره فلم يرجع على ماسيحي .

واما مسلم فان ابن الاشعث قدم به القصر واخبر ابن زياد بامانه فلم يحزه ، وقال لمسلم بعد كلام لعمري لتقتلن فقال لددعني اوص الى بعض قومي فقال له لك ذلك - فاوصى الى أحد الناس ان يقضى عنه ديننا وان يستوهب جنته فيوارىها وان يبعث الى الحسين من برده ثم عاد الى ابن زياد وحصلت بينهما مناقشة انتهت بأن ابن زياد قال له قتلني الله ان لم اقل لك قتلة لم يقتلها أحد في الاسلام وامر به فاصعد فوق القصر انضرب عنقه ويتبعوا رأسه جسده فكان

ثم أمر به اني فاخرج الى السوق فضربت عنقه وبعث برأسيهما الى يزيد فكتب اليه يشكره ويقول له ان الحسين قد توجه نحو العراق فضم المراسد والمصالح واحترس واحبس على النهمة وخذ على الظنة غير الا تقتل الا من قاتلك .

وكان ممن خرج مع مسلم المختار بن ابي عبيد وعبد الله بن الحرث ابن نوفل فطلبهما زياد وحبسهما .

(مسير الحسين الى الكوفة و قتله)

لما اراد الحسين المسير الى الكوفة مغرورا بكتب اهل العراق اليه نصح له عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الا يخرج فشكره ثم قال مهما بقضى من أمري يكن ، اخذت برأيك أو تركته - وجاءه ابن عباس فقال له قد ارجف الناس أنك سائر الى العراق فبين لي ما أنت

هائيم ، فقال له قد اجعت السير في احد يومي هذين ان شاء الله ، قال فاني اعيدك بالله من ذلك ، خبرني رحمك الله ، انسير الى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا أمورهم ونفوا عدوهم ، فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم ، وان كانوا دعوك اليهم واميرهم عليهم قاهر لهم ، وعماله تجبي بلادهم فانما دعوك الى الحرب ولا آمن عليك ان يغروك ويكذبوك ويخذلوك ويخالفوك ويستنفروا اليك فيكونوا أشد الناس عليك فقال الحسين اني مستخير الله وانظر ما يكون - وانا ابن الزبير فحدثه ساعة في الا يخرج فقال لقد كتبت الى شيعة بها واشراف الناس واستخير الله فقال له أما لو كان لي بها مثل شيعتك لما عدت عنها (تأمل) ثم خشي ان يتهمه فقال له اما انك لو اقلت بالحجاز ثم اردت هذا الامر ههنا لما خالفتك عليك وساعدتك وبايعتك ونصحتك ، ثم قال له فقم ان شئت وتولينى هذا الامر فتطاع ولا تعصى ، فقال له الحسين ولا اريد هذا ايضا ، وخرج ابن الزبير والحسين يقول لاصحابه : ان هذا ليس شيء من الدنيا احب اليه من ان اخرج من الحجاز وقد علم ان الناس لا يعدلونه بى فود انى خرجت حتى يخلوا له

ثم جاءه ابن عباس من الفد فكرر عليه الا يخرج وذكر له أخلاق أهل العراق وغدرهم فابى فقال له ان كنت سائرا فلا تسر بتسائك وصبيتك فاني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ، ونساؤه وولده ينظرون اليه ، ثم قال له لقد اقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز وهو اليوم لا ينظر اليه أحد معك ، وخرج فمر بابن الزبير

فقال له قرت عينك يا ابن الزبير ، هذا الحسين يخرج الى العراق
وبخيلك والحجاز

ثم خرج الحسين يوم التروية فعرض له رسل عمرو بن سعيد
ابن العاص أمير الحجاز يمنعوناه فأبى عليهم ووضى فقيه الفرزدق فقال
له بين لي خبر الناس خلفك ، قال الخبير سألت ، قلوب الناس معك
وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء والله بفعل ما يشاء فلم
يتمط وارسل اليه عبد الله بن جعفر يستحلفه ان يعود فلم يرجع وكان
يعتذر بانه رأى رؤيا أمره رسول الله بامر ولا بد له أن يمضى فيه
عليه كان أوله

وبلغ ابن زياد مسير الحسين فارسل اليه الحصين بن نمير التميمي فنزل
بالقادسية ونظم الخيل ما يدينها وبين خفان والقطعة طانة وجبل لعل
اما الحسين فانه لما قرب من الكوفة وكان لا يعلم امر مسلم ، كتب الى أهل
الكوفة يعرفهم قدومه ويأمرهم بالجد في امرهم فقبض على رسوله
بالقادسية ومن هنالك ارسل الى ابن زياد فأمر به فالقى من فوق القصر
فتقطع ومات - وأقبل الحسين يسير نحو الكوفة فاتبعه عبد الله بن مطيع
فأنشده الله في حرمة فريش وحرمة العرب ألا يأتى الكوفة ولا يعرض
نفسه لبني أمية فأبى الا ان يمضى واثاء خبر قتل مسلم وهو بالعلبية
فقال له بعض اصحابه نتمسك الله الارجمت من مكانك فانه ليس لك
بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف عليك ان يكونوا عليك فوثب
بنوا عقيل وقالوا والله لا نبرح حتى ندرك ثارنا او نذوق كذاذاق مسلم
فوافقهم الحسين ثم ارنحلوا حتى اتوا زبالة فاتاه خبر مسلم ورجال

آخرين من صحبه لهم ابن زياد فقال لمن معه قد خذلنا شيعةنا فمن
احب ان ينصرف فليصرف ليس عليه منازم.. فتفرقوا يمينا وشمالا
حتي بقي في اصحابه الذين خرجوا معه من مكة دون من انضموا اليه
فسار بهم فما يشمرون الا بالخيال قد طلعت عليهم مع الحر بن يزيد التميمي
ومع الف فارس ارسلهم الحسين بن غير التميمي فلم يزل الحمر مرابطا
الحسين وقال له قد امرنا انا اذا نحن لقيناك الاتفارقك حتى تقدمك
الكوفة على عبيد الله بن زياد فقال الحسين : الموت أدنى اليك من ذلك
فقال الحر : خذ طريقا لا ندخلك الكوفة ولا نردك الى المدينة
حتى اكتب الى ابن زياد ونكتب انت الى يزيد او الى ابنه زياد ، فتيسر
عن طريق العذيب والقادسية والحريصايرة وهو بخط في القوم يذكرهم
كتبه ورسله والحر يقول له لئن قاتلت لقتلن وبيناهم على ذلك ماذا
باربعة نفر قد اقبلوا من الكوفة على رواحهم فقال الحسين هؤلاء
انصارى وسألهم عن بعض رسله فاخبروه بقتله واثاروا عليه باليدخل
الكوفة بل يقيم حيث هو ، ويدعوا الناس فلم يقبل وسار حتى اتى
(والحريصايرة هم ايضا) الى مكان جاءهم فيه رسول من ابن زياد يسلم على الحمر
ولم يسلم على الحسين ودفع الى الحر كتابا من ابن زياد بأمره فيه انه ينزل
الحسين بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء فقرأ الكتاب عليهم ، واثار
على الحسين احداصحابه بمناجزة القوم فقال ما كنت لا ابداهم بالقتال
فلما كان الغد طلعت عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص في اربعة آلاف فارس
الى الحسين ما الذي جاء بك فقال كتب الى أهل معبركم هذا ان اقدم

عليهم فاما اذا كر هوى فأتى انصرف عنهم فكتب الى ابن زياد بذلك فكتب اليه بامرهم أن يمرض على الحسين بيعة يزيد فاذا فعل ذلك رأينا رأينا وأن يمنعهم ومن معه الماء فارسل عمرو بن سعد خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام فلما اشتد العطش على الحسين وأصحابه أمر اخاه لايه العباس بن علي فصار في عشرين رجلا يحملون القرب وثلاثين فارسا فدنوا من الماء وجاهدوا حتى ملئوا القرب وعادوا .

ثم بعث الحسين الى عمرو بن سعد أن القنى الليلة بين عسكري وعسكريك وتحدثوا طويلا ثم رجع كل الى عسكريه ثم التقوا سرا را كتب بعدها عمرو الى ابن زياد ان الحسين قد أعطاني أن يرجع الى المكان الذي أقبل منه أو أن نسيره الى أى ثغر من الثغور شئنا أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده ، وفي هذا لكم رضا وللامه .
 ملاح ، فرضى ابن زياد فقام اليه شمر بن ذى الحوش وقال أتقبل منه هذا وقد نزل بأرضك وإلى جنبك والله لئن رحل من بلادك ليكونن أولى بالقوة والعزة وتكون أولى بالضعف ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه فإن عاقبت كنت ولى العقوبة ، وإن عفوت كان ذلك لك ، فوافقه ابن زياد وأرسله الى عمرو بن سعد بذلك وأن يقاتل الحسين اذا لم يجب فلما وصل شتمه عمرو وقال انى لاظنك أنت ثنيتا أن يقبل ما كنت كتبت اليه به ، فقال له شمر ما أنت صانع ، قال أتولى ذلك ونهض اليه .

أما شمر فانه دعا العباس بن علي وأخوته عبد الله وجعفر وعثمان

وهم من أم البنين بنت خزام (وهي عممة شمر) فأمنهم فقالوا العنك الله ولمن أمانك
لئن كنت خالنا أتؤمننا واس رسول الله لا أمان له ، أما عمر فإنه وصل
إلى الحسين وهو أمام بيته محتجب بسيفه فأبى ظنه أخته زينب
وقال العباس بأخي أتك القوم فنقض وأرسله إليهم وقال انظرونا أو
انصرفوا عنا العشيّة حتى ننظر في هذا الأمر فإذا أصبحنا اتقينا فلما
رضينا وأما ردّ دناه فقال عمرو بن سعد ماتري بأشمر ؟ قال أنت الإمبر ،
واستشار الناس فقالوا أجبهم فأجابهم ورجع فجمع الحسين أصحابه وقال
أني قد أذنت لكم جميعا فانطلقوا في حل ليس عليكم مني زمام هذا
الليل قد غشيتكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل
بيتي ، فلم يقبلوا واستعدوا للموت

فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت أو يوم الجمعة يوم عاشوراء
خرج فيمن معه من الناس ، رعى الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة
وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون رجلا وأعطى رايته العباس
أخاه واحتاطوا للابؤات وامن خلفهم ثم ركب الحسين دابته ودعا بمصحف
فوضعه أمامه وقتل أصحابه بين يديه ثم نادى في الناس ودعاهم إلى
بسموا قوله وينصفوه فما سمع أبلغ منه . وقال له قيس بن الأشعث
أولاتنزل على حكم ابن عمك (يعني ابن زياد) فإنك إن ترى إلا
ماتحب ، فأبى وتقدم الحر الذي سار به في الطريق فأنضم إلى صفوفه
معتبرا مواسيا وانضم غيره أيضا ثم نشبت الحرب بين الفريقين وقاتل
أصحاب الحسين على قتلهم قتالا شديدا وحمل شمر حتى باغ فسطاط
الحسين وأراد أن يحرقه على من فيه من أهله فهاجمهم فانهى ، واشتد

عظمى الحسين قدنا من الفرات ليشرب فرماه حصين بن غيربهم
فوقع في فيه .

ثم ان شمر القبل في ثمر نحو عشرة نحو منزل الحسين فحالوا ايده و بين
رجله وجعل شمر يحرضهم على الحسين حتى احاطوا به وقام غلام من
اهله الى جنبه فصر يوه بالسيف فقطع يده الى الجلد ، وبقي الحسين في ثلاثة
اواربة تحمل على الناس من يمينه وشماله ففرقهم فنادى شمر في الناس
: اذا سخطرون بالرجل ، اقلوه بكلامكم امهاتكم فحملوا عليه من كل
جانب وصربوه بالسيف وبالرمح وهو يقوم ويكبح حتى وقع ونزل
بهم فاحترأسه وسلب ما كان عليه ومال الناس على الفرش والحلل
والابل فاتبوها وهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء ووجد بالحسين ثلاث
وثلاثون طمعة واربع وثلاثون ضربة — واثمروا الى على بن الحسين فارد
شمر قتله فوثب فخرج وكان غده من قتل مع الحسين اثنين وسبعين رجلا
وقتل من اصحاب سعد ثمانية وثمانون رجلا

ولما قتل الحسين ارسل رأسه ورؤس أصحابه الى بن زياد فجمع
الناس وعرضها عليهم واخذ ينكث بقضيب بين ثنيتي الحسين ساعة
واقام عمرو بعد قتله بيومين ثم رجع الى الكوفة وجعل معه بنات الحسين
واخوته ومن كان معه من الصبيان الى بن زياد فارسلهم جميعا الى الشام
وارسل رأس الحسين معهم فلما سمع بهم يزيد دعت عينا وقال لمن جاء بهم
كنت ارضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سمية ،
أم والله لو اتى صاحبه لعقوت عنه ، فرحم الله الحسين ، ولم يكافيء يزيد
احدا ممن جاءه

كان ميدان القتال بين الحسين واعدائه بجهة كربلاء ومن قتله
يوم عاشوراء سنة ٦٠

واذا كان أمر الحسين قد انتهى بقتله فانما تبعة قتله ترجع اليه
وحده ، فانه لم يشهد ولم يتبصر في العواقب ولم يابه لدمج الناصحين
المخلصين اليه من أهله وغيرهم وانخر بكثرة الكتب التي وردت عليهم من
أهل العراق وهم أنفسهم الذين قتلوا أباه وكان خيرا منه وأكثر
في نفوس الناس هبة ، وهم الذين خذلوا أخاه وكادوا بقتلونه ، وكان
لكل منهما يعة في أعناقهم ، والحسين لم يبايعه أحد وربما كانت الكتب
التي وصلت اليه أو أكثرها من دعاة الفتن الذين يريدون الصيد
في الماء العكر بدليل أن منهم من كان في الجيش الذي بقاتله
مع ابن زياد

غير أن قتل الحسين أحدث رجة عظيمة في قلوب المسلمين
عامة لافرق بين الشيعة وغيرهم لانه ابن نبي رسول الله وسيد شباب
أهل الجنة في الجنة وابن الامام على وكان من نتائج ذلك أن الناس
أصبحوا يفضون إلى أمية ويتحفزون للثورة عليهم يريدون الانتقام منهم
كقتله للحسين - أما الشيعة فقالوا : عذ الشدائد تذهب الاحقاد
وبعد ان فرقوا دينهم وكانوا شيعا اتفقت كلمتهم وسووا صفوفهم
واعتبروا أن أرض كربلاء ملطخة بالدم الطاهر الذي بلوح اليهم في
كل وقت بوجوب القصاص ممن أراقه واعتقدوا أنه قتل مظلوم
لأنه كان بطاب بحقه المشروع في الخلافة - ولم يك هذا في الشيعة
من العرب بل كان في الفرس الذين لا يزالون يقيمون يوم عاشوراء

من كل عام مناحة على الحسين في كربلاء ومصر ، وقد كانوا يصفون للناس ذلك المشهد المؤلم رأس الحسين في ناحية وجثمانه في ناحية أخرى ونسأوه وأولاده وأولاد أخيه من حولهما في حر الظهيرة ولا حرمة ولا رحمة ولا مال ولا جاه ، فاقعدوا بذلك نار العداوة لبني أمية - ولعل الذي بعث الفرس على ذلك أنهم أرادوا أن يخلصوا من بني أمية (الذين احتقروا أمر الفرس وجعلوا نار بينهم وحرموهم العمل معهم على يد من يستثيرونهم من العرب عامة ومن بني هاشم خاصة - وعند ذلك أحس الامويون أن الخطر محقق بهم في كل وقت وأن البناء الذي أسسه معاوية معرض الى الخطر ، وبخاصة حينما أخذ الشيعة يتلاومون على ما فرطوا في جنب الحسين وما كان منهم من خذلانهم إياه بعد أن كاتبوه حتى تمكن منه بنو أمية وقد اجتمعوا بالكوفة وتابوا (فسموا النوايين) وتحالفوا على أن يضحوا بأموالهم وأولادهم وأنفسهم في سبيل الاخذ بشار الحسين وقتل من قتله وجعلوا عليهم سليمان بن حرد الخزاعي وقد عملوا على تشويه سمعة بني أمية ووجدوا الجو مناسباً لاداعة اخبار السوء عنهم فكانوا يلفقون عليهم من الاخبار ما شاءوا وكان الناس اذا سمعوا لم يشكوا في صدقها وجاروا الشيعة في أن بني أمية لا يعملون بكتاب الله ولا بسنة رسوله ، واعتبروا أن الحسين قتل شهيدا وأن يزيد بن معاوية كان فاجرا سفاكا وأنه على الأقل لم يعمل بوصية أبيه ، وأن عماله مثله ينتهكون حرمت الدين ولا يعملون على مقتضى قوانين الشرع - وأن بني أمية عامة لا يحبون الا الاستبداد

والأرض قرطبية في الحكم قياسا على ما كان لهم في الجاهلية ، وقد كان لهم
سابقة في محاربة رسول الله رجاء القضاء على دعوته ، وما دخلوا الإسلام
الا كارهين وما صارت الخلافة اليهم بحق وانما أخذوها مقتصبين - كل
هذا كان يحول في نفوس الناس ضد القائمين بالامر من بنى أمية
وعالمهم وما زال هذا الامر ينمو حتى جاءت ثمراته بعد حين بسقوط
دولة بنى أمية وقيام دولة بنى العباس

بيعة ابن الزبير بمكة

بعد قتل الحسين اظهر عبد الله بن الزبير الخلاف على يزيد وبيع
بمكة وكان قد قام في الناس فمعظم قتل الحسين وعاب أهل الكوفة خاصة
وأهل العراق عامة وقال ان أهل العراق غدراء فجاءه الاقليد
وان أهل الكوفة اشرار أهل العراق ، وقال في حق الحسين : أما والله
ما كان يبدل بالقرآن غيا ولا بالبكاء من خشية الله حدارنرقا ولا بالصيام
شرب الخمر ولا بالمجالس في حق الذكر بكلاب الصيد يعرض بيزيد فسوف
يلقون غيا - فثار اليه اصحابه وقالوا اظهر بيعتك فانه لم يبق احد
اذهلك الحسين ينازعك هذا الامر وكان يبايع سرا ويظهر انه عائد
بالبيت ، فقال لهم لا تعجلون ، وكان عامل مكة وهو عمرو بن سعيد
يرفعه ويداريه وعلم يزيد فعاهد الله ليوثقنه في سلسلة فبعث اليه سلسلة
من فضة مع جماعة لياتوه به فيها ، وبعث معهم برنس خز ليلبسوه عليها
لثلاث تظهر للناس ، فامتنع ابن الزبير فقال الوليد بن عتبة وناس من بنى
أمية ليزيد . لو شاء عمرو لاخذ ابن الزبير وسرحه اليك فعزله يزيد

بالوليد هذا - فلما نولى اقام يزيد غرة بن الزبير فلا يجده الا محترزا ممتنعاً
اما ابن الزبير فكتب الى يزيد انك بعثت الينا رجلاً اخرق
لا يرفعوى لمظنة، فلو بعثت رجلاً سهل الخلق رجوت ان يسهل من
الامور ما استوعر، وان يجتمع ما تفرق فعزله بمحمد بن ابي سفيان وكان
حدثاً غراً لا تجرب له. فبعث الى يزيد وفداً من اهل المدينة فأغدق عليهم
فرجعوا الى المدينة (الا المنذر بن الزبير فانه قدم العراق على بن زياد) واظهروا
شتم يزيد وعيبه، وقالوا قد مننا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر
ويضرب بالطناير ويعزف عنده الفيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده
الحربي (الصوص) وانا نشهدكم اننا قد خلعناه - وكان منهم عبد الله بن
حنظلة غسيل الملائكة فقال جيشكم من عند رجل لو لم اجد الابن هؤلاء
لجاهدته بهم، وقد اعطاني واكرمني، وما قبلت منه عطاءه الا لا تقوي
به، فخلع الناس يزيد وباعوا ابن حنظلة

ولما رجع المنذر بن الزبير الى المدينة اخبر الناس عن يزيد بمثل
اخبار اصحابه وعابه بمثل ما عابوه به واشد

فبعث يزيد النعمان بن بشير الانصاري الى المدينة فجاءهم وأمرهم بلزوم
الطاعة وخوفهم الفتنة واندزهم فعصاه الناس فانصرف وأخرجوا محمد
ابن ابي سفيان وحصره بنو أمية فاجتمعوا ومواليهم ومن رى
رايهم في الف رجل ونزل دار مروان وكتبوا الى يزيد يستغيثونه
فاستشار عمرو بن سعيد وأمره ان يسير اليهم في الناس، فقال: قد كنت
ضبطت لك الامور والبلاد، واما الان اذا صارت دماء قريش تهرق

بالصعيد ، فلا أحب أن أتولى ذلك - فارسل الى ابن زياد يأمره بالمسير الى المدينة ومحاصرة ابن الزبير بمكة فاعتذر (وقعة الحرة)

ثم أرسل يزيد الى مسلم بن عقبة المري فأمر الناس بالتجهز الى الحجاز فاتدب لذلك اثنا عشر الفا وقال يزيد لمسلم أدع القوم ثلاثا فان أجابوك والا فقاتلهم ، فاذا ظهرت عليهم فأبجها ثلاثا ، فكل ما فيها من مال او دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند ، فاذا مضت الثلاث فأكفف عن الناس ، وانظر على بن الحسين واستوص به خيرا ، وسمع عبد الملك بن مروان بمسير الجيش الى المدينة فاستعظم الامر ولكنه وقع فيه أيام ولايته اذ وجه الحجاج فحصر مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير على ماسبيج ، سار مسلم بن عقبة بالجيش وبلغ أهل المدينة خبره فشدوا حصار بنى أمية بدار مروان ثم استنزلهم وعاهدوهم على الا يظاهروا عليهم عدواً وأخرجوهم من المدينة ، فساروا بانقلاهم حتى لقوا مسلما بوادي القرى فإشار عليه عبد الملك بن مروان أن يأتي المدينة من قبل الحرة أي من الشرق ففعل مسلم ودعا أهل المدينة ثلاثا فلم يستجيبوا له وقالوا نحارب فقال لا تفعلوا بل ادخلوا في الطاعة ونجتمع على ابن الزبير فابوا ، وكانوا قد خندقوا عليهم واستعدوا ، فاقبل مسلم من ناحية الحرة وأمر بالقتال فانهزم جنده مرات حتى لقد بلغ الفضل بن عباس بن الحرث بن عبد المطلب أطناب مسلم وقتل وبينه وبينه نحو عشرة أذرع ، أقبلت خيل مسام على ابن حنظلة واقتتلوا قتالا شديدا حتى قتل ابن حنظلة وبنوه وجماعة معه فانهزم الناس وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد ما أبلى

وأباح مسلم المدينة ثلاثة أيام فافزع ذلك من بهامن الصحابة، فخرج ابو سعيد الخدري فأوى الى كهف الجبل فكاد يقتله رجل شامى لولا انه عرفه بنفسه

ودعا مسلم الناس الى البيعة على انهم عبيد وخول ليزيد يحكم في دمائهم ومواليهم واهليهم ماشاء. فمن امتنع من ذلك قتله الا على بن الحسين فانه لم يلزمه البيعة على ما شرط على أهل المدينة، واحضر على ابن عبد الله بن عباس ليبايع وكانت أمه من كندة، فقال الحصين بن نمير السكوني . لا يبايع ابن اختنا الا على بيعة على بن الحسين. وقامت كندة فتركه مسلم

وكانت وقعة الحرة ثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٢

حصار مكة وبدء المناوشة بين ابن الزبير وبنى أمية

لما فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهبها شخص بمن معه يريد مكة هزمت في الطريق فلما حضره الموت احضر الحصين بن نمير واوصاه بالاسراع وتعجيل المناجزة والا يمكن قريشا من اذنه وكان يزيد قد أوصى مسلماته بأميره اذا هلك، فسار الحصين بالناس فقدم مكة لاربع بقين من المحرم سنة ٦٤ وقد بايع اهلهما وأهل الحجاز عبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه - ولحق به المنهزمون من أهل المدينة، فخرج ابن الزبير للقاءه ومعه اخوه المنذر، فبارز المنذر رجلا من أهل الشام فضرب كل منهما صاحبه ضربة مات منها، ثم حمل أهل الشام حملة انكشف منها اصحاب عبد الله ولكنه ظل يقاتل الى ان انصرف عنه أهل الشام، ثم

تابعوا القتال بقية المحرم وصفر كله حتى اذا مضت ثلاثة أيام من ربيع الاول
 رمو البيت الحرام بالحجائيق من فوق جبل أبى قبيس وحرقوه بالدار وقد ترك
 ابن الزبير الكعبة تحترق ليشتم على بنى أمية - فبينما كذلك اذ ورد
 على الحصين موت يزيد - فارسل الى ابن الزبير : ان الذى وجهنا
 لمحاربتك قد هلك فهل لك فى المواءعة وتفتح لنا الابواب فنطوف بالبيت
 وبمخاطب الناس بعضهم يممض فكان ذلك فاتحة عصر جديد لابن الزبير ،
 وقد قبل المواءعة وأمر بابواب المسجد ففتحت فجعل الحصين واتباعه
 يطوفون بالبيت ثم استقبله ابن الزبير فاخذ بيده الحصين سرا وقال له :
 هل لك فى الخروج معى الى الشام فادعوا الناس الى بيعتك فان أمرهم
 قد مرج ولا أرى أحدا أحق بها اليوم منك ولست أعصى هناك ،
 فاجتذب ابن الزبير يده من يده وقال وهو يجهر بقوله : لا بد أن أقتل
 بكل رجل من أهل الحجاز عشرة من أهل الشام ، فقال له الحصين :
 لقد كذب من زعم انك من دهاة العرب ، أكلمك سرا وتكلمنى علانية ،
 وأدعوك الى الخلافة وتدعونى الى الحرب ؟ ثم انصرف الى الشام فى
 أصحابه ، وهذه من أكبر غلطات ابن الزبير ، وكان يرى أن يمد سلطنة
 بلاد الحجاز على العالم الاسلامى كما كان الحال أيام أبى بكر وعمر وعثمان ،
 ولو ذهب الى الشام لكان له شأن آخر

ولابن الزبير غلطات أخر ومنها انه كان يقبض يده كثيرا فى حين
 ان بنى أمية كانوا يستميلون الناس بالبذل وقد رسم لهم معاوية هذه
 الخطة لعله ان المال للانسان فتان فكان يعطى من وافقه ومن خالفه ،
 ولذا قل أنصار ابن الزبير تدرجوا ، وهذا الى ما كان من اعجابه واستغنائه

برأيه عن مشورة غيره ، وقلة الرجال اولى الدراية والمقدرة الحربية حوله
 لانهم ارتحلوا الى الشام والعراق ، ثم الى ظهور الاحزاب التي قامت
 ضده على ما-يجيء

وأعلم ان حركة ابن الزبير قديمة وربما رجع عهدها الى أيام أبيه
 وحزبه ، بدليل انه كان يحرضه على قتال علي في وقعة الجمل كما سلف
 ويقال انه هو الذي أقنم السيدة عائشة بالعدول عما عزمت عليه عند
 الحوآب - ثم مضت فترة سكن فيها ابن الزبير بدبر أموره ويعمل على
 تحقيق اطماعه في الخلافة فصدقت فراسة معاوية فيه - وقد طلب منه
 أن يبایع ليزيد بعد موت معاوية فأبى وفر من المدينة الى مكة لانذا
 بالبيت ولحقه الحسين فما زال يحرضه على الخروج الى العراق حتى بصفو
 له الجو بمكة ، فلما قتل الحسين دعا لنفسه كما علمت .

وبعد فان ارسال الحيوش الى أهل الحرمين الشريفين وانتهاك
 حرمت الاماكن المقدسة ، وابعاد حرم الرسول ومدينته مهبط الوحي
 وقتل أصحابه الذين عززوه ونصروه ، واكراههم على البيعة على
 أنهم عبيد ليزيد ثم اراق البيت الحرام أول بيت وضع للناس ومن دخله
 كان آمناً ، قد ألحبت قلوب المسلمين غيرة على دينهم وملاها حقدا على
 يزيد خاصة وبني أمية عامة وبخاصة لان دم الحسين الذي أراقوه
 لا يزال رطبا يطاخ أرض كربلاء

والمدافع عن يزيد ينجح الى أن هؤلاء قد خرجوا على الدولة
 وأهلها وخلموا الحاکم وأعلنوا العصيان وبادروا او استعسوا

لمبادرته بالقتال وأخرجوا عماله وبيعوا غيره علانية وله في أعناقهم بيعة .

والمدافعون عن أهل الحرمين يذهبون إلا أن يزيد قد جار وفجر وعم ظمه ورساء سياسة عماله وقتلوا ابن بنت الرسول وانصاره ولم يراعوا حرمة ولا حقه فيجب على أهل الملة أن يستبدلوا دولة الظلم بدولة أخرى تقوم بالنسط وتعديل في الحكم

(الفتح في عهد يزيد)

قد انقضت سنواته الثلاث في حروب داخلية ، ومع هذا فإن عمال الاطراف كانوا يغربون على ما يجاورهم من البلدان ومن أخص ذلك .

(١) اغار سلمة بن زياد بن أبيه وهو والى على خراسان على ما وراء النهر ، اذ أرسل المهلب بن أبي صفرة في أربعة آلاف أو ستة فمهر بهم النهر فما زال يحارب أهل تلك النواحي حتى صالحوه على نيف وعشرين ألف ألف ثم غزا سلم سمرقند .

(٢) وغزا عقبة بن نافع والى إفريقية أرض الزاب وتاهرت وانتهى الى طنجة ثم سار نحو السوس فغزا البربر وانتصر عليهم فلما أشرف على البحر المحيط قال يارب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك ثم عاد الى القيروان وفي عودته لقيه كسيله النصراني البربري . فدافعه عقبة بمن معه فاستشهد عقبة وأبو المهاجر وعامة أصحابها .

(وكان كـسيلة قد أسلم أيام ولاية أبي المهاجر الانصارى افريقية ، فلما
 ولى عقبة عرفه أبو المهاجر محل كسيلة وأمره بحفظه فلم يقبل واستخف به
 فاضمر كسيلة الغدرو كان فى عسكر عقبة جماعة وافتوا كسيلة ثم راسلته الروم ،
 فاطهر كسيلة ما كان أضمر وجمع أهله وبني عمه وقصد عقبة فقال له أبو المهاجر
 عاجله قبل أن يقوى جمعه ، فحاربهم عقبة وأبو المهاجر ولكن المسلمين انهزموا
 وقصد كسيلة القيروان وأقام بها غير مدافع إلى أن قوى عبد الملك بن مروان
 فندب لقتاله زهير بن قيس البلوى فتوجه اليه فواقعه وقتله وهزم جنده وقتل
 منهم مقتلة عظيمة)

— (معاوية الثانى) —

كنيته أبو عبد الرحمن وهو معاوية بن يزيد بن معاوية - بويح
 بالخلافة بعد أن مات يزيد بعهد منه اليه ، وذلك فى شهر ربيع الاول
 سنة ثلاث واربعين فلم نطل مدته فى الخلافة ، ملك اربعين ليلة وقيل
 ثلاثة أشهر ثم خلع نفسه ، فانه كان رجلا صالحا - ولهذا يقال فى حق
 أبيه : يزيد شر بين خيرين يعنون بذلك بين أبيه معاوية وابنه
 معاوية هذا .

ولما أراد خلع نفسه قال أيها الناس ضعفت عن أمركم فاختروا من
 أحببتكم ، فقالوا اول أخاك خالدا ، فقال والله ما ذقت حلاوة خلافتكم
 فلا أتقلد وزرها ثم صعد المنبر فقال : أيها الناس ان جدى معاوية
 نازع الامر اهله ومن هو احق به منا لقرايته من رسول الله وهو على
 ابن ابن طالب وركب بكم ما تعلمون حتى اتته منيته فصار فى قبره رهينا

بذنوبه واسيرا بخطاياہ ، ثم قلد ابي الامر فكان غير اهل لذلك وركب
 هواه واخلفه الامل وقصر عنه الاجل وصار في قبره رهينا بذنوبه
 واسيرا بجرمه ، ثم بكى حتى جرت دموعه على خديه ثم قال ان من اعظم
 الامور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه وقد قتل عترة رسول
 الله واباح الحرم وخرب الكعبة : وما انا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم
 فشانكم امركم ، والله لئن كانت الدنيا خيرا فلقد نلنا منها حظا ولئن كان
 شرا فكفى ذرية أبي سفيان مأصا بوا منها - الا فليصل بالناس فلان
 وشاوروا في خ- لا فتكم رحمكم الله ثم دخل منزله وتغيب حتى مات
 في سنته بعد ايام

ويقال انه قال للناس ايضا . اني ضعفت عن امركم فالتمست
 لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه ابوبكر فلم اجده ، فابتغيت ستة
 مثل ستة الشورى فلم اجدهم فانتقم اولي بأمركم فاختروا له من احبيتهم
 فانف الناس من قوله وخاف بنو أمية ان تزول الخلافة منهم وماج
 امرهم واختلفوا

لقد ذكر معاوية هذا تاريخ ابيه وأحصى ما كان من اسوأ سيئاته
 ونزل للناس عن خلافته لانه كان رجلا صالحا تقيا

ويظهر لي ان ذلك كله من وضع الشيعة لتكون حجتهم في محاربة
 بنى أمية والمطالبة بدم الحسين قوية ، ولهذا احكموا اطراف هذه الحجة
 بما اشع من ان معاوية هذا قتل مسموما او طعن اى ان بنى أمية قتلوه
 لمجاهرته باخبار السوء عن معاوية وبزبد

هذا وبموته انتهى ملك بني أبي سفيان وانتقل الى مروان
وبني مروان

بيعة ابن زياد بالعراق وفراره

انتهر ابن زياد فرصة موت يزيد وقد اختلف الناس بالشام على
من بلى الملك من بعده ودعا أهل العراق الى أن يختاروا لانفسهم
رجلا يرضونه فيرضاه، حتى اذا اجتمع أهل الشام على رجل يرضونه
دخلوا فيما دخل فيه المسلمون، فقالوا له ما نعلم أحدا أقوى عليها منك
فلم فلنبايعك فتمنع ثلاثة أيام ثم بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا ومسحوا
أيديهم بالحيطان وقالوا أظن ابن مرجانة اننا ننفذ له في الجماعة والفرقة؟
وخلعوه

ثم أرسل الى أهل الكوفة بدعوه الى الدخول فيما دخل فيه
أهل البصرة فقالوا لا ولا كرامة، أبخلهم أهل الكوفة ونوليه نحن ؟
فضمف سلطانه حتى كان لا ينفذ له أمر ولا نهى ،

ودعا سلمة بن ذؤيب النخعي في البصرة الى ابن الزبير فجعلوا
يصفقون على يديه يبايعونه ، فبلغ ابن زياد الخبر فقام يعاتب الناس على
نكثهم بيعته وانباع سلمة الذي جاء ليفرق جماعتهم فقال له الاخنف بن
قيس نحن نأثيك بسلمة ولكنهم رأوا جمعه عظيما فقمعدوا عن ابن زياد
فدعا الناس الى معونته فابوا عليه فاستعان بالحرث بن قيس الازدي
الجهضمي فأسري به ليلا حتى أدخله داره في الجهاضم بعد أن فرق زياد
ماكان في بيت المال على مواليه وادخر شيئا منه لآل زياد - ثم اشار

على قيس ان ينزله دار مسعود بن عمرو في دور الازد فقال له مسعود
اتري لنا ان نعادي اهل مصرنا في عبيد الله ولم نجد من ابيه مكافأة
ولا شكرا فقال له الحرث انه لا يعاديك احد على الوفاء على بيعتك حتى
تبلغه مأمنه أفتخرجه من بيتك بمد ما دخل عليك؟ فامر به ان يدخل بيت
أخيه عبد الغافر ثم ركب الحرث ومسعود وجماعة من قومه فطافوا في
الازد وقالوا ان ابن زياد فقد، وانا لانأمن أن نلحظوا به فاصبحوا
في السلاح

ولما فقد بن زياد بقي اهل البصرة في غير أمير واختلفوا فيمن
يؤمرون عليهم فاختروا رجلين كان أحدهما يعيل الى بنى امية والاخر
الى بنى هاشم فوقع الاختيار على عبد الله بن الحرث بن نوفل بن
الحرث بن عبد المطلب واقبل الناس به على دار الامارة فنزلها في جمادى
الآخرة سنة ٦٤

ثم اتفق الازد وربيعه على رد ابن زياد الى دار الامارة وانفق
ابن زياد مالا كثيرا فيهم وجاء مسعود فدخل المسجد وصعد المنبر
وتقاتل الازد وبنو نمير على أبواب المسجد واستنزل التميميون مسعودا
وقتلوه فلما قيل لابن زياد ان مسعودا قتل هرب الى الشام وتبعوه
فأعجزهم فنهبوا ماله - ويقال أن الذي قتل مسعودا هم الخوارج
في هذه الفرصة المناسبة وتقاتل الازد وبنو نمير من جراء قتله حتى
تبرأت تميم من دمه وجاء الاحنف بن قيس فاعتذر الى الازد وسفر
بينهم الناس فرضوا بعثروا فاجابهم الاحنف الى ذلك واصطلحوا

عليه ، ولابن زياد بقية حديث

فاما عبد الله بن الحرث فانه أقام يصلى بهم حتى قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر أميرا من قبل بن الزبير فبقى شهرا وخلفه في الإمارة عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي .

وأما أهل الكوفة فانتخبوا بعد حين عاصم بن مسعود بن أمية الجمحي وكتبوا الى ابن الزبير فاقروا عليها فمكث ثلاثة أشهر من مملكته يزيد ثم نولى محمد بن الأشعث بن قيس الموصل فاجتمع لابن الزبير أهل الكوفة والبصرة وأهل الجزيرة ومن بالقبالة من العرب ، وبلاد الشام الا الاردن ، وكان أمر خراسان مضطربا فولى عليها من قبله عبد الله بن خازم .

مروان بن الحكم

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الملك القرشي الاموي — ولد بمكة بعد ابن الزبير بأربعة أشهر .

وهو بن عم عثمان بن عفان وكاتبه ومن أجله كان ابتداء بفتنة عثمان وقله ثم انضم الى ابن عمه معاوية بن أبي سفيان وتولى عدة أعمال الى ان وثب على الامر بعد اولاد يزيد بن معاوية

وكان الحكم قد اسلم عام الفتح ونفاه النسي الى الطائف لانه كان يتجسس عليه ، ولما مات الرسول كلم عثمان أبا بكر في رده لانه عمه فلم يفعل ثم كلم عمر في ولايته فلم يفعل ، فلما ولي عثمان رده وقال ان رسول الله وعدني أن يرده الى المدينة فكان ذلك مما أنكر الناس علي عثمان ، وقدرت

أخبار كثيرة في لعنه ولعن من صلبه وكن يقال له ولولده بنو الزرقاء يقول ذلك من يريد ذمهم وعيبيهم والزرقاء جدة مروان بن الحكم لآبيه وكانت من ذوات الرايات التي يستدل بها على ثبوت البغاء فلماذا كانوا يذمون بها وأصل هذا كان قبل أن يتزوجها أبو العاص فإنه كان من أشرف قريش ولا يكون هذا من امرأة له وهي عنده

بيعة مروان

لما بويج الى ابن الزبير بالخلافة وأخرج بنى أمية ومروان بن الحكم وعبد الملك ابنه الى الشام قدم الحصين بن نير من محاصرة ابن الزبير فاخبر مروان بما كان بينه وبين ابن الزبير وقال له ولبنى أمية نراكم في اختلاط فاقيموا أميركم قبل أن يدخل عليكم شأنكم فتكون فتنة عثمياء صماء

وكن من رأى مروان أن يسير الى ابن الزبير فبإيابه بالخلافة ، فلما قدم ابن زياد الشام قال له قد استحييت لك من ذلك ، أنت كبير قريب وسيدها تمضي الى ابن أبي خبيث فبإيابه فقال ما فات شيء بعد فقام اليه بنو أمية ومواليهم وتجمع اليمنية فسار الى دمشق وهو يقول ما فات شيء بعد فقدم دمشق ضحك بن قيس بها قد بايعه الناس على أن يصلي بهم ويقوم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس وهو يدعو الى ابن الزبير سرا - وكان زفر بن الحرث الكلابي بقسرين والنعمان بن بشير بمحصر بإيعان له أيضا - وكان حسان بن مالك بن مجدل الكلابي بفلسطين عاملا لمعاوية وابنه زياد وهو يريد بنى أمية فسار الى الاردن يدعو الى بنى أمية واستخلف على فلسطين روح بن زباب الخداعي فثار نائل بن قيس بروح فاخرجه وباع لابن الزبير

وباع أهل الأردن حسان على أن يجنبهم ابنى يزيد ، عبد الله وخالدا
وقالوا انا نكره أن يأتينا الناس بشيخ ونأنيهم بصبي
وكتب حسان الى الضحاك يعظم بنى أمية وبذم ابن الزبير وأنه
خلع خليفتين ، فلما قرى الكتاب على الناس فقام الامويون وشتموا
ابن الزبير وثاروا حتى قام من سكنهم ، أما الضحاك فقد حبس جماعة
من بنى أمية فجاء بنو كلب وبنو غسان فأخرجوهم - (وكتب أخوال
يزيد وأخوال ابنه خالد وعبد الله) ثم خرج الضحاك الى المسجد فصب
يزيد بن معاوية فقام اليه شاب من كلب فضربه بمصا وثار الناس واقتتلوا ،
وكان التديسيون أو المضربون يدعون الى ابن الزبير وكتب تدعو الى بنى
أمية ثم الى خالد - ثم اتفق الضحاك مع بنى أمية (بعد أن اعتذر اليهم
وقبلوا عذرهم) أن يكتبوا الى حسان ويكتب معهم ليجمعوا بالجابية
ويبايعوا الرجل من بنى أمية - فقال له الناس دعوتنا الى ابن الزبير
فبابضاك على ذلك ، وأنت تسير الى هذا الاعرابى من كلب تستخلف
ابن أخته خالد بن يزيد ؟ قال الضحاك فما رأى قالوا نظهر ما كنا نكتم
وتدعوا الى ابن الزبير ، فرجم الضحاك ومن معه من الناس فنزل بمرج
رامطواجتمع بنو أمية وحسان وغيرهم بالجابية - وكان مالك بن هبيرة
السكونى يريد خالدا والحصين بن نمر يريد مروان - فقال مالك
للحصين هل نبايع هذا الغلام فقال الحصين لا والله ، لا تأتينا العرب
بشيخ ونأنيها بغلام ، فقال مالك ائن استخلفت مروان ليعمدك على
سوءك وشراك نعملك وظل شجرة تستظل بها ، ان مروان أبو عشيرة
أو خو عشيرة فان بابعموه كنتم عبيدا لهم ولكن عليكم بابن أختكم ،

فقال الحسين والله لنستخلفنه ، وقام روح بن زنياع فقال : تذكرون عبد الله بن عمر ولكنه ضيف ، وتذكرون ابن الزبير ولكنه منافق قد خلع خليفتين يزيد ومعاوية وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وأما مروان فوالله ما كان في الاسلام صدع الا كان ممن بشيعه وانا نرى للناس أن يبايعوا الكبير (مروان) وبستشير والصغير (خالد) فاجتمع رأيهم على البيعة لمروان ثم لحالد بن يزيد ثم عمرو بن سعيد بن العاص بعد خالد ، على ان امرة دمشق لعمر ، وامرة حمص لحالد — فدعا حسان خالد اذ ذكر له ماتم ثم بايعوا لمروان لثلاث خلون من ذى الحجة سنة ٦٤

وقعة مرج راهط

لما بايع الناس مروان ساروا من الجابية الى مرج راهط والضحاك ابن قيس هناك ومعه الف فارس وكان قد استمد النعمان بن بشير فامده بشر حبيب بن ذى الكلاع — واستمد أيضا زفر بن الحرث فامده باهل قنسرين وأمدته ناتل بأهل فلسطين فاجتمعوا عنده واجتمع على مروان كلب وغسان والسكاسك والسكون — وكان يزيد بن أبي الغمس الفسائي مختفيا بدمشق لم يشهد الجابية فغلب على دمشق واخرج عامل الضحاك منها وحاز ما في الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وامده بالاموال والرجال والسلاح — فكان اول فتح على بنى أمية

ثم تحارب الضحاك ومروان بمرج راهط عشرين ليلة اقتتلوا فيها قتالا شديدا حتى قتل الضحاك ، قتله دحية بن عبد الله ، وقتل معه ثمانون رجلا من اشراف الشام وقتل من الفريقين عدد لم يقتل مثله في موطن

قط وكانت الموقعة سنة ٦٤ أو ٦٥ - ولما رأى مروان راس الضعك
سأه ذلك وقال: حين كبرت سنى ودق عظمى اقبلت بالكتاب
اضرب بعضها بيده

ولما انهزم الناس من المرج لحقوا باجنادهم : فاتى أهل حمص
اليها وعليها النعمان ابن بشير ، فهرب ومعه امراته وثقله واولاده ، واصبح
أهل حمص فطلبوه وقتلوه وردوا أهلهم معهم رأسه - ولما بلغت خبر الهزيمة
زفر بن الحرث هرب من قنسرين ولحق بقرقيسا على الخابور واعتصم
بها واجتمعت اليه القيسية فظل الى أن مات مروان فارسل اليه عبد
الملك جيشا بقيادة ابن زياد فهزمه زفر ، فسار عبد الملك بنفسه اليه
فلم يتمكن منه ثم انتهى الامر بينهما على الصلح وامان من معه وصاهره
عبد الملك فاخذ ابنته لابنه وبذلك صار القيسية واليمانية تحت لوائه مؤقتا
وهرب نائل من فلسطين فلحق بابن الزبير بمكة فاستعمل مروان
روح بن زنباع وبذلك استوثق الشام لمروان فاستعمل عماله عليها
هذا ومهما يكن من امر انتصار مروان فالملحوظ ان المرحلة التي قطعها
معاوية بن أبى سفيان لامائة المصيبة القبلية ومزج قبائل العرب مزجا
تاماً كانها لم تكن ، اذ ان عرب الشام دبت فيهم تلك الروح ثانية ومال
القيسيون الى ابن الزبير والكايبون من اليمانيين الى بنى أمية ، على ان
الكلبيين كانوا فريقين ففريق يدعو الى خالد بن يزيد لانه ابن اختهم
وفريق يدعو الى مروان ، لانه الذي يصلح ان يعادل ابن الزبير ، ومن
اجل ذلك وقع التنافس بين افراد البيت المالك ، وامتدت اعناقهم جميعا

الى الوثوب على عرش الخلافة حتى كان مؤتمر الجابية الذي اتفقوا فيه على ارضائهم جميعا بالبيعة الى مروان ثم الى خالد بن يزيد ثم الى عمرو بن سعيد .

على ان ذلك لم يطفىء نار العصبية التي اشتعلت فاليقيسيون لم ينسوا بعد قتلهم في مرج راهط وهم يترقبون الفرصة للوثوب والفتك باليمنيين ويحرقون الارم ويتميزون غيظا مما اصابهم ، يدل على ذلك قول زفر بن زفر وهو بقر قيسيا من قصيده

فلا صلح على حتى تنحط الخيل بالقنا وتثار من نسوان كلب نسايا
والنحط صوت الخيل من الثقل والاعياء

والخلاصة ان وقعه مرج راهط (وان كانت سببا في رد الملك الى بني أمية بعد ان كاد يزول عنهم الى بني اسدين عبد العزي اى الى عبد الله بن الزبير) جعلت العرب في الشام فريقين غنية وقيسية ولليمنية الغلب والفتخار على القيسية بهذه الواقعة ولهم أيضا امتيازات - قالوا ان حسان بن مالك وكان رئيس القحطانية بالشام وسيدها اشترط على مروان ما كان لهم من الشروط على معاوية وأبنائه ، ومنها أن يفرض لهم لافى رجل الفين الفين ، وان مات قام ابنه وابن عمه مكانه كوارث ، وأن يكون لهم الامر والنهى وصدر المجلس ، وكل ما كان من حل وعقد فعن رأى منهم ومشورة ، فرضى مروان بذلك ، لانهم الذين أجلسوه على العرش ، ولذلك يقال ان مروان أول من أخذ الخلافة بحمد السيف كرها بغير رضا من عصبية الناس

فتح مروان مصر

كان عبد الله بن الزبير حين بويج بالخلافة في مكة توجه اليه جماعة من أهل مصر وبأمره فارسل اليهم عبد الرحمن بن حنبل القهري اميرا في شعبان سنة ٦٤ فدخل مصر ودخل معه جماعة كثيرة من الخوارج وأظهروا دعوة ابن الزبير بمصر ودعوا الناس لبيعتهم فتابعهم الناس والجند على ما في قلوبهم من الحب في الباطن لبني أمية

وبينما هم على ذلك اذ وصل الخبر من الشام ببيعة مروان بن الحكم بالخلافة وان أمره تم ، فصارت مصر معه في الباطن ، وفي الظاهر لابن الزبير - حتى جهز مروان جيشا مع ابنه عبد العزيز الى ايلة ليدخل مصر من هناك ، وركب مروان في جيوشه وجموعه وقصد مصر - فلما بلغ عبد الرحمن استعد لحربه وحفر خندقا في نحو شهر وسار مروان حتى نزل عين شمس (المطرية) فخرج عبد الرحمن فتعاربوا يوما أو يومين فسكران بين الفريقين مقتلة عظيمة ، ثم آل الامر بينهما الى الصلح على أن يقر مروان عبد الرحمن ويدفع اليه مالا وكسوة ، ودخل مروان مصر في غرة جمادى الاولى سنة ٦٥ وبأمره الناس الا قليلا فحارب أعناقهم وكانوا ثمانين وكان في ذلك اليوم موت عبد الله بن عمرو بن العاص فلم يستطع أحد أن يخرج بمخازنه الى المقبرة فدفنوه في داره)

ثم خرج مروان من مصر يريد الشام بعد أن ولي ابنه عبد العزيز على مصر وجمع الصلاة والخراج وأوصاه بالرفق على أهل مصر

ولمادنا مروان من دمشق بلفه ان ابن الزبير قد بعث اليه أخاه مصعبا في جيش فارسل اليه مروان عمرو بن سعيد قبل أن يدخل الشام فقاتله

فانهزم ، مصعب ، وكان مصعب شجاعا ، ثم عاد مروان الى دمشق فاستقر بها
هذا وقد لبث عبد العزيز بن مروان في مصر عشرين سنة ومات بها
(قبل أخيه عبد الملك بسنة)

« بيعة مروان لولديه وموته »

أمر مروان بن الحكم بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز - وسبب ذلك
أنه لما انتصر عمرو بن سعيد على مصعب بن الزبير بفلسطين بعد فتح
مصر ، رجع الى مروان وهو بدمشق قد غلب على الشام ومصر ، ثم بلغ
مروان ان عمرا يقول ان الامر لي بعد مروان فدعا مروان أحد
خواصه فذكر له ما يقول عمرو فقال له انا اكفيك عمرا ، فلما اجتمع الناس
عند مروان عشيا قام ذلك الرجل فقال انه قد بلغنا ان رجلا يتمنون
أبائى ، قومه فبايعوا عبد الملك وعبد العزيز من بعده فبايعوا عن آخرهم
ومات مروان بعد مدة يسيرة وفي سبب موته خلاف كثير

كان مروان قد أراد أن يعهد لخالد بن يزيد بن معاوية فانه كان
قد خلعه من الخلافة وتزوج بأمة ثم بدأه ان يعهد لولديه (ف فعل) ثم
كفاه ذلك حتى أخذ بضع من خالد ويذهب الناس فيه ، وكان خالد يجلس
معه فدخل يوما فاتهمزه وقال تنح يا ابن رطبة الاست والله ما لك عقل
وبلغ أم خالد ذلك فاضمرت له السوء فدخل مروان عليها وقال لها :
هل قال لك خالد شيئا فانكرت فنام عندها فوثبت هي وجواربها فعمدت
الى وسادة فوضعتها على وجهه وغمرته هي والجوارى حتى مات ثم

صرنهن وقتلن مات فجأة -

ويقال انه مات مطعونا بدمشق

هذا وتعد البيعة لاثنيين من أهم العوامل في سقوط دولة بني أمية

سنة ١٠٠ خلافة عبد الملك

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم ، ويقال له ابو الاملاك ، وذلك
لانه ولي الخلافة اربعة من ولده : الوليد وسليمان ويزيد وهشام
بوقع بدمشق ثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين ، ومات بها
لنصف من شوال سنة ٨٦ وعمره ستون أو ثلاث وستون سنة ، ومدة
خلافته منذ قتل بن الزبير ثلاثة عشر سنة واربعة أشهر ومنذ اجتمع
عليه نحو ٢٢ سنة وكان عاقلا حازما اديبا فقيها ومن احسن الناس في
شبيبته ديناً ، ولما سلم عليه بالخلافة أول تسليمه والمصحف في حجره
أطبقه ، وقال هذا فراق بيني وبينك وكان يقول صرت اعمل الخير فلا
اسر به وأصنع الشر فلا أساء به وكان أول من غدر من الخلفاء وأول
من نهى عن الكلام في حضرة الخلفاء وأول خليفة بخل وكان يقال له
(رشح الحجر) لبخله وأول من نهى عن الامر بالمعروف فانه قال في
خطبته بعد قتل ابن الزبير : ولا يأمرني أحد بتقوى الله الا ضربت عنقه
- وأول من نقل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية ، حولها
سليمان بن سعيد من الرومية ، وصالح بن عبد الرحمن من الفارسية
وكان يقول ما أناب الخليفة المستضعف يزيد عثمان ، ولا بالخليفة المداهن ،

يريد معاوية ، ولا بالخليفة المأفون ، يريد يزيد ، فمن قل برأسه كذا قلنا
بسيفنا كذا

وقد استقبل بخلافته مصاعب وصادفته متاعب غير أنه تغاب عليهم أو كانت
البلاد الإسلامية أحزابا وشيعا وكل حزب بما لديهم فرحون
فابن الزبير خليفة بمكة والمختار بن أبي عبيدة مستبد بالمراق بدعوا إلى
ابن الحنفية والحوارج لا تنتهي ثوراتهم بفارس وجزيرة العرب وهؤلاء
جميعا من الدواعي القوية التي تهدده ، على أن من أفراد بيته من كان
يقربهم به الدوائر ويطلب غرته كمرو بن سعيد كما سترى في حديثه ،
ومن البقاع ما كان يتمخض بالثورة كجهات انطاكية وفيها الجراحه
(المردة) على ما سيأتى — فما زال عبد الملك يعمل حتى ذل هذه
العصا كلها وأصبح خليفة غير منازع في بلاد الإسلام عامة

❦ خبر المختار إلى قتله ❦

كان المختار بن أبي عبيد الثقفي خارجيا مبعوثا إلى الشيعة لتقصيره في أمر
الحسن بن علي ، فلما كانت أيام الحسين استعد لنصرة مسلم بن عقيل وتشيع فاخذه
ابن زياد وضربه وحبسه حتى قتل الحسين ثم شفع فيه إلى يزيد عبد الله بن عمر
(لأنه كان قد تزوج اخته صفية بنت أبي عبيد) فكتب إلى ابن زياد فاطلته
على ألا يقيم غير ثلاث ، فذهب إلى الحجاز واتصل بابن الزبير فكنم عنه أمره
ففارق المختار سنة ثم عاد فاذا ابن الزبير يسأل عنه فاطمئنه به على ألا يقضى الأمور
دونه وأن يكون أول داخل وأن يولى أفضل الأعمال إذا ظهر ، فقال ابن

الزبير أباكم على كتاب الله سنة رسوله فقال المختار : شر غلمانى تبايعه علي ذلك ، فاضطر ابن الزبير الى اجابته فبايعه وصار زبيريا ، وشهد معه قتال الحُصين وأبلى بلاء حسنا وكان أشد الناس على أهل الشام .

« (مفارقتة ابن الزبير الى الشيعة بالكوفة) »

وما هلك يزيد بن معاوية واطاع أهل العراق ابن الزبير أقام المختار عنده خمسة أشهر فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدّم عليه احد من أهل الكوفة إلا سألته عن أحوال الناس ، حتى أخبر بأن طائفة من الناس هنالك ، لو كان لهم من يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض فقال المختار أنا والله لهم أن اجمعهم على الحق وأنى بهم ركب الباطل ، وأهلك بهم كل جبار عنيد ، وركب راحلته الى الكوفة وكان من أشجع الناس وأشعرهم وأشدّهم تشيعا وحبا لعلى ، وكانت لا يصبر على الشراب ، ثم اتصل بالشيعة واتصلوا به فأخبروه خبر سليمان بن صرد فقال لهم ان سليمان ليس له بصبر بالحرب ولا تجربة بالامور ، وان المهدي ابن الوصي (يزيد محمد بن الحنفية) بعثنى اليكم أمينا ووزيرا وامرني بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء ، فضربوا على يديه وبايعوه وما زال حتى استمال طائفة من الشيعة صاروا يختطفون اليه ويعظمونه وعظماؤهم مع سليمان لا يبدلون به احدا ، وهو أنقل خلق الله على المختار ، ثم وثنى بالمختار فأخذه عبد الله بن يزيد الخطمي عامل ابن الزبير على الكوفة وحمله ثم خرج سليمان بن صرد في التوابين ثائرا مطالبيا بدم الحسين فنصحهم عامل ابن الزبير فلم يقبل ، فقالوا له أمهلنا حتى نعي معكم قتلة وأعدوكم بجمع كثير (وكان مروان قد أرسل اليهم عبيد الله بن زياد) فلم يقبل أيضا وساروا الى قبر الحسين ونأحوا ثم ودعوه وقصدوا الى قرقيسيا وبها زفر بن الحرث معتصما فطلب

اليهم أن يقيموا قابوا فودعهم ورسم لهم خطة وأمرهم بالمسارعة إلى رأس العين فاقاموا أحسا

واقبل أهل الشام فاشتبكوا مع مقدمتهم أولا فانهزمت فحمل عليهم الحاضين بن نمير وبمئذ الرجالة ترميهم بالنبل فقتل سليمان ثم قتل كثير من رجاله وقادته وفر الباقون في النهاية إلى فرقيسياء أصبح الحاضين فلم يجد لهم أثرا فاقاموا لدى زفر ثلاثا ثم زودهم إلى الكوفة فعادوا

(رياسته على الشيعة ووثريه بالكوفة)

فلما رجعوا إليها كان المختار محبوسا فكاتب اليهم يرحب ويفرى يسليمان ويقول ليس سليمان صاحبكم الذي به تتنصرون اني أنا الامير المأمور والأمين المأمون فاستعدوا وابشروا ، أدعوكم إلى كتاب الله وستة نبيه والطلب بدم أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام

فلما قرءوا كتابه كتبوا إليه اننا بحيث نشرك فان شئت أن نخرجك من الحبس فعلنا وكان المختار قد كتب إلى ابن عمر يستشفعه فشفع فيه فخرج واختلفت إليه الشيعة ثم ولي ابن الزبير على الكوفة عبد الله بن مطيع فأرسل إلى المختار فتمارض . وجع أصحابه وأراد الوثوب بالكوفة فرأوا أن يخرج جماعة منهم إلى ابن الحنفية أولا ، فلما قدموا سألهم عن حال الناس فأخبروه وأعلموه حال المختار وما يدعوا إليه واستأذنه في أتباعه فأذن لهم واستاء المختار من ذهابهم فلما دخلوا عليه قالوا قد أمرنا بنصرتك فقال الله أكبر ودعا الشيعة وأخبرهم بما أمر به محمد بن الحنفية فاستجمعت له ورجعوا إلى إبراهيم بن الأشتر أن ينضم اليهم فشرط أن يولوه الأمر فاعتذروا وانصرفوا ثم رحل إليه المختار والشعبي وإبراهيم ابنه وغيرها فقال له هذا كتاب المهدي محمد بن علي أمير المؤمنين يسألك أن تنصرتنا قد كتب به محضرة هؤلاء الفرّ الذين معي ، فقالوا جميعا

نشهد أن هذا كتابه رأيناه حين كتبته ، ودفعه الشعبي اليه فقرأه فإذا فيه من محمد المهدي إلى إبراهيم بن الأشتر أما بعد فإني قد بعثت إليكم وزيراً وأميناً فانقض معهم بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك فانك إن تنصرتني كانت لك عندي فضيلة ولك أمة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة واقصي بلاد الشام .

فانتهى أمره بعد تردد بان بايع المختار ثم دعا عشيرته ومن أطاعه واجتمع رأيهم على الخروج ليلة الخميس لاربع عشرة من ربيع الاول سنة ٦٦ .

وجاء بن مطيع الخبر فاستعد فخرج إبراهيم ذات ليلة يريد المختار فاعترضته المسلحة فقتل صاحبها غدرًا ونفذ إلى المختار وقال له لا بد من الخروج الليلة وأخبره بقتل صاحب المسلحة ففرح وقال هذا أول الفتح وخرجوا من ليلتهم ينادون بالثارات الحسين ووقع القتال الشديد بينهم وبين اصحاب ابن مطيع فانهزم أصحاب ابن مطيع فلما رجعوا اليه وبخهم وخرج في الناس فانهزم وحصر في القصر ومعه اشرف الناس وتولي حصر قصر الامارة إبراهيم بن الأشتر ثلاثاً ثم فر بن مطيع من القصر ففتح اصحابه الباب لابن الأشتر فامتهم فخرجوا فبايعوا المختار فدخل وبات في القصر فلما أصبح خيل في الناس فدخلوا عليه جميعاً وياهموه على كتاب الله وسنة رسوله والطلب بدماء أهل البيت ، واقبل المختار بمنى الناس ويستجروا مودة الاشراف وبحسن السيرة وقيل له ان ابن مطيع في دار أبي موسى فسكت وحفظ فيه قرايته من عمر بن الخطاب فلما أسمى بعث اليه بمائة ألف درهم وقال له تجز فتد علمت مكانك والمك لم يمنحك من الخروج الا قلة النفقة وكان بينهما صداقة

وغلب المختار على الكوفة ودانت له العراق وسائر البلاد الا الحزيرة والشام ومصر فان عهد الملك قد كان حماها

ووجد المختار في بيت المال تسوية آلاف الف فادعى أصحابه
واستقبل الناس بخير وجعل الاشراف جلساءه وأخذ يبعث ماله وأقام شربحا
يفضي بين الناس .

فتكته بقتلة الحسين

ثم وثب بمن بالكوفة من قتلة الحسين لان مروان ارسل ابن زياد الى
الجزيرة والعراق ثم مات فلما تولى عبد الملك اقره وأمره بالجد في أمر المختار
فلما لم يمكنه في زفر ومن معه من قبس أقبل الى الموصل فكاتب عامل المختار
الى المختار يخبره بدخول ابن زياد ارض الموصل وأنه قد تنحي له عن الموصل
إلى تكرب فارسل اليه يزيد بن أنس الأسدي في ثلاثة آلاف فارس فبلغ خبره
ابن زياد فاستعد واقتتل الناس يوم عرفة فانهزم أهل الشام ثم اقتتلوا يوم عيد
الاضحي فانهزموا أيضا ومات ابن أنس عصر ذلك اليوم من مرضه وكان قد
استخلف ورقاء بن عازب الأسدي فبلغهم ان ابن زياد يزحف اليهم في ثمانين
الف فانهزفوا الى المختار فامر عليهم ابراهيم بن الاشر فخرج وعسكر
بحمام أعين — غير ان شيث ربي اجتمع اليه اشراف الكوفة وقالوا له ان المختار
أمر علينا بغير اذن منا فدخل عليه شيث فعرض عليه ما أنكره فكان لا يذكر
خصلته الا قال المختار انا ارضيهم إغنيا فقال له اخرج الى اصحابي وخرج
فلم يعد .

واجمع رأيهم على قتال المختار فوثبوا به بعد خروج ابن الاشر فارسل اليه
المختار وارسل اليهم اني صانع كل ما أحببتهم فقالوا نريد ان تعزلنا فانك زعمت
ان ابن الحنفية يبعثك ولم يبعثك فقال ابعثوا اليه وفدا وانا أبعث اليه وفدا ثم
انظروا في ذلك حتي يظهر لكم « يريد أن يربشهم حتى يقدم عليه ابن الاشر »

وأمر أصحابه فكفوا أيديهم ، وقد أخذ عليهم أهل الكوفة السكك فلا يصل إليهم إلا القليل .

فأعاد ابن الأشتر تبي الفرقة من وقتلوا أشد قتال رآه الناس وجاءت الأخبار إلى المختار بالانتصار ثم جاءوه بنحو خمسمائة أسير فقال انظروا من شهد منهم قتل الحسين فقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين ثم أطلق الباقين على أن يكونوا معادين له وذادي مناديه بالكف عن القتال وبعث غلاما له في طلب شمر بن ذي الجوشن فقتله شمر وفر إلى قرية فاستبدل عليه المختار وأرسل إليه فصيالة أحاطت بالقرية ففرق عن شمر أصحابه فعاجله أصحاب المختار وقتلوه والقوا جثته للكلاب ، وكانت الواقعة است لياليتين من ذي الحجة سنة ٦٦

وخرج أشراف الناس فلاحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين وبعث إليه نفر منهم في نواح مختلفة فقتل بهم أقطع تمثيل وأحرق صاحب رأس الحسين بالدار وأرسل إلى محمد بن الحنفية بعض رءوس القتل وكتب إليه يعلمه أنه قتل من قدر عليه وأنه في طلب الباقين ممن حضر قتل الحسين وكان في تلك الرءوس دأس عمر بن سعد بن أبي وقاص ودأس ابنه

« قتل ابن زياد »

ثم خرج ابن الأشتر فتوجه نحو عبيد الله بن زياد وخرج معه المختار يشيعه ماشيا ، ودفع إلى قوم من خاصته حملا أيضا ضخاما وقال إن رأيتم الأمر لنا فدعوها وإن رأيتم الأمر علينا فارتدوها ، وقال للناس إن استمتم في نصر الله وإن عصيتم حيلة فاني أبعد في محكم الكتاب وفي اليقين والصواب أن الله مؤيدكم بملائكة غضاب تأتي في صور الحمام دوين السحاب .

ثم وصل ابن الاشر إلى النقطة التي فيها ابن زياد وكان على ميمنته حصين
ابن نمير وعلي ميسرته عمير بن الحباب فارس الاسلام الذي كان صديقا لابن
الاشر، فخرج اليه في الليلة التي ارادوا أن يوقعوه في صبيحتها فالتزمه من
ورائه فقال ابن الاشر من هذا فقال : عمير ، فقال مرحبا بابي الفلّس ، كن
بهذا الموضع حتي أعود اليك. فقال عمير لمن رافقه : رأيت أشجع من هذا قط ،
يحتضنه رجل من عسكر عدوه ولا بدري من هو فلا يلتفت اليه — ثم عاد ابن
الاشر بعد أن فرغ من تعبئة أصحابه وقال لعمير ما الخبر ؟ فقال للقوم
كثيرا والراي ان تناجزهم فانه لا صبر بهذه العصاة القليلة على مطاولة هذا
الجمع الكثير . فقال نصبح ان شاء الله ثم نحاكمهم الى طبقات السيوف والحراف
القنا فقال له : انا منخزل عنك ثبلث الناس غدا فانا لانحب ظهور بني مروان
لسوء صنيعهم الينا معشر قيس وانا اليك لامل ، قال ابراهيم وذاك (تأمل)
فلما التقوا كانت على أصحاب ابراهيم في أول النهار فارسل اصحاب المختار
الحمام ، فتصايح الناس . الملائكة فتراجعوا ونكس عمير رايته ونادى يا ثارات
المرج (مرج راهط) وانخزل بميسرة ابن زياد كلها وفيها قيس فلم يصبوه بالضرورة
واقتل الناس حتى اختلط الظلام واسرع القتل في اصحاب ابن زياد فانكشفوا
 ووضع السيف فيهم حتى أفنوا فقال ابن الاشر لقد ضربت رجلا على شاطيء
هذا النهر كان يقاتل في اوائلهم ويقول انا الغلام القرشي فرجع الي
سيفي ومنه رائحة المسك ورأيت أقداما وجراة فصرعته فذهبت يدها قبل
المشرق ورجلاه قبل المغرب ، فانظروه ، فاتوه بالنيران فاذا هو عبيد الله بن
زياد وقتل في المعركة ايضا الحصين بن نمير قتله احد بنى تغلب وهو يظنه ابن
زياد ثم انهزم أصحاب ابن زياد في كل وجه وتبعهم اصحاب ابن الاشر فكان
من غرق منهم في الخابور اكثر ممن قتل في الميدان

ثم أرسلوا الى المختار (وهو بالمدائن) البشارة وانفذوا اليه رأس ابن زياد فوجه به الى محمد بن الحنفية ثم شرع بن الاشتر يولى العمال على تلك الاطراف فبعث أخاه عبد الرحمن الي نصيبين وولى زفر بن الحرث فرقيسيا وحاتم بن النعمان حران والرها وسميساط وولى عمير بن الحباب نواحي أخرى وأقام ابن الاشتر بالموصل

مذكر المختار بابن الزبير

لما أخرج المختار عبد الله بن مطيع عن الكوفة كره ان يأتي ابن الزبير مهزوما فسار الى البصرة فكتب المختار الى ابن الزبير يذكر له مناحته اياه واشترائه معه في جهاد العدد وانه لم يف بجماعه عليه ثم قال له فان ترد مراجعتي ومناصحتي فعلت ، يريد بذلك ان يكف ابن الزبير عنه ليتم أمره . فأراد ابن الزبير ان يعلم أسلم هو أم حرب فولي عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي على الكوفة وقال له ان المختار سامع مطيع فلما علم المختار أرسل اليه زائدة بن قدامة بمال وهدده ان لم يعد فرجع الى البصرة وأقام مع ابن مطيع في إمارة الحرث بعد ابن أبي ربيعة

ثم ان عبد الملك أرسل جيشا الى وادي القري فكتب المختار الى ابن الزبير ان احببت امددتك بمدد، فكتب اليه ان كنت على طاعتي فبايع لي الناس قبلك وعجل انفاذ الجيش ومرهم ليسيروا الي من بوادي القوي من جند ابن مروان فليقاتلوهم، فأرسل شرحبيل بن ورس الهمداني في ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالي وقال له سر حتى تدخل المدينة ، وخاف ابن الزبير ان تكون مكيدة فأرسل احمد قواده الى المدينة وقال له ان رأيت القوم على طاعتي والا فكايدهم حتى تملكهم، فكان من أمره بعد ذلك أنه

فأنزلهم وقتل ابن ورس وأمن من جاء اليه وافلت الباقون فمات أكثرهم في الطريق - وكتب الى ابن الحنفية يقول قد أرسلت اليك جيشا ليدلوا الاعداء ويحرزوا البلاد فلما قربوا طيبة قتلوا فان رأيت أن ابعث الى المدينة جندا ~~مكثي~~ فابعث اليهم من قبلك رجالا حتى يعلموا اني في طاعتك فافعل - فكتب اليه ابن الحنفية اني لو اردت القتال لوجدت الناس الى سراعا وأمره بالكف عن الدماء .

« (ابن الزبير وابن الحنفية وعبد الملك »

كان ابن الزبير قد دعا ابن الحنفية ومن معه ليبياعوه فامتنعوا فأكثروا البيعة في ابن الحنفية وذمه - فلما استولى المختار على الكوفة وصارت الشيعة يمدحوا الى ابن الحنفية خاف ابن الزبير ان يتداعي الناس الى الرضا به فألح على ابن الحنفية وصحبه في البيعة له. وحبسهم وتوعدهم بالقتل والاحراق وضرب لهم أجلا ، فأشبر على ابن الحنفية أن يستنجد المختار ففعل فارسل اليه المختار الرجال والاموال فساروا الى مكة ودخل نحو مائة وخمسين منهم المسجد ويدهم الخشب كراهة أن يشهروا السيوف بالحرم ومعهم الرايات ونادوا بالاثارات الحسين حتى انتهوا الى زمزم وقد أعد ابن الزبير الخطب ليحرقهم وبقي من الاجل يومان فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية وقالوا له خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير فقال لهم اني لا استحل القتال في الحرم فقال ابن الزبير واعجبا لهذه الخشبية ينعون الحسين كأنى أنا قتلته، والله لو قدرت على قتله لقتلتهم ، ثم قال أنحسبون أنى أخلى سبيلهم دون ان يبيع ويبياعون فقال له بعضهم لتخلين سبيله او لنجدالك باسيافنا ~~مكف~~ ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة

ثم قدم باقي الحند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد وقالوا بالاثارات الحسين

فخافهم ابن الزبير، وخرج ابن الحنفية ومن معه الى شعب على وهم يسبون ابن الزبير ويدناؤن ابن الحنفية فيه فابى عليهم واجتمع معه في الشعب أربعة آلاف رجل فقسم المال بينهم وعزوا وامتنعوا الى أن قتل المختار فتضعضوا واحتاجوا - ثم ان البلاد استوثقت لابن الزبير بعد قتل المختار فالح على ابن الحنفية ان يياج وهدده فاعلم أصحابه واذن لمن أحب ان ينصرف فاعلموه انهم غير مفارقيه .

وعلم عبد الملك خبر ابن الحنفية فكتب اليه بالقدوم الى الشام حتى يستقيم أمر الناس فسار بمن معه الى الشام فلما بلغ مدين بلغه غدر عبد الملك بمعرو ابن سعيد فندم ونزل ايلة وتحدث الناس بفضله فندم عبد الملك على استدعائه وكتب اليه بالرحيل اذ لم يياجه فارتحل الى مكة ونزل في شعب ابي طالب فامر ابن الزبير بالرحيل واستأذنه أصحابه في قتال ابن الزبير فابى وسار الى الطائف فدخل ابن عباس على ابن الزبير واغلاظ له وخرج فلحق بالطائف وتوفي بها وبقي ابن الحنفية بالطائف حتي حصر الحجاج ابن الزبير فعاد ففرز الشعب فطلبه الحجاج ليياج عبد الملك فامتنع حتي يجتمع الناس فلما قتل ابن الزبير كتب الى عبد الملك يطالب الامان له ولمن معه فجاءه كتاب من عبد الملك بما طلب فحضر عند الحجاج وبايع عبد الملك وقدم عليه الشام وطلب الا يكون للحجاج عليه سبيلا فزال حكم الحجاج عنه

كرسى المختار

انخذ المختار كرسيا وقال انه لم يكن في الامم الخالية امر الا وهو كائن في هذه الامة مثله وانه كان في بني اسرائيل التابوت وان هذا فينا مثل التابوت فلما خرج ابن الاشتر لقتال ابن زياد اخرج المختار الكرسي حملة بعض أصحابه على بقل اشهب وهم يدعون الله له بالنصر ويستنصرونه فلما انتصروا زادهم ذلك فتنة وتعاطوا الكفر

« قتل المختار »

غضب عبد الله بن الزبير على المختار لكونه انصر لمحمد بن الحنفية وناب لقتاله أخاه مصعب بن الزبير فدخل عليه اشراف الكوفة وسألوه النص على المختار وجاءه محمد بن الاشعث بن قيس الكندي صهر أبي بكر وحضه على المسير فقال لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة وهو عامله على فارس فكتب اليه قابطاً فارس الى ابن الاشعث فاقبل بأموال كثيرة وجوع عظيمة وأرسل مصعب الى الكوفة من يشيط الناس عن المختار ويدعوهم الى بيعة ابن الزبير سرا ثم سار في الناس وبلغ ذلك المختار فاعلم أصحابه ونذبهم الى الخروج ولما اتى الجمعان واقتتلوا ، قال المهلب لأصحابه كروا عليهم كرة عادية فحملوا عليهم حملة منكورة وسرح محمد بن الاشعث في خيل عظيمة من أهل الكوفة وقال دونكم ثاركم فكانوا على المهزمين أشد من أهل البصرة ولم ينج من جيش المختار الا الفرسان وأتى المختار خبر الهزيمة فقال ما من الموت بدوخرج يتلقى مصعبا ، فحول ماء الفرات الى الخلجان التي تأخذ منه فوقفت سفن البصريين على الطين فخرجوا وأعادوا الماء الى مجراه وقصدوا الكوفة وسار المختار اليهم فنزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة واقبل مصعب والمهلب وابن الاشعث فاقتتلوا ساعة ثم تحاجزوا ثم حمل المهلب في أصحابه على من بازائه فحطموا أصحاب المختار حملة منكورة وكشفوهم وحمل ابن الاشعث فقتل ثم تفرق الناس عن المختار فدخل القصر فبات ليلته واصبح فقطع مصعب الماء عنه وعن أصحابه

فاشد عليهم العطش ثم أن مصعبا امر أصحابه فاقتربوا من القصر وشدوا الحصار أربعين يوما فقال المختار انزلوا حتى نقتل كراما فوالله ما لنا بأيسر ان

صدقتموهم فلم يجد عندهم ما يحب فتعطيب وتحنط وخرج من القصر في
تسعة عشر رجلا ثم تقدم فقاتل حتى قتل قلة طريف وطراف ورجلان من
بنى حنيفة اخوان واحتل الجند القصر واخرجوا من كانوا فيه واراد مصعب
قتلهم فاستشار الاحنف بن قيس فقال اري ان تعفو فان العفو اقرب للتقوى
ولكن اهل الكوفة ضجوا وقالوا اقتلهم فقتلهم ووجه مصعب رأس المختار الى
أخيه فقال للرسول فما تريد فقال جائزتي قال خذ الرأس الذي جئت به
بجائزتك فتركه وانصرف

وهذا من أمثلة بخل ابن الزبير التي كانت سببا في انهراف كثير من
رجاله الى عبد الملك

وبعث مصعب عماله على الجبال والسهول وكتب الي ابن الاشتر يدعوه الى
طاعته ويغنيه لشام وكتب عبد الملك اليه يدعوه الى طاعته وله العراق فاستشار اصحابه
فاختلفوا فقال لو لم أكن اصبحت ابن زياد واشراف الشام لاجبت عبد الملك
وكتب الى مصعب بالدخول معه فكتب اليه ان اقبل فلما اقبل بعث المهلب
على عمله بالموصل والجزيرة وأرمينية وأزر ييجان

وبهذا تمت رواية المختار الذي كانت سنة يوم قتل سبعا وستين سنة وكان
قتله لاربع عشرة خلت من رمضان سنة ٦٧ في خلافة عبد الملك وكان لا يوقف
له على مذهب وانما كان يهمه ان يملك ويتكىء على اريكة الحكم ولو ولاه ابن
الزبير أيام اتصاله به ماظهر له أمر

وقد تنهم عما ذكرنا في اول الترجمة أنه كان خارجيا ثم تشيع ثم صار
زيربا ثم عاد فتشيع ثم صار رافضيا في ظاهره وقوله ماتوحى الشياطين اذ كان
يدعى أنه يلهم ضربا من السجاعة الامور تكون ثم بمحتال فيوقعها
فيقول للناس هذا من عند الله عز وجل وكان يخبرني علي الله انه يأتيه جبريل

بالوحي فلما قيل عته المختار الكذاب وقال في بعض سجنه: أما والذي
 شرع الأديان وجنب الأوثان وكره المصبيان لاقتلن أزدعيان وجل قيس عيلان
 وتيسما أولياء الشيطان حاشا النجيب ظبيان فكان ظبيان النجيب يقول: لم أزل
 في عمر المختار أنقلب آمنا

هذا وقد قتل في هذه الحروب الداخلية جمع كبير من المسلمين عظمت
 بهم المصيبة على أهل العراق غير أن عبد الملك كان يفرح لها جدا لفرح (مصائب
 قوم عند قوم فوائد) لتقليل أعدائه وتقريبها أمد انتصاره حيث لم يبق له
 من أعدائه إلا عمرو بن سعيد بدمشق ومصعب بن الزبير بالعراق .

خبر عمرو بن سعيد الأشدق

عمرو هذا من عمراء البيت الأموي خرج على عبد الملك وغلب على
 دمشق فتوسط بينهما قومها حتى صالحه عبد الملك

(١) على أن يكونا شريكين في الملك

(٢) وأن يكون مع كل عامل لعبد الملك شريك لعمرو .

(٣) وأن يكون اسم الخلافة لعبد الملك فإن مات فعمرو
 الخليفة بعده وهكذا كتبوا وأشهدا عليه أشراف أهل الشام ،
 وكان عمرو معجبا بنفسه متهاونا في أمره وكان معه عند خروجه
 نصف أهل الشام ونصفهم مع عبد الملك ، ثم غدربه عبد
 الملك وقتله

وبيان قتله بالإيجاز أن عبد الملك قدم إلى زفر بن الحرث بنفسه
 وأخذ معه عمرا هذا واستخاف على دمشق وفي بعض الليالي انتهز عمرو

فرصة ساحت وهرب ولحق بدمشق وغلب عليها وعلى خزائن الاموال فلما أصبح عبد الملك وقد فقد عمرا سأل عنه فاخبر خبره فسارع الى دمشق وقاتل عمرا أياما ثم أصطلحا وكتبيا بينهما كتابا وأمنه عبد الملك فدخّل الخليفة دمشق وبعد اربعة ايام دخل عليه عمرو وفرحب به وأجلسه على السرير معه وجعل يحادثه طويلا ثم قال يا غلام خذ السيف عنه فقال انا لله وانا اليه راجعون فطمأنه وعاوده الحديث ثم أمر فغلقت الابواب وقتله ذبحا والقي رأسه الى الناس ومعه الاموال فترك أصحابه الرأس ملقى وأخذوا الاموال وتفرقوا واراد ان يقتل يحيى بن سعيد فشفع فيه عبد العزيز بن مروان فتنازل عن قتله وأمر بحبسه وحبس جسيم بنى عمرو ثم أخرجهم والحقهم بمصعب بن الزبير - فلما قتل عبد الملك مصعبا أحضرهم ونهدهم ثم رق لهم وأحسن جائزتهم وقربهم

وانما ذكرنا هذه الحادثة لنبين أن من أفراد البيت المالك من كان بطمع في الخلافة ولا يعبأ بما كان من ولاية العهد ولا بما حصل من البيعة الى عبد الملك

(الجراجمة)

كان قياصرة الروم لا يغفلون عن دس الدسائس للمسلمين بالشام وكانوا يلقبون انباط لبنان بالمردة او العمساء لعدم تعرضهم للعرب وكان المسلمون يسمونهم الجراجمة باسم مدنتهم جرجومة وهي على مقربة من انطاكية وقد صالحوا المسلمين على ان يكونوا لهم عيوناً ومسالح وكانوا يستقيمون للولاية

أحيانا وينحرفون أحيانا أخرى فيكاتبون الروم وبالثولتهم على المسلمين وفي أيام حروب مصعب بن الزبير خرجوا على عبد الملك فاضطر إلى صلحهم وفضلح الروم على مال يؤديه كل جمعة خشية أن يخرجوا إلى الشام ويغلبوا عليه مقتديا بمعاوية فيما صنعه مع الروم حينما شغل بحرب صفين - ثم اتفق أنه في أيام خروج عمرو بن سعيد خرج قائد من قواد الضواحي في جبال تلك الجهات فاتبعه خلق كثير من الجراجمة والانباط وأباق عبيد المسلمين وغيرهم - فلما فرغ عبد الملك من عمرو أرسل إلى ذلك القائد فخذعه بالمال فركن ولم يفسد في البلاد ثم قتله ومن أعاناه من الروم وقتل نفرًا من الجراجمة والانباط ونادى بالآمان فيمن بقي ففترقوا في قراهم ورجع العبيد إلى مواليهم وسد عبد الملك هذا الخلل .

وانما ذكرنا أمر الجراجمة لنبين أن بعض بقاع الشام على عهد عبد الملك كان يتمخض بالثورات ويهدد كيان الخلافة الأموية ولكن عبد الملك تمكن من حاسة ملكه وتثبيت قواعده وتدارك الثورات قبل استئصالها وتذير الخليل للأيقاع بمدبرها

(فتح العراق وقتل مصعب)

في جمادى الآخرة سنة ٧١ قتل مصعب بن الزبير واستولى عبد الملك على العراق - وسبب ذلك أنه لما قتل عمرو بن سعيد وضع السيف فيمن خالفه حتى استوعبهم وبذلك صفاه الشام ، فاجمع المسير إلى العراق واستشار اخوته وعظماء أهل بيته فأشار عليه محمد بن يحيى

بان ينقم بالشام ويترك ابن الزبير والعراق فقال: الشام بلد قليل المال ولا آمن نفاذه وقد كتب الى اشراف العراق يدعونني اليهم وقال اخوه محمد: الرأي أن تطالب حقلك وتسير الى العراق، وقال اخوه بشر الرأي ان تقيم وتبعث بعض اهلك وتمده بالجند، فقال عبد الملك انه لا يقوم بهذا الامر الا فريسي له رأى واملى ابث من له شجاعة ولا رأى له واني بصير بالحرب شجاع بالسيف ان احتجت اليه ومصعب من بيت شجاعة ولكنه لا علم له بالحرب ومعه من يخالفه ومعنى من ينصح لي، وسار عبد الملك الى العراق، فلما بلغ مصعب امسرا رسل الى المهلب (وهو يقاتل الخوارج بفارس) يستشيرهم وقيل بل احضره فقال له اعلم أن أهل العراق قد كانوا عبد الملك وكتبهم فلا تبعدني عنك فقال له مصعب ان أهل البصرة قد ابوا أن يسيروا حتى اجعلك على قتال الخوارج وهم قد بلغوا سوق الاهواز وانا اكره اذسار عبد الملك الى الاسير اليه فاكفني هذا الثغر فماذا اليهم وسار مصعب الى الكوفة ومعه الاحنف ابن قيس فمات بها - واحضر مصعب ابراهيم بن الاشرس وكان على الموصل والجزيرة، فجعله على مقدمته وسار حتى نزل باخرا وسار عبد الملك حتى نزل بقرقيسيا وحضر زفر بن الحرث ثم صالحه كما سلف وسار حتى نزل بمسكن على فرسخين من معسكر مصعب فلما نظر اصحاب مصعب كثرة جموع عبد الملك توكلوا وشملهم الرعب

ثم أن عبد الملك كتب الى أهل العراق من كتابه ومن لم يكتبه يستميلهم اليهم ويعرض عليهم الدخول في طاعته وينذل لهم الاموال وقد جعل لجيهم اصبهان طعمة، فكل منهم اخفى كتابه الا ابن الاشرس

فانه جاء به مصعبا فقال له ما يمنك يا ابا النعمان، يدعوك الى نفسه ويجعل لك ولاية العراق ، فقال ما كنت لاتقلد القدر والحياة ، لوجعل لي ما بين المشرق الى المغرب ما اعنت بنى أمية على ولد صفية فقال مصعب جزيت خيرا ، قال لست أشك أن عبد الملك قد كتب الى عظماء اصحابك بنحو مما كتب الى ، وانهم قد مالوا اليه فاذن لي في ضرب عنق من انهم منهم فقال اذا لاينا صحتنا عشائرم ، قال ابن الاشتر فاذن لي في حبسهم الي فراغك فان ظنرت مننت بهم على عشائرم وان تكن الاخرى كنت قد أخذت بالحزم ، فقال أذن يحتجوا على عند أمير المؤمنين قال ابن الاشتر لا أمير المؤمنين والله لك اليوم وما هو الا الموت ، فمت كريما فقال يا ابا النعمان انها هو انا او أنت فتقدم للموت قال ابن الاشتر اذا والله افعل ثم قال مصعب رحم الله ابا بحر (الاحنف) ان كان لي حذرني أهل العراق ويقول هم كلهم مس نريد كل يوم بعلاوهم يريدون كل يوم اميرا ، ثم بانوا ليلتهم واصبحوا فاذا القوم الذين كانوا يتهمهم ابن الاشتر قد ساروا تلك الليلة فلمحقوا بعبد الملك فقال لمصعب كيف رأيت رأيي ثم زحف بعضهم الى بعض فاعتزات ربيعة - ولما تدانى العسكر ان ارسل عبد الملك الى مصعب رجلا من كلب (لان ام مصعب كابية) وقال له قل له بدع دعائه لاخيه وادع دعائي لنفسي ويجعل الامر شورى فقال مصعب قل له السيف بيننا

فقدم اخاه محمد بن مروان وقدم مصعب ابراهيم بن الاشتر فازال محمدا عن موضعه ، ثم امد مصعب ابراهيم بعتاب بن ورقاء فقال ابراهيم انا لله وانا اليه راجعون ، فانهزم عتاب بالناس وكان قد كاتب عبد الملك

وابية وصبر ابن الاشتر حتى قتل وحمل رأسه الى عبد الملك - وتقدم
 مصعب فقاتل أهل الشام مستميتا فدنا منه محمد بن مروان وناداه انا
 ابن عمك محمد بن مروان فاقبل امان أمير المؤمنين ، فقال أمير المؤمنين
 بمكة (بني اخاه عبد الله . قال فأن القوم خاذلوك فلم يقبل ، فنادى محمد
 عيسى بن مصعب فقال له انى لك ولا بيلك من الناصحين ولكما الامان
 فرجم الى ابيه فاخبره ، فقال ان أحببت ان تأتيهم فافعل فقال له بالبت
 الحق بالبصرة فانهم على الطاعة او الحق بامير المؤمنين ، فقال لا تحدث
 قريش انى فررت ، وقال لابنه عيسى تقدم اذن احتسبك فتقدم فقتل وحمل
 مصعب على الناس مرتين فانفرجوا له وبذل عبد الملك الامان له وقال
 يمز على ان تقتل فاقبل امانى ولك حكمك فى المال والعمل فانى ودخل
 سراجه فجنط وخرج فقاتل ودعاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان الى
 للبارزة فاستهظم وشتمه وحمل عليه وتضاربا حتى ضف مصعب وحمل
 عليه بن ظبيان فضر به من ورائه بالسيف فخر صريما فنزل واجهز عليه
 واحتر رأسه

واتى به عبد الملك فاما رآه سجد ولكنه حزن حزنا شديدا وقال : وددت
 أنه قبل الصلح وانى قاسمته مالى ، ثم أمر لابن ظبيان بألف دينار
 فقال لم اقبله على طاعتك وانا قتله على قتل أخى

بهذا انتهت حياة مصعب وكان قتله للنصف من جمادى الاولى سنة
 ٢٢ وبقتله أخذ أمر أخيه عبد الله فى ادباره ، وكان عمر مصعب يوم قتل
 ٢٦ سنة

وقد استأن من بقي من جند مصعب الى عبد الملك فأمنهم

وبايعة ثم سار حتى دخل الكوفة وأقام بالخيابة اربعين يوما وخطب
فوعدهم بالخير وتوعد المسىء ودعا الناس الى البيعة فبايعوه ثم استعمل
العمال ولم يف لاحد شرط له اصيهان ، وسار الى الشام وحمل معه رأس
مصعب وارسله الى أخيه بمصر فأعاد الى الشام فنصب بدمشق

ريسة المهلب - كان المهلب يحارب الازارقة بفارس كعائده من قواد
ابن الزبير فبلغ الخوارج قتل مصعب فصاحوا باصحاب المهلب ما قولكم
في مصعب فقالوا امير هدى ، قالوا فما قولكم في عبد الملك ، قالوا ذلك ابن
الامين ، قالوا فان عبد الملك قتل مصعبا ، وستجعلون عدا عبد الملك امامكم
فلما كان الغد سمع المهلب واصحابه قتل مصعب ، فبايع المهلب الناس لعبد
الملك ، فصاح بهم الخوارج يا أعداء الله ماتقولون في مصعب فقالوا لا نخبركم
قالوا وما قولكم في عبد الملك ، قالوا خليفتنا فشرع الخوارج يسلمونهم
بالسنة حداد ويحبونهم ويعيرونهم على ذنبهم ونفاقهم وعدم ثباتهم على
مبدأ - ولكن شيئا من ذلك لم يؤثر في نفوسهم ، بل انتهى الامر الى عبد
الملك وبايعه أهل فارس كما بايعه أهل العراق

ولما بلغ عبدالله بن الزبير خبر أخيه خطب في الناس متجلدا مترحما
ثم قال الا وان أهل العراق أهل الغدر والنفاق اسلموه وبايعوه بأقل
الثمن ، فان يقتل فيه والله ماتموت على رضا جمنا كما يموت بنوا
أبى العاص



أمر بن خازم بخراسان

لما مات يزيد الثالث الناس بخراسان على سلم بن زياد كما التاوا على اخيه عبيد الله بالبصرة، فشخص عن خراسان واتي عبد الله بن الزبير فاغرمه وحبسه، فلم يزل حتى حوصر ابن الزبير فنقب السجن وصار الى الحجاج ثم صار الى عبد الملك، فقالوا له لو اقمتم بمكة ما كان لها وال غيرك، وولاة خراسان فلما قدم البصرة مات بها.

وكان سلم قد عهد الى عبد الله بن خازم السلمي بولاية خراسان واعانه بمال فارسل سليمان بن مرثد الى بن خازم: ان العهد الذي معك لو استطاع صاحبه ان يقيم بخراسان لم يخرج عنها ويوجهك، فاتفقا على ان يكتب لابن الزبير فايهما أمره فهو الامير فولى ابن الزبير عبد الله فابى سليمان ذلك وقال ان ابن الزبير ليس بخليفة وانما هو رجل عائد بالبيت فحاربه ابن خازن وقتله وقتل كل من انتصر اليه بعد ذلك، غير ان الترك انتهزوا فرصة هذه الحروب الداخلية وأغاروا على تلك النواحي حتى بلغوا نيسابور، ثم ان بنى تميم هنالك اجتمعوا وخلصوا ابن خازم فوجه ثقله مع ابنه موسى الى الترمذ وبعد ذلك ورد كتاب عبد الملك بولاية ابن خازم على خراسان فاطمى رسوله الكتاب وقال ما كنت لاني الله وقد نكثت ببيعة ابن حواري رسول الله وبايعت ابن طارده، فكتب عبد الملك الى بكير بن وشاح بولاية خراسان فخاف بن خازم أن يأتيه وهو في اهل مرو الذين بايعوا عبد الملك ومضى يريد ابنه في ترمذ فقتل وقتل معه ابنه وطهمان مولاه واتي برأسه الي بكير فارسله الى عبد الملك فنصبه بدمشق

وغضب قوم لابن خازم ووقع الاختلاف في خراسان فكتب خيارهم

ووجههم الى عبد الملك فولي على خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ففضب بكبروا نصرف الي مرو ودعا الناس الي خلع أمية فاجابوه فقصدوه أمية ثم صالحه ثم قتله حينما بلغه أنه يريد خلعهم بعد ذلك

ولما تولى الحجاج العرافين ولي المهلب بن أبي صفرة الأزدي كاسلف ففزا مغازي كثيرة وفتح الخذل وخبجده فادت الية السدالاتاره وغزا كسن ونسف ورجع فأت وكان قد استخاف ابنه يزيد كما سلف فآقره الحجاج ثم عزله وولي اخاه المفضل ففتح بادغيس وقد انتقضت

أما موسى بن خازم فاقام بترمذ فام يزل بها حتى اتفق صاحبها مع الترك فاعانوه لكن موسى انتصر عليهم وظل صاحب الامر في ترمذ وما وراء النهر مدة سنين وحارب العرب من هذه الجهة والترك من تلك الجهة

فلما تولى المفضل حاصر موسى فخرج من المدينة وعثر به فرسه فسقط فوثب عليه أحد عمال المفضل فقتله وقتل جماعة ممن معه سنة ٨٥ وتولى ترمذ مدرك بن المهلب ثم ولي الحجاج على خراسان قتيبة بن مسلم فكان بطل الفتح في تلك النواحي ايام الوليد علي ماسيجي

(مقتل ابن الزبير)

لما قتل عبد الملك مصعبا واتي الكوفة وجه منها الحجاج بن يوسف الثقفي في ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير فسار في جمادي الاولى سنة ٧٢ ولم يعرض للمدينة وانزل الطائف وكان يبعث الخيل الى عرفة وبيعت ابن الزبير ايضا فيقتلون بعرفة فتهزم خيل ابن الزبير وتمود خيل الحجاج بالظفر — فكتب الى عبد الملك

يستأذنه في دخول الحرم وحصر ابن الزبير ، وبخبره بضعفه وتفرق
اصحابه، ويستمدده، فكتب عبد الملك الى طارق يأمره بالحق بالحجاج
فيدخل المدينة واخرج عامل ابن الزبير منها ثم لحق بابن الزبير في خمسة
آلاف ودخل في سلع ذى الحجة وكان الحجاج قد سبقه اليها في ذى
القعدة ولما حضر ابن الزبير نصب المنجنيق على أبي قبيس ورمى به
الكعبة لان ابن الزبير تحصن بالمسجد الحرام، وكان عبد الملك ينكر
ذلك ايام يزيد ثم امر به، ونصح ابن عمر للحجاج بالكف حتى يؤدي
الناس فريضه الله فكف حتى عاد الناس من عرفه وطفوا وسعوا ولم
يمنع ابن الزبير الحاج من الطواف والسعي، فلما فرغوا نادى منادى
الحجاج انصرفوا الى بلادكم فاننا نعود بالحجارة على ابن الزبير

وجاء قوم من الاعراب فقالوا لابن الزبير قدمنا للقتال معك فقال
لهم انكم اقاتل في الجذب اعداء في الخصب فتفرقوا عنه واستمر القتال
واشتد الحصار فملت الاسعار عند ابن الزبير واصحاب الناس شجاعة
شديدة حتى ذبح فرسه وقسم لحمها في اصحابه وان بيوته لملوءة قمحا
وشعيرا وخرقة وتمرا وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه الا ما يمسك الرمي
ويقول انفس اصحابي قوبة ما لم ينفق، فتفرق الناس عنه وخرجوا الى
الحجاج بالامان، خرج من عنده عشرة آلاف فيهم ابناه حمزه وخبيب
اخذا لانفسها امانا فاشار على ابنه الزبير ان يفعل ما فعل اخواه قابي
وقاتل ابيه حتى قتل

ولما تفرق اصحاب ابن الزبير عنه علم الحجاج اصحابه ما بين
الزبير فيه من الضعف والجهد فتقدموا فملثوا ما بين الحجون الى ابواء

وعند ذلك دخل ابن الزبير على أمه وقال قد خذاني الناس ، والقوم
يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟ فقالت انت اعلم بنفسك ان كنت
تعلم انك على حق واليه تدعو ، فامض له فقد قتل عليه اصحابك ولا
تتمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية ، وان كنت انما اردت الدنيا
فبئس العبد أنت ، اهلكت نفسك ومن قتل معك ، وأن قلت كنت
على حق فلما وهن اصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ولا اهل
الدين ، كم خلودك في الدنيا ، القتل احسن . فقال يا اماء أخاف ان تقتلني اهل
الشام ان يمشلوا بي ويصلبوني ، فقالت يا بني ان الشاة لا تألم بالسائح
فامض على بصيرتك واستمن بالله - فقبل رأسها وقال هذا رأيي وما
دعاني الى الخروج الا الغضب لله وان تستحل حرماته ثم ودعها وحمل
على اهل الشام حمة منكرة فقتل منهم ثم انكشف هو واصحابه ودنا
اهل الشام حتى امتلأت الابواب والحجاج يسوقهم فحملوا على صاحب
راية ابن الزبير فقتلوه فحمل ابن الزبير فردهم الى الحجون وهناك
ضرب ضربة في وجهه ارعش لها ودمى وجهه وقتلهم قتالا شديدا غير
ان القوم تعاودوا عليه فقتلوه وتولى قتله رجل من مراد وحمل رأسه الى
الحجاج - فسجد ، ولما قتل كبر اهل الشام فرحوا بقتله ، فقال ابن عمر لقد كبر
المسلمون فرحاً بولادته وهؤلاء يكبرون فرحاً بقتله ، ثم ارسل الحجاج
الرأس الى عبد الملك ومعه رءوس جماعة من أعوانه واخذ الجثة فنصبها
على الشية اليمنى بالحجون ثم اذن لامه فدفنته بعد حين - وبعد قتل ابن الزبير
(١) فرأخوه الى الشام هارباً من الحجاج فدخل على عبد الملك

وسلم عليه بالخلافة فرد عليه السلام واجاره ورحب به وعانقه وأظهر
اكرامه واجلسه معه على السرير فاقام عنده الى ان كتب الحجاج بأن
أموال ابن الزبير عند اخيه عروة، فردده الى لاستخرجها منه - فاراد عبد
الملك ان يرسل به فقال عروة يا بنى مروان ماذل من قتلتموه بل ذل
من ماكنتموه، فتذمم عبد الملك وخلي سبيل عروة، وكتب الى الحجاج
الهن عروة فلان اسلمتك عليه

(٢) كتب ابن عمر الى عبد الملك ببيعة

(٣) وكتب ابن الحنفية اليه بذلك ايضا فكتب الى الحجاج ينهيه
عن التعرض له ثم اقام الحجاج بمكة حتى اقام للناس الحج، وامر بالكعبة
فتمقت واعد بناءها ثم سار الى المدينة فاساء الى اهلها وختم ايدي جماعته
اصحابه بالرصاص استخفافا بهم كما يفعل باهل الذمة ثم عاد الى مكة فلم يزل
بالحجاز الى ان ولاه عبد الملك المراقين حين اشتد صراخ الخوارج
هذا وبقتل ابن الزبير سنة ٧٢ اجتمع المسلمون على عبد الملك وكانت
خلافة ابن الزبير تسع سنين

ومهما يكن من ان الحجاج حقق رغبات عبد الملك في القضاء على
منافسه فانه بالغ كثيرا في القسوة على اهل الحرمين وبخاصة اهل المدينة
لانهم اول من خرج على الاموية، واستقل بالتصرف في جزيرة العرب
على هذا النحو من العسف حتى انكسرت نفوس اهلها وعادت الى
خمول الذكرو ذهبت شهرة العرب وعاد سكان الحجاز ونجد الى ما كانوا
عليه قبل الاسلام من العزلة والانقباض عن الانتظام في الجيوش الاسلامية
والانقطاع الى طلب العيش على نحو ما كانوا يكابدون أيام الجاهلية

امر الخوارج

لم تنقطع حركات الخوارج منذ ايام النعمان فكما لاحت لهم فرصة ثاروا وكانت ثورتهم تشتد وتنفخ بحسب احوال بني أمية، فلما حصلت الاضطرابات والفتن بموت يزيد بن علي سلبهم الجارف على بلاد العراق وفارس وبلاد العرب ما عدا الحجاز وقد هددوا دولة عبدالملك في خلافته حتى قام الحجاج والمهلب من رجاله بالقضاء عليهم

هذا وقد كان زياد مع الخوارج سياسة فانه حرض عليهم قبائلهم وانذرهم وقال لا ينهي كل قوم سفاههم فكانت القبائل اذا احست بخارجي فيهم او ثقوه واتوا به زياد فقتلهم من يمجسه ومنهم من يقتله وزياد اخري في الخوارج انه اتى بأمرأة منهم فقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء الا بعد زياد، وكن اذا ارغمن علي الخروج قلن لولا العمرة لخرجنا، اما عبيد الله بن زياد فكان عليهم اشد من أبيه اذ كان يمجسهم ويقتلهم بالظنة، كان يقول اقمع النفاق قبل ان ينجم، لكلام هؤلاء اسرع الي القلوب من النار، وكانت لا يدع بالبصرة احدا ممن يتهم برأي الخوارج الا قتله حتى قتل بالهمة والظنة تسعة مائة

وكان ابو بلال مرداس الخنظلي تعظمه الخوارج، شهد مع علي صفين ثم انكر التحكيم وشهد النهروان ونجا فيمن نجا، ثم ظفر به ابن زياد فحبسه فلما اطلق عزم على الخروج وقال لاصحابه انه والله ما يسعنا المقام مع هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم فولوه امرهم وخرج الى جهات رامهرمز وارجان فربما لاي زياد فأخذ منه عطاءه واعطيات اصحابه فقط وترك الباقي فجهر اليه ابن زياد جيشا جالدهم حتي اذا كان يوم الجمعة طلب ابو بلال الموادعة حتي يصلوا فوادعهم فلما دخلوا في الصلاة شدوا عليهم فقتلوه وهو بين راكع وساجد وقائم في الصلاة وقاعد وقتل ابو بلال وارسلت رأسه الى ابن زياد ثم كتب ابن زياد الى عامله بالبصرة الا يدع احدا يعرف بهذا الرأي الا حبسه، ووجد في طلب من تغيب، فعمل وقدم ابن زياد فقتل من السجن جميعا وطلب الكفلاء بمن كملوا به منهم فكل من جاء بصاحبه اعطته

وقتل الخارجى ، ومن لم يأت بمن كفىل به منهم قتله و كان لا يلبث الخوارج بحبسهم
ثلاثة ويقتلهم تارة ويمنل بهم أفلطع تمثيل ولا يتعامل عن واحد منهم . ذلك لانه
كان قد اطلعتهم من حبس أبية فخرجوا عليه . اما ابوه زياد فكان يقتل الملعان
ويستصلح السر ولا يجرد السيف حتى تزول التهمة .

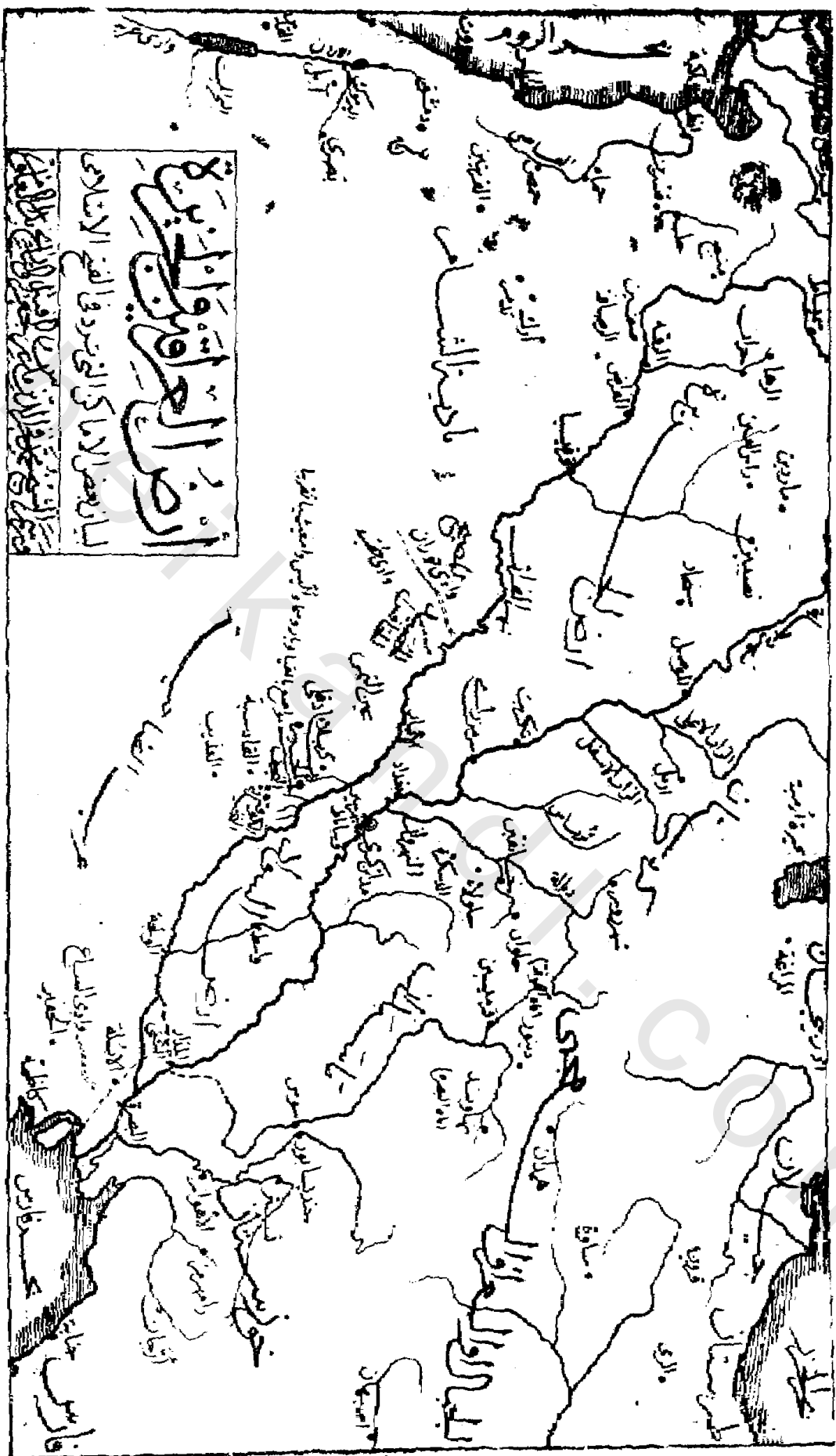
هذا وما زال الخوارج يخرجون على ولاية بني أمية جادين مشايرين
مضحين بانفسهم فى سبيل مبادئهم (لاحكم الله) حتى انتهى أمرهم الى
الازارقة ، وكانوا على رأي واحد لا يختلفون الا فى الشواذ ثم افترقوا فصاروا
اباضية وصفرية وبهسية . وازارقة . ولولا اختلافهم لتضوا على
دولة بنى أمية

وكان اول أمرهم قبل الاختلاف ان جماعة منهم ، وفيهم نجدة بن عامر
الحنفى عزموا على قصد مكة (لما توجه مسلم بن عقبة المرمى يريد المدينة لوقعة
الحرة) دفاعا عن حرم الله ورغبته فى امتحان ابن الزبير فان كان على رأيهم بايهوه
فلما جاءوه اظهروه على رأيهم ، فأقاموا معه يقاتلون أهل الشام فلما جاء نعى يزيد
انصرف العساكر ، كشفوا عن رأى ابن الزبير فصرح لمخالفتهم فبرئوا منه
فبرئ منهم ففارقوه ، واقبل نافع بن الازرق الحنفى وعبد الله بن الصفر وعبد الله
بن اباض وحظلة بن يهيس وغيرهم وكلامهم من تميم حتى اتوا البصرة واطاق ابو
طلوت وابوا فديك وغيرها الى اليمامة فوثبوا بها مع ابى طلوت ثم مالوا الى نجدة
ابن عامر ، وبذلك صار الخوارج اربع فرق : ازارقة ، ونجدية واباضية وصفرية
فلما جاء نافع الى البصرة امره عليهم ثم استقر رأيهم (حين مات يزيد وباع
اهل البصرة ابن زياد) ان يخرجوا الى الاهواز و كان فى سجن ابن زياد اذذاك
اربعمائة منهم فاطلقتهم رجاء ان يكونوا من اعوانه على أمره بعد ان بوع فى العراق
فكانوا عليه ، اذا فسدوا بيمته وفسدوا فى الناس يدعون الى محاربة السلطان فلما هرب
ابن زياد الى الشام كما سلف اقام نافع بالاهواز يعترض الناس وطرده عمال
السلطان وجبى الخراج وفسدوا عماله فى السواد فارتفع ذلك اهل البصرة وبرزوا

الى الاحنف بن قيس وكتبوا الى ابن الزبير يأمرونه بالامام لهم ويستأمنونه ان يوجه اليهم رجلا من قبله يتولى الامر فوجه اليهم الحرث الخزومي فأتى البصرة فجرد عليهم جيشا من اهلها فخرج اليهم نافع واقتتلوا قتالا شديدا حتى قتل نافع أمير اهل البصرة وأمر الفريقان واستمر القتال زهاء شهر وكلما قتل أمير انتخب أمير غيره وفي النهاية انهزم البصريون ورجعت قلوبهم الى البصرة فندعروا اهلها وخافوا الخوارج واضطروا الى ان يدفعوا اليهم الجباية ثلاثة أشهر ثم وجهوا جيوشهم الى البصرة ليفتحوها فلما اشار الاحنف علي الوالي بتولية المهلب بن ابي صفرة حريم (وكان ابن الزبير قد ولاه خراسان) فلم يقبل الا على شروط اجابوه اليها وكتبوا الى ابن الزبير فاقرها — عند ذلك اختار المهلب اثني عشر الفا وقيل عشرين الفا منهم ثمانية آلاف من قومه الازد وسير على مقدمته ابنه فتأتل الخوارج وهم بنهر تستر حتى وفد المهلب فقاتلهم فانكشف فترك قتالهم من الغدر خندق وازكي العيون وأقام الحرس ثم هضم من الغد في تعبته وقاتل القوم فانهم ايضا غير أنه كسر كرة شديدة وحمل جنوده حملة صادقة أزالوا بها الخوارج عن مواقعهم وقتلوا رئيسهم وكثيرا منهم فانكفأ الباقون قاربين الى كرمان وناحية اصبهان وهناك استخلفوا عليهم أما المهلب فاقام بالاهواز حتى ولي ابن الزبير أخاه مصعبا على البصرة فولى المهلب عملا آخر وعزله عن حرب الخوارج .

« علاقة نجدة وابي فديك بعبد الملك »

رأى الخوارج باليمامة أن نجدة خيرا لهم من أبي طالوت فحالفوه وبايعوا نجدة فقادهم الى محاربة مخالفينهم من أهل البحرين ، وسار الى القطيف وهزم عبد القيس وسالته الازد — فأرسل اليه مصعب جيشا فهزمه نجدة ، وعندئذ أغار على بني تميم بكازمة ، ثم سار الى اليمن فبايعه اهل صنعاء . وأرسل أبا فديك الى حضرموت فاخذ صدقاتهم ثم سار نجدة الى مكة فادي الفريضة وقصد



ارض العرب والمشرق

لما بعض الاماكن التي تدر في لفظ الاشاعه
في السجل بخط الامام الناصر على حجر الجبل المطبق على ارضه

المدينة فتأهب أهلها لقتاله فرجع الى الطائف فجاءه غروة بن مسعود الثقفي فبايعه عن قومه وبعد ان ولى الولاة على تلك النواحي عاد الى البحرين وقطم الميرة عن الحرمين حتي كتب اليه ابن عباس فخلها .

ثم كاتبه عبد الملك في الطاعة على ان يوليه اليمامة ويهدر له ما أصاب من من الدماء فاتبعه أصحابه في هذه المكاتبه ونقموا عليه أمثالها وأنحازوا عنه وولوا أمرهم أبا فديك . فاستخفى نجدة واجمع المسير الى عبد الملك وهرب الى اخواله من تميم ، فألح أبو فديك في طلبه حتي علم موضعه وأرسل اليه من قتله .

وكان من أمر فديك بعد قليل أن ارسل اليه عبد الملك جيشا بعد أن ملك العراق فقتلوه وحاصروا أصحابه بالمشقر حتي نزلوا على الحكم فقتل منهم ستة آلاف وأسروا ثمانمائة وذلك سنة ٧٣ .

عود .. ولما تولى مصعب البصرة سنة ٦٨ كان المهلب في حرب الازارقة كما سلف فاراد ان يوليه الموصل والجزيرة وأرمينية ليكون بينه وبين عبد الملك فاستقدمه وولى عمر بن عبد الله بن معمر حرب الخوارج الذين كانوا قد عادوا الى فارس ونزلوا اصطخر فحاربوا عمرو وحاربههم وقتل منهم سبعين فانهزموا الى نيسابور فتبعهم عمر فعادوا الى اصبهان ثم فروا الى فارس وأتوا الاهواز فأصدين العراق وعمر في أثرهم فاستعد مصعب للقائهم فحولوا لوجهتهم الى المدائن . فاستعد لهم عمال تلك النواحي فلم يجدوا بدا من الفرار فارتدوا الى الري والجنود في أثرهم ثم فروا الى اصبهان فقتلوا حتي انهزموا وقتل رئيسهم فولوا قطرى بن الفجاءة المازني فقادهم الى كرمان ثم عاد الى اصبهان فامتنعت عليه فقصد الاهواز وحط رحاله بها

وعند ذلك اضطر مصعب الى استدعاء المهلب لمقاتلتهم فتولي حريمهم عمانية

أشهر متوالية حتى قتل مصعب واستولى عبد الملك على العراق فولى المهلب خراج الاهواز وقتل الخوارج وامده بالرجال فزحف بهم فمال الخوارج كثيرهم غير ان اهل البصرة لم يلبثوا أن فروا الى مدينتهم وكذلك صنع أهل الكوفة وتركوا المهلب في عدد قليل

ثم أن عبد الملك ولي الحجاج العراق سنة ٧٥ فخطب بالكوفة خطبته المعروفة وكان منها وتقدبا منى رفضكم المهلب واقبالكم الي مصركم عاصين مخالفين وايم الله لا أجد أحدا من عسكره بعد ثلاث الا ضربت عنقه وانتهيت داره ثم دعا العرفاء وقال الحقوا الناس بالمهلب وأتوني بالبراءة بموافاتهم فلم يتأخر أحد ولحقوا بالمهلب وهو برامهرض فقال المهلب . قدم العراق اليوم رجل ذكر ليوم قوتل العدو وشرح اذ ذاك بمناهضة الخوارج وهو ممالي . ثقة بالقضاء عليهم ثم قتل أمير عسكر الكوفة فارسى الحجاج عليهم عتاب ابن ورقاء وأمره بطاعة المهلب وكان في نفسه من المهلب شيء فلما اطلع الحجاج على ما بينهما استدعى عتابا فجعل المهلب ابنه حبيبا على جيش عتاب واقاما يقاتلان الخوارج

الحجاج والصفريّة

خرج ضالح بن مسرح التميمي وكان رجلا عابدا صالحا ولكنه كان يحط على الخلفيتين عثمان وعلى كهيئة الخوارج ؛ وكان مسكنه الموصل والجزيرة وله اصحاب يقرأهم القرآن ويعلمهم الفقه فدعاهم الى الخروج وانكار الظلم وجهاد المخالفين فاجابوه وجاءه كتاب من شبيب بن يزيد الشيباني يحثه على الخروج فكتب اليه انه لم يمنعني من الخروج الا انتظارك فاقبل الى فانك ممن لا يستغنى عن رأيه ولا تقضى الامور دونه فخرج شبيب نفر من اصحابه ولقي صالحا بدارا فقال له اخرج بنا رحلك الله وبث رسله وواعدهم هلال صفر سنة ٧٦ فاجابوه واجتمعوا عنده في الميعاد فامرهم بالدعاء قبل القتال وخبرهم

في الدماء والاموال فخرجوا وعرضت لهم دواب محمد بن مروان عامل عبد الملك على الجزيرة فاستحلوها وحملوا عليها أصحابهم فبعث اليهم محمد جيشا عليه عدي ابن عدي الكندي وكان ناسكا ، فكره حروبيهم ولكنه خرج من حران اليهم وارسل اليهم رسولا بمغادرة البلاد فحبسوا الرسول وطلعوا عليه وهو على غير تمبشة فانهزم واحتوي الخوارج علي معسكره ومضوا الى آمد .
فسرح اليهم محمد الفين واعتصموا بخنادقهم فتركهم الخوارج وقطعوا أرض الجزيرة والموصل الى الدسكرة بنواحي نهر الملك من غربي بغداد ، فسرح اليهم الحجاج ثلاثة آلاف من أهل الكوفة فانهزم الخوارج وقتل صالح

(أمر شبيب)

ولما أصبح شبيب نادى في القوم بايعوا من شئتم من اصحابكم واخرجوا بنا اليهم فبايعوا وخرجوا فوقع لهم مع الحجاج وقواده حروب كثيرة كان أكثرها لشبيب حتي لقد دخل الكوفة سنة ٧٦ ومعه امرأته غزاله التي كانت تدخل مع زوجها في الحروب وربما قصدت الحجاج فرب منها فبهره بعض الناس بقوله :

اسد على وفي الحروب نعامه فتخباء تنفرون من صغير الصافر
هلا برزت الي غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر
والمعروف ان الحجاج بعث الى شبيب خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد ثم قاتل الحجاج وحاصره وكسره غير مرة وكانت اكثر وقائمه في الدسكرة والمدائن ودارا وخانقين وتكريت والكوفة والقادسية وساباط والانبار وكان كلما انتصر دعا المنهزمين الى بيعته فيبايعونه حتى حار الحجاج في أمره

ووالى قتاله حتى استولى الاعياء على الطائفتين معا، ويئس شبيب فقصد الاهواز
ثم فارس ثم كرمان ليستريح هو ومن معه — وعند ذلك اخذ الحجاج بعد
العدة للقضاء عليه، فلما تم له ذلك استمد عبد الملك وعرفه وعجز أهل الكوفة عن
قتال شبيب فأمدّه بجيش من أهل الشام عليه سفيان الكلابي فسرحه الحجاج
وكتب الى عامل البصرة ان يبعث أربعة آلاف من جند البصرة الى سفيان فقبل وكان
شبيب بعد ان استجم بكرمان أقبل راجعا فلقى سفيان بالاهواز فحمل عليهم شبيب
واصحابه أكثر من ثلاثين حملة ووقع بأهل الشام من الضرب والطعن ما لم يروا مثله
وانهمزوا على أن يصبحوهم وقطعوا دجيل الاهواز، فلما أصبح شبيب جاء ليعبر هذا
النهر، وبينما هو على الجسر وكان من سفن مترابطة نزاحصانه على فارس
فاضطرب الحجر تحته فنزلت قدم الحصان وهو على حرف سفينة فسقط به
في الماء فغرق وهو يقول وكان أمر الله مفعولا، ذلك تقدير العزيز العليم.. فلم
يعلم به أمير أهل الشام الا من صاحب الجسر، ذهب الى سفيان وهو يريد
الانصراف باصحابه وقال ان رجلا من الخوارج سقط فتنادوا بينهم غرق
أمير المؤمنين ومروا وتركوا عسكرهم، فكبر سفيان واصحابه وركب الى
الجسر وبعث الى عسكرهم فحوي ما فيه ثم اسلخروا شبيبا من الماء فشقوا
جوفه واخرجوا قلبه وكان صلبا كأنه صخرة

خروج مطرّف بن المغيرة

كان بنو المغيرة بن شعبة صلحاء اشرافا بانفسهم مع شرف أيهم ومنزلتهم
من قومهم. فلما قدم الحجاج علم أنهم رجال قومهم فاستعمل عروة على الكوفة
ومطراف على المدائن وحزمة على همدان وكانوا في أعمالهم احسن الناس سيرة
وأشدهم على المريب وكان مطرف على المدائن ايام شبيب فبعث الى شبيب

يطلب اليه ان يرسل بعض صحابته لينظر فيما يدعون اليه فقالوا ندعوا الى كتاب
 الله وسنة رسوله . وانا نقمنا على قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتسلط
 بالجبرية فقال مطرف : دعوهم الى حق وما نقمتم الا جورا ظاهرا وأنا لكم
 متابع فبايعوني على ما ادعوك اليه ليجتمع أمري وأمركم بايعوني على قتال هؤلاء
 الظلمة باحداثهم وعلى الدعاء الى الكتاب والسنة وعلى الشوري كما تركها عمر
 حتى يولى المسلمين من يرضونه فلم يقبلوا منه ولبثوا أربعة أيام يتناظرون في
 ذلك ولم يتفقوا وخرجوا من عنده ثم دعا مطرف اصحابه واخبرهم بما دار بينه
 وبين أصحاب شيب وان رأيه خلع عبد الملك والحجاج ، فوجوا من قوله
 وأشاروا عليه بالسكتة فقال له يزيد بن أبي زياد مولى أبيه : ان يخفي على
 الحجاج شيء مما وقع ولو كنت في السحاب لاستنزلك فالتجاء بنفسك
 ووافقه اصحابه فسار مطرف عن المدائن الى الجبال ولما كان في بعض الطريق
 دعا أصحابه الى الخلع والدعاء الى الكتاب والسنة وان يكون الامر شورى
 فرجم بعض اصحابه الى الحجاج وسار مطرف ومر بحلول فاعترضه عاملها فاقوم
 به واثخن في الاكراه ومال عن همدان ذات اليمين وبها أخوه حمزة واستمده
 بمال وسلاح فأمره سرا وسار الى قم وقاشان فبعث عماله في نواحيها وبعث
 عدى بن زياد الايادي عامل الرى الى الحجاج فأمره وكتب الحجاج الى
 صاحب شرطة حمزة ان يقبض على حمزة ويولى مكانه فقرأه كتاب الحجاج
 فقال سيما وطاعة فقبض عليه وأودعه السجن ، فاما عدى فسار نحو مطرف
 واقتلوا قتالا شديدا فانهمز أصحاب مطرف وقتل مطرف جماعة من اصحابه
 قتله عميرة بن هبيرة الفزارى وحمل رأسه فتقدم بذلك عند بني أمية ،
 وقبل يزيد مولى المغيرة وكان صاحب الراية وبذلك انتهى أمر هذا
 الخارجى الجديد

(بقية خبر المهلب وقطري)

ترك المهلب وابنه يقاتلان الخوارج، وكانت فارس بيد المهلب وكرمان بيد الخوارج، فضاق على الخوارج مكانهم لا يأتيهم من فارس مادة، فخرجوا وخرج المهلب فقاتلهم بمدينة كرمان (جبرفت) قتالا شديدا، وترك له الحجاج بشارة عبد الملك فساو دارا مجرد واصطخر الكون للمعونة على الحرب فلبث يقاتلهم ثمانية عشر شهرا لا يقدر منهم على شيء، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم ففارق بعضهم قطريا وولوا عبد ربه الكبير واقتتلوا نحو من شهر فكتب المهلب الى الحجاج بامرهم فكتب اليه وامره ان ينتهز هذه الفرصة ويقاتلهم وهم مختلفون قبل ان يجتمعوا فلم ير المهلب هذا الرأي، بل رأى ان يتركهم يقتل بعضهم بعضا وفي ذلك هلاكهم بايديهم من غير ان يراق دم نصر من جنده وان اجتمعوا فانهم يكونوا قد رقوا فيكون امرهم عليه أهون اذ تكثر شوكتهم قد ضعفت فلم يجد الحجاج بدا من موافقة. فظل الخوارج يقتلون نحو شهر والمهلب مستريح الي ما يصفو

اما قطري فخرج بمن تبعه فلحق بطبرستان وعند ذلك انتهز المهلب هذه الفرصة وحصر عبد ربه واصحابه في جبرفت وشدد الحصار عليهم حتى خرجوا من احد ابوابها باموالهم وحرهم فقاتلهم المهلب ثم دخل المدينة وعاد فبقيهم اربعة فراسخ وقالمهم فجمع عبد ربه اصحابه وقال لهم هبوا انفسكم لله وبائع جماعة من اصحاب المهلب على الموت وكبروا فعضم الخطب وطعن القوم بالرمح حتى تكسرت واضطربوا بالسيوف حتى تقطعت ثم صاروا الى المعاقبة فترجل المهلب في حماته وحمل عليهم وهويتلوا (وقتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) فلم يزل حتى انزل الله نصره عليه وهزم الخوارج وقتل

عبدربه وكثير من اصحابه ولم ينج منهم الا ضعفاؤهم فدخلوا في عسكر المهلب وانضم كل رجل منهم الى عشيرته من اصحاب المهلب

﴿ وفود رسول المهلب الى الحجاج بقتل الازارقة ﴾

ولما انتصر على الازارقة بعث مالك بن بشير الى الحجاج فلما ورد عليه قال كيف تركت المهلب ؟ قال ادرك ما أمل وامن من خاف ، قال كيف هو بجنده ؟ قال والد رؤوف قال فكيف جنده له ؟ قال اولاد برره ، قال كيف رضاهم عنه ؟ قال وسعهم بالفضل واقنعهم بالعدل قال ، فكيف تصنعون اذا تقيتم عدوكم قال نلقاهم بجودنا فنظم فيهم ويلقوننا بمجدهم فيطمعون فينا قال كذلك الجد اذا تقى الجد قال فما حال قطري قال كادنا لبعض ما كدناه ، قال فلما منعكم من اتباعه قال رأينا المقام من ورائه خيرا من اتباعه ، قال فاخبرني عن ولد المهلب . قال اعباء القتال بالليل حماة السرح بالنهار . قال أيهم أفضل قال قال ذلك الى ابيهم . قال لتقوان . قال هم كحلاقة مفرغة لا يعرف طرقاتها . قال أقسمت عليك هل رأت في هذا الكلام . قال ما أطلع الله على غيبه احدا فاستحسن قوله وكتب الى المهلب يشكره ويأمره ان يولى كرمان من يثق اليه ويقدم . فولاهما ابنه يزيد وقدم على الحجاج فاكرمه واجلسه الى جانبه وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب وأمر له بالجوائز والصلوات ولولده وكانوا سبعة : المغيرة وحبيب ويزيد والمنضل ومدر ك ومحمد وعبد الملك وعبد الله . وأكرم اصحاب المهلب وأقام المهلب عنده حتى وافاه عهده من عبد الملك بولاية خراسان فسار اليها ومكث خمس سنين ثم مات بها وكان قد استخلف في مرضه ابنه يزيد فجعل عبد الملك أمر خراسان للحجاج فاقر يزيد عليها

﴿ مقتل قطري ﴾

وأما ما كان من أمر قطري فإن الحجاج أرسل الى سفيان الكلبي في جيش عظيم فاجتمع باسحق بن محمد بن الاشعث في اهل الكوفة هنالك واقوا الخوارج في شعب من شعاب طبرستان وقتلوهم فافترقوا عن قطري ووقع عن دابته فتدهده الى أسفل الشعب . ومر به تلج فاستقاه على ارن يعطيه سلاحه فعمد الى أعلى الشعب وحذر عليه حجران فوق الشعب فاصابه في رأسه فأوهته ونادى في الناس فجاء في أولهم اهل الكوفة فقتلوه وحملوا رأسه الى اسحق فبعث به الحجاج الي عبد الملك وهالك قطري بعد أن حارب المهلب سنين وسلم عليه بأمر المؤمنين .

وأما سفيان فأحاط بالخوارج وحصرهم حتي أكلوا دوابهم ثم خرجوا اليه مستميتين فقتلهم أجمعين وبعث برؤوسهم الى الحجاج ودخل طبرستان فكان هنالك حتى عزل الحجاج .

قال بعض العلماء — وانقرضت الازارقة بعد قطري وعبيدة بن هلال آخر رؤسائهم — وأولهم نافع بن الازرق وانصل أمرهم بضعا وعشرين سنة الى أن افترقوا سنة ٧٧ فلم تظهر لهم جماعة الى رأس المائة

﴿ حديث عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ﴾

كان الحجاج قد جهز لفرزو سجنان عشرين الفا من فرسان الكوفة وعشرين الفا من اهل البصرة واختار اهل الغنى والشجاعة وأنجدهم بالخيال الرائعة والسلاح الكامل وبعث عليهم عبد الرحمن هذا وكان يبغيه ويريد قتله وبخبر الشامي بذلك عبد الرحمن فيقول أنا ازيله عن سلطانه وأشير على الحجاج الا يبعثه خشية خلافه فقال هو أهيب لي من أن يخالف أمرى فسار عبد الرحمن ودخل

سجستان وحوارها شيئا فشيئا وبعث عماله عليها وأخذ منها الحصون والقنائم ومنع من التوغل في البلاد إلى قابل وكتب إلى الحجاج بذلك فكتب إليه يوبخه على التعود عن التوغل ويأمره بالمضي لما أمره به من هدم حصونهم وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وأعاد عليه الكتاب بذلك ثانيا وثالثا وقال له إن مضيت وإلا فأخوك أسحق أمير الناس؛ فجمع عبد الرحمن الناس ورد الرأي عليهم وقال أنا رجل منكم أمضى إذا مضيت وآبى إذا أبيتم فثار الناس وقالوا لا نسمع ولا نطيع للحجاج وتكلم أبو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى وله صحبة فقل اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الأمير عبد الرحمن فتنادى الناس من كل جانب فعلننا فعلنا . ولم يذكروا عبد الملك . فصالح عبد الرحمن صاحب سجستان على أنه إن ظهر فلا خراج عليه مابقى وإن هزم منه ممن يريد ثم ولى على بستان وعلي زرنج وسار إلى العراق في جموعه وأعشى همدان بين يديه بجري بمدحه وذم الحجاج وكان ذلك سنة ٨١ — فلما وصل إلى فارس بدا للناس في أمر عبد الملك وقالوا إذا خلعنا الحجاج فقد خلعنا عبد الملك واجتمعوا على عبد الرحمن وبايعوه على السنة وعلى جهاد أهل الضلالة والخلفين وخلعهم . فكتب الحجاج إلى عبد الملك يستمده وكتب المطلب إلى الحجاج بالآلا يعترض أهل العراق حتى يسقطوا إلى أهليهم . فاتهمه . وجند عبد الملك الجند إلى الحجاج فساروا إليه متتابعين أسار الحجاج من البصرة فنزل تسترو لما التقى الجمعان انهزم الحجاج وعاد فتيحه عبد الرحمن حتى دخل البصرة فبايعه أهلها وصار نواحيها (لأن الحجاج كان قد اشتد عليهم في الخراج) على حرب الحجاج وخلع عبد الملك ثم اشتد القتال بينهم في المحرم سنة ٨٢ فانهمز جنود الحجاج أولا ولكن سفيان الكلبى حمل بأهل الشام على ميمنه عبد الرحمن فهزمها ولحق عبد الرحمن بالكوفة ، غير أن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة ابن الحرث بن عبد المطلب اجتمع عليه من بقى من أهل البصرة وبايعوه فقاتل

بهم الحجاج لحس ليال لشد قتال ثم لحق بابن الاشعث بالكوفة وقد استقر بها
 وملكها من خليفة الحجاج عليها فرجع الحجاج الى الكوفة ونزل ديرقره ونزل
 ابن الاشعث دير الجاجم وهامة قبالان (والاول ملاصق لطرف البرودير الجاجم
 مما يلي الكوفة) واجتمع الي كل واحد منهما امداده وخندق على نفسه وبعث
 عبد الملك ابنه عبد الله واخاه محمدا في جند كثيف وامرهما ان يعرضا على
 اهل العراق عزل الحجاج ويجري عليهم اعطياتهم كاهل الشام وينزل عبد الرحمن
 الي اي بلد شاء عاملا لعبد الملك فوجم الحجاج وكتب اليه ان هذا مما
 يزيدهم جرأة فأبى، وتشاور اهل العراق بينهم وأشار عليهم عبد الرحمن بقبول
 ذلك وان العزة لهم على عبد الملك لانزول فتوائبوا منكرين مجددين الخلع ثم برزوا للقتال
 واقاموا يتزاحنون ويقتلون بقية سنتهم ثم اقتتلوا في منتصف جمادى الآخرة فانهم
 عبد الرحمن واصحابه الى البصرة وعاد الحجاج الى الكوفة وعاد اهل الشام الى
 بلادهم ثم اجتمع على عبد الرحمن خلق كثير بايعوه علي الموت وخرج فنزل
 مسكن (على نهر دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت) وظلوا
 يقتلون حتى انهزم عبد الرحمن ايضا، وكان الفرقى من جندها كثير من القتلى، فسار
 الى سجستان واتبعه الحجاج بالعساكر فادر كوه بالسوم فانهمزم الى كرمان
 وانتهى الى بست واجتمع المنهزمون وارادوا قصد خراسان وكتبوا الى عبد الرحمن
 فشانهم عن قصدهم مخافة ان يسطوا عليهم يزيد بن المهلب وان يجتمع عليهم اهل
 خراسان قابوا وقالوا بل يكثر بها تابعنا، فسار معهم الى هراة ثم الى خراسان فامرهم
 ابن المهلب بالرحلة من البلاد فقال اما نزلنا لنستريح ونرتحل، لكنه أخذ في
 الجباية فسار اليه ابن المهلب والتقوا فاقترب أصحاب عبد الرحمن عنه وصبرت
 معه طائفة ثم انهزموا وأمر بن الاشعث بالكف عنهم وغنم مافي عسكرهم وأسر
 جماعة منهم ولحق عبد الرحمن بهراة وانصرف ابن المهلب الى فرو وبعث بالأسرى
 الي الحجاج فوفدوا عليه بمكان واسط قبل بنائها فقتل كثيرا من زعمائهم
 ثم انصرف ابن الاشعث صاحب سجستان فتابع الحجاج الكتب اليه يرهبه

ويرغبه فقبض على عبد الرحمن وقتله وأرسل رأسه الى الحجاج وقيل أنه مات بالسل ثم قُطع رأسه ، قيل أنه حوَّصر فألقى نفسه من سطح قصر فمات فاحتز رأسه وسيره الى الحجاج وسيره الحجاج الى عبد الملك وهذا سيره الى عبد العزيز أخيه بمصر ، وكان ذلك سنة ٨٥ (وانتهت فتنة ابن الاشعث)

قيل أنه خرج معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل فيهم علماء وفقهاء وصالحون وكان بينه وبين الحجاج أربع مئان وقعة في مائة يوم فكان منها ثلاث ومئان على الحجاج وواحدة له

وكان الحجاج قد أرسل الى ابن الاشعث أيوب بن زيد الهلالي المعروف بابن القرية (وكان من فصحاء العرب وأجوادهم) ليدعوه الى الطاعة وله الامان على ماسلف من ذنبه فانطلق اليه فما زال ابن الاشعث به يختدعه حتى ترك ما أرسل فيه وأقام مع ابن الاشعث حتى هزم فأسر ابن القرية فيمن أمر فأدخل على الحجاج فقال له يا عدو الله بعثتك رسولا الى عبد الرحمن فتركت ما بعثت له وصرت وزيرا ومشيرا ، تصدر له الكتب وتسجع له الكلام وتدبر له الامور ، فاعتذر ابن القرية فلم يقبل الحجاج عذره ، ولما أحضر للقتل قال للحجاج ألقني عثرتي واسقني ريقى فانه ليس جواد الا له كبوة ولا شجاع الا له هبوة ولا صارم الا له نبوة ، فقال الحجاج كلا والله لأزيرنك جهنم قال فارحنى فأنى أجد حرها فأمر به فضربت عنقه ويقال إن الحجاج هو الذى وضع الحربة فى تندوته ودفعها حتى خالطت جوفه ثم خضخضها وأخرجها فاتبعها دم أسود فقال الحجاج هكذا تشخب أوداج الابل وفحص ابن القرية برجله وأشخص بصره وجعل الحجاج ينظر اليه حتى قضى فعمل فى النطم فقال الحجاج لله درك يا بن القرية أي أدب فقد نامك أي كلام رصين سمعنا منك

ثم تهدد الحجاج أنس بن مالك فكتب من ساعته الى عبد الملك فاستشاط غيظا وكتب الى الحجاج بلفظه وأمره أن يمشى اليه على قدميه حتى يأخذ منه كتابا بالرضا فلم يجد الحجاج بدا من ذلك ، فلما قرأ أنس كتاب عبد الملك قال جزى الله أمير المؤمنين خيرا كذلك كان رجائي فيه

واعلم أن خروج ابن الأشعث وما كان من انتصارات الخوارج وبخاصة شيبانا يدلك على مبلغ سخط بلاد المشرق على عبد الملك وعماله وتحفوزهم لوثوب بهم واجابتهم أول ناعق يريد الخروج عليهم وامداد من يرغب في حرهم سرا وعلانية بالنفس والمال والرجال ، والا فمما سبب انتصار الخارجين .

هذا والباحث في التاريخ يهمل ان يعرف أسباب انتصار الخوارج بصفة خاصة ، ثم اسباب انهزامهم وضعفهم مع ملاحظة أن حركاتهم كانت سياسية فافرجوها بشيء من الدين

فمن اسباب انتصاراتهم قوة شعورهم الديني بانهم على الحق وإن الله ينصرهم كما نصر أهل بدر وهم اذلة ، وهذا هو ما يسمي الان بالقوة المضوية وما ادراك أن هذا لم يكن خاصا برجالهم بل كان في نسايتهم أيضا ، ومن أجل ذلك كانوا يتسابقون الى ميادين القتال وهم يرون رأى العين أن أعداءهم أكثر منهم عددا واقوى ثم ما هو الا ان يخرجوا من الميدان منصورين — هذا الشعور ألف بينهم وهم من قبائل شتى وانسابهم وأمر العصبيية ، واشعل في قلوبهم نار الغيرة على دين الله ان يمس بسوء وعلى خلافة رسول الله أن يتولاها من غير المسلمين اختيار ولا شعوري في ولايته عليهم او من يستعمل سلطة وظيفته للاستهتار بما هو حق للمسلمين عامة او في اضرار نفسه واهله وقرابته بالاعمال مع وجود الاصلح والأفضل من غيرهم وهذا الشعور ايضا مع ما يضم اليه من اقدامهم

القرب وشجاعتهم النادرة وأنفتهم ان يستمكنوا لظلم الظالمين وصبرهم وزهدهم في الدنيا ورغبتهم فيما عند الله وخفة أثقالهم ومحافظتهم على التقشف والتجاني عن اسباب الترف - كل هذه الخصال كانت من عوامل انتصاراتهم في جميع المواقع تقريبا

اما عوامل ضعفهم فترجع «١» الى أن أكثرهم كانوا لا يعرفون النظام ولا بالفتون الطاعة لان جلمهم من أهل البادية ومن أجل ذلك كانت تفترق كلمتهم لاقول الطاراري، واوهن الاسباب، ولو اتفقت كلمتهم لمحو بني أمية من الدنيا لمحو، ولألفوا دوله من اقوى دول الارض (٢) الى آرائهم المتطرفة فقد كفروا جميع المسلمين وارجبوا محاربهم ومحاربة ولاية الامور عامة وقد كان تشددهم في الرأي من أهم عوامل انقسامهم كما حصل بين الازارقة

(٣) الي أنهم لم ينشئوا جماعة كالجماعات السرية التي تكون بمثابة القوة المفكرة في الجسم، تعمل في الخفاء وفي هدوء، فترسم الخطط وتنظم الوحدة وتحفظ كيانتها من ان يتعرض الى الانهيار وسلطانها من أن تتخطاه الاهواء بل كانوا سرعان ما يعلنون أمرهم ولا يبالون بما قد يتخذ ضدهم من التدابير أو يلقى في سبيلهم من العوائق او يعرضهم الى الاخطار ولا تنس أن خروج الخوارج كان من أهم الاسباب في وقف الفتح الاسلامي. وتعرض دولة المسلمين الى الزوال، ولوان الترك او الروم كانوا في ذلك الوقت اقوياء لكان لهم من خروج الخوارج فرصة ثمينة للقضاء على الدين الاسلامي واهله ودولته ولكن الله سلم وجعل من عبد الملك والمهلب والحجاج قوة كسرت شوكتهم وفرقت كلمتهم وبددت شملهم وأطافت سراجهم، وقد مهد عبد الملك (بناضته مع الخوارج) لمن جاء بعده الملك المطمئن، فانه قضى

في حياته على أسباب الحروب الداخلية والفتن والثورات كما قضى على القوى
المعادية لبنى أمية في رقعة الدولة الإسلامية

﴿ وقوع أهل البصرة بالحجاج ﴾

خرج الحجاج من الكوفة الى البصرة وخطب كخطب بالكوفة وتوعد
على القعود عن المهلب فجاءه بعضهم معتذرا بمرض واحضر عطاءه ليرد البيت
المال فغضب الحجاج عنقه فقتل الناس مذبذبين الى المهلب ، وسار الحجاج حتى
كان بينه وبين المهلب ١٨ فرسخا وأقام يشد ظهره ، ثم اراد قطع الزيادة التي
زادها مصعب في الاعطية فقال له بعضهم انما هي زيادة عبد الملك وقد أجازها
اخوه بشر فأنهز الحجاج فقال اني لك ناصح وانه قول من ورائي فمكث الحجاج
اشهر الا يذكر الزيادة ثم اعاد القول فيها فاجتمع الوجوه الي عبد الله بن حكيم
الحاشمي وقالوا له اننا نراك على اخراجه من العراق وتكتب الى عبد الملك
أن يولى علينا غيره والا نخلعناه وهو يخافنا مادامت الخوارج في العراق . فبايعوه
سرا وتعاهدوا ، وبلغ الحجاج أمرهم فاحتاط غيرانهم خرجوا في ربيع سنة ٧٦ ولم
يبق مع الحجاج الا خامة أهل بيته ، وكان على رايات عبد القيس عبد الله بن
الجارود فارسل اليه رسولا يستدعيه ويهدده فردده اقبح رد وزحف في الناس حتى
خشي فسطاط الحجاج ونهبوا متاعه وكان رأيهم أن يخرجوه ولا يقتلوه فاستشار
الحجاج فاشار عليه بعضهم بأن يستأمن القوم ويلحق بامير المؤمنين وشار آخر
بالثبات ولو كان دونه الموت فقبل الرأي الاخير . وجاءه من يقول قد أخذك الامان
من الناس قتال والله لا أمنهم حتى تؤتوني بفلان وفلان وطلب الى بعض
الرؤساء أن يمنموه فاجابوه فثابت اليه نفسه ، وعبي ابن الجارود أصحابه وحمل
على الحجاج وحاصره أصحابه وكاد يظفر غيرانه أصابه سهم غرب فوقع ميتا
فأنهزم أصحابه فنادى منادى الحجاج بالمان الناس الا فلانا وفلانا وأمر

يقيم المنهزمون وأرسل رأس ابن الجارود ورأس ثمانية عشر من أصحابه الى الباب ونصبت ايها الخوارج ويتأسوا من الاختلاف وكن فيمن قتل عبدالله ابن أنس بن مالك فقال الحجاج ولا أرى أنسا يعين على فلما جاء البصرة نهب ماله فدخل أنس عليه فافحش له الحجاج في القول فكتب أنس الى عبد الملك فكتب الى الحجاج يشتمه ويغلظ عليه في التهديد وأمره ان يذهب الى أنس في منزله ويتصل اليه والا بعث اليه من يضرب ظهره ويترك سترة فلم يجد الحجاج بدا من ذلك فجاء الى أنس واعتذر له

ولما كان من أمر ابن الجارود ما كان خرج الزنج بالبصرة وجعلوا عليهم شير زنجي «أسد الزنج» وفسدوا وتناولوا الثمار كما حصل منهم أواخر أيام مصعب فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر بتسير جيش اليهم فأنهزم ثم أرسل اليهم جيش آخر فهزم الزنج وقتلهم واستقامت البصرة

(الفتح والغزو)

بعد أن استقل عبد الملك بخلافة المسلمين وأصبح لا ينازعه فيها ما نازع واشتد سلطانه واجتمع أكابر المسلمين عليه. وجه عنايته الى الفتح في بلاد الروم والترك، ولما كانت تمر عليه سنة لا يفتح فيها ولا بغزو، وكان من أهم ذلك

١) في افريقية والمغرب — اشرنا فيما سبق الى امر كسيلة ونعيمدهنا ان اكابر المسلمين اجتمعوا الى عبد الملك و— ألوه تخلص افريقية ومن بهامن المسلمين من يد كسيلة فقال لا يصلح لطلب دم عقبة من الروم والبربر الا من هو مثله ديننا وعتلا فاجتمع رأيهم على تقديم زهير البلوي وقالوا هذا صاحب عقبة وأعلم الناس بسيرته وتديره واولاهم بطلب

دعاه، فوجه اليه عبد الملك (وزهير ببرة) يأمره بالخروج على أعنة الخيل الى افريقية ليستنقذ من في القيروان، فكتب اليه يعرفه بكثرة القوم فامده بالخيول والرجال والاموال وحمد اليه وجوه العرب فاقبل بهم الى افريقية فلما علم كسيلة ارتحل عن القيروان ليصنع حركة النفاق بطوق بها المسلمين فنزل زهير على القيروان ثم خرج الى كسيلة فهزمه وقتله ونبع فلوله الى وادي ملوبة بالمغرب ثم عاد الى القيروان وبعد ذلك تركها آمنة ورحل الى المشرق واقام ببرة فعلم الروم فاغاروا على برة وسبوا ونهبوا وكانوا في عدد عظيم فتلقاهم زهير واشراف من معه من العرب فقتلوا وقتل معهم، ففرغ المسلمون الى عبد الملك فاخبروه فعظم ذلك عليه لفضل زهير ودينه وكانت مصيبتة اعظم من مصيبة عقبة ابن نافع قبله فاجتمع الاشراف وسالوا عبد الملك ان ينظر لافريقية من يسد ثغرها ويصلح امرها فقال لهم ما اري احد كفوا لافريقية كعسان بن النعمان الازدي وقدمه على عسكر فيه اربعون الفا، اقامه اولا في مصر عدة لما يحدث ثم كتب اليه بالتهوض واطلق يده في أموال مصر يعطى من معه ومن ورد عليه فصار حتى نزل القيروان وافتتح قرطاجنة وهي دار ملك افريقية ففر بعض أهلها الى صقلية وبعضهم الى الاندلس وانصرف عنها فبادر أهل البوادي ودخلوها فكري عليهم حسان وقتلهم قتلا ذريعا ثم أرسل لمن حوالها فصار عوا اليه خوفا من شدة بأسه فأمرهم بتخريب قرطاجنة حتى صارت كأمس الغابر

ثم بلغه أن الروم والبربر تجمعوا اليه فانقض عليهم حتى يرد

شملهم في بلاد صطفورة وفر الروم الى باجة وفر البربر الى بونه وعاد
حسان الى القيروان فاراح بها أباما

أمر الملكة الكاهنة - واستدل على من بقي من ملوك أفريقية
ليسير اليه ليبيده أو يسلم فدلوه على امرأة بحبل اورأس وقد أخافت
الروم والبربر جميعا ، فرحل بجيوشه اليه ففرت من الجبل بعدد لا يحصى
وسبقته الى باغاية ولما التقى الجمعان تقاتلوا قتالا لم يسمع بمثله وصبر
القريبان صبرا عظيما ، غير أن حسان انهزم الى قابس فكتب الى
عبد الملك ان أمم المغرب كلما بادت أمة منهم خلفتها أمم فورد عليه كتاب
عبد الملك وهو يعمل برقة بأمره بالاقامة فاقام خمس سنوات ملكت
فيها الكاهنة المغرب كله وخربت أفريقية وهدمت حصونها وقطعت
اشجارها (وكانت ظلا واحدا من اترابلس الى طنجة) كل ذلك يئأس
منها العرب فلا يكون لهم رجوع اليها

ثم ان حسانا توافت عليه فرسان العرب ورجاله من قبل عبد الملك
فكتب الى خالد بن يزيد وهو أسير عند الكاهنة من حيث لا تعلم ،
فكتب اليه باحوال القوم وانهم لانظام لهم ولا رأى عندهم وأمره أن
بطوى المراحل وبجد في السير ، غير أن الكاهنة أحست أن حسانا
تقهقر ليذب فارسلت خالدا مع أولاده ليستأمنوا الى حسان ، وتقدمت
بجندها للقتال فقاتلها حسان وهزم جندها وقتلها واستولى
على أفريقية كلها .

وكان مع حسان جماعة من البربر استأمنوا اليه فقال لاؤمكم حتى
نعطوني اثني عشر الفا يجاهدون مع العرب ، فأجابوه وأسلموا على

يديده فعمدلولدى الكاهنة على هؤلاء البربر وأخرجهم بجولوز فى المغرب
 بقتلون الروم ومن كفر من البربر وذلك سنة ٨٢ ثم عاد الى القيروان
 وقد استقامت له أفريقية فدون الدواوين وصالح على الحراج وكتبه على
 عجم أفريقية وعلى من أقام معهم على دين النصرانية، وأقام حسان
 لا ينفزو احدا ولا ينافزه أحد الى أن عزله عبدالعزیز بن مروان والى مصر
 وأمره بالقدوم عليه فقدم عليه ثم سار الى الوليد فشكاه عبد العزيز
 فأراد أن يعيده الى عمله ويحسن اليه فحلف لآلى لبنى أمية أبدا وكان
 حسان يسمى « الشيخ الأمين »

ولكثر الغنائم التى عاد بها ارتحل كثير من العرب الى أفريقية طمعا
 فى اكتساب الثروة فنشروا الاسلام بين البربر الذين كانوا يشبهون
 العرب فى كثير من صفاتهم وكانوا بعد ذلك قوة للعرب على الفتح هناك
 حتى فى الاندلس وتولى بعده على أفريقية موسى بن نصير

(٢) أما بقية الفتح فى بلاد الروم فقد فتحت قيسارية الروم
 وارقدده وهى على سبع مراحل من القسطنطينية، وقاليقلا وملطية والمصيصة
 وهذا الى الغزوات المتوالية فى الروم وأرمينية من سنة ٧٠ الى سنة ٨٥
 وكان أكثرها على يد محمد بن مروان ومسلمة بن عبد الملك الذى
 فتح حصنى بولق والاخرم

(٣) وأما الفتح فى المشرق فكان أكثره بما وراء النهر اذ فتح
 المهلب كش وفتح ابنه يزيد قلعة نيرك بباذغيس وغنم مافيا من
 الاموال والذخائر وكانت من أحسن القلاع وكان نيزك صاحبها
 اذا أشرف عليها بسجدها

وفي أيام عبد الملك تحركت الروم سنة ٧٠ فمجز عنهم لاشتغاله
بابن الزبير - وخرج عليه ملك الروم سنة ٧٥ ونزل على مر عش
فهزمه محمد بن مروان ؛ وفي سنة ٨ دخلت الديلم قزوين لان الماراطين
في ناحيتها أمنوا الديلم وناموا الليلة فأنقض عليهم الديلم فيها غير أن محمد
ابن أبي سبرة داهمهم فلم يفلت منهم احد ولم يعودوا بعدها
الى الهجوم

(البيعة للوليد بن عبد الملك واخيه سليمان)

لما طالت أيام عبد الملك في الخلافة ثقل عليه أمر عبد العزيز بن
مروان واراد ان يخلعه من ولاية العهد ويجعلها لولديه الوليد وسليمان
من بعده فمنعه قيصة بن ذؤيب وكان على ديوان الخاتم وقال له لانفعل
ذلك فانك باعث على نفسك صوتا وامل الموت بآتيه فتستريح منه ، فكف
عن ذلك ونفسه تنازعه حتى دخل عليه روح بن زنباع الجذامي
(وهو الذي قدم الحجاج عند عبد الملك ، فانه شكاه الى روح انحلال
عسكره وان الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله فقال له ان في
شرطتي رجلا لو قلده امير المؤمنين أمر عسكره الارحل الناس برحيله
وانزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف ، قال . فانا قد قلنا ذلك
فكان لا يقدر احدا أن يتخلف الا اعوان روح فوقف الحجاج على
هؤلاء الاعوان يوما وقد رحل الناس وهم على الطعام يأكلون فقال
ما منعكم ان ترحلوا برحيل امير المؤمنين فقالوا انزل يابن الخناء فكل

معنا فقال هيهات ذلك ما هنالك وأمر بهم فجلدوا بالسياط وطيف بهم في المسجد، وأمر بفساطيط روح فاحرق قن بالزار، فدخل روح على عبد الملك باكيا وشكا اليه ما أناء الحجاج مع رجاله، فقال الخليفة على به، فلما دخل قال له ما حملك على ما فعلت ؟ قال ما فعلت ، قال ومن فعل ؟ قال أنت فعلت إنما يدى يدك وسوطى سوطك ، وما على أمير المؤمنين أن يخاف على روح لفسطاط فسطاطين وللغلام غلامين ولا يكسر نى فيما قدمنى له ، فاستحسن عبد الملك هذا العمل منه وكان ذلك أول ما عرف من كفايته وأخلف لروح ما ذهب منه - ولذلك لما استقرت البيعة لعبد الملك وأراد الخروج الى مصر وجعل يستنفر أهل الشام فيبسطون عليه قال له الحجاج - لمطاني عليهم فوالله لا يخرجهم منك . فقال له قد سلطانك عليهم فكان الحجاج لا يمر على باب رجل من أهل الشام قد تخلف عن الخروج الا أحرق عليه داره فلما رأى أهل الشام منه ذلك خرجوا على بكره أبيهم)

وكان روح من أجل الناس عند عبد الملك كما كان عظيم عند الناس فشاوره في ذلك فقال روح لو خلعت ما انتطخ فيها عنزان ، فبينما هما على ذلك اذ دخل قبيصة على عبد الملك فقال أجرك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز فاسترجع وقال لروح كفانا الله ما أجمعنا عليه فقال له روح فذاك ما أردت ولم تقطع رحم أبيك ولم تأت ما تناب به ولم يظهر عليك غدر والمعجب من أمر عبد الملك انه قد بايع لولديه في الظرف الذي كان بهالج هو فيه خلع أخيه ولم يفتن الى ان ما حصل بينه وبين أخيه من المداخيل يحصل أيضا بين أبنيه وقد حصل .

يقال ان عبد الملك كتب لآخيه عبد العزيز يأخى أن رأيت أن
تصير الامر لابن أخيك فافعل فأبى ، فكتب اليه ثانية : فاجعله من
بعدك فإنه أعز الخلق الى ، فكتب اليه عبد العزيز أنى أرى فى أبى بكر
ابن عبد العزيز (يعنى ابنه) مانراه فى الوليد ، فكتب اليه الثالثة : فاحمل
خارج مصر الى ، فكتب اليه : انى واياك قد بلغنا سنالم بلغها احد من
أهلنا ، وانا لا ندرى أينأبأنيه الموت اولا ، فان رأيت ألا نغث على بقية
عمرى ولا بأتنى الموت الا وأنت واصل فافعل ، فرق عليه عبد الملك
وقال لأغث عليه بقية عمره وقال لولديه الوليد وسامان ان يرد الله ان
يعطيكما لم يقدر أحد من الخلق على ردها عنكما ، ثم قال لهما : هل قارفتما
حرما قط ؟ قالوا : لا والله فقال عبد الملك نلتماها ورب الكعبة —

ولما بلغه الخبر بموت عبد الزبز سنة ٨٥ أمر الناس بالبيعة لابنيه
الوليد وسليمان فباعوا وكتب بالبيعة لهما الى البلدان ، وكان على المدينة
هشام الخزومي فدعا الناس فأجابوه الا سعيد بن المسيب ، فضربه ضربا
مبرحا وطاف به وحده ، فكتب عبد الملك الى هشام يلومه ، وكان
سعيد لم يبايع ابن الزبير أيضا فضربه عامله ستين سوطا

ثم مرض عبد الملك ومات منتصف شوال سنة ٨٦ ويروى انه
لما اشتد به المرض قال ارفعونى على شرف فرفعوه فتنفس الروح وقال :
يادنيا ما أطيبك . ان طوبلك لقصير وان كبيرك لحقير وان كنا منك
لفى غرور وتمثل

ان تناقش بكن نقاشك يارب عذابا لا طوق لى بالاعذاب
أو تجاوز فانت رب صفوح عن مسيء ذنوبه كالتراب

و يحق لعبد الملك أن يحذر هذا الحذر ويخاف ، فإن من يكن الحجاج
بعض سيئاته يعلم على أي شيء يقدم

﴿ ومن أهم أعماله ضرب الدينارين والدراهم ﴾

ويقال انه أول من أحدث ضربها في الاسلام فانتقم الناس بذلك،
أشار عليه بضربها أخوه عبد العزيز ويقال ان عبد الملك كتب في صدر
كتاب الى ملك الروم (قل هو الله أحد) وذكر النبي مع التاريخ فكتب
اليه ملك الروم : انكم قد أحدثتم كذا وكذا فتركوه والا أناكم من
في دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون، فعظم ذلك عليه فاحضر خالد بن يزيد
ابن معاوية فاستشاره فيه ، فقال حرم دنانيرهم واضرب للناس سكة وفيها
ذكر الله تعالى فاستشار أخاه عبد العزيز فاشار عليه أيضا بذلك ،
فضرب الدنانير وأمر الحجاج بضرب الدراهم فنتش فيها (قل هو الله أحد)
فكره الناس ذلك لمكان القرآن فان الجنب والحائض يمسها - وكان
ضرب النقود الاسلامية سنة ٧٥

وقد جعلها عبد الملك رسمية اذ بعث بها الى جميع بلدان الاسلام وتقدم
الى الناس في التعامل بها ، وتهدد بالقتل من يتعامل بغير هذه السكة
من الدنانير والدراهم وغيرها وامر بإبطال التعامل بالنقود الرومية
أو الفارسية ، ورد ما كان منها الى مواضع العمل حتى تعاد الى السكة
الاسلامية

﴿ ومنها بناء قبة الصخرة والجامع الاقصى ﴾

وسبب ذلك ان عبد الله بن الزبير لما دعا لنفسه بمكة فكان يخطب

في أيام منى وعرفة وبينال من عبد الملك ويذكر مثالب بنى أمية ويذكر
 ان جده الحكم كان طريد رسول الله وامرته فقال اكثر اهل الشام الى
 ان الزبير ، فسمع عبد الملك الناس من الحج فضجوا فبنى لهم القبة على
 الدخرة والمسجد الافصى ليصرفهم بذلك عن الحج والعمرة فصاروا
 يطوفون حول الصخرة كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد
 ضحاياهم وصار اخوه عبد العزيز يعرف الناس بمصر ويقف بهم يوم عرفة
 وانا أجل عبد الملك عن ان يحدث عبادة جديدة لم ينزل الله بها
 وهو كما نعلم كان يعد من الفقهاء والمجتهدين ولم يبالغ به الفجر الى هذا
 الحد على ان اهل الشام أن جاوه الى ما دعا اليه كانوا من البله وضمف
 الرأي وتزلزل العقيدة مكان

واما القصة على هذا النحو موضوعة وضما قصد واضعها ان
 يسوى سمعة عبد الملك وانه غير دين الله رجاء ان يصل الى شيء من
 اغراضه السياسية وربما كان ذلك في عصر العباسيين الذين كانت تروج
 مثل هذه القصص في عصرهم حتى لا يذكر الناس بنى أمية الا بالمرور
 من الدين على انه ان لم يفتر عليه هــذا وامثاله حزب الخوارج وقد
 قضى عليهم تقريبا ، فانه لا بد لهم من ان يالحق به هذا حزب الشيعة
 او حزب بنى هــشم اذ كلهم موثور من بنى أمية عامة

(خلافة الوليد)

كان الوليد أسن ولد عبد الملك ، وكان يحبه فتراخى في تأديبه
 لشدة حبه اباه فكان لحانا ، وكان عبد الملك يقول : أضرنا في الوليد

حبنا له فلم نوجهه الى البادية - وكان الوليد عند اهل الشام أفضل خلقائهم واكثرهم فتوحا واعظمهم نفقة في سبيل الله - بويج له بالخلافة في النصف من شوال سنة ٨٦ ، ولبت فيها عشر سنين اقليلًا ومات في النصف من ربيع الاول سنة ٩٦ وهو ابن ٤٠ سنة وكان له كثير من البنين ولى منهم ابراهيم الخلافة شهرين ثم خلع وولى يزيد الكامل شهرًا ثم مات وليس من ولده احد الا ومن رآه يحسب انه من افضل اهل بيته ولو وزن بهم عبد العزيز (من ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان) لرجحهم وقد اراد ابوه ان يباع له بعد ساجان فابى عليه سليمان وشنع عليه لانه ابن امة

ولما دفن عبد الملك قال الوليد انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت امير المؤمنين والحمد لله على ما انعم علينا من الخلافة فكان اول من عزى نفسه وهنأها ، ثم تقدم اليه عبد الله بن همام وبابعه ثم بابعه الناس بعده ، ويروي انه صعد المنبر وقال : ايها الناس عليكم بطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع المنفرد ، أبها الناس من أبدى لها ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ومن سكنت مات بدائه ثم نزل وكان جبارا عنيدا

وكان صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع فكان الناس يلقون في زمانه فيسأل بعضهم بمضاعن البناء وفي أيامه فتح الله على الاسلام فتوحا عظيمة وعاد الجهاد شببها بابام عمر وهو اول من اتخذ دار الضيافة للقادمين ، وبنى البيمارستانات للمرضى وساق المياه الى مكة والمدينة وأعطى الجند من أموالهم من سؤال الناس وأعطى كل مقعد

خادما وكل ضرب قائد - غير أنه له مساوىء من كونه كان أقر الحجاج على العراق ولم يغير أحدا من عماله ، وأشياء غير ذلك وأيامه كانت أبرك أيام بني أمية اذ بلغ الامويون على عهده أقصى درجات العز وعز الاسلام والمسلمون وغزت الجيوش بلاد الترك والهند والروم وفتحت الاندلس وجزائر كثيرة في بحر الروم

﴿ بناء الحرم المدني ﴾

عقد الوليد لعمه عمر بن عبد العزيز على الحرمين فدعا عشرة نفر من افاضل اهلها منهم عروة بن الزبير وعبيد الله بن عتبة وسليمان بن يسار فلما دخلوا عليه قال اعلموا اني لست اقطع امرا الا برأيكم ومشورتكم فاشيروا على ، فقالوا نفعل ايها الامير جزيت على ما تنوي خير ما جزى موثر لمرضاة ربه - ثم كتب اليه الوليد ان يشتري الدور التي حول الحرم المدني فيزيدها فيه ويجدد بناءه وكتب الى ملك الروم يسأله ان يبعث له ما استطاع من الفسيفساء (الحجارة الملونة) فوجه اليه مائة الف مثقال من الذهب ومائة من العملة واربعين حملا من الفسيفساء فبعث بها الى عمر بن عبد العزيز ، فهدم عمر المسجد وزاد فيه وبناء وزينه بالفسيفساء وادخل حجر ازواج النبي التي كانت شمالي المسجد وجنوبه بعد ان هدم بناءها وكانت شارة في المسجد ، واقتطع ايضا جزءا من حجرة عائشة ، ادخل ذلك كله في المسجد وذلك من جهة الروضة ، واشترى ما بنواحيه حتى صار مائتي ذراع في مثلها وقدم القبلة وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص وعمل ببقته من ساج وحلاه بماء الذهب ونقش اُردوس الاساطين والاعتاب بالذهب واقام بناء حول الحجرة النبوية جعله نمحسا ولم يجعله مربعا خشية ان يستقبله الناس كما كانوا يستقبلون الكعبة ولم يك للمسجد ما ذن فبنى له اربعا في كل ركن واحدة

ولما حج الوائد بعد فراغ عمر من العمارة سنة ٢١ اخذ ينظر في جدر
المسجد وسقنه وفتوشه وجميل شكله ثم التفت الى ابلان بن عثمان وقال ابن
بذؤنان بن بئسكم؟ قال بنينا به المساجد وبنيتموه بناء الكنائس



﴿ الحرم النكي ﴾

كان المسجد الحرام في عهد النبي والخليفة من بعده ليس عليه جدار يحيط به ، وكانت الدور محذقة به من كل جانب وكانت حدوده حدود المطاف الآن وهو على ذلك من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام ، فلما استخلف عمر اشترى دورا هدمها ووسع بها المسجد سنة ١٧ على طريقة نزع المملوكية الآن ثم جعل عليه جدارا قصيرا دون القمامة كانت المصابيح توضع عليه ، ولما كان زمن عثمان وكثير الناس اشترى دورا ووسع بها المسجد سنة ٢٢ ، واشترى عبد الله بن الزبير دورا ووسع بها المسجد من جانبيه الشرقي والجنوبي توسعه كبيبر سنة ٩٤ ولما حج عبد الملك سنة ٧٥ عمر المسجد ولم يزد فيه ولكن رفع جدره وسقفه بالساج وجعل في رأس كل اسطوانة ٥٠ مثقالا من الذهب — فلما تولى الوايد نقض عمل ابيه وعمله عملا محكما وسقفه بالساج المزخرف وازر المسجد من داخله بالرخام وجعل له شرفا وجعل على رأس الاساطين الذهب على صفائح الشبه وجعل في وجوه الطابقان من اعلاها الفسيفساء وهو أول من جمعها بالمسجد الحرام وأول من نقل اليه اساطين الرخام وقد أرسل من الشام الرخام الابيض والاحمر والأخضر فمرشت به الكعبة وازرت جدرها من الداخل ، وهو أول من حلي الميزاب بالذهب وجعل على باب الكعبة واساطينها وأركانها من الداخل صفائح الذهب

﴿ الجامع الاموي ﴾

شرع الوليد سنة ٨٧ في بناء جامع دمشق وكان نصفه كنيسة يوحنا على مقتضى ما كان من صلح ابي عبيدة ايام الفتح في الشام ، فقال لمم الوليد انا قد اخذنا كنيسة مريم عنوة فانا اهدمها ، فرضوا بهدم كنيسة يوحنا او ما بقى بابائهم منها وابقاء كنيسة مريم فضمه الوليد الى المسجد وبناه بناء محكما فكان محرابه الكبير مكان باب تلك الكنيسة وجعل له أربعة أبواب في

شرقيه باب جيرونت ، وفي غربيه باب البريد ، وفي القبلة باب الزادة وباب
الناطنين مقابله ، وباب الفراءيس في دبر القبلة

ويقال ان الوليد أنفق على عمارته خراج البلاد سبع سنين وضج الناس استعظاما
لما أنفق فيه وقالوا أخذ بيوت أموال المسلمين وأنفقها فيما لا فائدة لهم فيه فقال
أنكم تقولون ، وتقولون وفي بيت مالكم عطاء ثماني عشرة سنة اذا لم تدخل لكم حبة
قمح فسكت الناس

وقد تم بناء المسجد في تسع سنين وكان فيه ستمائة سلاسل من الذهب لجل قناديله
ومصابيحها وفي قبلته انقبة المعروفة بقبة النسر ايس في دمشق اعلى ولا ابي منظرها
منها ولم يزل المسجد على رونقه وبهائه حتي وقع فيه حريق سنة ٤٦١ فاذهب
بعض بهجته

وكان عمر بن عبد العزيز لما تولى الخلافة قد بعث ورعه علي نزع رخامه
وسلاسله وابداها بالجمال فاشتد ذلك على أهل دمشق حتي جاء جماعة من الروم استأذنوا
في دخول المسجد فأذن لهم و وكل بهم من يسمع حديثهم فقال كبيرهم كنا معاشر أهل
رومية نتحدث ان بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت ان لهم مدة لا بد ان يبلغوها ،
فلما اخبر عمر بذلك قال اني ارى مسجدكم هذا غيظا علي الكفار وترك ما هم به ،
والملحوظ في امر هذا المسجد ان الوليد باقامته ومبالغته في تجميله واحكام
هندسته ونجويد بنائه قد رسم للناس طريق الاشتغال بالفنون الجميلة فسلكوه
تقليدا لخليفتهم وتنافسوا في ذلك وتسابقوا للوصول الى اقصى ما يمكن ان تبلغه
عقولهم فارتقى بذلك فن البناء وما يتبعه حتي وصل الى درجة عظيمة جدا

﴿ جامع عمرو بمصر ﴾

عزل الوليد اخاه عبد الله عن مصر وولى قرة بن شريك على صلاة مصر
وخارجها فدخلها سنة ٩٠ وكان سيى التدبير خبيثا ظالما غشوما فاسقا منهمكا
وهو من اهل قنسرين ، وكان عمر بن عبد العزيز يمتب علي الوليد تولية قرة

يقول : الحجاج بالعراق واخوه محمد باليمن وعثمان بن حيان بالحجاز والوليد بالشام وقرّة بن شريك بمصر ، اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا فارح الناس ، فلم يمس غير قليل حتى توفي الحجاج وقرّة في شهر فتعاهما الوليد الى الناس وقال والله لأشفعن لهما شفاعة تنفعهما فقال عمر انظروا الى هذا الخبيث لا اناله الله شفاعة محمد والحقه بهما فهلك الوليد بعدهما بثمانية اشهر او اقل قيل بشهرين ونهف شهر

عود — وقد هدم قرّة جامع عمرو بامر الوليد وزاد فيه من القبل والشرقي واخذ بعض دار عمرو وابنه عبد الله فادخله في المسجد واخذ منها الطريق التي بين المسجد وبينها وعوض اولاد عمرو ، وأمر بعمل المحراب المجوف وهو المعروف بمحراب عمرو الا أنه في سمت المحراب القديم الذي بناه عمرو ونصب المنبر الجديد ونزع المنبر الذي كان في المسجد ، ولا يعرف منبر أقدم من منبر قره بعد منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد زوق قرّة المسجد وذهب عمده الاربعة كما زوق اكثر العمدة

(الغزو والفتح)

(١) فتح ماوراء النهر — كان بطل الفتح في جهات خراسان وماوراء النهر وفرغانة والشاش وأرض الأرك، قتيبة بن مسلم الباهلي نائب الحجاج على خراسان فقد دخل هذه البلاد سنة ٨٦ فسلم اليه أهل صاغان بلادهم بالامان ثم والى الغزو والفتح في تلك النواحي الى سنة ٩٤ وهو قتيبة بن مسلم بن عمر الباهلي وهو من التابعين وكنيته أبو صالح ، وكان فحل أسراء بني أمية ، ولله الحجاج خراسان وفتح الفتوحات العظيمة في المشرق أيام الوليد كلها ، فلما ولي سليمان نغم عليه لانه خلع في عهد الوليد

فبعث اليه من قتله بعد أمور وحروب ، وكان قتله من سيدات البيعة
بولاية العهد لاثنين

كتب اليه الحجاج بعبور النهر بالبح وهو جيحون وان
يفتح تلك البلاد فاستعد وسار في المفازة التي بين مرو وبين أموية وهي
أمل الشطو أمل المفازة وتسمى أمو، وهذه المفازة مال صعبة المسالك كثيرة
الغصافصار الى أمل ثم عبر النهر وسار الى بخارى وكان ملكها يسمى صول وكان
ملكه على جميع ما وراء النهر، فلقبه الملك فجار به قتيبه فهزمه فهرب صول نحو
الصغانيان فاحتوى قتيبة على بخارى وحيزها، ثم ولى عليها وسار حتى
وافى بلاد الصفد فاذنخ على مدينتها العظمى وهي سمرقند فحاصرها
أشهرًا، وتحداه دهقانها بأنه لو أقام عليها عمره لم يصل اليها، فاعمل
الخدعة وأعلم الدهقان انه راحل عنهم الى الصغانيان وطلب اليه المودعة
فقبل الدهقان ويظهر انه اطمأن فلما جن الليل وهدأ الناس خرج رجال
قتيبة وكانهم كمينًا فدخلوا المدينة من أبوابها وقتلوا الحرس وفتحوا
الابواب فدخل قتيبة بالجيش ووقعت الواعية (الصراخ) فهرب الدهقان
والملك وصارت سمرقند في قبضة قتيبة ثم استخاف عليها وسار حتى
أتى صغانيان فهرب ملكها منها حتى صار في بلاد الترك وخلي المملكة
لقتيبة فدخل مدنته ووجه عماله الى كش ونسف وافتتح جميع ما وراء
النهر وجميع طخارستان فانه فتح فرغانة والشاش وفاراب وخوارزم وجهات
صفد سمرقند وصفد بخارى ووجد في سمرقند جارية من ذرية يزيد جرد
فارسها الى الحجاج وهذا ارسالها الى الوليد فاولدها يزيد ولم يبق
من خراسان شيئًا الا فتحه -

وفي سنة ٩٦ اجمع لغزو مدينة كاشغر وهي أدنى مدائن الصين فصار لذلك وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعها بسمرقند وعبر الزبر وجعل على الحجاز مسلحة ينعون الراجع من العسكر الا باذنه ثم بعث مقدمته الى كاشغر فقتلوا وسبوا وختم أعناق السبي وأوغل حتى قارب الصين فكتب اليه ملكها يستدعي من أشرف العرب من يخبره عنهم وعن دينهم فذهبوا اليه وهددوه وهددهم وانتهى الامر بانه أجازهم فقدموا على قتيبة فقبل الجزية وختم غلمان السبي وردهم وانصرف من غداته ظافرا غلما آمنا .

«٢٠» فتح السند: كان الحجاج قدولى على نغر الهند ابن عمه محمد بن أبي القاسم وجيز معه ستة آلاف مقاتل فنزل مكران وأقام بهائم سار الى الديبل فحاصر أهلها ورماهم بالمنجنيق فلما خرجوا اليها هزمهم واستولى على المدينة عنوة وأنزل فيها أربعة آلاف من المسلمين ثم سار فجعل لا يمر بمدينة من مدن السند الا فتحها حتى بلغ نهر مهران واستعد ملك السند لمحاربتة واسمه داهر ، فعقد محمد جسرا ضربه على النهر وعبر فقاتله داهر على الفياحة حتى قتل وانهزم الكفار واستلحمهم المسلمون وتبعوا فلولهم الى مدينتهم فاخذوها عنوة - ثم عبر محمد الى الملتان وحاصرهما وقطع الماء عنها فنزلوا على حكمه فقتل وسبي وهدم بيوتا فيها يحجون اليه وأصاب فيه ذهبا كثيرا واستكمل فتح السند ولم نزل عاملا على تلك النواحي الى ان ولي سليمان بن عبد الملك فعزله ثم جرى به الى العراق مكبلا بالحديد فحبس واسط وعذب في رجال من

قراية الحجاج لقتلهم الناس وفتكهم بالخوارج على عهد الحجاج ثم قتل
شر قتله، وكان هذا جزاءه من بنى أمية وقد بسط نفوذهم على بلاد
السند كلها وجزء من بلاد الهند - وكان يقول وهو في الطريق
الى العراق

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كربية وسداد ثغر
وكان التكيل به من سيئات البيعة بولاية المهدي لاثنين

(٣) غزو الروم - كان الروم العدو للدول الإسلامية، فما كانوا يكفون عن
العدوان أو الدس، ومن أجل هذا كان المسلمون لا ينقطعون عن غزوم
بالعائفة والشتية كلها أمكنهم ذلك - وكان أبطال الغزو والفتح في هذه
النواحي مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد، وقد أوغل الأول في
جبال أرمينية حتى وصل الى باب الابواب وفتح حصونا كثيرة كما فتح
طوانة وغيرها من حصون جبال طوروس وقد أمعن في بلاد الروم
وفتح هرقلية وعمورية كما فتح العباس أدوليا غربا وسيساط وطرسوس
ثمراقا - والملاحظ أن الفتح في بلاد الروم كان غزوا لمجرد الأرباب
والتأديب ولذلك تجد أكثر ما فتح في هذه الايام يستمداد فتحه في الايام
المقبلة حتى في عصور بني العباس

(٤) فتح الاندلس - وكان بطل الفتح في المغرب وبلاد الاندلس
موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد البربري، وهو الذي تولى كبير
الفتح في الاندلس وكان عاملا لموسى على المغرب الأقصى وكان
مستقره بطنجة .

أما دخول المسلمين الى الاندلس ففيه أربعة أقوال

١٠ أن عبد الله بن نافع وعبد الله بن الحصين الفهريان أنياها من

برها وبحرها زمن عثمان سنة ٢٧

(٢) أن موسى جاز إليها بنفسه وفتحها سنة ٩١

(٣) أن هذا الفتح بوساطة طارق وإنما نسب إلى موسى

باعتبار أنه مولاه وعاهله

(٤) أن طارقاً أول من دخلها فاتحاً وأن موسى دخلها بعده وفتح

مالم بفتحها طارق على ما سيحىء

والمشهور أن طارقاً سار إليها بأمر موسى ونحريض بليان عامل

الجزيرة الخضراء الذي داخل طارقاً حتى صار معه إلى الرضا ووعده

بإدخاله الأندلس هو وجنوده وكانوا نحو اثني عشر ألفاً فكان بليان

يحملهم على سفن التجار ولا يشعروا أهل الأندلس بذلك ويظنون أن السفن

تختلف بالنجار، فحمل الجنود فوجاً بعد فوج فلما لم يبق إلا فوج واحد

ركب طارق حتى أجاز البحر إلى أصحابه بالجزيرة ثم تخلى بليان بها حتى لا ينهم

ولكون أطيب لنفسه ونفوس صحبه فخلاه طارق ونزل الجبل المسمى باسمه

ويقال أن بليان الذي ذهب إلى طارق فذكر له أن رذريق القوطي

اغتنصبه ملك أبيه وإهانه وأذله وأنه جاء مستنجداً حينما بلغه أمر العرب

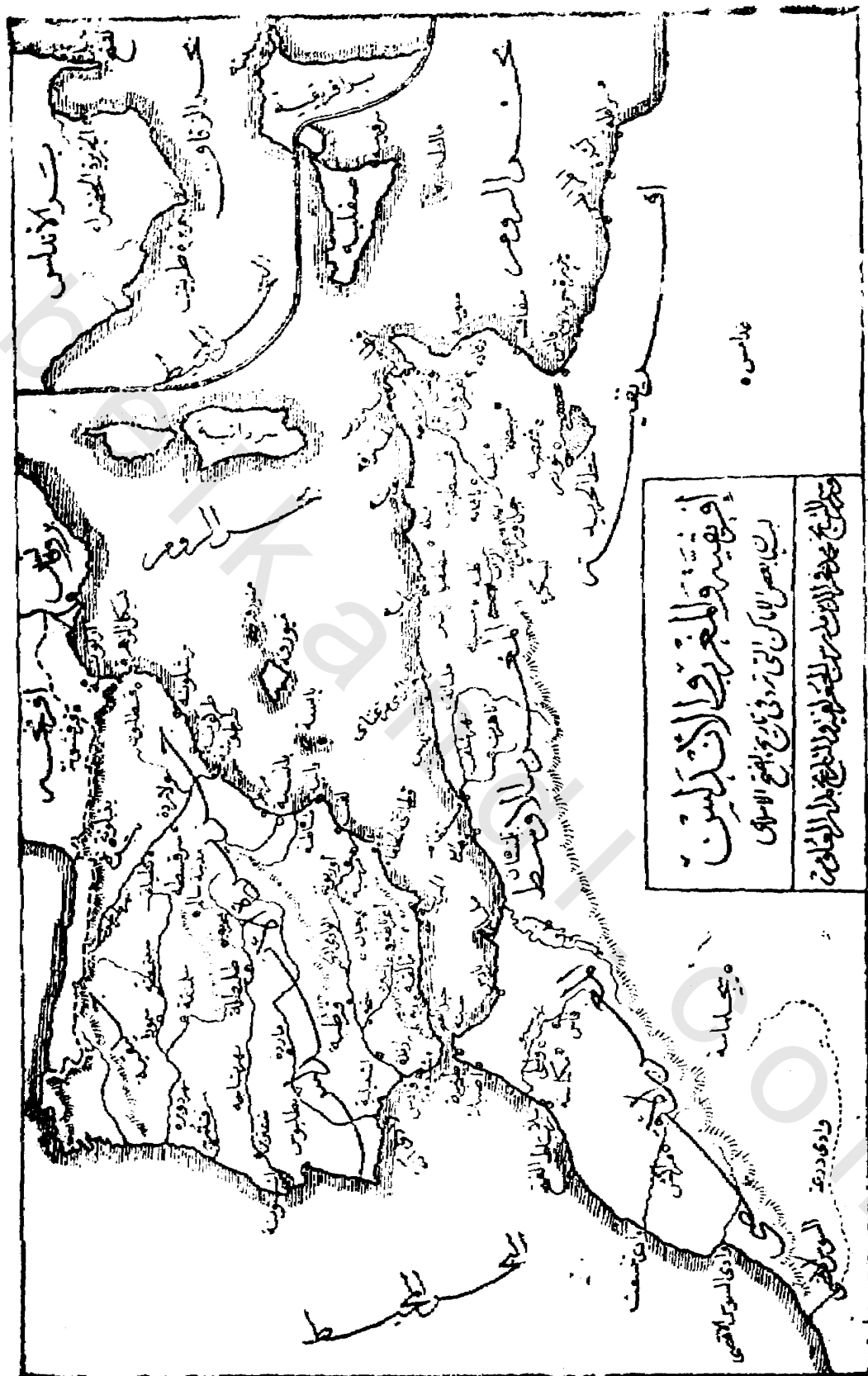
وأنه يكون لهم دليلاً فاجابه طارق واستنفر البربر فحملهم بليان كما سلف

ويقال أن رذريق مديده إلى أبيه بليان وكانت عنده فاقصصها نفسها

فدست إلى أبيها من أخبره الخبر فكنمه وارتصد الأيام حتى دخل

العرب المغرب فدعا طارقاً إلى ما كان من جواز البحر

ولما علم رذريق بطارق وأنه نزل الجبل جمع أهل القوة وقادم



بنفسه الى الجبل فخرج طارق بجميع أصحابه رجاله ليس فيهم راكب
الا القليل فاقتتلوا قتالا شديدا حتى ظنوا انه الفناء ثم صرف الله وجوه
اعدائه فانهم هزموا وادرك رذريق فقتل ولم يرفع المسلمون السيف عنهم
ثلاثة أيام ثم انزل المسلمون الى قرطبة وهي مدينة الاندلس التي كان
بها رذريق وكان سلطانها الى اربيرة وهي اذذاك اقصى مملكة الاندلس
مما يلي افرنجة - وكان الذي اصابه طارق ومن معه من السبي في أول
فتح لهم عشرة آلاف رأس غير الذهب والفضة وكان أول القتال على
وادي الكمة من كورنشذونه ولم يعرف لـرذريق موضع ولا وجدت له جثة - ثم
بحرك طارق الى سجنه ففتحها وهرب المشركون الى طليطه وتركوا مدائن
الاندلس وراءهم وبعد ذلك جاءه بليان فقال له خذ من اصحابي ادلاء
ففرق معهم جيوشك وسرهم الى طليطه ففرق جيوشه من استجه
(١) فبعث الى قرطبة مغيثا مولى عبد الملك وجاءه الادلاء برامى
غنم فكشف لهم عن احوال المدينة ومن فيها ودلهم على ثغرة في
سورها ، فعبّر مغيث النهر ودخل منها وهجم على احراس السور وكسر
اقفال الابواب فدخل عامة جنده فخرج اليهم صاحبها في كمانه اصحابه
وهم نحو اربعمائة وتحصنوا في كنيسة بغربي المدينة فحاصروهم نحو ثلاثة
اشهر ، ثم هرب صاحبها فقبضه مغيث وحده فلما بصرو مغيث غيّر
طريقه فوثب به فرسه في خندق فسقط فيه وانذقت عنقه فاسروهم ورجع
الى بقية اصحابه فاستنزلهم أسرا وضربت أعناقهم صبرا
(٢) وبعث الى مالقة فافتتحها وجميع اعمال ربة

(٣) وبعث الى غرناطة قاعدة البيرة فحاصرها واستفتحها ثم سار الى مرسية وهي مدينة تدعى فقاتل صاحبها قتالا شديدا ثم انهزم فوضع المسلمون فيهم السيف حتى نفوهم ولجأ فلهم الى اربولة ، ثم احتال صاحبها حتى استأمن وعقد له الصاح وادخل المسلمين البلاد فكتبوا الى طارق بالفتح واقاموا بتدمير رجالا من العسكر ثم لحقوا بطارق وهو على طليطلة

(٤) وذهب طارق الى طليطلة فالفأها خالية ليس فيها الا اليهود في قلة ، وفر صاحبها مع اصحابه فتبعهم طارق وسلك الى وادى الحجارة ووصل الى مدينة المائدة فأصاب بها مالا وحليا كثيرا ثم انصرف الى طليطلة اما موسى بن نصير فعبر الى الاندلس بعد طارق بسنة ومضى غازيا فيها مفتحا لحصونها في سنتي ٩٣ ، ٩٤ فهزم من لقيه من امرائها ولم يلق كيدا من احد ولا انهزمت له راية حتى وصل الى بلاد افرنجة ولم يبق لاهل الاسلام شيء لم يتغلبوا عليه مما وراء ذلك الاجبال قرقوشه (قرقشونه) وجبال ينبلونه وصخرة جليقية فاما الصخرة فقد حاصر من فيها حتى ماتوا بالجوع وشدة الحصار ولم يبق منهم الا ثلثائة ، ورأى ذلك المرتبون على حصارهم فاستقلوهم وتركوهم فلم يزالوا يزدادون حتى كانوا سبب اخراج المسلمين من جليقية واما قرقوشه فافتحت زمن هشام كما سيجيء

واما سبب عبور موسى فيقال انه أغرى بطارق وذكر له ما افاء الله عليه فكتب له باقبح السب وامره الا يتجاوز قرطبة حتى يقدم عليه اي ان الذي حمل موسى على ذلك الحسد ويقال انه جاز باستدعاء طارق اياه

هذا وقد خرج مرسى فى عشرة آلاف، ونزل الجزيرة وقيل له
أسلك طريق طارق فأبى فدخله العلوج على نواح أشرف وممن لم تفتح
فامتلأ سرورا وساروا به الى شذونة فافتتحها عنوة وهى أول فتوحه
ثم نهضوا به الى قرمونة فكل ادلاؤه السبب فى فتحها اذ دخلوا على
أهل المدينة كالمهزمين من العرب فلما جاء الليل بعث موسى الخيل ففتح
الادلاء لهم باب المدينة المعروف بباب قرطبة فقتلوا الاحراس ودخل
المسلمون المدينة عنوة ثم تقدم الى اشبيلية وهى من اعظم قواء
الاندلس شأنوا ونقنها بنيانا واكثرها آثارا وكانت دار ملك روم روم
قبيل غلبة القوط على الاندلس ، فاحتل بها مرسى اشهر وفتحها الله
عليه ، ثم تقدم الى ماردة وهى احدى القواعد الاربع التى بناها قيصر
رومة فخرج أهلوها لحربه نحو الميل منها فحاربهم حتى اضطرم الى
المدينة فتبعهم وطاف بها فرأى نبتا كان لمقالع الحجارة فكأن فيه
الرجال ليلا فخرج جندها كخرجهم فى اليوم قبله فخرج عليهم الكمين
وركبهم المسلمون ولجأ المهزمون منهم الى المدينة فحاصرهم موسى أشهر
حتى عمل دبابة فذب المسلمون تحتها الى برج من ابراجها فقبوا صخرة
واحس العلوج بهم فاصابوهم وهم تحت الدبابة غير انهم ارسلوا رسلا
الى موسى فى الصلح ترددوا عليه ثلاثة أيام حتى اتفقوا على الشروط
التي رضىها وفتحوا له الباب فى اليوم الثالث وكان يوم عيد الفطر سنة ٩٢
ثم سار الى ماردة وفى خلال اشتغاله بمحاصرها نقض أهل شبيلة وانضم
اليهم فاهم من اليه رباجه وقتلوا من المسلمين نحو ثمانين ، فلما علم بذلك

موسى أتم فتح ماردة ثم بث ابنه عبد العزيز بجيش الى اشبيلية ففتحها
وقتل أهلها وتقدم الى ليلى ففتحها ايضا وانصرف الى اشبيلية

التقى موسى وطارق بطليبة فلقية طارق معظمها له ومبادرا بطاعته
فوبخه وغضب عليه وقيل أنه ضربه اسواط وقال له أحضرلى ماأصبت
فلم يتأخر عن اجابته فقيل أن هذه المعاملة كانت بغيا ونفاة على طارق
وقيل أن سبب ذلك تقدم طارق دوزراى موسى وهو مولاه وتوغله
بالمسلمين وتغريبه بهم وهذا الراى عندي أمثل وأليق، ثم تقدم موسى
من طليطة بعد ما جرى الى سرقسطه ففتحها وما حولها من الحصون
ومازال يوغل حتى دانت له الاندلس وجاءه وجوه جليقية فصالحهم
واوغل في بلاد البشكنس وغزى افرنجة وعاد ثم ظل في الاندلس الى ان
مات الوليد وتولى سليمان فكان له مع سليمان شئون سنشير اليها
في خلافته

(ولاية العهد و وفاة الوليد)

عزم الوليد في سنة ٩٦ على خلع اخيه سليمان من ولاية العهد
وكان قد شاور الحجاج فأشار عليه بخلعه فكتب الوليد الى سليمان
بذلك وكان بفلسطين فامتنع ، فعرض عليه أموالا كثيرة فأبى ، فكتب
الوليد الى عمه له أن يخلعوا سليمان ويبايعوا لابنه عبد العزيز بن الوليد،
فلم يجبه الى ذلك سوى الحجاج وقتيبة ومحمد بن القاسم ثم قال لعمر
ابن عبد العزيز بايع لابن أختك عبد العزيز (فان أم عبد العزيز اخت
عمر) فقال : أنا بايعناك وسليمان في عقد واحد فكيف نخلعه ونتركك ؟

فاخذ الوليد مندبلا وجعله في عنق عمر ولواه حتى كاد يموت فصاحت أخت عمر (أم البنين زوجة الوليد) حتى أطلقته وحبسه في بيت ثلاثة أيام الى أن قالت له أم البنين : أخرجته فأخرجته وقد التوى عنقه فقالت أم البنين اللهم لا تبلغ الوليد في ولده عبد العزيز مأمله ثم ، ان الوليد استقدم سليمان ثم استبطأه فاجتمع السير اليه ليخلمه فمات دون ذلك ، وكانت وفاته في منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٦ وصلى عليه عمر بن عبد العزيز

﴿ خلافة سليمان بن عبد الملك ﴾

بويح سليمان بالرملة من فلسطين في يوم موت أخيه وكان فصيحاً لسنا جميلاً حسن الصورة والسيرة مفتاحاً للخير ، أذهب الله به ظلم الحجاج وأطلق من كان في حبسه وأنصف المظلومين ، وهو الذي بنى الرملة ومسجدها بفلسطين ثم ختم أفعاله باستخلافه عمر بن عبد العزيز على المسلمين وقدمه وهو ابن عمه على أخويه يزيد وهشام ، وكان سليمان هذا أكلوا وله في الاكل أخبار مشهوره ، وكان يقول والله ماشبعت ولكن سئمت - وكانت خلافته دون ثلاث سنين وتوفي بدابق في صفر سنة ٩٩ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وقد نشأ بالبادية عن أخواله بنى عبس ، وكانت ولايته يمناً وبركة ، افتتحها بخير واختتمها بخير ، فاما افتتحها فيها بخير فبرد المظالم واخراج المسجونين ؛ وبغارات مسلميه بن عبد الملك الصائفة حتى بلغ القسطنطينية ، وأما ختمها بخير فباستخلافه عمر بن عبد العزيز ، وكان ولي عهد ابنه أيوب فمات في حياته

أول أعماله: بدا عمله بأمر الحجاج وعماله ، لأنه كان من الناقمين عليه ولولا أن الحجاج أدركته منيته في أيام الوليد لتعرض إلى أشد ما يكون من الأهانة والأذى من سليمان بن عبد الملك ولقتل شر قتلة وقد دخل إلى سليمان بن يزيد بن مسلم فقال له على امرئ أمرتك وجراك وسلطك على الأمة لعنة الله اتظن الحجاج استقر في قعر جهنم أم هو يهوى فيها فقال : الحجاج يا أمير المؤمنين يأتي يوم القيامة بين أخيك وأبيك فضعه من النار حيث شئت فأمر به إلى الحبس فكان فيه طول أيام سليمان ولم يخرج عمر بن عبد العزيز ولما تولى يزيد بن عبد الملك أخرجه وولاه إفريقية فثار عليه الجند وقتلوه على ماسيجي في خلافة يزيد

وكان يزيد بن مسلم كاتب الحجاج ووالى العرق فمزله سليمان وولى مكانه يزيد بن المهلب وأمره بنكبة آل أبي عقيل قوم الحجاج وبني أبيه وبسط أنواع العذاب عليهم ، فوكل ذلك إلى أخيه عبد الملك بن المهلب - وعزل عثمان بن حيان عن المدينة ومحمد بن القاسم عن السند وجيء به إلى سجن واسط فقتل كما سلف

أمر موسى بن نصير - وكان ممن أصيب بسليمان موسى ابن نصير صاحب فتوحات الغرب ؛ وكان قد وفد على الوليد بعد فتح الأندلس ومعه الأموال وثلاثون ألفاً من الرقيق فلما أفضت الخلافة إلى سليمان بعث في موسى فعنفه بلسانه وقال والله لا فلاح من غربك ولا فرقن جمعك ولا صفرن من قدرك فقال ذلك بيده الله وبه استعين عليك فأمر به فوقف في يوم صائف شديد الحر

حتى سقط مغشياً عليه ثم شفع فيه عمر بن عبد العزيز فقال سليمان
من يضمه اليه فقام يزيد بن المهلب فقال انا يا امير المؤمنين ، قال
فضمه اليك ولا تضيق عليه فانصرف به يزيد حتى حسن ما بين موسى
وسليمان واقتدى منه موسى بمال كثير

وقال له يزيد بن المهلب مرة : في كم تعمد من مواليك وأهل
بيتك قال موسى : في كثير فقال يزيد يكونون الفا؟ قال له موسى
والفاو الفا الى منة عظم النفس ، فقال يزيد . وأنت علي ما وصفت والقيت
بيدك الى التهلكة ! أفلا أقمت في قرار عزك وموضع سلطانك وامتنعت
بما قدمت به ، فإن أعطيت الرضا والا كنت علي عزك وسلطانك
فقال والله لو أردت ذلك لما نالوا من أطرافي طرفاً ، ولكني آثرت
الله ورسوله ولم نر الخروج عن الطاعة والجماعة — ثم حج مع سليمان
ومات بطريق مكة .

هذا وقد قتل سليمان بن عبد الملك أيضاً عبد الله بن موسى وكان
على أفريقية كما قتل ابنه الآخر عبد العزيز عامل الاندلس نيابة عن
ابيه موسى كما سيأتى ، قتله حبيب بن ابى عبدة القهري ومعه جماعة
قيل من اجل انه خلع طاعة سليمان حينما بلغه قتل اخيه وما صنع
بأبيه وقيل للسببين الانيين ، ومكث اهل الاندلس بعده شهور لا يجمعهم
وال حتى اجتمعوا على ايوب بن حبيب الاعمى ابن اخت موسى
الى ان ولى عليها الحر بن عبد الرحمن الثقفي

أمر قتيبة — كان قتيبة ممن وافق الوليد على خلع سليمان فلما
تولي سليمان الخلافة خاف قتيبة ان يولى يزيد بن المهلب خراسان

فاجتمع خلمه وكتب اليه يهدد ان لم يقره ويؤمنه فاضطر سليمان الى اجابته .
 اما قتيبة فانه بعد ان ارسل كتابه اشتد وجله واسار عليه اخوه
 بالمعاجلة فدعا الناس الى الخلع فلم يجبه أحد لشدة غضب وشتهم
 وعدد مثالبهم واتنى على نفسه بالاب والولد والمعشر فازداد الناس حنقا
 عليه وكرهوا خلع سليمان واجتمعوا امرهم بينهم على ان يخلعوا قتيبة
 فاجاء الازد الى حفص بن المنذر فأشار عليهم بوكيع بن ابي مسعود فاجتمع
 النلس اليه وبايعوه وفشا الخبر فارسل قتيبة الى وكيع فاعتذر بالمرض
 فقال لصاحب شرطته اتنى به وان ابي فاتنى برأسه ، فلما جاء الى وكيع
 ركب ونادى فى الناس فاتوا رسالا واجتمع الى قتيبة اهل بيته وخواصه
 وثقاته وابناء عمه ، فأمر فنودي فى الناس قبيلة قبيلة فأجابوه بالجفوة
 فذكرهم الله والرحم فلم يابهاوا به وبث أخاه صالحا الى الناس فرمى بسهم
 وتهايج الناس وأقبل عبد الرحمن أخوه مخوم فرمى وقتل ودنا الناس
 من قتيبة حتى بلغوا فسقاطه فقطعوا أطنا به وجرح قتيبة جرحات
 كثيرة ثم احتز رأسه وقتل معه من اخوته وأهل بيته وخواصه احدى
 عشرة جلا ونجا عمر بن مسلم أخو قتيبة نجاه أخواله من تميم فلما قتل
 قتيبة صعد وكيع المنبر واتنى على نفسه وذم قتيبة ووعد بحسن السيرة
 وطلب رأس قتيبة وخاتمه من الازد وهددهم فجاءوا بالرأس فبعثه الى
 سليمان مع نفر ليس فيهم تميمي

(مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير)

كان أباد قد استعمله على الاندلس عند عوده الى الشام فضبطها وسد

أمورها وحملها وافتتح في أمارته مدائن بقيت بعد أبيه، وكان خيرا
فاضلا وفي قتله روايتان (أحدهما) أنه تزوج بامرأة رذريق فحمل به على أن
يأخذ أصحابه ورعيته بالسجود له عند الدخول عليه كما كان يفعل زوجها فقال
أن ذلك ليس في ديننا فلم تزل به حتى أمر بفتح باب قصر المجلس فكان أحدهم
إذا دخل عليه طأ طأ رأسه فيصير كالراكع له، فرضيت به وقالت الآن
لحقت بالملوك وبقي أن أعمل لك تاجا مما عندي من الذهب وللؤلؤ
فأبى فلم تزل به حتى فمل فانكشف ذلك للمسلمين فقتلوه
فثاروا عليه فقتلوه بدسيسة من عبد الملك بن رفاعة عامل مصر
بأمر الخليفة

ويقال أن عبد الملك لما سخط على أبيه بعث إلى الجند في قتله
فدخلوا عليه وهو في الحراب فضربوه بالسيوف ضربة واحدة وأخذوا
رأسه فسيروه إلى سليمان فعرضه على أبيه موسى فتجلد للمصيبة وقال
هنيئاً له بالشهادة وقد قتلتموه والله صواما قواما، وكانوا يمدون قتل
موسى من زلات سليمان لأن موسى قسم الاندلس إلى ولايات جعل
على كل ولاية منها حاكما كبيرا ليتدارك الفتن قبل استفحالها، ووضع
عساكر دمشق في قرطبة، وحصن في أشبيلية، وفلسطين في شذونه
والجزيرة واليمن في طليطة، والعراق في غرناطة، ومصر في مرسية وغيرها
ووفى للقوط، ثم حث العرب على الزراعة والتجارة فعمرت المدن
والقرى وحسنت الأحوال وصفا العيش

(حصار القسطنطينية)

جهز سليمان الجيوش إلى القسطنطينية واستعمل ابنه داود على

الصائفة فتفتح حصن المرأة وفتح مسلمة وغيره حصونا أخرى فلما أهل سنة ٩٨٨ سار سليمان الى رابق وجهز جيشا مع أخيه مسلمة ليسبر اليها واتفق أن ملك الروم هلك فجاء اليون من اذربيجان الى سليمان فاخبره وضمن له فتح الروم فوجه معه مسلمة فسار الى القسطنطينية فلما دنا منها أمر أهل العسكر أن يحمل كل واحد مدين من الطعام ففعلوا فلما أتى المدينة أمرهم بالقاء الطعام فصار في العسكر أمثال الجبال ونهاهم ان يأكلوا منه شيئا وقال اغيروا في ارضهم وازرعوا وعمل بيوتنا من خشب وشقى بها وصاف وزرع الناس وبقى الطعام في الصحراء والناس يأكلون ما اصابوا من الفارات والزروع وطعامهم الذي استاقوه مدخر حتى جهد أهل القسطنطينية الحصار فارسلوا الى مسلمة الصلح على الجزية فلم يقبل فقالوا لاليون ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فاستوثق منهم وجاء الى مسلمة فقال له (خدعة) ان الروم علموا انك لاتصدقهم القتال وانك تطاولهم مادام الطعام عندك، فلو حرقتة اعطوا الطاعة بايديهم اذ به تقدمون حينئذ انك قمتهم بالقتال (فخدع) واحرق الطعام وغدر اليون واصبح محاربا وقوى الروم واصابوا المسلمين حتى كادوا يهلكون واكلوا الدواب والجلود واصول الشجر ولقى الجند ما لم يلقه جيش آخر وسليمان مقيم بدابق ودخل الشتاء فلم يقدر أن يدمم حتى مات وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت لامرأة لميبت بها

(فتح جرجان وطبرستان)

كان يزبد بن المهلب على العراقيين كما سلف ثم استكره أن يحيف علي

الناس في الحراج فتلاحقه مذمه كما لحقت الحجاج ورغب الي سليمان
ان يعفيه من الحراج و اشار عليه بصالح بن عبد الرحمن فضيق على يزيد
يجتى ضجر ، وجاء خبر خراسان ومقتل قتيبة فطمع في ولايتها ودس
الى سليمان من بطلب اليه ان يوليه خراسان وهو لا يشعر بان يزيد
يرغب في ذلك فنجح وكتب الى يزيد عهده على خراسان فصار اليها
وامره سليمان ان يسأل عن قتيبة فان أقامت قيس البيضة أن قتيبة لم
يظلم فقيد وكيما به

فلما قدم يزيد خراسان لم يكن له همة غير جرجان فصار اليها في
مائة الف من أهل الشام والعراق وخراسان سوي الموالى والمتطوعة ،
فابتدأ بقوهستان فحاصرها والح عليهم في القتال وقطع عنهم المواصلات حتى
ضعفوا وعجزوا وطلبوا الصلح فأجابهم ودخل مدينتهم وأخذ مما
فيها من اموال ثم خرج حتى أتى جرجان وكان أهلها قد صالحوا ايام
سعيد بن العاص ثم كفروا فلم يعطوا خراجا ولم يأت
جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا الطريق فلم يكن يسالك طريق خراسان
الا على فارس وكرمان فلما أتى يزيد استقبلوه بالصالح وزادوه وهاجبه فاجابهم
الى ذلك ؛ وطمع في طبرستان وسير الجنود اليها وسأله اصيحبذها الصلح
على ان يخرج من طبرستان فابى يزيد ورجا ان يفتحها فاستجاش
الاصيحبذ أهل الديلم وجيلان فاتوه ولقيهم المسلمون فهزمهم وصعد
المسلمون وراء فلولهم في الجبل فاصيب المسلمون اصابة شديدة وغدر
أهل جرجان وقتلوا من عندهم من المسلمين ثم فرغ يزيد الى حيان البطي
ورجاء ان يعمل في الصلح فقبل وجاء الاصيحبذ فمت اليه بنسب المعجم

وتنصل له وقتل له في الذروة والغارب حتى صالح على سبعمائة ألف درهم
واربعمائة وقر زعفران وغير ذلك فأرسل يزيد من يقبض ما صالحهم عليه
وانصرف إلى جرجان وعاهد الله أن ظاهر بهم ليطحن القمح على سائل
دمائهم وبأكل منه في عمرهم سبعة أشهر حتى دله رجل من الأعاجم على
الطريق إليهم فسير إليهم ثلثمائة رجل ثم أوقد النيران فلما نظر العدو
إلى النار هالهم ذلك فخرجوا إلى المسلمين مطمئنين آمنين خلفهم وتقدم
إليهم يزيد فلم يشعر المشركون إلا بالتكبير من وراءهم ففروا إلى
حصنهم وانتهبهم المسلمون حتى أعطوا بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد فقتل
المقاتلة وسبى الذرية وصلبهم فرسخين إلى يمين الطريق وبساره وقاد
منهم اثني عشر ألفا إلى وادي جرجان وقتلهم أجمعين وأجرى الماء على
الدم وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ليبري يمينه فطحن وخبز وأكل ثم استعمل
على جرجان وعاد إلى خراسان

(موت سليمان والبيعة لعمر بن عبد العزيز)

ثم مات سليمان بدابق بالتخمة من جراء اكلة أكلها وأراد أن يمهّد
إلى ولده داود ثم استصغره وقال له رجاء ابن حيوة : ابنك غائب عنك
بقسطنطينية ولا تعرف حياته من موته فعدل إلى عمر بن عبد العزيز
وكتب عهده إليه ثم إلى يزيد بن عبد الملك بعده وختم الكتاب وقال
لرجاء (بعد أن جمع أهل بيته) اذهب بكتابي إليهم وامرهم فليأبوا من
وليت فيه ، ففعل ، ففعلوا ، فدخلوا إلى أمير المؤمنين فدخلوا فقال لهم في هذا
الكتاب الذي في يد رجاء عهدي فاسمعوا وأطيعوا المن سميت فيه فبأبوا

رجلا رجلا وتفرقوا، فلما مات سليمان جمعهم رجاء وقرأ عليهم الكتاب فلما ذكر عمر قال هشام والله لانبأ به أبدا فقال رجاء إذا والله نضرب عنقك فقام أسفا وجاء الى عمر فبايعه واتبعه الباقون، ودفن سليمان بعد أن صلى عليه عمر

وبلغ عبد العزيز بن الوليد موت سليمان وكان غائبا ولم يعلم ببيعة عمر فمقد لواء ودعا الي نفسه فبلغه بيعة عمر بعهد سليمان فاقبل حتى دخل عليه واعتذر وقال بلغني أن سليمان لم يعهد فخفت على الاموال أن تذهب فقال عمر لو قت بالامر لقمعت في يدي ولم أنزعك فقال عبد العزيز والله لأحب لهذا الامر غيرك

{ خلافة عمر بن عبد العزيز }

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموي القرشي ابو حفص ولد بالمدينة سنة ٦٠ عام توفي معاوية أو بعدها بسنة . وامه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولى الخلافة بعد موت ابن عمه سليمان بعهدده اليه او (فيما يقال) بحيلة وضعا سليمان حتى بايعه يزيد وهشام ابنا عبد الملك ونم أمره وذلك لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ ، وقد سار في الخلافة سيرة الخلفاء الراشدين من القلل والنقص والمعدل في الرعية والانصاف الى ان توفي يوم الجمعة لحمس بقين من رجب سنة ١٠١ وكانت سنه يوم توفي تسع وثلاثون سنة وستة أشهر، وصلى عليه يزيد بن عبد الملك الذي تخلف بعده ، وكان مرضه بارض حمص ودفن بدبر سمعان

هذا ولما قرىء العهد له بالخلافة قام رجل من ثقيف من أخواله (وكان عمر في ناحية) فاخذ بضبعيه فقامه ، فقال عمر: أم والله ما الله أردت بهذا ولن تصيب مني دنيا - وخطب حين استخلف فقال أيها الناس ، والله ما سألت الله هذا الأمر قط في سر ولا علانية ، فمن كان كارها لشيء مما وليته فالآن ، فقال سعيد بن عبد الملك : ذلك أسرع فيما نكره ، أتريد أن نختلف ويضرب بعضنا بعضا؟ قال رجل سبحان الله ؛ وليها أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ولم يقولوا هذا ويقول له عمر ، وكان لا يأخذ من بيت المال شيئا ولا يجرى على نفسه من النوى درهما ، وكان عمر بن الخطاب يجرى على نفسه من ذلك درهمين في كل يوم ، فقبل لعمر بن عبد العزيز لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب فقال ان عمر ابن الخطاب لم يكن له مال وانا مالي يفتني

وكان له غلام يقال له درهم يحتطب له ، فقال له يوما : ما يقول الناس بأدرهم ؟ فقال وما يقولون ؟ الناس كلهم بخير وأنا وأنت بشر ، فقال وكيف ذلك ؟ قال أني عهدتك قبل الخلافة عطر الباسا فاره المراكب طيب الطعام ، فلما وليت رجوت أن أستريح وأنخلص فزاد عملي شدة ، وصرت أنت في بلاء ، قال فأنت حر فاذهب عني ودعني وما أنا فيه حتى يجعل الله لي منه مخرجا

ولما ولي قال ان فذك كانت مما أفاء الله على رسوله ، فسألتها فاطمة رسول الله فقال لها مالك ان تسأليني ولالي أن أعطيك فكان رسول الله يصنع فيها حيث أمر الله ثم أبو بكر وعمر وعثمان كانوا يضعونها المواضع التي وضعها رسول الله ثم ولي معاوية فأقطعها مروان ووهبها

مروان لعبد الملك ر عبد العزيز فقمناها بيننا اثلاثا ، أنا والوليد وسليمان ،
فلما ولي الوليد سألته نصيبه فوهبه لي وما كان لي مال أحب الي منها
وأنا أشهدكم اني قد رددتها الي ماكانت عليه علي عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم — وكان يكتب الي عامله بالمدينة في المظالم فيرادده فيها
فكتب اليه . انه يخيل لي اني لو كتبت لك أن تعطى رجلا شاة لكتبت الي
أذكرام انثى ، ولو كتبت اليك بأحدهما لكتبت الي أصغيرة أم كبيرة ولو
كتبت اليك بأحدهما لكتبت ضائنة أم معز ، فإذا كتبت اليك فنفذ
ولا ترد علي والسلام

وقال لبنى مروان ادوا ما في أيديكم من حقوق الناس ولا تلجؤني الي
ما أكره فاحملكم علي ما تكرهون فلم يجبه أحد منهم فقال أجيبوني ، فقال رجل
منهم والله لانخرج من أموالنا التي صارت الينا من آبائنا فقرة أبناءنا ونكفر
آباءنا حتى تزايل رموسنا ، فقال عمر : أم والله لولا أن نستعينوا علي
بمن أطلب هذا الحق له لاضرعت خدودكم (أذلتها) ولكني أخاف
الفتنة ، ولئن أبقاني الله لأرذن الي كل ذي حق حقه ان شاء الله ، ثم
ثم جعل لابدع شيئا ما كان في أيدي أهل بيته من المظالم الاردها مظلمة
مظلمة — وخطب يوما فقال ان هؤلاء (خلفاء بني أمية) كانوا قد
أعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا أن نأخذها منهم ، وما كان ينبغي لهم أن
يعطونا أباهما ، وأنى قد رأيت الآن انه ليس علي في ذلك دون الله حسيبه
وقد برأت بنفسى والاقربين من أهل بيتي ؛ أقرأ يامزاحم ، فجعل
مزاحم يقرأ كتابا فيه اقطاعات بالضيايع والنواحي ثم بأخذته عمر
فيتقصه بالجلم (المقراض)

ثم وضع المكس عن كل أرض ووضع الجزية عن كل مسلم ، وأباح
الاجاء كلها الا النقيع ، وفرض للناس الا التاجر لان التاجر مشغول بتجارته
عما يصلح للمسلمين رما زال يرد المظالم من أيام معاوية الى أن استخلف
حتى لقد انتزعها من أيدي ورثة معاوية وبزيد - وبينا كان سليمان يقول
لعامله اسامة بن زيد وقد ولاء خراج مصر : احلب حتى ينفيك الدم
فاذا أنفأك فاحلب حتى ينفيك التميح ، لا تبقىنها لاحد بعدى ، اذا بعمر
يقول له ويحك يا أسامة انك تأتي قوما قد الح عليهم البلاء منذ دهر
طويل فان قدرت أن تنعشهم فانعشهم

وأخبار سمر في هذه المعاني مستفيضة وقد كتب الى أحد عماله
ومن قبله من المسلمين : أما بعد فانظر أهل الذمة فارفق بهم ، واذا كبر
الرجل منهم وليس له مال فانفق عليه فان كان له حميم فمر حميمه بنفق عليه
وقد شاعت أخبار عمر في الآفاق حتى تسامع بعده وحسن سياسته الروم
في المغرب وأهل الهند في المشرق ، فقال في شأنه ملك الروم في بعض
حديثه عنه وقد مات : لقد بلغني من بره وفضله وصدقته مالو كان أحد
بعد عيسى يحبى الموتى لظننت أنه يحبى الموتى

وكتب عمر الى ملوك السند بدعوهم الى الاسلام على أن يحلهم
بلادهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وكانت سيرته قد بلغتهم .
فأسلم حيشبة بن داهر وعده ملوك وتسموا بأسماء العرب ثم ارندوا من هشام
وكتب اليه ملك الهند : من ملك الهند والسند ملك الاملاك الذي هو
ابن الف ملك وتحمته الف ملك والذي في مملكته نهران ينبتان العود
والكافور والاكرة التي يوجد ريحها من اثني عشر فرسخا والذي في

مربطه الف فيل وتحت يده الف ملك إلى ملك العرب :أما بعد فإن
الله هداني إلى الاسلام فابست إلى رجلا يعلمني الاسلام والقرآن وشرائع
الاسلام وقد أهديت لك هدية من المسك والغبر والنند والكافور
فاقبلها فانما أنا أخوك في الاسلام والسلام

وكتب إلى أحد عماله لا تقاتلن حصنا من حصون الروم
ولا جماعة من جماعاتهم حتى تدعوم إلى الاسلام فإن قبلوا فالكف عنهم
وان أبوا فالجزية فإن أبوا فانيذ اليهم على سواء

عطفه على مقاتلة المسلمون (١) وجه سنة ١٩ إلى مسلمة بن عبد الملك

وهو بارض الروم يأمره بالقول منها بمن معه من المسلمين ووجه لهم
خيلا وطعاما كثير اوحت الناس على معونتهم ولم يغفل مع ذلك عن
غزو الروم عندما يقتضي الحال ذلك (٢) أمر أهل طرندة على ثلاث مراحل
من ملطية في بلاد الروم بالقول عنها إلى ملطية وكان عبد الله بن
عبد الملك قد اسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ٨٢ فعادوا إلى ملطية
واخربوا طرندة - ولو طال به الاجل لاجلى المسلمين عن الاندلس
لانه رأى أن أقامتهم فيها غر طبيعية لاحاطة الاعداء بهم

(الاحوال الداخلية - كانت الدولة الاسلامية على عهد غلبة

في الطمانينة وحسن الحال والرواج ، غير أن شوذب الخارجي واسمه
بسطام تحرك سنة ١٠٠ وكان في ثمانين رجلا كتب إلى عامله بالكوفة إلا
يحركهم حتى يسفكوا دما ويفسدوا في الارض فإن فعلوا فوجه اليهم
رجلا صليبا حازما فبعث اليهم محمد بن جرير بن عبد الله البجلي في
الفين وأمره بما كتب به عمر .ثم أن عمر كتب إلى شوذب بسأله عن

مخرجه وكان في كتابه بلغني أنك خرجت غضبا لله ولرسوله واست
أولى بذلك مني فهل إلى أنظر لك فإن كان الحق بايدينا دخلت فيها
دخل فيه الناس وإن كان في يدك نظرنا في أمرك فكتب إليه شاذب
قد أنصفت وقد بعثت إليك رجلين بدارسانك وينظرانك فلما قدما
على عمر ناظرهما واقنعهما بخطأ نظر ياتهم وقال انكم لم تخرجوا مخرجكم
هنا، لطلب الدنيا ومتاعها ولكنكم أردتم الآخرة فاخطأتم سبيلها، فقال
أحدهما بعد حديث أشهد أنك على حق، وقال الثاني أعرض على الناس
ما قلت وانظر ما حاجتهم فاقام الأول عنده خمسة عشر يوما ثم مات
ومات عمر ومحمد بن جرير مقابل الخوارج لا يتعرضون إليه، كل منهم
ينتظر عودة الرسل من عند عمر بن عبد العزيز

وكتب عمر إلى يزيد بن المهلب بأن يستخلف على عمله ويقبل
إليه ثم كتب إلى والي البصرة عدي بن أرطاة بأن ينفذ إليه ابن
المهلب موثوقا قبض عليه وهو يريد البصرة من واسط واثقة به
وبعث به إلى عمر فحبسه وكان يبغض يزيد وآله وبقول
هؤلاء جبايرة ولا أحب مثلهم، وكان يزيد يبغض عمر وبقول أنه مرأى
ولما دعاه عمر سأله عن أموال كتب بها إلى سليمان، فقال إنما كتبت
إلى سليمان لأعلم الناس به فقال له لا أجد في أمر الله إلا حبسك فأتق
الله وأدع عليك فإنها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها وحبسه محصن
حلب واستشفع فيه فلم يقبل، ولما أبى أن يؤدي ماعليه ألبسه جبة
صوف وحمله على جمل وقال سيروا به إلى دهلك ثم خشي أن يلتزعه

قومة فردده الى محبسه فبقى فيه حتى بلغه مرض عمر فهرب الى
البصرة وغلب عليها وحبس عديا وخلع يزيد كما سيجيء

(أمر بنى العباس)

كان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ينزل أرض الشراة من
أعمال البلقاء بالشام ولما مات بن الحنفية تولى زعامة الدعوة الى الملويين
ابنه أبو هاشم عبد الله فكان يتردد على سليمان بن عبد الملك فاجتمع
به محمد بن علي فاحسن صحبته واجتمع بسليمان فأكرمه وقضى حوائجه
ورأى من علمه وفصاحته ما حسده عليه وخافه ، فوضع عليه من وقف
على طريقه فسمه في لبن ، فلما أحس أبو هاشم الشر قصد الحجيمة من
أهل الشراة وبها محمد بن علي فنزل عليه وأعلمه أن هذا الأمر صائر
الى ولده ، وكان قد أعلم شيعته بذلك وأمرهم بقصد محمد ، فلما مات
أبو هاشم تولى زعامة الهاشميين محمد بن علي هذا وقصده الشيعة وبابعوه
فوجههم الى العراق وخراسان وأمرهم بالدعاء اليه والى أهل بيته في
رفق وستر ، فلم يظهر أمره كثيرا غير أنه شاع في الافطار .

(الاحوال الخارجية) - وكانت أحوال الدولة الخارجية على

أحسن ما يمكن ، وقد رأيت ما كان من ملك السند شرقا وملك
الروم غربا في شأنه .

أما الترك فقد أغاروا سنة ٩٩ على أذربيجان فقتلوا من المسلمين
جماعة فوجه إليهم حاتم بن النعمان الباهلي فقتلهم ولم يفلت منهم
الا اليسير .

﴿ موت عمر بن عبد العزيز ﴾

شكا عمر بن عبد العزيز عشرين يوما فقيلا له لوتدا وبيت فقال لو كان
دوائى فى مسح أذننى مامسحتها نعم المذهب اليه ربي، وكان يقال له أشجع بنى
مروان رحمة دابة من دواب أبيه وهو غلام فشحته واختلف فى سبب موته
ف قيل انه لما رد المظالم التى احتق بها بنو مروان أبغضوه وذموه وسموه فمات ،
وقيل أن أحد رسولى شذب قال له : افتسلم هذا الامر الى يزيد من
بعدك وانت تعرف أنه لا يقوم فيه بالحق فقال انما ولاء غيرى والمسلمون
أولى بما يكون منهم فيه بعدي قال أفترى ذلك من صنع من ولاء حقا؟
فأخرج عمر وكان يقول اهلكنى أمر يزيد وخصمت فيه فاستغفر الله
فخاف بؤامية أن يخرج ما أبديهم من الاموال وان يظلم يزيد من
ولاية العهد فوضوا على عمر من سقاء سما فلم يلبث الانلاثا حتى
مرض ومات

وفى حياته توفى أخوه سهل بن عبد العزيز وكان فاضلا دينيا زاهدا
وبعده توفى ابنه الشاب الصالح الناسك عبد الملك بن عمر وكان بعض
أهل الشام يقول : أن عمر بن عبد العزيز انما ادخله فى العبادة
مارأى من ابنه عبد الملك هذا

ومن مآثر عمر أنه أبطل عادة سب على على المباير وكانت بدعة
ابتدعها معاوية ليقرر فى نفوس الناس ان بنى هاشم لاحظظهم فى هذا الامر
وان سيدم الذى به يصلون ويفخرون هذا حاله وهذا مقداره فيكون

من ينتمى اليه ويدلى به عن الامر أبعد وعن الوصول اليه أشحط وأنزح
ولما أبطل هذه البدعة جعل مكانها (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان الآية) و(أن الله يأمر بالعدل والاحسان الآية) ولا يزال
الخطباء يستعملون الاخير الى الآن

(خلافة يزيد بن عبد الملك)

وهو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين
أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي ولي الخلافة بعد ابن عمه عمر بعهد
من أخيه سليمان معقود في تولية عمر ، فان سليمان كان قد عهد لعمر
بالخلافة ثم خاف من أخوته ومن الناس فاخفى ذلك وبايع الناس لما
هو مكتوب ، فقالوا نبايع على أن يكون فيه ولد عبد الملك فبايعوا فاذا
فيه عمر بن عبد العزيز ثم من بعده يزيد وهشام ابني عبد الملك
فتت البيعة

وقد لبث في الخلافة الى أن مات في الخامس والعشرين من شعبان
سنة ١٠٥ وكانت خلافته أربع سنين وشهرا - وكان سبب موته أنه
كان يحب جارية من جواريه يقال لها حبابة وكانت مغنية وكان يزيد
صاحب له وطرب فلما ولي الخلافة بعد عمر أقام بسير بسيرته أربعين
يوما وترك اللهو والشرب فقالت حبابة لخصي يزيد كان صاحب أمره
ويحك قربني منه حيث يسم كلامي ولك عشرة آلاف ففعل فلما صر
بها يزيد أنشأت .

بكيته الصبا جهدي فمن شاء لا مني ومن شاء آسي في البكا وأسعد

وأبياتا أخرى بالالخان ، فلما سمعها قال للخصي قل لصاحب الشرطة
 يصلى بالناس ودخل اليها وعاد الى انهماكه ولذاته ، فلما كان بعض الليالى
 شرقت حبابه فماتت حزن عليها يزيد حزنا عظيما وخلاها ثلاثة أيام
 لم يدنها وهو ينظر اليها ثم دفنها خمسة أيام ثم نبشها وأخرجها وجعل
 يقلبها ويبكى فقوى عليه الحزن حتى قتله بعد سبعة عشر يوما وهو
 ببلاد البلقاء

الاحوال الداخلية: لما تولى يزيد عمدا الى كل ما صنمه عمره بالم يوافق هواه
 فردده ولم يخف شناعة عاجله ولا انماثم عزل عماله الا قليلا منهم وكتب اليهم
 أما بعد فان عمر كان مغرورا ، غررتموه أتم وأصحابكم ، وقد رأيت
 كتبكم اليه في انكسار الخراج والضريبة ، فاذا أتاكم كتابي هذا
 فدعوا ما كنتم تعرفون من عهدى وأعيدوا الناس الى طبقتهم
 الاولى ، أخصبوا أم أجدبوا ، أحبوا أم كرهوا ، حيوا أم
 ماتوا والسلام .

مقتل يزيد بن المهلب: علمنا أن يزيد هذا هرب من سجن عمر في مرضه
 وغلب على البصرة فجعله الخليفة جيشا جعل عليه أخاه مسلمة بن عبد الملك
 وأرسل الى أهل الكوفة شيئا يفرق على أهلها بينهم الزيادة ، وقدم مسلم
 الكوفة ومعه العباس بن الوليد بن عبد الملك ونزلا بالنخيلة ، فلما سمع
 اصحاب ابن المهلب وصول مسلمة وأهل الشام راعهم ذلك فخطب فيهم
 ابن المهلب وبين لهم أن أهل الشام تسعة أسياف سبعة منها له واثنان
 عليه وأن مسلمة ما هو الا جرادة صفراء اناكم فى أوباش وأخلاط ،
 ثم بعث الى عماله على الاهواز وفارس وكرمان وبعث اخاه مدركا الى

خراسان فلم يدخلها - أما يزيد بن المهلب فقد حث أهل البصرة على الجهاد وزعم لهم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم ثم سار بهم من البصرة وأتى واسطاً فأقام بها أياماً ثم سار عنها وقدم أخاه عبد الملك نحو الكوفة فهزمه العباس فسار يزيد نفسه وقد اجتمع اليه عدد وفير من أهل الكوفة والثغور ، وخرج مسلمة فمضى جنوده أهل الشام ثم التقى الجمعان سنة ١٠٢ فانهمزم أصحاب ابن المهلب وقتل أخوه حبيب فاستقتل واقتل نحو مسلمة لا يريد غيره فبادر اليه رجل من كلب في نفر فاقتتلوا ساعة وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً وأتى برأسه فسيره مسلمة إلى أخيه الخليفة وقتل محمد بن المهلب وبقي المفضل قنفرق أصحابه عنه ومضى إلى واسط وجاء عسكر الشام إلى عسكر يزيد فاقتتلوا وأسر منهم مسلمة نحو ثلثمائة فسرهم إلى الكوفة وجاء كتاب الخليفة بضرب رقابهم فقتل فيهم مسلمة وبدع وقل من نجا منهم ، واجتمع أهل المهلب بالبصرة فاعدوا السفن وتجهزوا للركوب في البحر وفر إلى كرمان والمقدم عليهم المفضل فارسلت الجنود في أثرهم فقاتلوهم حتى طلب ناس من أصحابهم الأمان ، ومضى آل المهلب ومن معهم إلى قنديل وهناك تفرق الناس عنهم فتقدم المفضل ومروان وغيرهم من بني المهلب فقاتلوا وحملت رؤوسهم (وفي اذن كل واحد منهم رقعة باسمه وتساوهم واسراهم إلى مسلمة بالخيرة فبعثهم إلى الخليفة وهذا بعثهم إلى العباس بن الوليد وهو على حلب فنصب الرؤوس وأراد مسلمة أن يبيع الذرية فاشترى منه الجراح بن عبد الله الحكمي بمائة ألف وخلي سبيلهم غير أن مسلمة لم يأخذ من الجراح شيئاً وبذلك

استوصلت هذه الاسرة المجيدة ذات الفضل العظيم والاثر الواضح في
الفتح الاسلامي ولم يبق منهم الا ثلاثة نفر أمنوا اخيرا ولم يكن لهم
شان ولا اثر

ولما فرغ مسلمة من حرب آل المهلب جمع له أخوة ولأبنة الكوفة
والبصرة وخراسان فاستعمل مسلمة على خراسان سعيد خذينة لانه
زوج ابنة مسلمة

(أمر بنى العباس ودعائهم)

وفي عهد سعيد هذا ظهر أمر الدعاة بخراسان اذ جاءه من قال له ان
هنا قوم قد ظهر منهم كلام تبيح واعلمه حالهم وانهم يزهدون الناس
في سلطان بنى أسيه لخبث سيرتهم وعظيم جورهم وقد استجاب لهم أناس
كثير وفشا بهض أمرهم وعلن ، فبعث سعيدا لهم فتمال من أتم ؟ قالوا
ناس من النجار ، قال فما هذا الذي يحكي عنكم ؟ قالوا لا ندري ، قال جئتم
دعاة ، قالوا لنا في أنفسنا وتجارتنا شغل عن مثل هذا ؛ فغلب سببهم
بضمان فارتحلوا عن مروج وأداروا كور خراسان ورسا نيقهـا في عداد
التجار يدعون الناس الى محمد بن علي فلم يتخلف احد عن الاستجابة
اليهم ، وـ ذلك يرجع الى شدة الحجاج وعماله فانهم ارهقوا الناس
حتى ملوهم وتمنوا لو ان احدا يدعوهم الى الخروج على الامويين وخلصهم
من سلطانهم فيخرجون معه ويعينونه باموالهم وانفسهم حتى يتخلصوا
مما هم فيه على أي صورة —

﴿ قصة يزيد بن أبي مسلم ﴾

قدمنا ان يزيد بن عبد الملك أخرج من السجن وولاه افرقية وكان على نط الحجاج في الجبروت وسفك الدماء فلما ولى عزم ان يسير فيهم بسيرة الحجاج في أهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ممن كان اصله من السواد من أهل الذمة فاسلم بالعراق فان الحجاج كان ردهم الى قراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفار فاراد يزيد ان يفعل بأهل سواد افرقية كذلك فكلموه في الامر فلم يسمع وعزم على ما عزم عليه فاجمع رأيهم على قتله ووثبوا عليه وقتلوه وقتلوه وولوا على أنفسهم الوالى الذى كان قبله وكان عندهم وكتبوا الى الخليفة انا لم نخلع ايرينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه واعدنا علينا محمد بن يزيد مولى الانصار ، فكتب الخليفة اليهم انى لم ارض بما صنع يزيد وأقر مولى الانصار على عمله مدة أيام (مقتل شوذب) لما مات عمر بن عبد العزيز أحب أمير الكوفة ان يحظى عند يزيد ، فكتب الى محمد بن جرير بمن اجزة شوذب ففعل ، فكتب شوذب الى ابن جرير ما أعجلكم قبل انقضاء المدة ؟ فارسل اليه انه لا بسعنا ترككم على هذه الحال فقالت الخوارج ما فعل هؤلاء هذا الا وقد مات الرجل الصالح وقتلوا وانتصروا وفر منهم بن جرير وجيشه فتبعوهم حتى ادخلوهم الكوفة ورجعوا الى مكانهم واقام شوذب ينتظر صاحبيه فقدا ما واخبراه بموت عمر ووجه الخليفة اليهم فصيالة فمزموه فارسل ثانية وثالثة والخوارج بهزمونها حتى دخل مسلمة

الكوفة فشكا اليه اهل اماكن شاذب وخوفوه منه فارسل اليه عشرة آلاف
فحملوا عليهم فطحنوهم طحنا وقتلوا شاذب واصحابه

(الغزو)

(١) لما ولي سعيد خديبة خراسان استضعفه الناس وطمعت الترك
فجمعهم خاقان ووجههم الى الصغد فاقبلوا الى سمرقند فندب عاملها
الناس فانتدب أربعة آلاف من جميع القبائل وعاليهم المسيب بن بشر
الرياح فلما دنوا من الترك كبروا وثار الترك وخالطهم المسلمون فعمقروا
الدواب وترجلوا ومازالوا يقاتلونهم صابر بن حتى هـ - زموا الترك
هزيمة منكرة

(٢) ثم عبر سعيد النهر وغزا الصغد وكانوا قد نقضوا العهد واعانوا
الترك على المسلمين فلقية الترك وطائفة من الصغد فزهمهم المسلمون
فقال سعيد لانتبهوهم فان الصغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم
أفتريدون بوارهم وقد قاتلتم بأهل العراق الخلفاء غير مرة فهل اباروكم
فخالفه فريق من جنده وتبعوا الترك وكان كلما بعث سرية فاصابوا
وغنموا وسبوا رد السبي وعاقب السرية فثقل على الناس وضعفوا
وأخذ الشعراء يذمونهم - فلما تولى عمر بن هبيرة على العراق فكان
مسلمة بن عبد الملك عزل سعيدا هذا وولى سعيد بن عمرو الحرشي
ففزع منه أهل الصغد وخرجوا الى جندهم وارسلوا الى ملك
فرغانة يسألونه أن يمنعهم وينزلهم مدينته فأبى وانزلهم رستاقا عينوه
فسار اليهم الحرشي وحصرهم وانصب عليهم الجانيق فاستغاثوا بملك

فرغانة فلم ينجدهم فطلبوا الصالح وسألوا الأمان وأزبدوا الى الصفد
فشرط عليهم شروطا قاسية وانذرهم ان احدهما حدثا فتمتذوا
فقتلهم عن آخرهم واصطافى أموالهم وذراريهم واخذ ما عساه
وكتب بذلك الى الخليفة ولم يكتب الى ابن هبيرة ولذلك عزله عن خراسان
(٣) وكانت الحزر قد أغارت على المسلمين بجمال ارمينية واحتلوا

عسكرهم وغنموا ما فيه فاقبل المنهزمون الى الشام فوبخهم الخليفة فاستعمل
على ارمينية الجراح بن عبد الله الحكمى وأمه بجيش كثيف وأمره
بغزو الحزر وغيرهم من الاعداء فسار وسمع به الحزر فعادوا حتى
نزلوا باب الابواب ونزل الجراح برذعة فاقام حتى استراح وعبر نهر
الكر واستكثر من الميرة واسرى ليهلا حتى انتهى الى باب الابواب
فلم ير الحزر فبث سراياه فى النهب والغارة على ما يجاوره وسار اليه
الحزر فالتقوا بأران واقتتلوا وكان على الكفار ابن الحاقان فنصر الله
المسلمين وركبوا أقفية الاعداء قتلا وأسرا وسبيا وغنموا جميع
ما معهم وتبعوهم بملكون منهم حصونهم حصنا حصنا حتى وصلوا
الى بلنجج وراء باب الابواب

(٤) أما غزوات الروم فكانت لانتقطع فغزى مروان بن محمد
الصائفة وافتتح قونية وغزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية ارمينية
وهو على الجزيرة قبل أن يلى العراق فزعمهم واسر منهم نحو سبعماية
وكانت الروم قد اغارت على مصر ونزلت تيس

موت الخليفة - وفى سنة ١٠٥ توفى الخليفة وكان حينما رجه

الجيوثى الى يزيد بن المهلب قد عهد الى أخيه هشام ثم الى ابنه
الوليد بن يزيد

(خلافة هشام)

وهو هشام بن عبد الملك بن مروان الأموى القرشى الدمشقى
أبو الوليد، استخلف بعهد من أخيه يزيد وكان عمره اذ ذلك أربع
وثلاثون سنة، ولث خليفة تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأياما
وكان جميل الصيرة وبمينيه حول ومات بالذبح في الرصافة من قنسر بن
لثلاث خلون من ربيع الاول سنة ١٢٨ وهو ابن خمس وثلاثين سنة
— ولم يك في بنى أمية من ملوكها أعطر ولا ألبس منه

(أحوال الدولة على عهده)

ظالت أيام هشام في الخلافة فكثرت فيها عزل الولاة وتنصيبهم وتحييز
فريق من الناس الى هذا والى وفريق الى والى السابق وبدأ أمر العصبية
يظهر فتطاحت المضربة واليمنية في خراسان وانحاز الأولون الى والى
نصر بن سيار والآخرين ومعهم مريمية وغيرها الى عمرو بن مسلم الباهلى
أخى قتيبة بن مسلم ووقع القتال بين الفريقين — ومهما يكن من نتيجة
فيما بعد فإنه جمع بلاد خراسان ملائمة جد الملائمة لنمو الدعوة الى
بنى العباس، فضلا عن أنه بطمعت الترك وغيرهم في بلاد المسلمين نعم ان أسد
ابن عبد الله القسرى لما ولى خراسان فك بدعاة بنى العباس ولكنه تعصب
الى اليمنية وضرب نصر بن سيار وجماعة معه بالسياط وأرسلهم الى

أخيه خالد بالعراق بحجة أنهم أرادوا الوثوب به فكان هذا العمل سبب عزله وتولية أشرس السلمي وهذا أراد الخير فكتب الى أهل سمرقند وما وراء النهر يدعوهم الى الاسلام على أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس وبنوا المساجد فانكسر الخراج فامر باعادة الجزية على من أسلم فحصلت فتنة دخل فيها بعض العرب حمية لمن أسلموا أو نكايه في أشرس وكفرت الصفد وبخاري واستجاشوا الترك فأنقض عليهم أشرس وحرّض الحرث بين سريج الناس على الجهاد فحملوا حتى فرقوهم ودخل أشرس بيكندثم بخاري أما خاقان الترك فقد انضم اليه أهل فرغانة وطوائف من أهل بخاري وحاصروا كمرجة فاستهات المسلمون في قتالهم ثم انفقوا على أن يرتحل خاقان وبرتحلوا

وبينا أشرس في هذا عزله الخليفة وولى الجنيد بن عبد الرحمن فعبّر الى ما وراء النهر وحارب الترك وانتصر عليهم بمساعدة أشرس وعاد الى مرو فتعصب للمضربة ولم يول غيرهم عملاً - ثم جاشت الترك في قابل ونزلوا سمرقند فسارع اليهم الجنيد واذ كان على أربعة فراسخ من المدينة صبحه خاقان في عدد لا يحصى ونشب القتال قابلي نصر بن سيار بلاء حسناً وأقبل الجنيد فوقف تحت راية اليمينية وكان قد جفاهم فقال صاحب رأيهم ما جئت لنكرمننا ولكنك علمت انه لا يوصل اليك ومنا رجل حي فان ظنمنا كان لك وان هلكنا لم تبك علينا وما زال القتال مستمراً حتى أعيأ الناس وتماجزوا - وكتب الجنيد الى عامل سمرقند بالقدوم عليه ان لم يفعل فبين اليه خطر الطريق فهدده فلم يجد بدا من اجابته فهلك بمن معه لانه خالف الطريق وسار على غير ما كانوا ألفوا

لم ينج منهم غير الف فخرج الجنيد يريد سمرقند فتوجه خاقان الى بخارى فلقية الجنيد بكرمينية واقتتلوا فقتل عظيم من الترك تطيرا و بقتله وولوا مدبرين فدخل المسلمون بخارى آمنين ثم عزل هشام الجنيد خروج الحرث بن سريج - ويذنا الناس يحاولون نهضة الاحوال هالك اذا بالحرث بن سريج قد لبس السواد ودعا الى كتاب الله وسنة رسوله والبيعة الى الرضا كما يقول دعاة بنى العباس فزاد الطين بلة ، وكان الحرث عظيم الازد بخراسان فاجتمع عليه منهم ومن غيرهم خلق كثير انتصاراً للعصبية اليمنية حتماً ، وسار بهم الحرث الى بلخ وطرده نصر بن سيار عاملها ثم استولى على الحوزجان والطارقان ومرو الروذ وأراد قصد مرو الشاهجان فهزمه والى خراسان وهو عاصم بن عبد الله الهلالي ثم ما هو الا ان هشاماً والى العراق خالد بن عبد الله القسري فولى خراسان أخاه أسد بن عبد الله ، وبلغ عاصم اقباله فصالح الحرث وانفقا على أن يكتبوا الى هشام يسألانه كتاب الله وسنة نبيه وجمعاً رؤساء الناس ليشهدوا فقام يحيى بن حنظلة وقال هذا خلع أمير المؤمنين فانفسخ ما بينهما وعادت الحرب فانهمزم الحرث أيضاً وعظم أهل الشام بحبي وكتبوا الى أسد بما كان وبهزيمة الحرث فلقية الكتاب في طريقه الى خراسان فلما جاءها حبس عاصم ولم يجد يده الا مرو ونيسابور وبقية بلاد خراسان بأيدي اتباع الحرث وهو مقيم بمرو الزود فوجه اليه جندا ليشغله وسار الى آمل فحاصرها حتى طلب أهلها الامان فأمنهم وسار الى بلخ وانحدر منها الى ترمذ بالسفن فوجد أهلها يحاربون الحرث وهو يحاصرهم فهزموه وعاد أسد الى بلخ ثم سار الى زم فقاتل أصحاب الحرث بها حتى

استأمنوا فأنهم وذهب إلى سمرقند ثم عاد إلى بلخ - وفطن بجماعة من دعاة
بنى العباس فبدع في التكيل قتلا وتمثيلا وحبسائهم أطلق اليمانيين ومن كان
معهم من ربيعة وأراد قتل من كان من مضر (تحيزا للعصبية أيضا)
فدعا موسى بن كعب من الدعاة وألجئه بلجام حمار وجذب اللجام فحطمت
أسنانه ودق وجهه

أما ما كان من أمر الحرث بعد ذلك فإن أسد داوجه إلى أهله
وأصحابه وهم بأحدى قلاع طخارستان جديع بن علي الكرمانى فحصرهم
حتى نزلوا فجعلهم سديا وباعهم في سوق بلخ ممن يريد من العرب والموالي
— وانفق ان الحرث نقم عليه ٥٠ رجلا من أصحابه وقالوا له ارتحل
عنا وطلبوا الامان من أسد فسير اليهم الكرمانى فحصرهم حتى عطشوا
وجاءوا فسالوا أن ينزلوا على حكم أسد فنزلوا وأرسل اليه أسد أن
يبعث بخمسين من وجوههم اليه فقتلهم أسد ثم أرسل إلى الكرمانى
أن يجعلهم اثلاثا : ثلث بقتلهم وثلث بقطع أيديهم وأرجلهم وثلث بقطع
أيديهم — ففعل كل ذلك وأخرج أنقاهم فباعها أما الحرث ففر إلى
الترك وانضم إلى خاقان على المسلمين - وقد اتخذ أسد بعد ذلك مدينة
بلخ داراً ونقل إليها الدواوين

وأخبر الحرث خاقان ان أسدا لا نهوض به اذ لم يبق معه كثير
جند ، فطمع خاقان وجميع جنوده وسار فعلم أسد فدعا الناس من فوره
واستشارهم فاستقر رأى على المناجزة فخرج من بلخ بقصد الترك
فلما تراءى العسكران قال خاقان للحرث ألم تكن أخبرتنى ان أسدا
لا حراك به ، فطمأنه وحمل الحرث بالميسرة فحملت عليه ميمنة أسد

أَسْمَاءُ الْغَنِيَّةِ

رَبِّهِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَكْنَا فِيهِ الْفَتْحُ الْإِسْلَامِيَّ
فِي الْأَرْضِ الْمُتَوَسِّطَةِ

وَسَمِعْتُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْبَكْرِيِّ بِأَرْوَاحِهِ



من الازد ونميم وغيرهم فانهزم شر هزيمة وانهزم الترك جميعا بانهمزام
خيرتهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويغنمون والحرب يحمي
خافان وهو يقر فيقال انه وصل الى طخارستان وسار منها الى بلاده
يستعد لمحصرة سمرقند فقتله هنالك غيلة كورصول الترك لنزاع كان بينهما من
أجل لب الردوي قال ان المسلمين أدركوه وهو فار فقتلوه وعلى أى حال فانه
بقتله تفرقت الترك واشتغلوا بغير بعضهم على بعض فكتب أسد الى هشام
بمصير خاقان فسجد شكر الله غير أن القيسية حسدوا أسدا على هذا
التوفيق وأخذوا يدبرون، أما الحرب فانا ظل في بلاد الترك حتى جاءت
أيام يزيد بن الوليد فاخذ نصر بن سيار له الأمان فماد ولعب دورا هاما
في فتن خراسان الاخيرة حتى قتله الكرمان على ماسيج.

كانت ظروف الاحوال بخراسان خلال هذا الاضطراب ملائمة
لبنى العباس اذ كان دعائهم يجوبون كورها وبلاد ما وراء النهر، ثم توفي
محمد بن علي واوصى الى أكبر ولده ابراهيم الامام فارسل ابا مسلم
الخراساني الى الدعاة في المشرق يعلمهم وفاة محمد وقيام ابراهيم بالامر
فسودوا ثيابهم حزنا على محمد وجدوا فيما يريدون حتى كثروا وعلن
أمرهم وعلم هشام فاستشارا أولى الرأي فيمن يوليه أمر تلك الناحية
فاشير عليه بالكرمانى فقال لا حاجة لى في اليمانية وكان يبغضهم وكذلك
كان بنو امية عامه فاشير عليه برجل من ربيعة فقال ربيعة لا تسد بها
الثغور فاشير عليه بنصر بن سيار فقبل لان هواه في المضربة فقبل له ليس
لنصر بخراسان عشيرة فقال أي عشيرة أكثر منى وكتب الى نصر

بعده على خراسان فكانت توليه بمثابة نصر للمضربة - هكذا كانت
الاحوال في خراسان

﴿الاحوال في العراق والشام﴾

بينادعاة العباسية في خراسان يعملون بحمد على قلب كيان
الأموية لا يهنون لما يصيبهم في هذا السبيل ولا يضعفون ولا يستكينون
إذا باهل العراق قد أجموا أمرهم بينهم كحزب للملويين من أبناء فاطمة
وأردوا أن يبايعوا الرجل منهم فقدم اليهم بالكوفة زيد بن الحسين
ابن علي بن أبي طالب وكان الوالي اذ ذاك بعد خالد، يوسف بن عمر
وهو ابن عم الحجاج ، فلما قدم زيد أقبلت الشيعة تختلف اليه وأمره
بالخروج وقلوا له نحن أربعون ألفا ، فقال أخاف أن تخذلوني وتسلموني
كما فعلتم مع أبي وجدي فحافوا له ليكون معه الى النهاية فاعتبر بقولهم
فنصح له جماعة من أهلهم فلم يقبل (كما فعل الحسين جده وعلي بن أبي
طالب من قبله فاقام ببابيه الناس ويتجهز للخروج ثم خرج سنة ١٨١
فخرج اليه يوسف بن عمر واقتتل الفريقان فانهزم أصحاب زيد وخذلوه
فقتل في الميدان واكثر ما كان في أصحابه في شأنه أنهم واروه في قبر وعموا مكانه
على ابن عمر حتى لا يمثل به ومع هذا فان ابن عمر عرف مكانه ونبش القبر
عليه واخرجه وقطع رأسه وأرسله الى هشام وصلب جسده بالكناسة من
الكوفة فبقى مصلوبا ثم أحرق وذرى رماده في الفرات
وكان ابن عمر قد أخذ خالد اباه وحبسه فأمر هشام باطلاقه فأقام بالكوفة حتى
اتمى أمر زيد فامة أذن خالد الخليفة في الجهاد بطرسوس فأذن له ثم أن جماعة

من اللصوص أحرقوا ناحية من سوق دمشق ليشتغلوا الناس بها وينهبوا
النواحي الأخرى فدخل كاثوم بن عياض (وهو أن عم خالد وكان يعادن)
وقال للخليفة هذا عمل محمد بن خالد وغلماؤه ، فجاء بهم وحبسهم فبلغ
ذلك خالد فسار إلى دمشق ونزل داره فغدا الناس عليه مسلمين حتى
إذا فرغوا قال لهم خرجت بأذن هشام فحبس ابني وغلمائي والله ليكفن
هشام أولادعون إلى عراقي الهوى شامي الدار حجازي الأصل إبراهيم
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الأوائى قدأذنت لكم أن
تبلغوا هشاما (في كل ذلك يذكر هشاما باسمه مجردا) وبلغ أمره الخليفة
فلم يعبا به ثم مدح خالد رجل فادبه هشام ونفاه فامتعض خالد ، وقال
يرضى ممن فضله على رسول الله وينكر على من وصفني بخلال
يحبها الله فأحبني من أجلها فلم يحفل هشام به أيضا ، ولولا ما كان من
حسن سياسة هشام وصبره على خالد لعمل أمر العصبية سحله علانية ولكنه
كان في تدبير سرى

(أحوال المغرب والاندلس)

ولى هشام عبيد الله بن الحبجباب مصر وأفريقية والمغرب فكان له
من العريش إلى طنجة إلى السوس الأقصى إلى الاندلس وما بين
ذلك فكان أحد بنيهم بمصر والثاني بطنجة والسوس والثالث بالاندلس
وهو بأفريقية - فقدم مولاه عقبة السلولى عليه وكان أبو عقبة أعتق
الحبجباب) فأكرمه وأدناه ، فقصد مذووال حاجات فنص به بنو عبيد الله
فخيره في ولاية ما شاء من سلطانه فاختر الاندلس فولاه عليها ففتح

أربونة وينبيلونه وجليقية وأمن في أرض أفرنجة فقتل بيلاط
الشهيد.

أما والى طنجة والسوس فقد أساء السيرة ونمدي وأراد
أن يخمس البربر وقال هم فيء المسلمين ، فانتهر البربر مسير
الجيش الى غزو صقلية ونقضوا الصلح وتداغت عليه البلاد
بأسرها مسلمها وكافرها لانه ارتكب مالم يرتكبه أحد قبله ،
وقدم من بطنجة من البربر على أنفسهم ميسرة الحقيرفاستولى على طنجة
وبابموه بالخلافة ، فاضطر ابن الجحباب الى مقاتلتهم وقتل ميسرة فولى
البربر غيره فنهض بهم وقاتل المسلمين وقتل حماهم وفرسانهم وسمع أهل
الاندلس فثاروا على أميرهم وعزلوه وولوا آخر وبلغ الخبر هشاماً فقال
لأغضبني للمرب غصبة وأسير جيشاً يكون أوله عندهم وآخره عندي ،
وأرسل جنداً جعل عليهم بلج بن بشر وعمه كلثوم بن عياض القسري
فوصل الى القيروان ولقي بلج أهلها بالجفاء فشكروه الى حبيب بن أبي
عبيدة وكان بواقف البربر بتلمسان فهدده فاعتذر اليهم وسار الى حبيب
فتنازعا بالضرورة ثم اصطلحا على قتال البربر فلما التقى الجمعان انهزم
المسلمون وفر بلج باهل الشام الى الاندلس فلم يدخلها على واليها الا
بعد جهد وشروط منها أن يقيموا بالاندلس سنة واحدة فقط ثم
يخرجوا فرفضوا فأخذ منهم رهائن وأدخلهم وهم عراة لا يواربهم الا
دوابهم فكساهم عرب الاندلس على أقدارهم - وثار بربر الاندلس فهزمهم
عاملها بمساعدة بلج وصحبه وفرض لهم فانتعشوا ومضوا معه الى قرطبة
وطليطلة فهزموا من هنالك من البربر ، فلما مضت سنة قال لهم أخرجوا

وألح في ذلك فنهضوا فأخرجوه من قصر د بقرطبة سنة ١٢٣ وملك
بلج الاندلس واستولى عليها وأخرج عاملها وقتله وصلبه وصلب خنزيرا
عن بمينه وكلبا عن يساره وثار ولداه من جراء ذلك بجهات سرقسطه
فهزمهما وغنم شيئا كثيرا الا انه جرح في الموقعة ومات بعد أن ولي
الاندلس ١٢ شهرا

فولى امرها بمدة ثعلبة بن سلامة ولاد أهل الشام تنفيذاً لما أوصى
به الخليفة عند تحرك بلج بالجيش فثار عليه بربر ماردة فزاعم وقتلهم غير
انه تغير حاله واستبد بالناس وأخذ يبيع ذراى البربر والعرب وبرهقهم
من أمرهم عسراً وكان يبيعهم بالمناقصة حتى لقد بيع أحد الاشراف بعود
وبيم الآخر بكاب ولذاك طلب أهل الاندلس الى عامل افريقية وهو
حنظلة بن صفوان (الذي ولاد هشام ففتك بالبربر والخوارج فتكا ذريعا
وقتل منهم ٨٠٠٠٠ وسند ذكر عنه كلمة وجيزة) أن يرسل اليهم عاملا
من قبله يجمع كلمتهم لانها تفرقت وكثر القتل فيهم ولا يأمنون تغلب
المدو عليهم فارسل اليهم أبا الخطار الكلبى سنة ١٢٥ فاطلق الأسرى
وجمع الناس بمد افتراقهم فدانت له جماعتهم وفرق أهل الشام على الكور
ونظر لسواهم باحسن النظر وظهر أن تفريقة أهل الشام كان من جراء
نعصبه لنومه فكان ذلك سببا لوثوب الصميل بن حاتم مع المضربة واستقلاله
بأمر الاندلس الى أن وثب عليه يوسف بن عبد الرحمن الفهرى سنة ١٢٩
الى أن دخلها عليه عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٧

كلمة - وكانت الصغرية من الخوارج لا تنقطع ثوراتهم بافريقية
والمغرب وقد قتل ابن كلثوم عياض القسرى وهو بقاتلهم واستبيح

هشكره سنة ١٢٣ وفي سنة حاصر واقابس وفي التي بعدها حصلت فتن كثيرة بالمغرب بين حنظلة بن صفوان وبين عكاشة الخارجي اذ كانت بينهما وقائم لم يسمع بمثلها وانهزم عكاشة وقتل من البربر مالا يحصى ثم التقى حنظلة مع عبد الواحد خليفة ميسرة على فرسخ من القيروان وقد جمع عبد الواحد ٣٠٠ ألف فبذل حنظلة الاموال للناس وضح القوم رجلا ونساء وأطفالا بالدعاء حنظلة يسير بين الصفوف بحرض القتال حتى التحمت الحرب وانهزم عبد الواحد وقتل وأسر عكاشة فقتله حنظلة وأحصى القتلى من البربر فكانوا مائه وثمانين الفا وهي اعظم ملحمة وقعت في الاسلام بالمغرب وكتب حنظلة بذلك الى الخليفة هشام فسر بذلك سرورا عظيما وكان الليث بن سعيد يقول ما غزوة كنت أحب ان أشهدا بعد غزوة بدر أحب اليها من هذه الغزوة هذا وفي سنة ١٢٥ هذه مات الخليفة هشام رحمه الله تعالى

(الفتح والغزو)

على الرغم مما كان من الاضطراب في انحاء البلاد أيام هشام فان الغزو والفتح لم ينقطع في سنة من سنة خلافته اذ كان عمال خراسان لا يفترون عن الغزو في نواحيهم فضلا عن قيامهم القيام الحمود في قطم دابر الفتن والقضاء على الدعاة ومن أخصهم أسد بن عبد الله والجنيد ونصر بن سيار — وكان أكثر غزوهم في أرض فرغانة وطخارستان وجهات سمرقند لرد الترك اذا جاشوا أو تأديب من يستجيب اليهم — وقد قتل أحد ملوك الترك (كورصول) بعد أن غزا المسلمين ٧٢ غزوة

وأراد أذينة قتل نفسه من نصربالف حمل والف برزون فلم يقبل نصرو قتله
 وكان أبطال الفتح في ارمينية وأرض الروم والخزر وتلك النواحي:
 ١١ مسلمة بن عبد الملك الذي فتح قيسارية وغزا بلاد الخزر
 سنة ١٠٠ وكانت غزوته هذه تسمى غزوة الطين وكانت ملحمة عظيمة
 هزم الله فيها الكفار

٢١ ماموبة بن الخليفة، وكان لا ينقطع عن الغزو والاستيلاء على
 حصون الروم في سنة من السنين، وكأنه سبر غور الروم وتعلم كيف
 يهاجم وينتصر عليهم

٣١ مروان بن محمد عامل اذربيجان والجزيرة وقد غزا الروم
 غير ان فضله ظهر في نواحي الخزر، فدخل جهات اللان والسربير
 وضابق ملك تلك الجهات حتى اضطر الى صلحه على الف رأس من
 الماشية ومائة مكيال من الحبوب سنويا

أما في بلاد أفرنجة فان هشاما ولي عبيدة بن عبد الرحمن السلمي
 افريقية قبل ابن الجحباب فاستعمل عبد الرحمن الغافقي على الاندلس
 فغزا أفرنجة وأوغل في أرضهم وغنم غنائم كثيرة وعاد بها سالما وكانت
 نربونة مركز الاعمال الحربية ثم غزا مرة أخرى وأراد اخضاع بلادهم
 فسار اليه شارلمارنل وحصل بين الفريقين موقعة في نور أو بواتيه
 من حوض لوار، فانتصر المسلمون أولا انتصارا باهرا وغنموا ولكنهم
 اشتغلوا بجمع الاسلاب وقسمة الغنائم فداهمهم الفرنجة وأوقعوا بهم
 وهزمهم شر هزيمة وقتل عبد الرحمن في الموقعة سنة ١٠٤

ونعتبر هذه الموقعة من المواقع الفاصلة في التاريخ لانها وضعت حدا

لتقدم العرب في أوربا وأفقلت في وجوههم هذا الباب فأنقطعوا الى
الاندلس وأخذوا في أسباب عمرانها

وجهر ابن الحب باب جيشا الى صقلية سنة ٢٢١ فنزل على سرسوقة
فهايته النصاري وأدوا الجزية ولم يخذل لهشام جيش الاماكان من جيش
الجراح الحكمي فانه أغار من برذعة الى ابن خاقان سنة ١١٢ ليدفعه عن
أردبيل فالقى الجمان وعظم القتال واشتد البلاء وانكسر المسلمون وقتل
منهم خلق منهم أمير الجيش الجراح وغلبت الخزر على أذربيجان وحصل
وهن عظيم على الاسلام هناك

(خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك)

بوقع له بالخلافة في ثلاث خلون من ربيع سنة ١٢٥ واه أم الحجاج
بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج وقتل بالهجره من ندم يوم الخميس
لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة سنة ١٢٦ وهو ابن خمس وثلاثين سنة
ولما ولي الخلافة صدرت عنه أمور قبيحة مشهورة عنه من شرب
الخمر والفجور وتخريق المصحف بالشباب — وذكر عنه بعض أهل
التاريخ أموراً يستبعد وقوعها ، منها أنه دخل يوما فوجد ابنته جالسة
مع مريتها فبرك عليهما وفجربها فقالت له المريية هذا دين الجوس فأشدد
من راقب الناس مات هما وفاز باللذة الجسور

واخذ يوما المصحف وفتح فاول ما طلع له (واستفتحوا وخاب

كل جبار عنيد) فقال أنوعدونى ثم علقه ولا زال يضربه بالنشاب حتى
خرقه ومزقه وهو ينشد

أنوعد كل جبار عنيد فهأنا ذاك جبار عنيد
إذا لا قيت ربك يوم حشر فقل يارب خرقنى الوليد

ولما كثر فسقه خلعه من الخلافة - بهدان ولى سنة وشهرين
واثنين وعشرين يوما عكف فيها على البطالة وحب القيان والملاهي
والشراب ومعاشقة النساء ، فتعاشق سعدى بنت سعيد فتزوجها ثم
تعاشق أختها سلمى فطلق سعدى وتزوج سلمى فرجعت سعدى الى
المدينة فتزوجت بشر بن الوليد بن عبد الملك فندم الوليد على فراقها
وكلّف بحبها وكان له في شأنها مع أشعب المضحك حديث ذكره كتب الأدب
ثم كثر انتقامه وعابه الناس بالشراب وطلب اللذات وكان يبلغه ذلك فلا
يتغير عما رسم لنفسه فاجمعوا قتله

(مقتل الوليد) لما عزم الناس على قتله قلدوا أمرهم يزيد بن الوليد
ابن عبد الملك ، فخرج يزيد فأتى أخاه العباس ليلا فشاورة في قتل الوليد
فنهاه عن ذلك ، فأقبل يزيد ليلا حتى دخل دمشق في أربعين رجلا
فكسروا باب المقصورة ودخلوا على واليها فأوثقوه ، وحمل يزيد
الاموال على العجل ، وعقد امير العزير بن الحجاج ونادى مناديه من
اتدب الى الوليد فله الفان ، فاتدب معه الف رجل ضم اليهم بعض
القواد العظام

ولما بلغ الوليد الامر توجه من البلقاء الى حمص ثم خرج حتى انتهى
الى قصر في البرية على أميال من تدمر وهناك صبحته خيل حمص وكان

العباس بن الوليد قد بعثها وجاء في غير خيل فقبض عليه عبد العزيز وسجنه، ونادى مناديه من أتى العباس فهو آمن، فظن الناس ان العباس مع عبد العزيز على الوليد فنفر قوا عن الوليد فهجم عليه جند عبد العزيز وقتلوه بالسيف وأتى برأسه الى يزيد بن الوليد فنصبه بنفسه على رمح - ويقال انه لما أحيط به أخذ المصحف وقال أقتل كما قتل ابن عمي عثمان - وكان غمر الله له بعد أن ولي الخلافة يكره المواضع التي برأفها الناس، فلم يدخل مدينة من مدائن الشام ولم يزل يتنقل ويتصيد حتى تنقل على الناس وعلى جنده وأهله

ويقال ان سبب قتل الوليد يرجع الى العصبية وما تجر اليه عادة، وذلك ان الوليد لما تولى كان أول شيء نظر فيه انه كتب الى العباس بن الوليد بن عبد الملك بان يأتي الرصافة يحصى ما فيها من أموال هشام وولده ويأخذ عماله وحشمه الا مسلمة بن هشام لأنها كانت له على الوليد ففعل العباس ما أمره به، ثم كتب الوليد الى يوسف بن عمر فقدم عليه من العراق فدفع اليه خالد بن عبد الله القسري ومحمد ابراهيم ابني هشام المخرومي وأمره بقتلهم فأخذهم فمذبهم حتى قتلهم فغضبت اليمانية وبغضها وأتو يزيد بن الوليد بن عبد الملك فارادوه على البيعة وخلع الوليد فامتنع وخاف ألا يبایعه الناس فلم يزالوا به حتى بايعوه سرا وكان اكثر ما هاجت من أجله اليمانية قول الوليد بن يزيد بعد قتل يوسف قصيدة جاء فيها

شددنا ملكنا يدي نزار وقومنا بهم من كان مالا

وهذا خالد فينا قتيلا الا منعوه ان كانوا رجالا

ولو كانت بنو قحطان عربا لما ذهبت صنائعه ضلالا

ولا نركوه مسلوبا أسيرا نحمله سلاسلنا الثقلا

ولكن المذلة ضعضعتهم فلم يجدوا لذتهم مقالا

فلما سمع من كان بأقطار الشام من البيانية هذا الشعر أنفوا أنفا شديدا
فاجتمعوا من مدن الشام وساروا نحو الوليد بدمشق فخرج اليهم
بالمضربة فانهمزمت مضر فدخل الوليد قصره وتحصن فيه . واقبات
البيانية فدخلوا دمشق وأخرجوا محمد بن خالد من محبسه ورأسوه عليهم
فارسا الى يزيد فبايعوه جميعا وارسل الى أشراف مضر فبايعوه أيضا
طوعا وكرها وخلصوا الوليد فلبث مخلوعا أياما كثيرة وهو خليم بن أمية
وبعد فأننى أقر هذه الرواية في سبب قتل الوليد، وأرى ان مآثر من
مجرمه وفسقه وفجوره لم يك الا محض اختلاق لستر الحقيقة التي أدت
الى قتله وهي أمر العصبة بؤبدها وبعضها على اقرار هذه الجريمة
طمع أمراء البيت المال في هذا المنصب الجليل وتحاسدهم وتضاعفهم
وانطواؤهم على الاحقاد من جراء ظفر بعضهم به دون بعض ، وهذا
أمر عادي وقد ضحى بالوليد من أجله غالبا ، وليس معنى هذا محاولة
تنزيه الوليد عن الارتكاب فان الانسان يطغى ان رآه استغنى ، وانا
الذى تبادر الى الباحث في التاريخ ان ارتكاب ليس السبب في قتله وتكون
أخبار السوء الواردة في حقه قد ألقت تأليفا والصقت به الصاقا وهي امان
وضع الذين نافسوا الوليد ونفسوا عليه مركزه من آل بيته ومن لف
لهم ان لم تك من وضع الحوارج او الشيعة للتسوية على بني أمية عامة

في أشخاص بعض خلفائهم حتى ينفض الناس عنهم ويخلعوا طاعتهم
وهذا أجدى على الخوارج والشيعة من إظهار السيوف عليهم

(خلافة يزيد بن الوليد)

وهو يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وهو المسمي بالناقص لأنه ناقص الجند
من عطائهم لما ولي الخلافة، وكان ابن عمه الوليد المعروف بالناقص قد
زاد الجند زيادة كثيرة فنقصها يزيد هذا — وقد تم أمره قبل قتل الوليد
كما سلف — ببيع بالخلافة في جمادى آخر سنة ١٢٦، وأم يزيد هذا شاه
فرند بنت فيروز بن يزدجرد وقد قدمنا أن قتيبة ظفربها حينما ظفر بما وراء
النهر فأسلمها إلى الحجاج وهذا أرسلها إلى الوليد بن عبد الملك فأولدها
يزيد هذا ولم تلد غيره وكانت أم فيروز بنت شيرويه بن كسري وأم
شيرويه بنت خاقان وأم أم فيروز بنت قيصر عظيم الروم فلذلك كان
يزيد يفتخر ويقول

أنا بن كسري وجدي مروان وقيصر جدى وجدى خاقان
ومات بدمشق لعشر بقين من ذي الحجة سنة ١٢٦ وهو ابن خمس
وثلاثين سنة وقيل أنه يوم وهو ابن تسع وثلاثين ومات ولم يبلغ
الأربعين بعد أن ملك ستة أشهر إلا قليلا

أم أخمار موأحوال الدولة في عهده: لما بوع بالخلافة وضع الناس المطامير وفرق
في اليمانية الصلات والجوائز وأقبل محمد بن خالد إلى قصر الوليد وتسلمه هو
والجند ثم نزلوا على الوليد فقتلوه وأسدف الملك ليزيد (كذا يقال) ثم وجه
الحيل إلى المراق لأخذ الناس البيعة إلى يزيد بواسط فآذبا بموا قتلوا يوسف

ابن عمر، فبدأ القائد بالكوفة وأخذهم بالبيعة ثم سار الى واسط فبايعوه أيضا فلما فرغ ذعابو سيف بن عمر الثقفي فقال له انت القاتل سيد العرب خالد بن عبد الله، قال كنت مأمورا وما لي في ذلك من ذنب فهل لك أن تعفيني من القتل وأعطيك ديتي عشرة آلاف درهم (واملك تفهم من هذا كيف كانت روح الولاة في ذلك العصر من التزوع الى الرشوة عند حدوث ما يكرهون) فحمله الى محمد بن خالد بالشام فقال له محمد: أما زعمك انك كنت مأمورا فقد صدقت، وقد قتلت قاتل أبي وانما أقتلك بعبدة بن غزوان ثم قدمه فضرب عنقه

وكتب يزيد الى مروان بن محمد بالجزيرة وقد بلغه عنه تلك الكفاية في بيعته: أما بعد فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام، ثم قطع اليه البعوث وأمر لهم بالمعطاء فلما بلغ مروان ان يزيد قطع البعوث اليه كتب ببيعتهم وبعث وفدا فلما قطعوا الفرات لقيهم بريد بعث يزيد فانصرفوا الى مروان ويروى انه لم يبايع يزيد حتى كاتبه يزيد ليبايع له رعاياه ما كان يتولاه أبوه محمد من الجزيرة وأرمينية واذربيجان، فبايع

(خطبة العرش) وخطب في الناس فذم الوليد وذكر الحاد وانه

قتله لفعله الخبيث، وقال: أيها الناس ان لكم على الإاضع حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة، ولا اكترى نهرا ولا أكثر مالا ولا أعطى زوجة وولدا، ولا أنفل مالا عن بلد حتى أسد ثغره وخصاصة أهله بما يفتنيهم فما فضل نفلته الى البلد الذي يليه ولا أجركم، أحببكم، ولا أقفلكم في ثغوركم فافتكم ولا أغلق بابي دونكم ولا تحمل على أهل جزيتكم، ولكم

أعطيناكم كل سنة ، وأرزاقكم في كل شهر ، حتى يكون أقصاكم كأدناكم ،
فان وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن الوزارة ؛ وان لم
اف فلکم أن تخلعونى الا أن أتوب ، وان علمتم ان أحدا ممن يعرف
بالصلاح بعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم وأردتم أن تبايعوه ، فانا أول
من يبايعه ، ايها الناس لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

(اضطراب أمر بني أمية)

كان قتل الوليد قبلة قوية انفجرت فائتارت عوامل الاضطراب
والفتنة في هذه الدولة ؛

(١) فوثب سليمان بن هشام بن عبد الملك بزمان وكان الوليد قد
حبسه بها فخرج من السجن وأخذ ما كان بها من الاموال وأقبل
الى دمشق

(٢) وأغلق أهل حمص مدينتهم وهدموا دار العباس بن الوليد بن
عبد الملك ونهبوها وسلبوا حرمة وطلبوه فهرب الى أخيه الخليفة ،
وكتبوا الاجناد ودعواهم الى الطلب بدم الوليد فأجابوهم ، ثم اتفقوا
على الا يطيعوا يزيد واتخبوا أميرا ووافقهم بعض أمراء البيت المالک
فطمعوا وقصدوا دمشق فحصل بينهم وبين جند الخليفة موقعة في ثنية
المقاب فقتلوا فيها وأسروا فاضطر أهل حمص الى بيعه يزيد

(٣) ووثب أهل فلسطين على عاملهم وطردوه وأحضروا يزيد
ابن سليمان بن عبد الملك فجعلوه عليهم فدعا الناس الى قتال يزيد
فأجابوهم — وبلغ أهل الاردن أمر فلسطين فولوا عليهم محمد بن

عبد الملك واجتمعوا معهم على قتال يزيد وبلغ الخليفة أمرهم فجرد عليهم جيشا وبذل الرشوة لبعض قادتهم فتفرق أمر الثائرين ولذلك بايع أهل البلاد عامة ليزيد

(٤) وامتص نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لمن ولاء والى العراق أمر خراسان

(٥) وثار أهل اليمامة بماملهم وجمعوا له فاضطر الى الهرب وتركهم فتولى أمرهم أحد بني حنيفة واسكن الحروب وقمت فيها بينهم فظلوا كذلك الى خلافة مروان

(٦) ووقع الخلاف بين الزارية واليهانية بخراسان وأظهر السكرماني الخلاف لنصر بن سيار، وقدم على نصر عهده من والى العراق فقال السكرماني لأصحابه: الناس في فتنة فانظروا الأمور كم رجلا، فقالوا له انت لنا، وقالت المضرية لنصر ان السكرماني يفسد عليك الأمور فأرسل اليه فاقتله أو احبسه فأرسل صاحب حرسه ليأتيه به فارادت الازد أن تخلصه من يده فممنهم من ذلك وسار الى نصر غير مكترث فأمر بضربه وحبسه فاحتلت الازد حتى أخرجه من السجن فلم يصل الصبح حتى اجتمع له زهاء الف ولم يرتفع النهار حتى بلغوا ثلاثة آلاف، فلما سمع نصر عسكر بباب مرو الروذ ثم سمر الناس بينهما على أن يلزم السكرماني بيته فلزمه ثم بلغه عن نصر شيء فخرج، فأراد نصر نفيه من خراسان فأبى عليه أصحابه فأمنه وأعطى أصحابه، وبعد قليل عاد السكرماني الى جمع الرجال واتخاذ السلاح، وترك الهبة الى نصر وأظهر الخلاف، فأرسل اليه نصر فتنبأ للخروج

عن خراسان الى جرجان — ثم ماعو الا ان الوليد أمن الحرث بن سريج بمساعي نصر لأنه غاف قوته في أصحابه الترك فيكون أشد عليه من الكرمانى وغيره فطمع في الحرث أن يناصحه فأخذ للحرث أماناً من يزيد ، فقدم الحرث ورد عليه نصر مأخذله وكان ذلك سنة ١٠٧

ولعل هذه الحوادث تريك صورة مصفرة للاحوال في عهد يزيد على قصره بالبلاد والمناخ لمقر الدولة وما والاها شرقاً الى أرض خراسان التى كانت أحوال الفتن فيها ملائمة تمام للملائمة لنجاح دعاة العباسيين ، فقد شغلت نصر بن سيار عنهم حتى قوى أمرهم واشتدت شوكتهم وعلن شأنهم في جميع كور خراسان

أما إفريقية فقد استقل بها أخيراً عبد الرحمن بن حبيب حتى خطب للعباسيين ، وأما الأندلس فتتفاقم الأمر فيها وعظم الخلاف حتى اتفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهرى فظل أميرها الى أن دخل عليه عبد الرحمن الداخل فأسس بها للأمويين دولة بعد أن زالت دولتهم بالمشرق

(وفاة يزيد) مرض الخليفة وكان يرى رأى القدرية فألحت عليه القدرية وقالوا لا يحمل لك أهمل أمر الأمة ، فبايم ل أخيك ابراهيم ولعبد العزيز الحجاج بعده فلم يزالوا به حتى بايم لها ومات (أمر ابراهيم بن الوليد)

لما مات يزيد قام بالأمر بعده أخوه ابراهيم فلم يتم له الأمر

وكان يدخل عليه قوم فيسلمون بالخلافة ، وقوم يسلمون بالأمرة ،
وقوم لا يسلمون بخلافة ولا أمر ، وجماعة تباع ، وجماعة يابون أن
يباعوا ، فمكث أربعة أشهر حتى قدم مروان بن محمد فخلعه وقتل
ولى عهده وولى الامر بنفسه

وبروي ان المضربة تلاومت فيما كان من غلبة اليمانية عليها
وقتلهم الوليد فاجتمعوا من كل حذب وساروا حتى وافوا مدينة
حصص فاذا بها مروان بن محمد سار اليها في جنود الجزيرة فلما انتهى
الى قنسرين بايعه أهلها وسار وعم معه الى حصص لأن أهل حصص لم
يباعوا ابراهيم وعبد العزيز ، فلما دنا مروان منهم خرجوا اليه
فبايعوه وساروا معه فوجه الخليفة ابراهيم اليهم الجنود من دمشق
فضمن لهم مروان أنه لا يطلب أحدا من قتلة الوليد اذا هم كفوا
عن قتاله فلم يجيبوه وجدوا في قتاله يوما وكان مروان ذارأى ومكيدة
فدبر اليهم عسكرا جاءهم من خلفهم وهم لا يشعرون فلما أحسوا بهم
انهزموا فوضع أهل حصص السلاح فيهم لخنقهم عليهم وكف أهل
الجزيرة وقنسرين عنهم ، وأتى مروان بنحو ثمانية عشر ألفا من أسراهم
فأخذ عليهم البيعة لولدى الوليد وخلقى سبيلهم ثم دخل مروان دمشق وهرب
ابراهيم وثار من بدمشق من مولى الوليد وقتلوا عبد العزيز الحجاج بن
عبد الملك ونبشوا قبر يزيد وصلبوه على باب الجابية ، وتتابع القوم
على مروان يبايعون حتى استدفله الامر واعطاء أهل البلد الطاعة ورجع
الى منزله بجران - وطلب ابراهيم الامان فأمنه هو وسليمان بن هشام
وقدموا عليه جميعا فبايعوه وخلق ابراهيم نفسه

(خلافة مروان بن محمد)

وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ولى الخلافة على ملا وصفنا وهو يومئذ شيخ بنى أمية وكبيرهم وكان ذارأى فاضل وأدب كامل وكان احزم بنى مروان وأنجدهم وابلغهم ولكنه ولى الخلافة والامر مدبر عنهم ولد بقرية من قرى الجزيرة سنة ٧٢ و قتل بقرية من قرى مصر يقال لها ابو صير يوم الخميس لخمس بقين من ذى الحجة ١٢٣ وكانت ولايته خمس سنين وستة أشهر وعشرة أيام وكان يسمى مروان الحمار لبصره فى الحروب ويسمى الجمدي أيضا نسبة الى مؤدبة الجمدة بن درهم - وقد نشأ فى دولة اقاربة وولى الولايات الجميلة وافتتح عدة فتوحات حتى وثب على الامر بعد ابراهيم بن الوليد ويومع له بالخلافة سنة ٢٧٠ فلم يتهن بها لكثرة الحروب وظهور دعوة بنى العباس

﴿ انتفاض الناس على مروان ﴾

(١) لما رجع مروان الى حران راسل ثابت بن نعيم من فلسطين أهل حمص فى الخلاف على مروان فأجابوه وارسلوا الى من يتقدم من كلب فجاءوهم فى نحو من الف فارس ودخلوا حمص ليلة الفطر من سنة ١٢٧ فزحف اليهم مروان ومعه ابراهيم المخلوع وسليمان بن هشام ونزل عليهم ثالث يوم الفطر وقد سدوا أبوابهم فنادى مناديه : مادعاكم الى النكث ، قالوا انا على طاعتك قال فافتحوا الابواب ففتحوا فدخل أحد قواده فى ثلاثة آلاف فقاتله المحتشدون حتى هزموا وخرجوا من

باب تدمير فقاتلهم من عليه من أصحاب مروان حتى أفنؤم وقتل مروان من أسراهم وصلب نحو خمسمائة وهدم من سور المدينة نحو علوه

(٢) وبأخيه وهو بمحمص انتقاض أهل الغوطة وانهم ولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وحاصروا دمشق فبعث اليهم أبا الورد بن الكوثر ابن زفر بن الحرث وغيره في عشرة آلاف فلما دنوا من دمشق حملوا عليهم فانهزموا وقتل يزيد وأرسل رأسه الى مروان بمحمص، وأحرق المجاهدون بعض قري اليمانية

(٣) وخرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين وحاصر طبرية فبعث اليه مروان أبا الورد فلما قرب منهم خرج ثابت أهل طبرية فهزموه واستباحوا عسكره ولقيه أبو الورد منهما فهزمه مرة أخرى واقترب أصحابه فأسر ثلاثة من بنيهم وأرسلوا الى مروان وهرب ثابت ثم ظفروا به بعد شهرين فأمر مروان به وبأولاده فقطعت أيديهم وأرجلهم وحملوا الى دمشق فلقوا على باب المسجد ثم صلبوا على أبواب دمشق

ثم زوج مروان ابنه عبد الله وعبيد الله من ابنتي هشام وبايع لهما ولم يدرك ما خبىء له في الغيب من زوال دولته ببني العباس ثم سار الى تدمير فاطأه أهلها

(٤) وخلق سليمان بن هشام مروان من الخلافة وكان قد استأذنه أن يقيم بالرصافة ومروان سائر الى قرقيسيا لمحاربة الضحاك الخارجي فأذن له فعاد الى سليمان نحو عشرة آلاف من جند مروان فدعوه الى البيعة فأجاب وسار بهم فمسكر بنفسرين وكتب أهل الشام فأتوه من كل وجه، وبلغ مروان خبره فأتاه فقاتله فهزمه واستباح عسكره وانخن

فيهم وقتل من أسراهم نحو ثلاثين ألفاً ومضى سليمان هارباً إلى حصص وعاد
 ما عدهم مروان من سورها وتحصن فسار مروان إليه فقاتله أصحاب
 سليمان فبهر أنهم انهزموا وقتل منهم نحو من ستة آلاف فعند ذلك
 فر سليمان إلى تدمر وخلف أخاه سعيداً بحصن فحاصرها مروان
 عشرة أشهر ونصب عليها نيفاً وثمانين من جنجيقا يرمي بها الليل والنهار
 فلما طال عليهم البلاء طلبوا الأمان على أن يسمونه من سعيد وغيره
 فأجابهم ثم سار لقتال الضحاك الخارجي بالكوفة ثانية

وبعد فهذا بعض أمثلة ما كان من اضطراب الأمور على مروان؛
 وماذا ينتظر بعد طروق الحلل في الشوكة والعصبة عصبية بنى
 عبد مناف الذين أقاموا الملك ابنى أمية وبعد تنازعهم في الاستئثار به
 وتقارعهم من جرائه، غير الفتن والاضطراب، وماذا بعد استعانة
 بعضهم على بعض بالمصبيات الأخرى كاليمانية الأضعاف العصبية
 الأولى وانفراد صاحب الدولة عن قرابته ورحمه وعشيرته وأنصاره
 وهم الحماة الطبيعيون للدولة والأصل فيهم دفع الضيم عنه، فكيف
 يكون الحال إذا غالبوه وقاوموه وتحذوه؟ أليس ذلك يقوى الرعايا
 في الأطراف على أحداث الثورات والنزوع إلى الاستقلال والترحيب
 بمن يدعو إلى الخروج على الدولة، فيحصل الدعاة على أعراضهم وهم
 آمنون من وصول الحامية ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة
 يتضابق حتى يصير الخوارج عليها في أقرب الأماكن إلى مركزها
 وهذا يمينه هو ما حصل لدعاة بني العباس وهم بخراسان

أيام مروان

وقبل بيان أمرهم نقول على سبيل الاستشهاد أيضا : ان مروان
ولى مصر حسان التجيبي : فلما استقر اسقط بعض الأ عطية وفروض
الجند كلها فوثبوا عليه وركبوا الى المسجد ودعوا الى خلع مروان
وحصروا حسان في داره وأخرجوا صاحب الخراج ، ثم استخرجوا
حفص بن الوليد والى مصر السابق من سجنه وولوه عليهم فورد عليه
حنظلة بن صفوان من افرقية وقد أخرجه أهلها أيضا فنزل بالجيزة
وهناك قدم عليه كتاب مروان بولاية مصر فامتنع المصريون
وأخرجوه من الجيزة ومنعوه الإقامة بالفسطاط وحاربهم فأربوه
وهزم ، فسكت مروان عن مصر سنة ١٢٧ ، ثم ولى عليها حوثة الباهلي
ففتحها فتحا جديدا ، أجمع جند مصر على منعه فأبى عليهم حفص
فخافوا حوثة وسألوه الأمان فامنهم ثم جمع رؤسائهم فضرب أعناقهم
وأخذ حفصا فقتله .

(الفتن في خراسان)

وفي السنة الاولى من ولاية حوثة على مصر وهى سنة ١٢٨ بعث
ابراهيم الامام أبا مسلم الخراساني وأمره على أصحابه ودعاته وكتب
اليهم بذلك .

وقد علمنا ما كان من أمر الكراءى ، وأمان الحرث ، ومن عام
حديثهما أن نصر بن سيار استقبل الحرث وعرض عليه أن يوليه
ويعطيه مائة ألف فلم يقبل وقال انما أسأل كتاب الله وسنة رسوله
وبذلك أساعدك على عدوك ، وانما خرجت انكارا للجبور فكيف

تزيدني عليه ، وبعث الى الكرمانى : ان عمل نصر بالكتاب عضدته في
أمر الله والا أعنتك ان ضمنت لى القيام بالمدل والسنة ، ثم دعا
قبائل تبهم فاجتمع له منهم ومن غيرهم ثلاثة آلاف وأقام على ذلك

ثم ولى مروان على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ، وكتب الى
نصر بمعهده على خراسان فبايع لمروان فارتاب الحرث وقال انما أمتنى
يزيد ولا أمان لى من مروان وخرج فمسكر وطلب من نصر أن يجعل
الامر شورى فأبى فأرسل اليه فى عزل صاحب شرطته وتغيير العمال
فنقرر الامر بينهما على تحكيم أربعة من الرجال لا انتخاب عامل
سمرقند و طخارستان ثم عرض على الحرث ولابة ماوراء النهر فأبى ، واتفق
على نصر أخيرا الحرث والكرمانى وحارباه منفردين وه جمتمعين حتى
دخل الكرمانى مروا ونهب الاموال فانكر عليه الحرث ودخل عليه
فقاتله الكرمانى وقتله وصفت مرو لليمن فهدموا دور المضربة اتباع
نصر - فتقاتل نصر والكرمانى قتالا شديدا حتى استيقن أبو مسلم أن
كلا الفريقين قد أثخن صاحبه وأنه لا مدد لهم فاعمل الحيلة للتفريق
بين اليمية والمضربة حتى صار هوى الفريقين معه

عند ذلك كتب الى نصر والكرمانى : ان الامام أوصانى بكم
ولا أعدو رأيه فيكم وكتب يستدعى الشيعة وقادهم ونزل بين خندقى
الكرمانى ونصر وهابه الفريقان وبعث الى الكرمانى انى معك فانضم
اليه تغير أن نصر أخدع الكرمانى اذ دعاه الى الصلح فخرج اليه
الكرمانى فى مائتى فارس فرأى نصر منه عرة فبعث اليه من قتله
فاضطرب ابن الكرمانى الى مبايعة أبى مسلم فقوى أمره كثيرا

وضعف نصر فكتب الى مروان يعلمه بخروج أبي مسلم ودعائه
لابراهيم بن محمد ونجاحه ، فوجده مشغلا بحرب الضحاك الخارجي
فكتب مروان اليه : الشاهد يرى النائب فاحسم التؤول قبلك ، فقال
نصر للقوم : أما صاحبكم فلا نصر عنده - وصادف وصول كتاب نصر
الى مروان عثورهم على كتاب من ابراهيم الامام الى أبي مسلم يوبخه
حيث لم ينتهز الفرصة من نصر الكرمانى اذ أمكنته ، وبأمره الا
يدع بخراسان متكلماً بالمربية ، فلما قرأ مروان الكتاب بعث الى
عامله بالبقاء ان يسير الى الحميمة فيبعث اليه بابراهيم مشدود الوثاق ،
ففعل فحبسه مروان حتي مات في السجن

ثم أن أهل خراسان أجمعوا على قتل أبي مسلم لانه أصل الفتنة
وقد سثموا الاختلاف فيما بينهم وكاد اختلافهم يقضى عليهم ، غير انه
نجح في التفريق بينهم وتعاقد مع ابن الكرمانى فحارب نصرا ودخل
مرو فدخل بعده أبو مسلم وأمر بأخذ البيعة على الجند فبايعوه فبث
حينئذ الي نصر بدعوه الى البيعة ، فعلم نصر أن أمر أبي مسلم استقام
وانه لا سبيل له عليه ، ولا طاقة له بأصحابه فوعده أن يأتيه بياحه
من الغد

فلما كان الغد هرب بأهله وبلغ أبا مسلم هروبه فجاء الى معسكره
وقبض على أصحابه وصفت خراسان لأبي مسلم فولى العمال على البلاد
وقتل شيان الحرورى وعبد الله بن معاوية الهاشمى وابن الكرمانى
واستولى على أكثر مدن خراسان واقبلت سعادة بنى العباس واخذ من
يومئذ امر بنى أمية فى أوبار

(مسير جيش العباسيين الى العراق)

وقدم قحطبة بن شبيب الطائي على أبي مسلم من عند الأمام
فضم اليه العساكر وبعثه وراء نصر فوصل الى نيسابور فهرب منها
نصر الى قومس ثم الى الري وبها مرض فارتحل عنها الى ساوة ، وهنالك
أقر كنه منيته —

أما قحطبة فما زال يتقدم ويستولى على البلدان من جرجان وأصبهان
ونهاوند وكان ابن هبيرة قد بعث اليه الجنود فقاتلهم فهزمهم فخرج
اليه ابن هبيرة فوصل الى جلولا وخندق بها وأقام ، فغير قحطبة
طريقه الى حلوان وقطع دجلة الى الأنبار فرجع ابن هبيرة مبادرا الى الكوفة
وهذا خطأ عظيم ولوسار ابن هبيرة الى خراسان حينئذ لقطع خط الرجعة
على قحطبة وهزم مسلم شر هزيمة ولكن الله قضى بزوال دولة
بنى أمية فأعمى أبصارهم وأبصار قادتهم عن الصراط المستقيم

مضى قحطبة في طريقه الى الكوفة فكان في البر الغربي من
الفرات وابن هبيرة في البر الشرقي ثم استدل قحطبة على مخاضة وقطع
الفرات وقال مقدمة ابن هبيرة فانهزمت فانهزم الجيش كله بانهازمها
وارتد ابن هبيرة الى واسط فتحصن بها وأصبح أصحاب قحطبة فلم
يجدوه ف قيل أنه غرق في النهر وقيل غير ذلك ، فولوا عليهم الحسن
ابنه فما زال بهم حتى دخل الكوفة يوم عاشوراء سنة ١٣٢

وكان السفاح وأخوته وأهله قد هربوا من الحميمة لما قبض على ابراهيم
الأمام فنزلوا دار الوليد بن سعد مختلفين

وكان محمد بن خالد القسري لما بلغه انتصار قحطبة ثار بالكوفة
وعليها زياد بن صالح فهرب ومن معه من أهل الشام وملت الكوفة
لجيش الشيعة فاستخرجوا السفاح فبايعوه بالخلافة

وباغ الأمر خليفة الوقت مروان فسار من الشام في مائة ألف

حتى نزل دون الموصل - فسير اليه السفاح عمه عبد الله بن علي فالتقى
الجمان على الزاب وأمر مروان القبائل بأن يحملوا فتخاذلوا عنه واعتذروا
حتى صاحب شرطته ، فاباح الاموال للناس على أن يقاتلوا فاخذوها

من غير قتال ثم فروا منهزمين وفر مروان ومعه ابراهيم المخلوع ففرق
في النهر وغرق معه أكثر ممن قتل ومضى مروان منهزما حتى وصل

الموصل فقطع أهلها الجسر ومنعوه من العبور ، فنادي أصحابه : يا أهل

الموصل هذا أمير المؤمنين يريد العبور ، فقالوا كذبتم أمير المؤمنين

لا يفر ، فعبير من جهة أخرى وتقهقر الى الجزيرة حتى وصل الى حران

فتبعه عبد الله بن علي ففر الي حمص ثم خرج منها في جنده فتبعه أهلها

ليتهموه فهزمهم وسار الى دمشق فأوصى عاملها بقتال العدو وسار الى

فلسطين وعبد الله يتبعه ويستولى على مدن الشام حتى فتح دمشق عنوة

في رمضان سنة ١٣٢ ثم خرج يريد فلسطين فاجفل مروان الى العريش

فسار صالح بن علي في طلبه فاجفل مروان الى النيل ثم الى الصعيد فوجد

أهل مصر قد دعوا الى أحد أمراء بني أمية بل وجد ما هو أعظم وهو

أن أهل الحوف الشرقي من بلاد مصر وأهل الاسكندرية والصعيد

قد صاروا مسودة فلما عزم على تعدية الليل عدى الجزيرة ثم أحرق الجسر بن
وبعث بجيش الى الاسكندرية ثم بأخر الى الصعيد ، وبينما هو في ذلك
قدم في طلبه صالح بن علي وذلك يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجة سنة
٢٢ فلم يثبت مروان لصالح ، وتوجه الى بوسير بالجزيرة ومعه عبد الملك
ابن مروان بن موسى بن نصير أمير مصر وغيره من حواشييه وامرائه
واقاربه من بني أمية ، فلاحقه صالح بها فالتقاء مروان بمن معه وقاتله
حتى انهزم وقتل وهرب ابنه عبد الله وعبيد الله الى النوبة .

وأما عبد الملك فأمنه صالح لأنه أحسن السيرة ولم يفحش في حق
بني العباس - وكان قتل مروان يوم الجمعة لتسم بقين من ذي الحجة سنة
١٣٢ وقد بعث برأسه الى الشام والعراق وزالت بموته دولة بني أمية
والبقاء لله وحده .

وكان جميع خلفائهم من لدن معاوية الى آخرهم أربعة
عشر رجلا - وكانت مدة دولتهم منذ خلع الأمر الى معاوية الى أن
قتل مروان ٩١ سنة و ٩ أشهر و ٥ أيام منها أيام ابن الزبير ٩ سنين و ٢٢
يوماً ثم انقطعت دولة بني أمية بالمشرق ، وكانت على علاتها دولة عربية
لم يتخذ ملوكها قاعدة لانفسهم إنما كان سكنهم كل أمير في داره وضيعته
التي كانت له قبل الخلافة ، ولا أكثر احتجان الاموال ولا بناء القصور
ولا طلبوا مخاطبة الناس لهم بالتمويل والعبودية ولا تقبيل أرض
ولا بدولاً رجل انما غرضهم الطاعة الصحيحة من التولية والعزل في
أقصى البلاد ، فكانوا يعزلون العمال وبولون الآخري السند والهند ، في
خراسان وأرمينية في المغرب والاندلس في الحجاز واليمن ، بعثوا اليها الجيوش

ولوا عليها من رضوا او ملكوا أكثر الدنيا فلم يملك أحد من الملوك
 الدنيا ما ملكوا الى أن تغلب عليهم بنوا العباس بالمشرق فكانت دولتهم
 أعجمية سقطت فيها دواوين العرب، وغلب عجم خراسان على الانصار
 نعم انه قامت الأمويين دولة بالاندلس لبثت نحو ثلثمائة سنة فلم يملك
 في دول الدنيا أنبل منها ولا أكثر نصرا على أهل الشرك ولا أجمع
 ملاحل الخير ولكنها كانت جزءا من ملك كان لهم واسم الاطراف
 عظيم السلطان

والمعجب في هذه الدولة التي زالت قيامها على رفعة شأن المسلمين
 وأعلام كلمتهم وانتصاراتها المتوالية على مخالفتهم في العقيدة من الروم
 والحزر والهند والترك والبربر والقوط والفرنجية على الرغم مما كان من
 محاولة العلويين انتزاع الملك منهم وخروج الخوارج عليهم هذا وعلى
 منهم خليفة لا تجدد على عهد الشىء الكثير من الفتوح والغزو حتى
 دخلوا أوروبا وهددوا العالم غير الاسلامي برمتها أين كان مجال الثرف
 والقيم الذي يلصقه بهم بعض المؤرخين ويغالى به على فرض أنهم
 أنزفوا والثرف من لوازم الملك فان ذلك لم يحل بينهم وبين الثمار
 بوقل في شئون خلافتهم والعمل على نموها وزيادة عمراتها ورد غارات
 الأعداء في كل وقت عنها وصيانتها بالحزم والدعاء والسياسة والقوة
 هذا ويمكن أن نستنبط من قراءة تاريخ الأمويين هذه الامور
 وهي جديرة بالالتفات والاعتناء

(١) أن دولة الأمويين كانت دولة نأسيس لملك المسلمين فهددها

عبد ففتح وسيف

(٢) أنهم نجحوا في وضع هذا الأساس المتين على الرغم من أنهم كانوا بين معاديهم المسلمين من العلويين والعباسيين والخوارج، وبين معاديهم الأجانب عن الملة من الروم والفرس وغيرهم.

(٣) أنهم وضعوا للخلافة نظام ولاية العهد وغيره من النظم التي جعلت شكلها دنيويا صرفا كما هو شأن دول الأرض الماضية كالفرس أو الحاضرين كالروم، فكان لهم فضل النظام كما كان لهم فضل الفتح (٤) أن الأمويين جعلوا دولتهم عربية من كل نواحيها على الرغم من أنهم أخضعوا الأمم التي سبقتهم إلى الحضارة والتمدن، أريد أنهم كانوا أعرف بسياسة الملك من العرب بالضرورة، فوزراء الأموية وعادتها وجندها وعمال الولايات فيها كانوا من العرب ليس غير، وقد أحفظ هذا قلوب الفرس لآل البيت وأخيرا انضموا إلى العباسيين فكاتبه في الأمويين الذين حرّموا الأعمال وهم جديرون بتوليها، ولبثوا نوب الرباء خلفاء بني العباس حتى أصحاب الامر واليهي في دولتهم وبخاصة أيام البرامكة وبني سهل، وسئل أن الرشيد فطن إلى أغراض الفرس فتك بهم فتكا، وكذلك صنع المأمون ببني سهل.

(د) أنهم جعلوا اللغة العربية لغة الدولة الرسمية فكان لهم فضل نشر لغة القرآن الكريم بين الروم والفرس وكان أثرها في الشام أكثر لأن مركز الخلافة كان فيها فتعرب أهل الشام وكان هذا أصل ولائهم للمسلمين وبقي الفرس على عجمتهم كبرا وبغضا للعرب عامة وبني أمية خاصة ولم ينبغ منهم إلا من أراد أن يخدم قومه أولا إذ كان لا بد لهم في أحوال المعيشة من المسلمين.

وكان انفراد الفرس بالتشيع الى اليوم من أهم العوامل التي فرقّت كلمة المسلمين دينياً، والخلاف في الاصل خلاف سياسى نشأ من النزاع على الملك وعلى من هو أولى بالخلافه وليس من الدين في شيء على أنه كان بين بنى أمية وبين بنى عثم من الهاشمين علويين أو عباسيين فما بال الفرس ولا نسب بينهم وبين هؤلاء جميعاً ؟ وما هذه الحمية على الدين وما هذه الغيرة لآل بيت الرسول التي آل أمرها الى تباعد المسلمين والقاء العداوة بينهم ، وم آل أبى لؤلؤة قاتل عمر (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله) ولقد فطن أهل مذاهب المسيحية أخيراً الى أن هذا الاختلاف الدينى لا معنى له فإن الدين بدعوا الى الاخاء والوحدة فليت المسلمين يعملون على محو ما يسمى مذهب الشيعة ومذهب أهل السنة ومذهب المعتزلة وما الى ذلك فقد زال السبب القدى افضى الى كل هذا ومضى زمنه ، ويعملون بدا واحدة على نصرة الحنفية السمحة ويرتبطون ويتعاونون، انهم أن فلوا ذلك تقووا ودفعوا عن أنفسهم وبلاדם بنى الباغين وطعم الطامعين وأعادوا الاسلام دولة مجد وفخار كدولة الامويين والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وهو في عون العبد مادام العبد في عون أخيه

(الأحوال الاجتماعية والحضارة العربية في عهد الدولة الاموية)

كانت الدولة الاسلامية على عهد بنى أمية الى البداية أقرب ، وكان كل شيء فيها - ما عربى الصيغة وان دخله شيء من التهذيب والعسك

وقد قطعت في طريق التمدين أشواطاً وان الهاها الغزو والفتح ومقاومة
الخارجين عليها عن الوصول الى الغاية في هذا المغمار — وكان
أكثر خلفائها من الحزم والعلم بضروب السياسة والادارة على جانب
عظيم — وقد بنى معاوية الاول للامويين ملكاً فخماً ضخماً توارثوه وكان
كل عام في نهاء ، فلما فتحت لهم الاقطار نشروا فيها لغة العرب ودين
الاسلام ووضعوا لها النظم التي تصلح أهلها وتوافق مشاريهم ومنازعتهم
وكان لهم مجالس بمقدورها في المسجد الجامع للبحث في سياسة الدولة
وتدبير أمورها وكان الخليفة ينزل على ارادة القوم في أكثر الاحوال
ولا يقطع أمراً دون مشورتهم ولا ينفرد عنهم بالرأى استبداداً وكبراً
ولا يجسر على مقاومة صوت الشعب ولا مصادرته وكان الخلاف بين
الحاكم والمحكوم لا يكاد يذكر لانهم جميعاً كانوا يلتزمون الهدى من آى
القرآن والحق من المبادئ القويمة التي جاء بها الاسلام
هذا وينبغي في هذا المقام أن نحيط علماً بالمسائل الآتية: —

(١) انقلاب الخلافة الى الملك المفضوض ، فبعد أن كان الوازع

ديناً يؤثر المسلم على أمور دنياء وان أفضى الى هلاكه انقلب الى عصبية
وسيف . نعم أن معاني الخلافة من تحرى الدين ومذاهبه والجرى على
منهاج الحق وطرائقه قد كان في الصدر الاول الى آخر أيام عبد الملك
لكنها في العصر الثانى عصر بنى عبد الملك ومن جاء بعدهم قد ذهبت
تلك المعانى ولم يبق من الخلافة الا اسمها وصار الامر ملكاً محتماً وجرت
طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت في اغراضها من القهر والتغلب في
الشهوات والملاذ الا في عصر عمر بن عبد العزيز فإنه نزل الى طريقة

الخلفاء الراشدين والصحابة جهده

ومعاوية وزيد ابنه ومروان وعبد الملك ابنه، وإن كانوا ملوكاً
لم يكن منهم في الملك مذهب أهل البغي والظلم والقهر، إنما كانوا
متعربين لمقاصد الحق جهدهم إلا في أحوال تحملهم على نقدها كحكمة
افتراق الكلمة، يشهد لذلك ما كانوا عليه من الانبعاث والاقتداء، فلقد
اجتمع ملك في الموطن يعمل عبد الملك

ثم خلف من بعدهم خائف استعملوا طبيعة الملك في اغراضهم الدنيوية
ومقاصدهم الشهوية ونسوا ما كان عليهم سائرهم من تحري القصد فيها
واعتقاد الحق في مذاهبها فكان ذلك مما دعا الناس الى أن نعوذ عليهم
أفئدتهم، وادلوا بالدعوة العباسية معهم

(٢) ولاية العهد - كان أمر الخلافة على عهد الراشدين يتم بالاستخلاف
الحر أو بأن يعهد الخليفة الى واحد يجعله ولي أمر الناس بعده أو الى جماعة
يختارون من بينهم وحدا من غير قيد بقرابة أو صهر، فلما ولي معاوية
ابنه مباشرة فجعله ولي عهد المسلمين من بعده وعدل عن الفاضل
الى المفضول مراعاة للمصلحة في اجتماع الناس وانفاق أهوائهم، بالتفلق
أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى أمية - ثم صار هذا العمل سنة
معتبة من بعد معاوية في اختيار الابن والأخ حتى انتهت دولتهم ووقف
على آثارهم في هذا المعنى بنوا العباس من بعدهم

ولا تكاد هذه الطريقة تختلف عن طريقة الراشدين نعم أن
الراشدين كان الدافع لهم على ما صنعوا الدين فلم يعهد أبو بكر الى عمر
ولم يؤثره بالخلافة على غيره من أصحاب الرسول إلا لأنه ارتضاء لغيره

على أن وازعه من نفسه وهو دينه، أما معاوية فقد استعمل هذا الأمر وغرضه سياسى هو قصر هذا التراث على أهل بيته وحصره فيهم ، ذلك لأن العصبية قد أشرفت على غايتها - امن الملك وضمف الوازع الدينى واحتيج الى الوازع السلطانى فلو عهد معاوية الى من لا ترتضيه العصبية لردت عهده وذلك بانهقض أمره وتصبح الجماعة الى الفرقة ، (٣) الامامة فى الصلاة - كان خلفاء بنى أمية يؤمون الناس فى المساجد استئثارا بهذا العمل واستعظاما لشأنه ورتبته ، فلما أترفوا وجاءت طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والرفع عن مساواة الناس فى دينهم ودينهم استتابوا فى الصلاة

(٤) القضاء - منصب الفصل بين الناس فى الخصومات من الوظائف الداخلة تحت الخلافة - وكان خلفاء الأموية يباشرونه بأنفسهم ولا يجمعونه الى من سواهم كما كان يفعل الراشدون الا اذا شغلوا بالجهاد والفتح وسد الثغور فانهم كانوا يستخلفون من يقوم به تخفيفا على أنفسهم ، ومع هذا كانوا لا يقلدونه الا أهل عصبيتهم بالنسب أو الولاء ظلوا على ذلك الى أن نسوا عهد البداوة وخشونتها والتبسوا بالحضارة فى عوائد ترفهم ودينتهم فصاروا يقلدون القضاء من غير عصباتهم من أهل العلم والفقه وحملوا الشريعة - ثم صار للولاة اختيار القضاء فى الاسرار الاقاضى حاضرة الخلافة فان اختياره كان للخليفة وحده وكان القضاء على بساطته حرا لا يتقيد فيه القاضى برأى اذ لم تك قد دوت فى ذلك الوقت أحكام الفقه ولذلك كانت الاحكام فى القضية الواحدة تختلف باختلاف القضاء وما يظهر لهم من الاراء

ه الإدارة العامة - وكانت الدولة الاموية تنقسم الى ولايات بدو
الامور في كل منها وال يختاره الخليفة ويطلق يده في ادارتها على حسب
ما يراه فكانت الحكومة في الجملة الى الصورة اللامر كزبة اقرب، اذ كانت
كل ولاية مستقلة استقلالاً ادارياً فكان الوالى يولى ويعزل ويقضى
ويجبي ويعاقب ويكافىء من غير أن يحتاج الى مراجعة دار الخلافة
الا في اعلان الحرب او الصلح او استمداد الرجال أو الاموال،
وربما كان السبب في ذلك اتساع نطاق الدولة واختلاف بقاءها
وأهلها وصعوبة المواصلات فيها وفوات الفرص فيها لو تأجل حل
المسائل التي تعرض الى أن يستشار الخليفة ويحجىء اذنه بالفصل فيها
وهذا الى ثقة الخليفة العظيمة بولاء الأمصار، أما عمر بن عبد العزيز
فكانت ثقته بهم ضعيفة ولذلك كف أبديهم عن شىء كبير مما كان
لهم - وكان عصر سليمان بن عبد الملك ومن جاء بعده يسمى عصر
اضطهاد الولاة ومصادرتهم حتى أن يوسف بن عمر لما تولى العراق
اشترى من الوليد بن يزيد خالد بن عبد الله القسرى وعمله وهو من
سادات اليمن ثم عذبه وقتله

والملاحظ في أمر الولايات هو أن الولاية أحياناً كانت بما يضاف
اليها تشمل أكثر من ثلاث رقعة الدولة كما كان شأن زياد وعبد الله
ابنه والحجاج في المشرق وموسى بن نصير وعبد العزيز ابنته في المغرب
على أن من الولاة من كان يبقّى في ولايته أكثر من عشرين سنة مثل
عبد العزيز بن مروان بمصر

١٠ العلوم والفنون والاداب - لما اتسع ملك بني أمية واختلط

العرب بالجم فسد اللسان وفشا اللحن فابتدأ أمر تدوين النحو. محافظة على القرآن الكريم من التحريف واشفاقا على اللغة العربية أن تفسد ولما كثرت الخوارج وتعددت مذاهبهم صحت نية عمر بن عبد العزيز على ضبط السنة فأمر بتدوين ما يحفظ. من حديث رسول الله

وحبب الى خالد بن يزيد بن معاوية مطبعة كتب اليونان فترجمت اليه ووضع كتابا في الطب كما ترجم الى معاوية كتاب الملوك وأخبار الماضين ووضع زياد بن أبيه كتابا في مثاب قبائل العرب لابنه عبيد الله وألف بعضهم كتابا في الأغاني ونسبتها وترجمت من السريانية كتب في الطب ومع هذا فإن العصر لم يك عصر تدوين وتصنيف بل كان عصر فتح وغزو ونكوين وتأسيس

ولا تنس أنه لما آل الملك لبنى أمية وظهرت الفرق المعادية لهم صار الشعر لسانا يعبر عن أهواء كل فرقة فعنى خلفاء الاموية باجتذاب الشعراء اليهم وأغدقوا عليهم فأصبح الشعر حرفة واصبحت دراسته ووروايته وبقائه وضع غناية العلماء، وصار الهجائي منه أهم أغراض شعراء بني أمية للتفريق بين القبائل والفرق حتى يلهمهم اشتغال بعضهم ببعض عن الدولة وسياستها ومنهم عمر بن أبي ربيعة وجربور والفردق والاخلطل ٧- المباني وكانت دولة بني مروان على علانها دولة عربية لم يتخذوا لها قاعدة لانفسهم انما كانت سكناهم كل امير منهم في داره وضيعته التي كانت له قبل الخلافة — وكان معاوية يقيم احيانا في غوطة دمشق وكان له دار تسمى الخضراء اشتراها عبد الملك من خالد بن يزيد بأربعين ألف دينار — وبني عبد الملك في الغوطة دار السلطنة وبني امراء بني أمية

فيها دوار أخرى ، غير أن أكثرهم كان يبنى القصور في الأماكن القرية
إلى البادية التماسا للهواء الصحيح وتجنبيا عن رطوبة دمشق وجميعها
على أن العباسيين قد أزالوا من الشام آثار الأمويين حتى قبورهم ولم يولوا
المساجد التي أقاموها وبخاصة المسجد الأموي ما علمنا شيئا من قبورهم
في البناء وهندستهم في العمارة على أن المعروف أنهم استعانوا في كل ذلك
بالروم فأن الصنائع وكلها انما هو بكمال الحضارة والدولة الأموية في أيام
الوليد كانت لا تزال إلى البداوة أقرب

الدواوين - وكانت للأمويين أربعة دواوين

(١) وديوان الجند أو وزارة الحربية (٢) وديوان الخراج أو وزارة
المالية وكان بالفارسية بالمرأى إلى أن نقله الخراج إلى العربية وهو الرستمية
بالشام ثم نقله الوليد إلى العربية وبالقبطية في مصر إلى أن نقله إلى
العربية عبد الله بن عبد الملك أمير مصر من قبل الوليد (٣) وديوان الرسائل
و ديوان الخاتم الذي تختتم فيه الكتب والرسائل حتى لا تفتح قبل
يصلها إلى أهلها ريزير ما فيها - وقد علمت أنه في عهد عبد الملك ضممت
الدراهم ولدنانير فاستقلت مالية الدولة عن الروم والفرس وفي هذا كيفية
(أسباب سقوط الدولة الأموية)

« لكل أمة أجل ، وكل أجل كتاب ، وتلك الأيام تداولها بين
الناس ، وما كما مهاجى القرى إلا وأهلها ظالمون ، وما ظمناهم ولكن
ظموا أنفسهم ، وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها
فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

تلك آيات الله تقدمها قبل بيان أهم الأسباب التي من أجلها انقطعت

هذه الدولة الشديدة البأس العظيمة الملك الواسعة السطوة، فإن الله
 لما أراد شيئاً هيأ له أسبابه، وإذا قضى أمراً فلا مرد لأمره، ولما كانت
 أيام مروان الحمر آخر خلفاء هذه الدولة كثرت الهرج والمرج ونمى الشر
 وتوارت الفتن واضطرب جبل بني أمية واختلفت كلمتهم وقتل بعضهم
 بعضاً فضعموا عن مدافعة العباسيين لما قدر الله انتقال الملك إليهم وأراد
 خذلان مروان وانقراض ملك بني أمية وكان إبراهيم الامام العباسي
 بالحليمة من أرض البلقاء بالشام جالسا على مصلاة مشغولا بنفسه
 وعبادته ومصالح عياله ليس عنده من الدنيا طائل وأهل خراسان
 يتأملون عنه أو يبذلون نفوسهم وأموالهم دونه وأكثرهم لا يعرفه
 ولا يفرق بين اسمه وشخصه، يجربون إليه الاموال ويحملون إليه الخراج
 وبينما هو بتلك الحالة من الاقطاع بداره واعتزال الدنيا اذ مروان وهو
 الخليفة المبايع بالشام ومعه الجنود والاموال والسلاح والدنيا بأجمعها
 عنده كان أمره في ضعف وحياله في اضطراب والناس يتفرقون عنه
 ويفرون منه ولم يغنه ما كان من شجاعته ودهائه ومكره وكثرة ماله وجنده
 والثوب ان انك فيه البلى اعيا على ذى الحيلة الراقم

فكان لا يدبر امرا الا كان فيه الحلال والفساد، حتى لقد دعا
 القبائل الموالية واحدة واحدة للاهجوم على جيش عبد الله بن علي بالزاب
 فكانت كل واحدة بدعوها تقول له: ادع أخرى، ثم استعمل البذل
 ليستجيبوا له فأخذوا المال ونفذوا عنه حتى انهزم واضطر الى الفرار
 من وجه العباسيين الى الشام ومصر حيث قتل

ومن أجمع ما قيل في أسباب سقوط هذه الدولة الفتية ماروي

أن شيخنا من شيوخهم سئل عقب زوال ملكهم عن الاسباب فقال :
« جارعمالنا على رعيتهما فتمنوا الراحة منا، ونجومل على أهل خراجنا
فجعلوا عنا وخربت ضياعنا فخربت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا
فآثروا مرافقتهم على منافعنا وأمضوا أمورنا دوننا أخفوا علمها عنا
وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم عدونا فظافروه على
حربنا وطلبنا أعداؤنا فمجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الاخبار
عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا » ولعمري أن سببا واحدا من هذه
الاسباب يكفي وحده لاسقاط أى دولة -

غير أن أسباب سقوط هذه الدولة لم تكن وليدة أيام مروان بل
منها ما نشأ مع نشوء الدولة ومنها ما حدث في خلال أيامها وبخاصة
في العصر الاخير من حيائها واليك أهم هذه الاسباب

(١) الاحزاب العادية . قيل لبعض بنى أمية ما كان سبب زوال
ملككم فقال : اختلاف فيما بيننا واجتماع المختلفين علينا
وقد رأيت أن الاحزاب في هذه الدولة كانت أربعة

(١) حزب بنى أمية وكان على عهد معاوية يزيد صاحب الامر والنهى
غير منازع ؛ فان معاوية اجتهد حتى وفق بين القيسية واليمانية فصاهر
بنى كلب وصانع رؤساء القبائل وانفق في هذا السبيل ماله وذهابه وكانت
بضاعته منهما رائجة وكان امراء البيت المملك على تمام الوفاق معه حتى
أنه لما بايع الى يزيد كانوا مغضبين لأنه جعل الأمر فيهم

ولما استخلف معاوية بن يزيد وكان حدثا ضعيفا . انحمل هذا النظام
بتنازله عن الخلافة (١) اذ ظهر النافس بين امراء البيت المملك، وتطلع

اليمنية مال الى خالد بن يزيد لان أمه كلبية، وانحار بعضهم الى مروان لانه أسن بنى أمية وهو الذي بصر ان يكون معادلا لابن الزبير، وكان من جراء هذا الاختلاف وقوع الحرب غير أن امويين ومن لف لفهم تداركوا الامر قبل استفحال واجتمعوا كؤتم بالجابية وتصلحوا على بيعة مروان والبيعة من بعده الى خالد بن يزيد ثم الى عمرو بن سعيد بن العاص فلم ترض قيس عن هذا العمل وانفردت بزعامه الضحاك بن قيس الفهري وبابعت لابن الزبير فحصلت موقعة مرج راهط وانهمز فيها القيسيون شر هزيمة وفر فريق منهم بقيادة زفر بن الحرث الكلابي وتحصنوا بقريسيما فازالوا هناك حتى صالح عبد الملك زفر واصهر اليه فانتهى العداء بين الفريقين مؤقتا (ب) حزب الخوارج - وقد جد مند نشوئه في العمل على قلب كيان الاموية محتجا بأنهم اغتصبوا الخلافة اغتصابا فحاربهم الامويون وعملهم في العراق وفارس والجزيرة وغيرها وانتهى الأمر بهزيمة الخوارج وسكونهم غير أنهم كانوا يتربصون الفرص للثورة من وقت الى آخر وكان لهم ثورة في أيام مروان بن محمد، وعلى أي حال فقد سقط هذا الحزب وذهبت ربحه تقريبا

(ج) حزب الزبيريين - وقد علمت ان ابن الزبير لم يحرك ساكنا حتى مات معاوية وقتل الحسين، ورأيت أن أمره استفحل حتى صار خليفة في بلاد العرب عامة وبلاد العراق ومصر، وفي قسم كبير ممن بلاد الشام وقد كاد يقضى عليه مسلم بن عقبة المرمي بعد وقعة الحررة لولا وفاة يزيد بن معاوية، كما أنه كاد يكون خليفة في بلاد الاسلاد كل منهم الى الخلافة (د) وظهر أيضا التنافس بين القيسية واليمينية على أن يهضر

كلها لو أنه لم يخرج إلى الشام، ولكنه قال لا والله لا أفعل فقال له بلى
فأفعل على ألا يختلف عليك اثنان فأبى، وقال له لعنك الله ولعن من
زعم أنك سيد والله لا تفاح أبدا وركب باهل الشام أو انصرف باهل
الشام وانصرف فوجد معاوية قد مات ولم يستخاف وباع هل الشام
عامه لابن الزبير إلا اهل الاردن وكذلك اهل مصر واستخاف ابن
الزبير الضحاك بن قيس الفهري على الشام وهنا استيقظ بنو أمية
واجمعوا واتخيو امرؤا كعاصي؛ ثم حصلت موقعة مرج راهط وقتل
الضحاك وفر زفر بن الحرث بن انضم اليه الى قرقيسيا كما سلف
لم تطل أيام مروان فتولى بعده عبد الملك ونظر فاذا ابن الزبير
قد قسم جنده لمحاربة الخوارج بالبصرة وفارس ومحاربة عبد الملك
بالشلم ومحاربة المختار بالكوفة فتربث حتى ضعف أمر ابن الزبير وجرد
الحشيش على العراق وقتل مصعب بن الزبير « وكان مصعب قد ظفر
بالمختار وشيعته واستعمل الرشوة حتى خدع جند العراق وكان يقول
الحزم اخذاع الناس بالمال واستمالتهم به فانهم اتباعه ان كان كانوا
وكيف مال ماثوا وبعد نجاحه في العراق ارسل الحجاج الى ابن الزبير
فهاصره بمكة وقتله وبذلك سقط هذا الحزب أيضا واحي أثره من
من الوجود.

«حزب بني هاشم، وهذا هو الذي بقي بناوى، حزب الأمويين»
وكان زعماء أولا من العلويين غير أنه ضعف بقتل الحسين وإن كان
هذا الحادث قد أحفظ قلوب أهل الإسلام على بني أمية وجمع قلوبهم

الحوارَج والشيعة على مناوأة الأمويين والكيد لهم، وليس خروج المختار
الأمثلا بن هذه الأمثلة وقد أسرف في قتل قتلة الحسين ومن شابعهم
كما علمت - غير أن ضعف حزب العلويين إنما جاء من ناحية عدم وجود
زعيم قوى يقودهم ويكون مطاعاً فيهم وما أدراك أن ابن الحنفية وهو
الذي ورث الحسين في الزعامة يكتب إلى عبد الملك بعد قتل ابن الزبير
ويقول: قد رأيت الناس قد اجتمعوا عليك ونحن عصابة من أمتنا
لا نفارق الجماعة فكانت هذه من أعظم الفرص الذي حانت لعبد الملك
فكتب إليه مسرعاً ومما جاء في هذا الكتاب: لك عهد الله وميثاقه ألا تنهض
في سلطاننا غائباً ولا شاهداً ولا أحداً من أصحابك ما وفوا ببيعةهم فأخرج
إلى الحجاج وبايعه، ثم أخذ يئنيه الأمانى، وكتب إلى الحجاج لا تعرض
لمحمد ولا لأحد من أصحابه - وجنبتى دماء بنى عبد المطلب فليس
فيها شفاء من الحرب، وأنى رأيت بنى حرب (يريد معاوية وبنيه)
سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن على - ثم ازداد هذا الحزب ضعفاً
واستكانة لما قتل ابن الزبير غير أنه بعد قليل ورث بنو العباس الزعامة
الهاشمية ضد الأموية بتنازل أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية
زعيم العلويين بعد أبيه إلى محمد بن على بن عبد الله بن العباس عن
الزعامة وكتب إلى شيعته بالاطراف بذلك فتحول الشيعة إلى محمد
فاختار النقباء وأرسل الدعاء إلى مختلف البقاع وبخاصة خراسان يدعون
إلى الرضا من آل البيت، وهي دعوة مبهمّة لم يتعين فيها الزعيم الذى
يراد، وكان المعاصرون من العلويين لا يشكون أنهم إنما يدعون

الى واحد منهم فلم يلقوا في طريقهم وأعانهم اعانة سلبية بالضرورة ،
أما زعماء العباسيين ونقبائهم فكانوا على بصيرة بأنهم انما يدعون الى محمد
المقيم بالحكمة من أرض البلقاء وهي قاب قوسين من حاضرة بني
أمية بالشام ، غير أنهم لم يفتنوا اليهم أو أنهم أغفلوا الامر حتى عظم وتبث
فلم يستطيعوا له دفعا في آخر الامر وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن بني
هاشم عامة لا يستطيعون القيام بحركة عدائية اضعفهم وفاقتهم واضطرارهم
الى استدراك القوت الضروري مباشرة من خلفاء بني أمية - وكان
بنو هاشم من العلويين والعباسيين قد اجتمعوا في ذيل دولة بني أمية
وتذكروا حالهم ومآلهم عليه من الاضطهاد وما قد آل اليه أمر بني أمية
من الاضطراب ، وميل الناس اليهم ومحبتهم لان تكون لهم دعوة ،
واتفقوا على أن يدعوا الناس سرا ثم قالوا لا بد لنا من رئيس نبابعة
فاتفقوا على مبايعة النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن
ابن علي رضي الله عنه وكن من سادات بني هاشم ورجالهم فضلا وشرفا
وعلماء ، وكان هذا المجلس قد حضره أعيان بني هاشم علويهم وعباسيهم
من جعفر الصادق وعبد الله بن الحسن بن الحسن وابناء النفس الزكية
وأخوه ابراهيم بن عبد الله ثم اسفاح والمنصور وغيرها ، فاجمعوا على
انتخاب النفس الزكية الا جعفر الصادق فإنه قال لعبد الله بن الحسن
ان ابنك لا ينالها معنى الخلافة ، ومع هذا بوبع النفس الزكية وأشاع
الناس أنه المهدي المبشر به أو المنتظر ولكنه لم يصنع شيئا ، اذ سار بنو العباس
مرحلة طويلة في طريقهم صابرين مصابرين واتخذوا العراق وخراسان
عشائرتهم لانها البلاد التي أفرط الحجاج وغيره من عمال

الأمويين في قتلهم واحفاظة قلوبهم ، فإزال أبو مسلم كبير دعاة العباسيين
 يتقرب الفرص المناسبة والحظ يساعده حتى ضم الى ناحيته تقريبا جميع
 المناوئين لاهل الامويين كالحرث بن سريج والكرماني في اليمنية والربعية
 ونقي نصر بن سيار هالك في المضرية وحدم حتى ضف عن القتال
 واستنجد الخليفة فلم يجد عنده نجدة فكتب اليه أبو مسلم للدخول معهم
 فأجاب ثم هرب من ليلته قاصدا العراق فمات في الطريق وتبعه جيش
 قحطبة بن شبيب الطائي الى العراق حتى دخل الكوفة واستخرج
 السفاح وبايئه بالخلافة ومردان اذ ذاك مرابط في جند الشام بالجزيرة
 يريد ان يقطع طريق العباسيين الى الكوفة فلم يستطيع لأن عامله على
 العراق وهو ابن هبيرة قد انهزم وفر الى واسط وتحصن بها - ولما بويع
 السفاح ارسل عمه عبد الله بن علي الى مروان فهزمه في جهات الزاب
 واضطره الى مغادرة الجزيرة الى الشام ثم الى مصر حيث لقي فيها حقه
 ومهما يكن من انتصار بنى أمية على هذه الازاب المعادية فانها
 كانت بلا شك كالسوس الذي ينخر عظام البدن من الداخل حتى يوهنه
 ويعرضه بعد ذلك الى الموت حتما ، وكانت بلا مراء أهم العوامل التي
 قصر بها عمر دولة بنى أمية عما كان بصح أن يكون ، وليس في العالم
 ما يدعوا الى انحلال الدول وضعفها وسقوطها أشد من الحروب الداخلية
 مهما كان شأنها وما يلازمها من الدسائس والمكائد والثورات الاهلية
 التي هي بمثابة الوباء الفتاك الذي ينتشر مع الرياح في كل مكان
 ولا يستطيع حصره في دائرة ضيقة ولا يمكن دفعه وكل هذا من جراء
 نشوء الاحزاب وما يجره وجود الاحزاب وما يحدث من المكبات

النكباء التي نصيب الدولة والامة من الاحزاب في كل عصر ومصر
(٢) البيعة بولاية العهد لائنين ، وهذا هو السبب الثاني من أقوى
أسباب ضعف الأموية وزوال ملكها ، فإنه قد أوجد

(١) المنافسة والعداء بين افراد البيت المالك ، واحل الخلاف بينهم
محل الوفاق ، وكان كل خليفة يتولى لابنظر اولالا الى ولى العهد المباح
بعده ليقتصية عن الخلافة وبولى ابنه فيدعو هذا بالضرورة الى غضب
ولى العهد ومن يناصره ، ويجر هذا الى أن الخليفة بضرب على أيديهم ويجدع
انوفهم ويأخذهم بالقتل والاهانة وسبب النرف والنعمة منهم واحدا
بعد واحد ، خوفا على ملكه منهم او غيرة وبهذا يستحكم الحلال في العصبية
بهلاك رجالها او قتلهم وتزل عروتها وتضعف شكيمتها وينفرد
الخليفة حينئذ عن المشير والناصر الطبيعي من قرابته وذوى رحمه
وتنكسر سورة العصبية التي كان بها التغلب فيتجاسر الرعايا في الاطراف
على الانتقاض والعصيان ويبادرون الى الخروج على الدولة وهم آمنوا
فيفسدون الأمر على صاحب الامر ولا يزالون يثابرون حتى ينتزعوا
الملك من صاحب الملك ؛ وهذا هو ما حصل للامويين (بعد أن افسدوا
عصبيتهم من ابناء عمهم العباسيين

أحدث هذا السنة السيئة مروان ولم يبال بما كان بمؤتمر الجابية
وبايح لولديه عبد الملك وعبد العزيز مع أن الصلح كان على أن يكون
الامر من بعده الى خالد بن يزيد ثم عمرو بن سعيد ، ونزوح أم خالد
ليحيط من شأنه فعملت على قتله كما علمت ، ولما تولى عبد الملك سعى في
اقتضاء أخيه عبد العزيز غير أن هذا عاجلته منيته وما تدري لأي سبب

كان موته فصفا الجو منه لآخيه عبد الملك فباع لابنيه الوليد وسليمان ولم يتعظ بما كان منه لآخيه ثم خرج عليه عمرو بن سعيد بصفته صاحب الحق في الخلافة فما زال يعمل حتى أمته ثم قتله غيلة .

ولما تم الأمر للوليد عمل على خلع سليمان والبيعة لابنه ووافقه العمال في أم الولايات كالحجاج في العراق، وقتيبة بن مسلم في خراسان ومحمد بن القاسم في السند فحالت بيده وبين انفاذ ما أراد منيته فلما تولى سليمان عمل على نكبة هؤلاء الولاة جميعا ولولا أن الحجاج مات قبيل خلافته لرأى منه العذاب الاليم ومع هذا فإنه انتقم من موسى ابن نصير على زعم أن له ظلما في هذا الموضوع كالحجاج أي أن البيعة إلى اثنين لم يك خطرهما قاصرا على اضطهاد أمراء البيت الملك فحسب بل تعدت ذلك إلى القواد وكبار رجال الدولة وذوهم وبعد فما بال العمال الحاليين أيخلصون أم تفسد نياتهم ويعملون وهم على حرص واحتياط أن يصيبهم من الخليفة ما أصاب الذين سبقوهم وكانوا موضع الثقة وكانوا أولى قوة وأولى بأس شديد

«ب» ومن سيئات البيعة لاثنتين أحياء العصبية الجاهلية وهي التنافس بين القبائل والعناصر المكونة للدولة فإن عمر بن عبد العزيز لم يتعصب لقبيل دون قبيل فسكنت العواصف القبلية على عهده سكون الربح قبيل مرور الزوبعة لأن حزب بنى أمية كان يري في هذه المساواة اجحافا به ونقصا من عزته وعظمته فحققت على هذا الخليفة والله يعلم أنه مات من جراء تدبيرات قام بها في الخفاء أفراد هذا الحزب وزعماءه

أما يزيد بن عبد الملك بعده فقد استقبل بخلافته الفتنة التي لاحد

لها اذا شتد أمر العصبية بين المضربة واليمينية واضطهد الخليفة آل المهلب على زعم أنهم تولوا عذاب آل الحجاج وهم أصهاره أو امرأة هذا الخليفة بنت اخى الحجاج مباشرة ، وكان بطل هذا الاضطهاد مسلمة بن عبد الملك الذى صبغهم فى خبر كان مع انهم أبلو فى خدمة الدولة بلاء حسنا وكانوا كالبزمكة وآل سهل فى عهد بنى العباس - كان اضطهادهم الى هذا الحد باعثا على نصب اليمنيين عامة على المضربة فخاربهم الوليد حتى اضمفهم وصارت صبغة الدولة مضربة ليس غير - فلما تولى هشام خشى على ملكه من المضربة وقد عزوا وتقوا فانحاز الى اليمينية واخذ يولى العمال منهم وخدم فاساء الى المضربة وأذاهم غير أنه عاد فانضم الى المضربة وعزل عمال اليمينية ومنهم خالد بن عبد الله القسرى عزله عن العراق ثم وقع النزاع بين هشام والوليد بن يزيد اذ طلب من الوليد أن يخضع نفسه ويبيع لمسلمة بن هشام فأبى وحصلت بينهما احوال كانت كلها سيئات ثم أدركته منيته قبل أن ينتهى من أمر ابن أخيه الوليد بن يزيد عود - وأما اليمينيون فقد اتخذوا من عزل خالد وسيلة لاجتلاء ذكر آل المهلب ومالاقوا من الامويين فأخذوا يعملون على قلب هذه الدولة من اساسها انتقاما ، فلما تولى الوليد وأمه مضربة انحاز الى المضربة بالضرورة وتحدى خالدا وأمر بقتله فقتل ، فاشاع اليمينيون عنه أنه فاسق فاجر حتى غضب الناس عامة على الوليد غير أن على الدين وفى مقدمتهم أمراء الامرية وعلى رأسهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك انضم اليه جميع العناصر النائرة على الوليد ونجاة اليمنيين حتى قتل يزيد وصار خليفة ، فانظر كيف كان خطر أحياء العصبية -

على أن مافعله يزيد بن الوليد لم يقطع أصل الخلاف، بل أزيى نارهم فانه انضم الى اليمنية لانهم كانوا أنصاره وولى العراق يمنيا وسلطه على يوسف بن عمر الوالى من قبله وأطلق يد اليمنية فى تحدى المضربة حتى ضاقوا ذرعا فثاروا فى حمص وفلسطين والاردن وولى كل فريق عليه خليفة من أمراء البيت الاموى، ومع أن يزيد قد اتصر عليهم جميعا وعمد الى زعمائهم من أهل بيته فزجهم فى السجون، فان هذا العمل قد هد كيان البيت الاموى وأصبح بعضهم بكيد لبعض وتقطعت بينهم أسباب المودة وصار لكل واحد منهم شيعة تعمل على أن تجلسه فوق عرش الخلافة — ولما تولى ابراهيم بعده خلع مروان من الخلافة ثم تولى الامر وروح العصبية نائرة فى كل مكان، وثار عليه اليمنية لانه كان يطالبهم بدم الوليد، وانتقض أهل حمص وثار يزيد بن خالد العنبرى فى دمشق وثار اليمنية فى فلسطين والجهات الأخرى، وخرج عليه سليمان بن هشام فلبى اليمنيون طلبه ليدفعوا عن أنفسهم على الأقل اضطهاد مروان — وكانت الحالة فى العراق على هذا النحو، وكانت دعوة العباسيين فى خراسان قد نجحت فأخذ مروان يعالج هذه الاحوال ولكنها كانت أكثر مما تبلغه حيلته ثم ما هو الا أن قدم جيش العباسيين من خراسان وقضى على ملك بنى أمية أيام مروان هذا سنة ١٣٢ هـ

(٣) ويضم الى هذين السببين أسباب أخرى يذكرها المؤرخون كإساءتهم المسلمين عامة والعرب خاصة بانتهاك حرمة الحرمين وسب على المنابر مما جعل الناس يضمرون لهم العداوة ولا يخلصون اليهم ويتباطئون عن معوتتهم عند اشتداد الحالة الى المعونة — ونظامهم الذي

التي تسمى في شكل الحكومة اذ جعلوها كاللامركزية تطلق فيها يد الوالي في ولايته يتصرف فيها كما يشاء على حسب ما يبدو له من الرأي فتكات الاحكام في الولايات على حسب اجتهاد كل وال أي أنها مختلفة وكانت كل ولاية حينئذ أشبه بمملكة مستقلة وكان من نتائج هذا النظام أن بعض الولاة كالججاج أسرف في الظلم مرضاة للخلافة والظلم يؤذي بخراب العمران - ومن ذلك استعمال بعض الخلفاء أهواءهم في الانتقام من البهال والقواد وأهل الأثر الصالح في الدولة بحجة أنهم كانوا يتبعون الخليفة السابق في رأيه ويعينونه على ما ربه التي كانت نضربهم كما رولاية العهد، وهذا العمل قد أفسد النيات، وولد الاحقاد ورغب الرجال البارعين عن خدمة الدولة أو النصح الى خلفائها، ومموتهم بالرأي وبذلك ضفت روح التعاون بين الحاكمين والمحكومين فتعرضت الدولة بذلك الى أشد الاخطار - ومما يذكر من أسباب سقوط الدولة ميل خلفائها أئخير الى الترف - وقد سمر أبو جعفر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسيرهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى افضى أمرهم الى ابتائهم المترفين وكانت همتهم مع عظم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وابتار اللذائذ والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلا باستدراج الله وأمناء لمكره فسلبهم الله العز ونقل عنهم النعمة

ومع أن أبا جعفر كان خصما فأن قوله هذا كان بيانا صحيحا لما وقع أخيرا في دولة بني أمية مما أدى الى ضعف الصفات العربية الإسلامية فيهم، غير أن ذلك لم يمنع أحدا منهم من اتهاهم ما شرع فيه سلفه من الترف وإعلاء شأن العرب في كل مكان يحملون فيه مما جعل الدولة الأموية

موضع اعجاب الامم والشعوب ولكن الدنيا دول للدول أعمارا كاعمار
الاشخاص ولا بد لكل دولة من الهرم فهو أمر طبيعي وإذا نزل فلا
سبيل الى علاجه والبقاء لله وحده يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك
ممن يشاء وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير-

(الدولة الشرقية بعد هرقل)

تولى بعد هرقل عدد من الباطرة كانوا صغارا أوضاعا أو ظلمة أو ممن ليس من
بيت الملك مثل تيودسيوس الثالث الذي كان أصله جاييا ، مما أدى الى اضطراب
الدولة واستيلاء المسلمين على بعض أطرافها الشرقية كرودس وقبرس ، وهجومهم
على بلاد الاناضول ومحاصرتهم القسطنطينية أيام من يسمى منهم قسطنطين الرابع
٨٦٦ - ٥٦٦ برا وبحرا . وقد أحرقت نيرانهم (التي كانت سرا لا يعرفه
المسلمون) أكثر السفن الاسلامية

ومن سنة ٧١٧ - ٨٦٨ م غلبت على هذه الدولة أسرة مقدونية وهي
الأيسوريانية وأول أباطرتها باسيلئوس الاول وكان تاجرا ثم انتظم في سلك
الجيش فما زال يترقى حتي انتخب امبراطورا - فرد العرب عن القسطنطينية .
وكان هو والذين جاءوا من بعده يكرهون التماثيل فأصدروا الاوامر بتكسيرها من
الكنائس فأدي ذلك الي فتن وقلل ساعدت على انشاء قوة زمنية للابابوات
يدافعون بها عن التماثيل وجر هذا الي اقفال عدة أدبرة للرهبان على زعم أن
الذين فيها جماعة كسالي مفسدون

وفي سنة ٧٩٢ - ٨١١ كان الامبراطور يسمي ثقفور وهو الذي حاربه هرون
الرشيدي وانتصر عليه واضطره الي دفع الجزية السنوية وكان على مذهب سابقه في
كراهة الصور وتولى من بعده ابنه ميخائيل الاول ثم ميخائيل الثاني وفي زمنه
افتتح بنو الاغلب صقلية وكلايريا من ايطاليا - ثم تولى من بعده تيوفيل ، وقد
قضي معظم حياته في محاربة المعتصم العباسي - وخرج في سنة ٨٣٨ في جمع

عظيم حتي بلغ زبطرة فأوقع بالمسلمين وسبي منهم كثيرا ومنهم امرأة من بني هاشم سمعها بعضهم تقول وا معصاه فبلغ أمرها المعتصم فأصر على استنقاذها وخرج يقود الجيش بنفسه الي الروا حتى وصل الي عمورية ففتحها عنوة وسبي أهلها وانتهبا ثم هدمها وأحرقها فمات تيوفيل غما من جراء ذلك

وفي عهد ميخائيل الثالث انشقت الكنيسة الاغريقية عن الكنيسة اللاتينية وفي سني ٨٦٧ — ١٠٥٦ وثب على عرش الدولة الشرقية اسرة مقدونية أول أباطرتها باسيل وكان له حظوة عند ميخائيل الثالث لمهارته ثم تغير عليه وأرد قتله فمجل به باسيل ووثب على العرش واسترد قيسارية من العباسيين وصقاعة من بني الاغلب

ولما تولى نقفور الثاني سنة ٩٦٣ استرد كيليكيا وقبرس وشيئا من سورية — أما الذين جاءوا من بعده فقد عكفوا على النعيم وانقطعوا الى الملاذ ولذا تمكن السلاجقة من الاستيلاء علي كثير من أملاك الرومان في الاناضل وظلوا ينتزعون منهم هذه البقعة بلدا بعد بلد حتى استوعبوا أكثرها فثارت الروم بامبراطورها اذ ذاك وهو ميخائيل السابع واضطرب امر الدولة مدة الى ان تولى الكسيس سنة ١٠٩٥ فانصرف علي السلاجقة وهذا الامبراطور هو الذي أثار الحرب الصليبية الاولى اذ استنجد الدول المسيحية لصد غارات المسلمين عن بلاده فلباه البابا اربانوس الثاني وقام بتدبير الحملة الاولى منتهزا الفرص المناسبة لانقاذها وخطب في الناس ووعد الذين يموتون في هذه الحرب جنات النعيم

(تم بعون الله وحده)